الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الثامن والعشرون

[سورة الروم، الآية: ١١]- [سورة الأحزاب، الآية:٦٢]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولي(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١)} [الروم : ١١]

التفسير:

الله وحده هو المتفرد بإنشاء المخلوقات كلها، وهو القادر وحده على إعادتها مرة أخرى، ثم إليه يرجع جميع الخلق، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

قوله تعالى:{اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [الروم : ١١]، أي:" لله وحده هو المتفرد بإنشاء المخلوقات كلها، وهو القادر وحده على إعادتها مرة أخرى"(١).

قال الطبري: يقول:" الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير شيء، بل بقدرته عزّ وجل، ثم يعيد خلقا جديدا بعد إفنائه وإعدامه، كما بدأه خلقا سويا، ولم يك شيئا"(٢).

قال ابن كثير:" أي : كما هو قادر على بَداءته فهو قادر على إعادته"(٣).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [الروم : ١١]، أي:" ثم إليه يرجع جميع الخلق، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"(٤).

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله"(٥).

قال الطبري: "يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردّون، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}"(٦).

القرآن

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢)} [الروم : ١٢]

التفسير:

ويوم تقوم الساعة ييئس المجرمون من النجاة من العذاب، وتصيبهم الحَيْرة فتنقطع حجتهم.

قال الطبري: يقول: " ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب، ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندمون"(٧).

قال ابن عاشور:" أعيد {ويوم تقوم الساعة} لزيادة التهويل الذي تقدم بيانه آنفا. وكرر {يومئذ} لتأكيد حقيقة الظرفية"(٨).

وفي قوله تعالى:{ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ} [الروم : ١٢] وجوه من التفسير:

أحدها : أن الإبلاس: الفضيحة ، قاله مجاهد(٩).

الثاني : أنه الاكتئاب ، قاله مجاهد أيضا(١٠).

الثالث : الإياس ، قاله ابن عباس(١١).

قال يحيى بن سلام:" ييأس المجرمون من الجنة"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٥.

(٢) تفسير الطبري: ٧٩/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٠٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.

(٦) تفسير الطبري: ٧٩/٢٠.

(٧) تفسير الطبري: ٧٩/٢٠-٨٠.

(٨) التحرير والتنوير: ٦٣/٢١.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٤٧٣):ص٩/ ٣٠٨٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٠.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٤٧١):ص٩/ ٣٠٨٨.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٦٤٨/٢.

وقال الفراء:" ييأسونَ من كل خير، وينقطع كلامهم وحججهم"[1].

الرابع : أنه الهلاك، قاله السدي[2].

الخامس : أن المبلس: الذي قد نزل به الشرّ، إذا أبلس الرجل، فقد نزل به بلاء. قاله ابن زيد[3].

السادس: الحزن على الشيء والندم عليه، حكاه الطبري[4] .

السابع : الحيرة . حكاه الماوردي[5].

الثامن: أن المبلس: الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يهتدي إليها، تقول: ناظرت فلانا فأبلس أي انقطع وأمسك ويئس من أن يحتج، فأعلم الله عز وجل أنهم في القيامة ينقطعون في الحجة انقطاع يئسين. قاله الزجاج[6].

قال أبو عبيدة:" أي: يتندمون ويكتئبون وييأسون، قال العجاج[7]:

يا صَاحِ هلْ تعْرِفُ رَسمًا مُكْرَسا ... قالَ نَعَمْ أعْرِفُهُ وأبْلَسا"[8].

وقرأ أَبُو عبد الرحمن السلمي :«يُبْلَسُ المجرمُونَ» بفتح اللام [9].

القرآن

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣)} [الروم : ١٣]

التفسير:

ولم يكن للمشركين في ذلك اليوم من آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله شفعاء، بل إنها تتبرأ منهم، ويتبرؤون منها. فالشفاعة لله وحده، ولا تُطلَب من غيره.

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ} [الروم : ١٣]، أي:" ولم يكن لهم من الأصنام التي عبدوها شفعاء يشفعون لهم"[10].

قال الطبري:يقول:" {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ} لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم {مِن شُرَكَائِهِمْ} الذين كانوا يتبعونهم، على ما دعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسله، {شُفَعَاءُ} يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه"[11].

قال النحاس:" قيل: يعني بشركائهم ما عبدوه من دون الله جل وعز"[12].

قال ابن كثير:" أي : ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله"[13].

قوله تعالى:{وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} [الروم : ١٣]، أي:" وجحدوا ولاية الشركاء وتبرءوا منهم"[14].

---

(١) معاني القرآن: ٢/ ٣٢٢.

(٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٣٠٢/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٢/١١.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٤.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٤/ ١٧٩.

(٧)ديوانه ١٦. - والكامل ٣٤٣، وتفسير الطبري ٨٠/٢٠، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٢٧، واللسان والتاج: (بلس). (بلس).

«مكرسا» أي فيه الكرس- بكسر فسكون- أي أبوال الإبل وأبعارها يتلبد بعضها على بعض فى الدار.

(٨) مجاز القرآن: ٢/ ١٢٠.

(٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٢٣.

(١٠) صفوة التفاسير: ٢/ ٤٣٥.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٠.

(١٢) إعراب القرآن: ٣/ ١٨٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.

(١٤) تفسير المراغي: ٣٤/٢١.

قال الطبري: يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله {كَافِرِينَ}، يجحدون ولايتهم، ويتبرّءون منهم، كما قال جلّ ثناؤه: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا}"[١].

قال ابن كثير: أي : " وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم"[٢].

قال مقاتل:" يعني: تبرأت الملائكة ممن كان يعبدها"[٣].

قال النحاس:" {وكانوا بشركائهم كافرين}: قالوا: ليسوا بآلهة"[٤].

قال السمعاني:" أي: كفروا بالأصنام، وتبرءوا منها يوم القيامة، ومعنى كانوا: صاروا"[٥].

القرآن

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥)} [الروم : ١٤-١٥]

التفسير:

ويوم تقوم الساعة يفترق أهل الإيمان به وأهل الكفر، فأما المؤمنون بالله ورسوله، العاملون الصالحات فهم في الجنة، يكرَّمون ويسرُّون وينعَّمون.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ} [الروم : ١٤]، أي:" ويوم تقوم الساعة يفترق أهل الإيمان به وأهل الكفر"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذ، يقول في ذلك اليوم يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيِّب"[٧].

قال السمعاني:" يعني: يتميز أهل الجنة من أهل النار، وقيل معناه: أنه يفرق بين أهل المعصية وأهل الطاعة؛ فيعاقب أهل المعاصي، وينعم على المطيعين"[٨].

عن قتادة، قوله:"{ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون}، قال: فرقة لا اجتماع بعدها"[٩].

قال الحسن:" هؤلاء في عليين، وهؤلاء في أسفل سافلين"[١٠].

قال ابن عاشور:" التفرق: انقسام الجمع وتشتت أجزاء الكل. وقد كني به هنا عن التباعد لأن التفرق يلازمه التباعد عرفا"[١١].

قوله تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الروم : ١٥]، أي:" فأما المؤمنون بالله ورسوله، العاملون الصالحات"[١٢].

قال الطبري:" يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٠-٨١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٩.
(٤) إعراب القرآن: ٣/ ١٨٢.
(٥) تفسير السمعاني: ٢٠٠/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٥.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨١.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٠٠/٤.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٧٤):ص٣٠٨٩/٩.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٧٥):ص٣٠٨٩/٩.
(١١) التحرير والتنوير: ٦٤/٢١.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٠٥.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨١.

قوله تعالى:{فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ} [الروم : ١٥]، أي:" فهم في الجنة، يكرَّمون ويسرُّون وينعَّمون"[١].

قال الطبري:" يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نشرا من الرياض.. فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأراييح، والعيش الهنيّ فيما يحبون، ويسرُون به، ويغبطون عليه"[٢].

قال البيضاوي:أي:" فهم في روضة أرض ذات أزهار وأنهار، يسرون سرورا تهللت له وجوههم"[٣].

قال الزجاج:" أي: حال المؤمنين السماع في الجنة، والشغل بغاية النعمة"[٤].

عن أبي مالك، قوله:"{في روضة}، يعني: بساتين الجنة"[٥].

قال السمعاني:" الروضة: هي لبستان الذي هو في غاية النضارة والحسن، قال الطائي[٦]:

إنما البشر روضة فإذا ... كان ربوة فروضة وغدير"[٧].

وفي قوله تعالى: {يُحْبَرُونَ} [الروم : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : يكرمون ، قاله ابن عباس[٨]، والضحاك[٩]، ومقاتل[١٠]، والكلبي[١١].

الثاني : ينعمون ، قاله مجاهد[١٢]، وقتادة[١٣].

الثالث : يفرحون ، قاله الحسن[١٤]، والسدي[١٥]، وأبو عبيدة[١٦]، وابن قتيبة[١٧]، والطبري[١٨].

قال ابن قتيبة:" أي: يسرون. و«الحبرة»: السرور. ومنه يقال: «كل حبرة تتبعها عبرة»"[١٩].

قال أبو عبيدة: معناه:" يفرحون ويسرّون وليس شيء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة ولا أطيب ريحا قال الأعشى[٢٠]:

مَا رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِل

يَوْمًا بِأَطْيَبَ منها نَشْرَ رَائِحَةٍ ... وَلا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذْ دَنَا الأُصُلُ

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٥.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨١-٨٢.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢٠٣/٤.

(٤) معاني القرآن: ١٨٠/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٧٦):ص٣٠٨٩/٩.

(٦) شرح ديوان ابي تمام:٣٨٩، وفيه:" كان ببذل فروضة وغدير.

(٧) تفسير السمعاني: ٢٠٠/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢٠.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٤٧٧):ص٣٠٨٩/٩.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٩.

(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/ ٦٤٨.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٧٤٧٨):ص٣٠٨٩/٩.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢٠.

(١٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/ ٦٤٨.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٠٢/٤.

(١٦) انظر: مجاز القرآن: ٢/ ١٢٠.

(١٧) انظر: غريب القرآن: ٣٤٠.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٨١-٨٢.

(١٩)غريب القرآن: ٣٤٠.

(٢٠) البيت الأول هو ١٤ والثاني هو ١٦ من القصيدة السادسة فى ديوانه، وهما مع بيت آخر فى الطبري:٨١/٢٠، وتفسير القرطبي: ١٤/ ١١ .

وقال العجّاج[1]:
فالْحَمْدُ سِهِ الَّذِي أعْطَى الحَبَرْ ... مَوَالِيَ الحَقَّ إنَّ المَوْلى شَكَرْ
ويقال فى المثل: «مليت بيوتهم حبرة فهم ينتظرون العبرة»[2]"[3].
الرابع : يتلذذون بالسماع والغناء في الجنة، قاله يحيى بن أبي كثير[4].
قال يحيى بن أبي كثير:" الحبرة: اللذة والسماع"[5].
روي عن سلمة بن عبد الله الجهني، عن عمه، عن أبي الدرداء قال:" كان رسول الله ﷺ يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم وفي آخر القوم أعرابي فجثا لركبتيه وقال: يا رسول الله هل في الجنة من سماع؟ قال: «نعم يا أعرابي إن في الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية، يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها، فذلك أفضل نعيم أهل الجنة»".
قال: فسألت أبا الدرداء بم يتغنين؟ قال: بالتسبيح إن شاء الله. قال: والخوصانية: المرهفة الأعلى الضخمة الأسفل"[6].
وروي عن القاسم بن مطيب عن مغيرة عن إبراهيم قال: «إن في الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله عز وجل ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الأرض لماتوا طربا»[7].
قال القرطبي-بعد أن ذكر طرفا من تلك الأقوال-:" وهذا كله من النعيم والسرور والإكرام، فلا تعارض بين تلك الأقوال، وأين هذا من قوله الحق:{ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: ١٧]"[8].
قال ابن كثير: " «الحبرة» أعم من هذا كله"[9].

القرآن
{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)} [الروم : ١٦]
التفسير:
وأما الذين كفروا بالله وكذَّبوا بما جاءت به الرسل وأنكروا البعث بعد الموت، فأولئك في العذاب مقيمون؛ جزاء ما كذَّبوا به في الدنيا.
قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ} [الروم : ١٦]، أي:" وأما الذين كفروا بالله وكذَّبوا بما جاءت به الرسل وأنكروا البعث بعد الموت"[10].
قال المراغي:" أي: وأما الذين جحدوا توحيد الله وكذبوا رسله وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة"[11].
قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} [الروم : ١٦]، أي:" فأولئك في العذاب مقيمون؛ جزاء ما كذَّبوا به في الدنيا"[1].

---
(١)ديوانه : ١٥، وتفسير الطبري:٨٢/٢٠، والاقتضاب : ٤٠٧، ونسبته للعجاج في "إصلاح المنطق: ٢٥٢، ونقله عنه الأزهري، "تهذيب اللغة" ٥/ ٣٤ (حبر)
(٢)«المثل»: لم أقف عليه، وفى الجمهرة (١/ ٢١٨): "كل حبرة تعقبها عبرة".
(٣) مجاز القرآن: ٢/ ١٢٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٢/٢٠-٨٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٢.
(٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩٧/٧.
(٧) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩٧/٧.
(٨) تفسير القرطبي: ١٤/ ١٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٥.
(١١) تفسير المراغي: ٣٤/٢١.

قال الزجاج: أي:"وحال الكافرين العذاب الأليم هم حاضروه أبدا غير مخفف عنهم"[٢].
قال الزمخشري:" {محضرون}: لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم، كقوله: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا} [المائدة : ٣٧] ، {لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ } [الزخرف : ٧٥]"[٣].
قال البيضاوي:أي:" مدخلون لا يغيبون عنه"[٤].
قال القرطبي:" أي: مقيمون. وقيل: مجموعون. وقيل: معذبون. وقيل: نازلون، ومنه قوله تعالى:{إِذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ}[البقرة: ١٨٠] أي: نزل به، قاله ابن شجرة، والمعنى متقارب"[٥].
قال ابن عاشور:" {محضرون} يجوز أن يكون من الإحضار، أي: جعل الشيء حاضرا، أي: لا يغيبون عنه، أي: لا يخرجون منه، وهو يفيد التأييد بطريق الكناية لأنه لما ذكر بعد قوله في العذاب ناسب أن لا يكون المقصود من وصفهم المحضرين أنهم كائنون في العذاب لئلا يكون مجرد تأكيد بمدلول في الظرفية فإن التأسيس أوقع من التأكيد، ويجوز أن يكون {محضرون} بمعنى: مأتي بهم إلى العذاب فقد كثر في القرآن استعمال «محضر» ونحوه بمعنى: معاقب، قال تعالى: {ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون} [الصافات: ١٥٨] ، واسم الإشارة تنبيه على أنهم أحرياء بتلك العقوبة لأجل ما ذكر قبل اسم الإشارة كقوله: {أولئك على هدى من ربهم} [البقرة: ٥]"[٦].
قال السعدي:أي:" قد أحاطت بهم جهنم من جميع جهاتهم واطَّلع العذاب الأليم على أفئدتهم وشوى الحميم وجوههم وقطَّع أمعاءهم، فأين الفرق بين الفريقين وأين التساوي بين المنعمين والمعذبين؟"[٧].
فوائد الآيات:[١١-١٦]:
١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض مشاهد القيامة.
٢- تقرير عقيدة أن لا شفاعة لمشرك ولا كافر يوم القيامة، وبطلان ما يعتقده المبطلون من وجود من يشفع لأهل الشرك والكفر.
٣- تقرير مبدأ السعادة والشقاء يوم القيامة فأهل الإيمان والتقوى في روضة يحبرون، وأهل الشرك والمعاصي في العذاب محضرون.

القرآن
{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)} [الروم : ١٧-١٨]
التفسير:
فيا أيها المؤمنون سبِّحوا الله ونزِّهوه عن الشريك والصاحبة والولد، وَصِفوه بصفات الكمال بألسنتكم، وحقِّقوا ذلك بجوارحكم كلها حين تمسون، وحين تصبحون، ووقت العشي، ووقت الظهيرة. وله -سبحانه- الحمد والثناء في السموات والأرض وفي الليل والنهار.
قوله تعالى:{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم : ١٧]، أي:" فيا أيها المؤمنون سبِّحوا الله ونزِّهوه عن الشريك والصاحبة والولد، وَصِفوه بصفات الكمال بألسنتكم، وحقِّقوا ذلك بجوارحكم كلها حين تمسون، وحين تصبحون"[٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٥.
(٢) معاني القرآن: ١٨٠/٤.
(٣) الكشاف: ٣/ ٤٧١.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٠٣/٤.
(٥) تفسير القرطبي: ١٤/١٤.
(٦) التحرير والتنوير: ٦٤/٢١.
(٧) تفسير السعدي: ٦٣٨.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٥.

قال مقاتل:" يعني: فصلوا لله- عز وجل- {حين تمسون}، يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء، {وحين تصبحون}، يعني: صلاة الفجر"[1].

قال الفراء:" يقول: فصلّوا الله {حِينَ تُمْسُونَ} وهى المغرب والعشاء: {وَحِينَ تُصْبِحُونَ}: صلاة الفجر "[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له {حِينَ تُمْسُونَ} ، وذلك صلاة المغرب، {وَحِينَ تُصْبَحُونَ}، وذلك صلاة الصبح"[3].

قال ابن كثير: هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة ، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده ، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه : عند المساء ، وهو إقبال الليل بظلامه ، وعند الصباح ، وهو إسفار النهار عن ضيائه"[4].

قال الزجاج:" معنى: «سبحان الله»: تنزيه الله من السوء. هذا لا اختلاف فيه"[5].

عن معاذ بن انس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ "ألا أخبركم لم سمي الله إبراهيم خليله الذي وفى، لأنه كان يقول: كلما أصبح وأمسى: «سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون»"[6].

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "قال عمر -رضي الله عنه-: أما «الحمد» فقد عرفناه فقد يحمد الخلائق بعضهم بعضا، وأما «لا إله إلا الله» فقد عرفناها فقد عبدت الآلهة من دون الله، وأما «الله أكبر» فقد يكبر المصلي، وأما «سبحان» الله فما هو؟ فقال رجل من القوم: الله أعلم! فقال عمر -رضي الله عنه=: قد شقي عمر إن لم يكن يعلم أن الله يعلم، فقال علي: يا أمير المؤمنين اسم ممنوع أن ينتحله أحد من الخلائق وإليه يفزع الخلق، أحب أن يقال له، فقال: هو كذاك"[7].

قوله تعالى:{وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} [الروم : ١٨]، أي:" وله -سبحانه- الحمد والثناء في السموات والأرض وفي الليل والنهار"[8].

قال مقاتل:" يحمده الملائكة في السموات ويحمده المؤمنون في الأرض، {وعشيا}، يعني: صلاة العصر، {وحين تظهرون}، يعني: صلاة الأولى"[9].

قال الفراء:" {وَعَشِيًّا}: صلاة العصر، {وَحِينَ تُظْهِرُونَ}: صلاة الظهر"[10].

قال الطبري:" يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره {فِي السَّمَوَاتِ} من سكانها من الملائكة، {وَالأرْضَ} من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، {وَعَشِيًّا} يقول: وسَبِّحوه أيضا عشيا، وذلك صلاة العصر، {وَحِينَ تُظْهِرُونَ}، يقول: وحين تَدْخلون في وقت الظهر"[11].

قال ابن كثير: ثم اعترض بحمده ، مناسبة للتسبيح وهو التحميد ، فقال :{ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ}أي:هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض. ثم قال :{ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ } فالعشاء هو : شدة الظلام ، والإظهار : قوة الضياء. فسبحان خالق هذا وهذا ، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا ، كما قال :{ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا } [الشمس : ٣ ،

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٩.
(٢) معاني القرآن: ٢/ ٣٢٣.
(٣) تفسير الطبري:٢٠/ ٨٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.
(٥) معاني القرآن: ١٨١/٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٧٩):ص٣٠٨٩/٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٨٠):ص٣٠٨٩/٩.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٥.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤٠٩.
(١٠) معاني القرآن: ٢/ ٣٢٣.
(١١) تفسير الطبري:٢٠/ ٨٣.

٤] ، وقال { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل : ١ ، ٢] ، وقال : { وَالضُّحَى. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } [الضحى : ١ ، ٢] ، والآيات في هذا كثيرة"(١).

عن أبي رزين:" سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل نجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم {فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ}: المغرب، {وَحِينَ تُصْبِحُونَ}: الفجر، {وَعَشِيًّا}: العصر،{وَحِينَ تُظْهِرُونَ}: الظهر، قال: {وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُم}"(٢).

قال ابن عباس:" جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة، {فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ}، قال: المغرب والعشاء، {وَحِينَ تُصْبِحُونَ} الفجر {وَعَشِيًّا} العصر {وَحِينَ تُظْهِرُونَ}: الظهر"(٣).

عن مجاهد: "{فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ}: المغرب والعشاء، {وَحِينَ تُصْبِحُونَ}: الفجر، {وَعَشِيًّا}: العصر {وَحِينَ تُظْهِرُونَ}: الظهر، وكلّ سجدة في القرآن فهي صلاة"(٤).

عن قتادة:" {فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ}: لصلاة المغرب، {وَحِينَ تُصْبِحُونَ}: لصلاة الصبح، {وَعشَيًّا}: لصلاة العصر، {وَحِينَ تُظْهِرُونَ} صلاة الظهر أربع صلوات"(٥).

قال ابن زيد:" {حِينَ تُمْسُونَ}: صلاة المغرب، {وَحِينَ تُصْبِحُونَ}: صلاة الصبح، {وَعشَيًّا}: صلاة العصر، {وَحِينَ تُظْهِرُونَ}: صلاة الظهر"(٦).

قال القشيري:" من كان صباحه لله بورك له في يومه، ومن كان مساؤه بالله بورك له في ليله.. والآية تتضمن الصلوات الخمس وإرادة الحق من أوليائه بأن يجددوا العهد في اليوم والليلة خمس مرات فتقف على بساط المناجاة، وتستدرك ما فاتك فيما بين الصلاتين من طوارق الزلات"(٧).

القرآن

{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)} [الروم : ١٩]

التفسير:

يخرج الله الحي من الميت كالإنسان من النطفة والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي، كالنطفة من الإنسان والبيضة من الطير. ويحيي الأرض بالنبات بعد يُبْسها وجفافها، ومثل هذا الإحياء تخرجون -أيها الناس- من قبوركم أحياء للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} [الروم : ١٩]، أي:" يخرج الله الحي من الميت كالإنسان من النطفة والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي، كالنطفة من الإنسان والبيضة من الطير"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: صَلّوا في هذه الأوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس، الله الذي يخرج الحيّ من الميت، وهو الإنسان الحيّ من الماء الميت، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحيّ"(٩).

قال القرطبي:" بيّن كمال قدرته، أي: كما أحيا الأرض بإخراج النبات بعد همودها، كذلك يحييكم بالبعث. وفي هذا دليل على صحة القياس"(١٠).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٨٣-٨٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٤-٨٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٥.
(٧) لطائف الإشارات: ٣/١١١-١١٢.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٥.
(١٠) تفسير القرطبي: ١٤/١٧.

قال ابن عباس:" يخرج من الإنسان ماء ميتا فيخلق منه بشرا، فذلك الميت من الحي، ويخرج الحي من الميت، فيعني بذلك أنه يخلق من الماء بشرًا فذلك الحي من الميت"[١].

عن عبد الله: "{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ}، قال: النُّطْفة ماء الرجل ميتة وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة"[٢].

عن الحسن قوله: "{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ}: المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن"[٣].

قوله تعالى:{وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم : ١٩]، أي:" ويحيي الأرض بالنبات بعد يبسها وجدبها"[٤].

قال الطبري:"{ويُحيي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فينبتها، ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها"[٥].

قال الزجاج:" أي: يجعلها تنبت، وإحياء الأرض: إخراج النبات منها"[٦].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [الروم : ١٩]، أي:" كما يخرج الله النبات من الأرض كذلك يخرجكم من قبوركم للبعث يوم القيامة"[٧].

قال الطبري:" يقول: كما يحيي الأرض بعد موتها، فيخرج نباتها وزرعها، كذلك يحييكم من بعد مماتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب"[٨].

قال الزجاج:" أي: وكذلك تخرجون من قبوركم مبعوثين، وموضع «الكاف» نصب بـ {تخرجون}، والمعنى: أن بعثكم عليه كخلقكم، أي: هما في قدرته متساويان"[٩].

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)} [الروم : ٢٠]

التفسير:

ومن آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب، ثم أنتم بشر تتناسلون منتشرين في الأرض، تبتغون من فضل الله.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [الروم : ٢٠]، أي:" ومن آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب"[١٠].

قال الطبري: يقول:" ومن حُججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدام، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب، يعني بذلك خلق آدم من تراب، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم"[١١].

قال الزجاج:" أي: من العلامات التي تدل على أن الله واحد لا مثيل له ظهور القدرة التي يعجز عنها المخلوقون، ومعنى: {خلقكم من تراب}، أي: خلق آدم من تراب"[١٢].

قال القرطبي:" أي: من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب، أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٥-٨٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٥.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٣٦/٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٥.
(٦) معاني القرآن: ١٨١/٤.
(٧) صفوة التفاسير: ٤٣٦/٢.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٥.
(٩) معاني القرآن: ١٨١/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٦.
(١٢) معاني القرآن: ١٨١/٤.

قال الزمخشري:" {خلقكم من تراب}، لأنه خلق أصلهم منه"[٢].
عن قَتادة :"{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ}: خلق آدم عليه السلام من تراب"[٣].
قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} [الروم : ٢٠]، أي:" ثم أنتم بشر تتناسلون منتشرين في الأرض، تبتغون من فضل الله"[٤].
قال الطبري:" يقول: ثم إذا أنتم معشر ذرّية من خلقناه من تراب {بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}، يقول: تتصرفون"[٥].
قال القرطبي:أي:" ثم أنتم عقلاء ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم، فلم يكن ليخلقكم عبثا، ومن قدر على هذا فهو أهل للعبادة والتسبيح"[٦].
قال الزجاج:" أي: آدم وذريته"[٧].
قال قَتادة :" يعني: ذرّيته"[٨].
قال الزمخشري:" {إذا}: للمفاجأة، وتقديره: ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الأرض، كقوله: {وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءِ} [النساء : ١]"[٩].

القرآن
{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)} [الروم : ٢١]
التفسير:
ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق لأجلكم من جنسكم -أيها الرجال- أزواجًا؛ لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون.
قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} [الروم : ٢١]، أي:" ومن آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق لأجلكم من جنسكم -أيها الرجال- أزواجًا لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن"[١٠].
قال الطبري:يقول: " ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم"[١١].
قال قتادة:" خلقها لكم من ضلع من أضلاعه"[١٢].
قال الزمخشري:" {من أنفسكم أزواجا}، لأن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام، والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال، أو من شكل أنفسكم وجنسها، لا من جنس آخر، وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الألف والسكون، وما بين الجنسين المختلفين من التنافر"[١٣].
قوله تعالى:{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم : ٢١]، أي:" وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة"[١].

---
(١) تفسير القرطبي: ١٧/١٤.
(٢) الكشاف: ٣/ ٤٧٢.
(٣) أخرجه الطبري:٢٠/ ٨٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٦.
(٦) تفسير القرطبي: ١٧/١٤.
(٧) معاني القرآن: ١٨١/٤.
(٨) أخرجه الطبري:٢٠/ ٨٦.
(٩) الكشاف: ٣/ ٤٧٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٦.
(١٣) الكشاف: ٣/ ٤٧٢-٤٧٣.

قال الطبري:" يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها، {وَرَحْمَةً} رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض"(٢).

قال الزجاج:" وجعل بين المرأة والزوج المودة والرحمة من قبل الله، وأن الفرك وهو البغض من قبل الشيطان، يقال: فركت المرأة زوجها تفركه فركا، إذا أبغضته"(٣).

قال الزمخشري:أي:" وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج، بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة، ولا لقاء، ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم...ويقال: سكن إليه، إذا مال إليه، كقولهم: انقطع إليه، واطمأن إليه- ومنه: السكن. وهو الإلف المسكون إليه. فعل بمعنى مفعول، وقيل: إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك(٤) من قبل الشيطان"(٥).

قال السمعاني:" المودة: الحب والعطف، وقد يتفق بين الزوجين من العطف والمودة ما لا يتفق بين الأقارب"(٦).

قال ابن الجوزي:" وذلك أن الزوجين يتوادان ويتراحمان من غير رحم بينهما"(٧).

عن الحسن:"{وجعل بينكم مودة}: قال: الجماع، {ورحمة}، قال: الولد"(٨).

قال الزمخشري-معلقا على قول الحسن-:" كما قال: {وَرَحْمَةً مِنَّا} [مريم : ٢١]، وقال: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَه} [مريم : ٢] "(٩).

قال يحيى:" يعني بالمودة: الحب، والرحمة للولد"(١٠).

وقال السدي: {مودة}، يعني: محبة، وهو الحب"(١١).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم : ٢١]، أي:" إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون"(١٢).

قال يحيى:" فيؤمنوا، وإنما يتفكر المؤمنون"(١٣).

قال الطبري: يقول: "إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه"(١٤).

قال ابن الجوزي:" {إن في ذلك} الذي ذكره من صنعه {لآيات لقوم يتفكرون} في قدرة الله عز وجل وعظمته"(١٥).

قال السمعاني:" التفكر: هو طلب المعنى من الأشياء فيما يتعلق بالقلب"(١٦).

فوائد الآيات:[١٧-٢١]:

١- وجوب تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله.

٢- وجوب حمد الله على آلائه وإنعامه.

٣- وجوب إقام الصلاة.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٦.

(٣) معاني القرآن: ١٨٢/٤.

(٤)في الصحاح «الفرك» بالكسر: البغض.

(٥) الكشاف/ ٣/ ٤٧٣.

(٦) تفسير السمعاني: ٢٠٤/٤.

(٧) زاد المسير: ٤٢٠/٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٨١):ص٣٠٩٠/٩، وانظر: التفسير الجامع لابن وهب(٩٧):ص٥٢/٢

(٩) الكشاف/ ٣/ ٤٧٣.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٦٥١/٢.

(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٥١/٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٠٦.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٦٥١/٢.

(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٦-٨٦.

(١٥) زاد المسير: ٤٢٠/٣.

(١٦) تفسير السمعاني: ٢٠٤/٤.

٤- بيان أوقات الصلوات الخمس.
٥- بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه ورحمته المقتضية لتوحيده والمقررة لعقيدة البعث والجزاء.

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢)} [الروم : ٢٢]

التفسير:

ومن دلائل القدرة الربانية: خَلْقُ السموات وارتفاعها بغير عمد، وخَلْقُ الأرض مع اتساعها وامتدادها، واختلافُ لغاتكم وتباينُ ألوانكم، إن في هذا لَعبرة لكل ذي علم وبصيرة.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الروم : ٢٢]، أي:" ومن دلائل القدرة الربانية: خَلْقُ السموات وارتفاعها بغير عمد، وخَلْقُ الأرض مع اتساعها وامتدادها"(١).

قال الطبري: يقول:" ومن حججه وأدلته أيضا على أنه لا يعجزه شيء، وأنه إذا شاء أمات من كان حيا من خلقه، {ثم إذا شاء أنشره} وأعاده كما كان قبل إماتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : ومن آيات قدرته العظيمة { خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ } أي : خلق السموات في ارتفاعها واتساعها ، وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات ، والأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية ، وبحار وقفار ، وحيوان وأشجار"(٣).

قوله تعالى:{وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} [الروم : ٢٢]، أي:" ومن آياته العظيمة الدالة على كمال قدرته: اختلافُ لغاتكم وتباينُ ألوانكم"(٤).

قال الطبري: " يقول: واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها، واختلاف ألوان أجسامكم"(٥).

قال ابن قتيبة:" يريد اختلاف، اللّغات، والمناظر، والهيئات"(٦).

قال ابن كثير:" يعني : اللغات ، فهؤلاء بلغة العرب ، وهؤلاء تَتَرٌ لهم لغة أخرى ، وهؤلاء كَرَج ، وهؤلاء روم ، وهؤلاء إفرنج ، وهؤلاء بَرْبر ، وهؤلاء تكْرور ، وهؤلاء حبشة ، وهؤلاء هنود ، وهؤلاء عجم ، وهؤلاء صقالبة ، وهؤلاء خزر ، وهؤلاء أرمن ، وهؤلاء أكراد ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم ، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم ، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة : كل له عينان وحاجبان ، وأنف وجبين ، وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر ، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ، ظاهرا كان أو خفيا ، يظهر عند التأمل ، كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر"(٧).

قال القرطبي:" اللسان في الفم، وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية. واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة، فلا تكاد ترى أحدا إلا

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٧.
(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٩.
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٦، صفوة التفاسير: ٤٣٨/٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٧.
(٦) تأويل مشكل القرآن: ١٢.
(٧) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٩-٣١٠.

وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل، فعلم أن الفاعل هو الله تعالى، فهذا من أدل دليل على المدبر البارئ"(١).

قال يحيى:" قال بعضهم: {واختلاف ألسنتكم}: النغمة، {وألوانكم} : لا ترى اثنين على صورة واحدة"(٢).

وعن الضحاك بن مزاحم قال: "يشبه الرجل الرجل ليس بينهما قرابة إلا من قبل الأب الأكبر آدم"(٣).

وعن الكلبي: "{واختلاف ألسنتكم}: للعرب كلام، ولفارس كلام وللروم كلام، ولسائرهم من الناس كلام، {وألوانكم}: أبيض وأحمر وأسود"(٤).

قال النحاس:" بيّن جل وعز آياته الدالة عليه بخلق السموات والأرض واختلاف اللسان في الفم واختلاف اللغات واختلاف الألوان والصور على كثرة الناس فما تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر، فهذا من أدل دليل على المدبر والباري لأن من صنع شيئا غيره لم يكن فيه هذا التفريق"(٥).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} [الروم : ٢٢]، أي:" إن في هذا لَعبرة لكل ذي علم وبصيرة"(٦).

قال الطبري: " يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم"(٧).

وقرأ حفص:«للعالمين»، بكسر اللام جمع «عالم»(٨).

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣)} [الروم : ٢٣]

التفسير:

ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار؛ إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب، وجعل لكم النهار تنتشرون فيه لطلب الرزق، إن في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكر واعتبار.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الروم : ٢٣]، أي:" ومن دلائل هذه القدرة أن جعل الله النوم راحة لكم في الليل أو النهار؛ إذ في النوم حصول الراحة وذهاب التعب"(٩).

قال الطبري: يقول:"ومن حججه عليكم أيها القوم، تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه، وتنامون فيه"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار ، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة، وذهاب الكلال والتعب"(١١).

---

(١) تفسير القرطبي: ١٨/١٤.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦٥١.
(٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/ ٦٥١.
(٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/ ٦٥٢.
(٥) إعراب القرآن: ٣/ ١٨٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٧.
(٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٨/١٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٧.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٦.

قال القرطبي: "في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى: «ومن ءاياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار»، فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه، والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة، فجعل النوم بالليل دليلا على الموت، والتصرف بالنهار دليلا على البعث"(١).

عن زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، قال : "أصابني أرق من الليل ، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : "قل : اللهم غارت النجوم ، وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم ، يا حي يا قيوم ، أنم عيني و أهدئ ليلي" فقلتها فذهب عني"(٢).

قوله تعالى:{وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [الروم : ٢٣]، أي:" وجعل لكم النهار تنتشرون فيه لطلب الرزق"(٣).

قال الطبري: يقول:" وجعل النهار مضيئا لتصرفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم"(٤).

قال ابن كثير:" وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار ، وهذا ضد النوم"(٥).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [الروم : ٢٣]، أي:" في ذلك لدلائل على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكر واعتبار"(٦).

قال ابن كثير:" أي : يعون"(٧).

قال الطبري: يقول:" إن في فعل الله ذلك كذلك، لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يعجزه شيء أراده {لقوم يسمعون} مواعظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم"(٨).

قال القرطبي: يريد سماع تفهم وتدبر. وقيل: يسمعون الحق فيتبعونه. وقيل: يسمعون الوعظ فيخافونه. وقيل: يسمعون القرآن فيصدقونه، والمعنى متقارب. وقيل: كان منهم من إذا تلي القرآن وهو حاضر سد أذنيه حتى لا يسمع، فبين الله عز وجل هذه الدلائل عليه"(٩).

قال يحيى بن سلام :"{إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون}: وهم المؤمنون، سمعوا من الله عز وجل ما أنزل عليهم"(١٠).

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)} [الروم : ٢٤]

التفسير:

---

(١) تفسير القرطبي: ١٨/١٤.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤/٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٧٤٥) وابن عدي في في الكامل (١٥٠/٥) من طريق عمرو بن الحصين به ، وقال ابن عدي : "تفرد به عمرو بن الحصين وهو مظلم الحديث ، ويروي عن قوم معروفين". وله شاهد من حديث أنس ، حسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية لابن علان (١٧٧/٣).

(٣) التفسير الميسر: ٤٠٦.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٠٦.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٦.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٧.

(٩) تفسير القرطبي: ١٨/١٤.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦٥٢.

ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث، وينزل من السحاب مطرًا فيحيي به الأرض بعد جدبها وجفافها، إن في هذا لدليلا على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل مَن لديه عقل يهتدي به.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الروم : ٢٤]، أي:" ومن دلائل قدرته سبحانه أن يريكم البرق، فتخافون من الصواعق، وتطمعون في الغيث"(١).

قال الطبري: يقول:" ومن حججه {يريكم البرق خوفا} لكم إذا كنتم سفرا، أن تمطروا فتتأذوا به، {وطمعا} لكم، إذا كنتم في إقامة، أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا "(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ } الدالة على عظمته أنه { يُرِيكُمُ الْبَرْقَ [خَوْفًا وَطَمَعًا } أي : تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة ، أو صواعق متلفة ، وتارة ترجون وَمِيضَه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه"(٣).

عن قتادة، قوله: "{ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا}، قال: خوفا للمسافر، وطمعا للمقيم"(٤).

قوله تعالى:{وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم : ٢٤]، أي:" وينزل من السحاب مطرًا فيحيي به الأرض بعد جدبها وجفافها"(٥).

قال الطبري:" يقول: وينزل من السما مطرا، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة؛ فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعني جدوبها ودروسها"(٦).

قال ابن كثير:" أي : بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الماء { اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } [الحج : ٥]"(٧).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم : ٢٤]، أي:" إن في هذا لدليلا على كمال قدرة الله وعظيم حكمته وإحسانه لكل مَن لديه عقل يهتدي به"(٨).

قال الطبري:" يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة {لقوم يعقلون} عن الله حججه وأدلته"(٩).

قال ابن كثير:" وفي ذلك عبرة ودَلالَة واضحة على المعاد وقيام الساعة"(١٠).

قال يحيى بن سلام :" {لقوم يعقلون}: وهم المؤمنون عقلوا عن الله ما أنزل عليهم"(١١).

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)} [الروم : ٢٥]

التفسير:

ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارهما وثباتهما بأمره، فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض، ثم إذا دعاكم الله إلى البعث يوم القيامة، إذا أنتم تخرجون من القبور مسرعين.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٧-٨٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١١/٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٨٨.
(٥) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣١١/٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٨٨.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣١١/٦.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٢/ ٦٥٢.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الروم : ٢٥]، أي:" ومن آياته الدالة على قدرته قيام السماء والأرض واستقرارهما وثباتهما بأمره، فلم تتزلزلا ولم تسقط السماء على الأرض"[١].

قال الطبري: يقول:" ومن حججه أيها القوم على قدرته على ما يشاء، قيام السماء والأرض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى"[٢].

قال الزجاج:" أي: تقوم السماء بغير عمد، وكذلك الأرض قائمة بأمره، والسماء محيطة بها"[٣].

قال النحاس:" أي: تقوم بلا عمد بقدرته، وجعله أمرا مجازا كما يقال: هذا أمر عظيم"[٤].

قال قتادة:" قامتا بأمره بغير عمد"[٥].

قال ابن كثير: هو" كقوله : { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ } [الحج : ٦٥] ، وقوله : { إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ أَنْ تَزُولا } [فاطر : ٤١]. وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إذا اجتهد في اليمين يقول : لا والذي تقوم السماء والأرض بأمره ، أي : هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها"[٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ} [الروم : ٢٥]، أي:" ، ثم إذا دعاكم الله إلى البعث يوم القيامة، إذا أنتم تخرجون من القبور مسرعين"[٧].

قال الطبري:" يقول: إذا أنتم تخرجون من الأرض، إذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته إياكم"[٨].

قال الزجاج:" {ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض}، أي: للبعث بعد الموت"[٩].

قال ابن كثير:" ثم إذا كان يوم القيامة بُدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم "[١٠].

قال قتادة:" دعاهم من السماء فخرجوا من الأرض"[١١].

عن الضحاك:قوله: "{إذا أنتم تخرجون}، يقول: من الأرض"[١٢].

عن الأزهر بن عبد الله الجزاري، قال: "يقرأ على المصاب إذا أخذ : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ}"[١٣].

فوائد الآيات:[٢٢-٢٥]:

١- بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده وترك عبادة من سواه.

٢- مشروعية طلب الرزق بالمشي في الأرض واستعمال الوسائل المشروعة لذلك.

٣- تقرير أن الذين ينتفعون بأسماعهم وعقولهم هم أهل حياة الإيمان إذ الإيمان روح متى دخلت جسماً حيي وأصبح صاحبه يسمع ويبصر ويفكر ويعقل.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٢) تفسير الطبري: ٩٠/٢٠.
(٣) معاني القرآن: ٤/ ١٨٢.
(٤) إعراب القرآن: ٣/ ١٨٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣١١/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤٠٦.
(٨) تفسير الطبري: ٩٠/٢٠.
(٩) معاني القرآن: ٤/ ١٨٢.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣١١/٦-٣١٢
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٨٢):ص٣٠٩٠/٩، والطبري: ٢٠/ ٩٠. بدون عبارة«من السماء»
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٠.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٨٣):ص٣٠٩٠/٩.

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح البشري بعد عقيدة الإيمان بالله رباً وإلهاً.

القرآن
{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦)} [الروم : ٢٦]
التفسير:
ولله وحده كل مَن في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد، كل هؤلاء منقادون لأمره خاضعون لكماله.

قوله تعالى:{وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الروم : ٢٦]، أي:" ولله وحده كل مَن في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوان والنبات والجماد"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: من في السموات والأرض من ملك وجن وإنس عبيد وملك"[٢].

قوله تعالى:{كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [الروم : ٢٦]، أي:" كل هؤلاء منقادون لأمره خاضعون لكماله"[٣].

قال ابن قتيبة:"أي: مقرّون بعبوديته"[٤].

قال الطبري:" يقول: كل له مطيعون"[٥].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [الروم : ٢٦]، على وجوه:

أحدها: يعني: الحياة والنشور والموت، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة. قاله ابن عباس[٦].

يريد أن "ذلك كلام مخرجه مخرج العموم، والمراد به الخصوص، ومعناه: {كل له قانتون} في الحياة والبقاء والموت، والفناء والبعث والنشور، لا يمتنع عليه شيء من ذلك، وإن عصاه بعضهم في غير ذلك"[٧].

قال الزجاج:" معنى {قانتون}: مطيعون طاعة لا يجوز أن تقع معها معصية، لأن القنوت القيام بالطاعة. ومعنى «الطاعة» ههنا، أن من في السماوات الأرض في خلقهم دليل على أنهم مخلوقون بإرادة الله - عز وجل - لا يقدر أحد على تغيير الخلقة، ولا يقدر عليه فلك مقرب، فآثار الصنعة والخلقة تدل على الطاعة، ليس يعني طاعة العباد، إنما هي طاعة الإرادة والمشيئة"[٨].

الثاني: مطيعون مقرون بأن الله ربهم وخالقهم. وهذا قول قتادة[٩].

الثالث: أنه على الخصوص، والمعنى: {وله من في السموات والأرض} من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم. وهذا قول ابن زيد[١٠].

قال ابن زيد:" كل له مطيعون، المطيع: القانت. قال: وليس شيء إلا وهو مطيع، إلا ابن آدم، وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله. وفي قوله: {وقوموا لله قانتين}، قال: هذا في الصلاة. لا تتكلموا في الصلاة، كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة. قال: وأهل الكتاب يمشي بعضهم إلى

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٥٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٩٠-٩١.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٠.
(٨) معاني القرآن: ١٨٣/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٠.

بعض في الصلاة. قال: ويتقابلون في الصلاة، فإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: لكي تذهب الشحناء من قلوبنا، تسلم قلوب بعضنا لبعض، فقال الله: وقوموا لله قانتين لا تزولوا كما يزولون. قانتين: لا تتكلموا كما يتكلمون. قال: فأما ما سوى هذا كله في القرآن من القنوت فهو الطاعة، إلا هذه الواحدة"(١).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، أن كل من في السماوات والأرض من خلق لله مطيع في تصرفه فيما أراد تعالى ذكره، من حياة وموت، وما أشبه ذلك، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله، وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون، فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاص. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي فيه عاص هو ما وصفت، والذي هو له قانت ما بينت"(٢).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)} [الروم : ٢٧]

التفسير:

والله وحده الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يعيده حيًا بعد الموت، وإعادة الخلق حيًا بعد الموت أهون على الله من ابتداء خلقهم، وكلاهما عليه هيِّن. وله سبحانه الوصف الأعلى في كل ما يوصف به، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. وهو العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير أمور خلقه.

سبب النزول:

قال عكرمة:" تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، قال: فنزلت هذه الآية: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}، إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق"(٣).

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} [الروم : ٢٧]، أي:" والله وحده الذي يبدأ الخلق من العدم ثم يعيده حيًا بعد الموت"(٤).

قال الطبري:يقول:" والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى، هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده، بعد أن لم يكن شيئا، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده، كما بدأه بعد فنائه، وهو أهون عليه"(٥).

عن الحسن، قال: الله {يبدأ الخلق ثم يعيده}، قال: خلقا بعد خلق"(٦).

قوله تعالى:{وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]، أي:" وإعادة الخلق حيًا بعد الموت أهون على الله من ابتداء خلقهم، وكلاهما عليه هيِّن"(٧).

وفي قوله تعالى:{وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: أن« أَهْوَنُ» هاهنا بمعنى: «هيّن»، أي: وهو هيّن عليه، أول خلقه وآخره، وما شيء عليه بعزيز. والضمير في {عليه} عائد على الله. وهذا قول ابن عباس(١)، والربيع بن خيثم(٢)، وهو مروي عن الحسن(٣)، وقتادة(٤)، وهو مذهب أبي عبيدة(٥).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٩١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩١.
(٣) .
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩١-٩٢.
(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٦٥٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤٠٧.

قال ابن عباس:" يقول: كل شيء عليه هين"[٦].
قال الربيع بن خيثم:" ما شيء عليه بعزيز"[٧].
وفي اللغة قد يوضع «أفعل» في موضع «فاعل»، ومثله قولهم في الأذان: الله أكبر، أي: الله كبير، قال الفرزدق[٨]:
إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعزّ وأطول
وقال معن بن أوس المزني[٩]:
لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أينا تغدو المنية أول
أي: وإني لوجل، وقال غيره[١٠]:
أصبحت أمنحك الصدود وإنني ... قسما إليك مع الصدود لأميل
وأنشدوا أيضا[١١]:
تَمنى رجالٌ أنّ أموتَ وإنْ أمت ... فَتِلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحَدِ
أي: بواحد[١٢].
وفي قراءة ابن مسعود:«وهو عليه هيّن»[١٣].
وقرأ أبي بن كعب، وأبو عمران الجوني، وجعفر بن محمد: «وهو هين عليه»[١٤].
الثاني: أن «أهون» للتفضيل، ومعناه: وإعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم. وهذا قول مروي عن ابن عباس ايضا[١٥]، ومجاهد[١٦]، وقتادة[١٧]، وعكرمة[١٨].
قال ابن عباس:" يقول: أيسر عليه"[١٩].
قال مجاهد:" الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هين"[٢٠].
قال قتادة:" يقول: إعادته أهون عليه من بدئه، وكل على الله هين"[٢١].
قال يحيى:" يعني: وهو أسرع عليه، بدأ الخلق خلقا بعد خلق، ثم يبعثهم مرة واحدة"[١].
واحدة"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٢.
(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٢١/٣، والبغوي في التفسير: ٢٦٧/٦.
(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٢١/٣، والبغوي في التفسير: ٢٦٧/٦.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ١٢١/٢.
(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٢.
(٧) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٢.
(٨)مطلع قصيدة له فى النقائض رقم ٣٩ وهو فى ديوانه ص ٧١٤ والطبري ٢١/ ١٢ والقرطبي ١٤/ ٢١ والعيني ٤/ ٤٢ والخزانة ٣/ ١٤٧، ٤٨٠.
(٩) البيت له في ديوانه ص ٣٦ وفى حماسة البحتري ص ١٠١ وأمالى القالي ٣/ ٢١٨ والمعاني للعسكارى ١/ ١١٣ والعيني ٣/ ٤٣٩ والخزانة ٣/ ٥٠٦.
(١٠)من كلمة للأحوص بن محمد الأنصاري فى الأغانى ١٨/ ٩٦ والخزانة ١/ ٢٤٨ والبيت فى الكتاب ١/ ١٦٠ والسمط ص ٢٥٩ والقرطبي ١٤/ ٢١.
(١١)أنشده أبو عبيدة فى مواضع ونسبه مرة إلى طرفة ولم أجده فى ديوانه وهو فى الطبري ١٦/ ٩٣، ٢١/ ٢٢ وفى القرطبي، ١/ ٢١ والتاج (وحد).
(١٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٢١/٢.
(١٣) انظر: تفسير السمعاني: ٢٠٧/٤.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٤٢١/٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٠.
(١٩) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٢.
(٢٠) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٢. وقال الفراء: ٢ / ٣٢٤ تعقيبا على قول مجاهد: "ولا أشتهي ذلك".
(٢١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٢.

وعن الحسن: "{وهو أهون عليه}، قال: أسرع عليه، -قال يحيى بن سلام-وأظنه قال: يجمعهم"[٢].

قال الراغب: فأما القول بأن" الإنشاء عليه أهون من الابتداء. فقول مرغوب عنه، لأنّه لا يهون عليه شيء دون شيء تبارك وتعالى"[٣].

قال الواحدي:" وهذا ليس على ظاهره؛ لأنه لا يجوز أن يكون شيء على الله أهون من شيء"[٤].

قال أبو حيان:" وليست أهون أفعل تفضيل، لأنه تفاوت عند الله في النشأتين: الإبداء والإعادة"[٥].

وروي عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : "قال الله : كَذَبَني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهونَ عليّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله : اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد"[٦].

الثالث: أنه خاطب العباد بما يعقلون، فأعلمهم أنه يجب أن يكون عندهم البعث أسهل من الابتداء في تقديرهم وحكمهم، فمن قدر على الإنشاء كان البعث أهون عليه، ونحو هذا المعنى روي عن الضحاك[٧]، وهو قول مقاتل[٨]، واختيار الفراء[٩]، والمبرد[١٠]، والزجاج[١١]، وحكاه الراغب عن المفسرين[١٢].

روي عن الضحاك في الآية قال:" في عقولكم إعادة شيء الى شيء كان أهون من ابتدائه إلى شيء لم يكن"[١٣].

قال مقاتل:" يقول: البعث أيسر عليه عندكم، يا معشر الكفار، في المثل من الخلق الأول حين بدأ خلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما"[١٤].

قال الفراء:" القول فيه: أنه مثل ضربه الله فقال: أتكفرون بالبعث، فابتداء خلقكم من لا شيء أشد. فالإنشاءة من شيء عندكم يأهل الكفر ينبغي أن تكون أهون عليه. ثم قال {وله المثل الأعلى} فهذا شاهد أنه مثل ضربه الله"[١٥].

ثم قال الزجاج: "إن الله خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكون البعث أسهل وأهون من الابتداء والإنشاء، وجعله مثلا لهم فقال: {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}، أي: قوله: {وهو أهون عليه} قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل"[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٦٥٣-٦٥٤.
(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٦٥٤.
(٣) إعراب القرآن: ٣٠٧.
(٤) التفسير البسيط: ١٨/٤٤.
(٥)البحر المحيط: ٨/٣٨٦ .
(٦)صحيح البخاري برقم (٤٩٧٥).
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٤٨٦):ص٩/٣٠٩٠.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤١٢.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٢/٣٢٤.
(١٠) انظر: المقتضب" ٣/ ٢٤٥، بلفظ: "تأويله: وهو عليه هين؛ لأنه لا يقال: شيء أهون عليه من شيء".
(١١) انظر: معاني القرآن: ٤/١٨٣-١٨٤.
(١٢) انظر: إعراب القرآن: ٣٠٦.
قال الزمخشري:" وهو أهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على أصولكم ويقتضيه معقولكم، لأن من أعاد منكم صنعة شيء كانت أسهل عليه وأهون من إنشائها، وتعتذرون للصانع إذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم: أول الغزو أخرق، وتسمون الماهر في صناعته معاودا، تعنون أنه عاودها كرة بعد أخرى، حتى مرن عليها وهانت عليه". الكشاف: ٣/٤٧٦
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٨٦):ص٩/٣٠٩٠.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤١٢.
(١٥) معاني القرآن: ٢/٣٢٤.

الرابع: أن الضمير في {عليه} عائد على «الخلق»، أي: والعود أهون على الخلق: بمعنى أسرع، لأن البداءة فيها تدريج من طور إلى طور إلى أن يصير إنسانا، والإعادة لا تحتاج إلى هذه التدريجات في الأطوار، إنما يدعوه الله فيخرج، فكأنه قال: وهو أيسر عليه، أي أقصر مدة وأقل انتقالا. ونحو هذا القول مروي عن ابن عباس(٢).

عن ابن عباس قال :"{وهو أهون عليه}: على المخلوق، لأنه يقول له يوم القيامة: كن فيكون، وأول خلقه نطفة ثم من علقة ثم من مضغة"(٣).

والظاهر-والله أعلم- أن المراد إثبات البعث والرد على المنكرين له، المستبعدين وقوعه، بعد موتهم وفنائهم، فأعلمهم الله -عز وجل- أن إقرارهم بالخلق الأول يستلزم الإيمان بإعادتهم، إذ هي أهون وأيسر، ويدل على ذلك تقدم الآيات في إثبات الربوبية، والتي منها قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ}.

قال ابن عاشور:" هذا ابتداء بتوجيه الكلام إلى المشركين لرجوعه إلى نظيره المسوق إليهم. وهذا أشبه بالتسليم الجدلي في المناظرة، ذلك لأنهم لما اعترفوا بأن الله هو بادىء خلق الإنسان، وأنكروا إعادته بعد الموت، واستدل عليهم هنالك بقياس المساواة، ولما كان إنكارهم الإعادة بعد الموت متضمنا تحديد مفعول القدرة الإلهية جاء التنازل في الاستدلال إلى أن تحديد مفعول القدرة لو سلم لهم لكان يقتضي إمكان البعث بقياس الأحرى فإن إعادة المصنوع مرة ثانية أهون على الصانع من صنعته الأولى وأدخل تحت تأثير قدرته فيما تعارفه الناس في مقدوراتهم. فقوله أهون اسم تفضيل، وموقعه موقع الكلام الموجه، فظاهره أن أهون مستعمل في معنى المفاضلة على طريقة إرخاء العنان والتسليم الجدلي، أي الخلق الثاني أسهل من الخلق الأول، وهذا في معنى قوله تعالى : {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق : ١٥]، ومراده: أن إعادة الخلق مرة ثانية مساوية لبدء الخلق في تعلق القدرة الإلهية، فتحمل صيغة التفضيل على معنى قوة الفعل المصوغة له كقوله: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف : ٣٣]"(٤).

قوله تعالى:{وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الروم : ٢٧]، أي:" وله الوصف الأعلى الذي ليس لغيره ما يدانيه فيه من الجلال والكمال، والعظمة والسلطان، يصفه به من في السماوات ووالأرض وهو أنه الذي ليس كمثله شيء"(٥).

قال الطبري:" يقول: ولله المثل الأعلى في السماوات والأرض، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء، فذلك المثل الأعلى، تعالى ربنا وتقدس"(٦).

قال يحيى:" عما قال المشركون، أي: أنه ليس له ند ولا شبه"(٧).

قال السمعاني:" أي: الصفة الأعلى، وهذه الصفة له عند أهل السموات والأرض"(٨).

قال ابن عباس:" يقول: ليس كمثله شيء"(٩).

قال قتادة:" مثله أنه لا إله إلا هو، ولا رب غيره"(١٠).

قال ابن عاشور:" وللإشارة إلى أن قوله :{وهو أهون عليه} مجرد تقريب لأفهامهم عقب بقوله: {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}، أي: ثبت له واستحق الشأن الأتم الذي

---

(١) معاني القرآن: ١٨٣/٤-١٨٤.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٢/ ٣٢٤.
(٣)أخرجه بسنده الفراء من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس. "معاني القرآن" ٢/ ٣٢٤. وذكره ابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن" ص ٣٨٢، عن ابن عباس، من طريق أبي صالح.
(٤) التحرير والتنوير: ٨٣/٢١.
(٥) صفوة التفاسير: ٤٣٩/٢.
(٦) تفسير الطبري: ٩٤/٢٠.
(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٦٥٤/٢.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٠٧/٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٠.

لا يقاس بشؤون الناس المتعارفة وإنما لقصد التقريب لأفهامكم. و«الأعلى»: معناه الأعظم البالغ نهاية حقيقة العظمة والقوة"(١).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم : ٢٧]، أي:" وهو العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير أمور خلقه"(٢).

قال الطبري: يقول: " وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة، وبعث ونشر، وما شاء"(٣).

قال يحيى:" {العزيز} في نقمته، {الحكيم} في أمره، ينزه نفسه عما قال المشركون أن جعلوا لله الأنداد فعبدوهم دونه"(٤).

القرآن

{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)} [الروم : ٢٨]

التفسير:

ضرب الله مثلا لكم -أيها المشركون- من أنفسكم: هل لكم من عبيدكم وإمائكم مَن يشارككم في رزقكم، وترون أنكم وإياهم متساوون فيه، تخافونهم كما تخافون الأحرار الشركاء في مقاسمة أموالكم؟ إنكم لن ترضوا بذلك، فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكًا من خلقه؟ وبمثل هذا البيان نبيّن البراهين والحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال : "كان يلبي أهل الشرك : لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك. فأنزل الله : { هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ }"(٥).

قوله تعالى:{ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [الروم : ٢٨]، أي:" ضرب لكم أيها القوم ربكم مثلاً واقعياً من أنفسكم"(٦).

قال الطبري: يقول:" مثل لكم أيها القوم ربكم مثلا من أنفسكم"(٧).

قال الواحدي:" أي: بين لكم شبها لحالكم ذلكم المثل"(٨).

قوله تعالى:{هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [الروم : ٢٨]، أي:" هل لكم من عبيدكم وإمائكم مَن يشارككم في رزقكم، وترون أنكم وإياهم متساوون فيه، تخافونهم كما تخافون الأحرار الشركاء في مقاسمة أموالكم؟ إنكم لن ترضوا بذلك، فكيف ترضون بذلك في جنب الله بأن تجعلوا له شريكًا من خلقه"(٩).

قال الطبري: يقول: "{هل لكم} من مماليككم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالك جميعكم"(١٠).

---

(١) التحرير والتنوير: ٨٤/٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٣) تفسير الطبري: ٩٤/٢٠.
(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٦٥٤/٢.
(٥) أخرجه الطبراني: في المعجم الكبير (٢٠/١٢) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٣/٣) : "وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف".
(٦) صفوة التفاسير: ٤٣٩/٢.
(٧) تفسير الطبري: ٩٥/٢٠.
(٨) التفسير الوسيط: ٤٣٢/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٩٥/٢٠.

قال الزجاج:" هذا مثل ضربه الله - عز وجل - لمن جعل له شريكا من خلقه.
فأعلم - عز وجل - أن مملوك الإنسان ليس بشريكه في ماله وزوجته، وأنه لا يخاف من مملوكه أن يرثه فقال: ضرب لكم مثلا من أنفسكم أن جعلتم ما هو ملك لله من خلقه مثل الله، وأنتم كلكم بشر، ليس مماليككم بمنزلتكم في أموالكم، فالله - عز وجل - أجدر ألا يكون يعدل به خلقه"[١].

قال القشيري:" أي إذا كان لكم مماليك لا ترضون بالمساواة بينكم وبينهم، وأنتم متشاكلون بكل وجه- إلا أنكم بحكم الشرع مالكوهم- فما تقولون في الذي لم يزل، ولا يزال كما لم يزل؟. هل يجوز أن يقدر في وصفه أن يساويه عبيده؟ وهل يجوز أن يكون مملوكه شريكه؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا!"[٢].

قال ابن كثير:" هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به ، العابدين معه غيره ، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ، ملك له ، كما كانوا في تلبيتهم يقولون : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك. فقال تعالى : { ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلا مِنْ أَنْفُسِكُمْ } أي : تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ، { هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ } أي : لا يرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكًا له في ماله ، فهو وهو فيه على السواء { تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ } أي : تخافون أن يقاسموكم الأموال"[٣].

قال الزمخشري:" فإن قلت: أى: فرق بين الأولى والثانية والثالثة في قوله تعالى: {من أنفسكم}، {مما ملكت أيمانكم}، {من شركاء}؟

قلت: الأولى للابتداء، كأنه قال: أخذ مثلا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يبعد، والثانية للتبعيض، والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي. ومعناه: هل ترضون لأنفسكم- وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد- أن يشارككم بعضهم في ما رزقناكم من الأموال وغيرها تكونون أنتم وهم فيه على السواء، من غير تفصلة بين حر وعبد: تهابون أن تستبدوا بتصرف دونهم، وأن تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الأحرار، فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم، فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء؟"[٤].

قال قتادة:" مثل ضربه الله لمن عدل به شيئا من خلقه، يقول: أكان أحدكم مشاركا مملوكه في فراشه وزوجته؟! فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه"[٥].

قال ابن زيد:" هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا في ماله، فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخلقي، وتجعل لهم نصيبا في عبادتي، كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم، وقرأ: {كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون}"[٦].

وفي قوله تعالى:{تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [الروم : ٢٨]، وجوهان من التفسير:
أحدها: معناه: تخافون هؤلاء الشركاء، مما ملكت أيمانكم، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم، كما يرث بعضكم بعضا. وهذا قول ابن عباس[٧].

قال ابن عباس:" يقول: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا"[٨].

---

(١) معاني القرآن: ١٨٤/٤.
(٢) لطائف الإشارات: ١١٥/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٢/٦.
(٤) الكشاف: ٤٧٨/٣.
(٥) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٥.
(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٦.
(٨) أخرجه الطبري:٩٦/٢٠.

الثاني: معناه: تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم، كما يقاسم بعضكم بعضا. وهذا قول أبو مجلز[1].

قال أبو مجلز:" إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك، وليس له ذلك، كذلك الله لا شريك له"[2].

قال الطبري:" وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، القول الثاني؛ لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام، وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها، وأشركوهم في عبادتهم إياه، وهم مع ذلك يقرون بأنها خلقه وهم عبيده، وغيرهم بفعلهم ذلك، فقال لهم: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خولناكم من نعمنا، فهم سواء، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة، فالخيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه؛ لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة، وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة"[3].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [الروم : ٢٨]، أي:" وبمثل هذا البيان نبيِّن البراهين والحجج لأصحاب العقول السليمة الذين ينتفعون بها"[4].

قال الطبري:يقول:" كما بينا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من إنشاء ما نشاء، وإفناء ما نحب، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه، ودللنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كل شيء كذلك نبين حججنا في كل حق لقوم يعقلون، فيتدبرونها إذا سمعوها، ويعتبرون فيتعظون بها"[5].

قال الزمخشري: " أى: مثل هذا التفصيل {نفصل الآيات}، أى: نبينها، لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها، لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها، ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة؟"[6].

قال ابن كثير:" لما كان التنبيه بهذا المثل على براءته تعالى ونزاهته بطريق الأولى والأحرى ، قال : { كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }"[7].

القرآن

{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩)} [الروم : ٢٩]

التفسير:

بل اتبع المشركون أهواءهم بتقليد آبائهم بغير علم، فشاركوهم في الجهل والضلالة، ولا أحد يقدر على هداية مَن أضلَّه الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس لهؤلاء مِن أنصار يُخَلِّصونهم من عذاب الله.

قوله تعالى:{بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الروم : ٢٩]، أي:" بل اتبع المشركون أهواءهم بتقليد آبائهم بغير علم، فشاركوهم في الجهل والضلالة"[8].

قال الطبري:يقول:" ما ذلك كذلك، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان؛ لأن لهم شركاء فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم، فهم وعبيدهم فيه سواء، يخافون أن

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٦.
(٢) أخرجه الطبري:٩٦/٢٠.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٦.
(٦) الكشاف: ٤٧٨/٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٧.

يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه، فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم، فأشركوهم في عبادته، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله، اتبعوا أهواءهم، جهلا منهم لحق الله عليهم، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته"[1].

قال الزمخشري: " {الذين ظلموا}، أى: أشركوا، كقوله تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان : ١٣] ، {بغير علم}، أى :اتبعوا أهواءهم جاهلين، لأن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه. وأما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء"[2].

قال ابن كثير:" أي : المشركون { أَهْوَاءَهُمْ } أي : في عبادتهم الأنداد بغير علم"[3].

قال القرطبي:" لما قامت عليهم الحجة ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها وتقليد الأسلاف في ذلك"[4].

قوله تعالى:{فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} [الروم : ٢٩]، أي:" ولا أحد يقدر على هداية مَن أضلَّه الله بسبب تماديه في الكفر والعناد"[5].

قال الطبري:" يقول: فمن يسدد للصواب من الطرق، يعني بذلك من يوفق للإسلام من أضل الله عن الاستقامة والرشاد"[6].

قال البيضاوي: أي:" فمن يقدر على هدايته"[7].

قال ابن كثير أي : فلا أحد يهديهم إذا كتب الله إضلالهم"[8].

قال القرطبي:" أي: لا هادي لمن أضله الله تعالى. وفي هذا رد على القدرية"[9].

قوله تعالى:{وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الروم : ٢٩]، أي:" وليس لهؤلاء مِن أنصار يُخَلِّصونهم من عذاب الله"[10].

قال الطبري:" يقول: وما لمن أضل الله من ناصرين ينصرونه، فينقذونه من الضلال الذي يبتليه به تعالى ذكره"[11].

قال البيضاوي: " {وما لهم من ناصرين} يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها"[12].

قال ابن كثير:" أي : ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ، ولا محيد لهم عنه ؛ لأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن"[13].

فوائد الآيات:[٢٦-٢٩]:

١- تقرير عقيدة البعث والتوحيد بذكر الأدلة وضرب الأمثال وتفصيل الآيات.

٢- تفرّد الرب تعالى بالمثل الأعلى في كل جلال وكمال.

١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام.

٢- عظم فائدة المثل {ضرب لكم مثلا من أنفسكم} الآية، حتى قال بعضهم: فَهْمُ هذا المثل أفضل من حفظ كذا مسألة فقهية.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٦-٩٧.
(٢) الكشاف: ٤٧٨/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٦.
(٤) تفسير القرطبي: ٢٣/١٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٧.
(٧) تفسير البيضاوي: ٢٠٦/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٦.
(٩) تفسير القرطبي: ٢٣/١٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٧.
(١٢) تفسير البيضاوي: ٢٠٦/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٦.

٣- علة ضلال الناس اتباعهم لأهوائهم بغير علم وبانصرافهم عن الهدى بالاسترسال في اتباع الهوى.

القرآن

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)}[الروم : ٣٠]

التفسير:

فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، وهو الإسلام الذي فطر الله الناس عليه، فبقاؤكم عليه، وتمسككم به، تمسك بفطرة الله من الإيمان بالله وحده، لا تبديل لخلق الله ودينه، فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرتك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه.

قوله تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا}[الروم : ٣٠]، أي:" فأقم -أيها الرسول أنت ومن اتبعك- وجهك، واستمر على الدين الذي شرعه الله لك"[(١)].

قال الطبري: يقول:" فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، مستقيما لدينه وطاعته"[(٢)].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك ، من الحنيفية ملة إبراهيم ، الذي هداك الله لها ، وكملها لك غاية الكمال"[(٣)].

قال الصابوني:" أي: أخلص دينك لله وأقبل على الإسلام بهمة ونشاط مائلاً عن كل دين باطل إلأى الدين الحق وهو الإسلام"[(٤)].

قال السعدي:" يأمر تعالى بالإخلاص له في جميع الأحوال وإقامة دينه فقال: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ} أي: انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان بأن تتوجه بقلبك وقصدك وبدنك إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها، وشرائعه الباطنة كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة بأن تعبد الله فيها كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وخص الله إقامة الوجه، لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب ويترتب على الأمرين سَعْيُ البدن ولهذا قال: {حَنِيفًا} أي: مقبلا على الله في ذلك معرضا عما سواه"[(٥)].

قوله تعالى:{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[الروم : ٣٠]، أي:" هذا الدين الحق الذي أمرناك بالاستقامة عليه هو خلقة الله التي خلق الناس عليها وهو فطرة التوحيد"[(٦)].

قال الطبري: يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها"[(٧)].

قال أبو عبيدة:أي:" صبغة الله التي خلق عليها الناس، وفى الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه الذين يهوّدانه وينصرانه»[(٨)]. أي: على الملة والصبغة وهى واحدة واحدة وهى العهد الذي كان أخذه الله منهم ونصبوها على موضع المصدر وإن شئت فعلى موضع الفعل قال[(٩)]:

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٧.

(٢) تفسير الطبري: ٩٧/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٦.

(٤) صفوة التفاسير: ٤٣٩/٢.

(٥) تفسير السعدي: ٦٤٠.

(٦) صفوة التفاسير: ٤٣٩/٢.

(٧) تفسير الطبري: ٩٧/٢٠.

(٨) الحديث:« كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه». أخرجه أبو يعلى (٢٤٠/٢، رقم ٩٤٢) ، والطبرانى (٢٨٣/١، رقم ٨٢٨) ، والبيهقى (٢٠٣/٦، رقم ١١٩٢٣) . وأخرجه أيضا: ابن عدى (٤٣٤/٢).

(٩) الرجز منسوب إلى رؤبة في (الكتاب ١/ ١٦٠)، وليس في ديوانه، وهو فى الشنتمرى ١/ ١٩١ وابن

إنّ نزارا أصبحت نزارا ... دعوة أبرار دعوا أبرارا"[1].

قال ابن كثير:أي:" وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التي فطر الله الخلق عليها ، فإنه تعالى فطر خلقه على [معرفته وتوحيده ، وأنه لا إله غيره "[2].

قال السعدي: أي:" وهذا الأمر الذي أمرناك به هو {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة، ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها"[3].

عن مجاهد: "{فطرة الله}، قال: الإسلام"[4].

عن ابن زيد:" {فطرة الله التي فطر الناس عليها}، قال: الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا، يقرون بذلك، وقرأ: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا}، قال: فهذا قول الله: {كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين} بعد"[5].

عن يزيد بن أبي مريم، قال: "مر عمر بمعاذ بن جبل، فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن المنجيات: الإخلاص، وهو الفطرة {فطرة الله التي فطر الناس عليها}، والصلاة: وهي الملة، والطاعة: وهي العصمة. فقال عمر: صدقت"[6].

وفي الحديث : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم"[7].

قوله تعالى:{لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[الروم : ٣٠]، أي:" لا تغيير لتلك الفطرة السليمة من جهته تعالى"[8].

قال الطبري:" يقول: لا تغيير لدين الله؛ أي: لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل"[9].

قال السعدي: " أي: لا أحد يبدل خلق الله فيجعل المخلوق على غير الوضع الذي وضعه الله"[10].

وفي قوله تعالى:{لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}[الروم : ٣٠]، وجوه:

أحدها : لا تبديل لدين الله، قاله سعيد بن جبير[11]، ومجاهد[12]، وقتادة[13]، والضحاك[14]، وعكرمة[15]، وإبراهيم[16]، وابن زيد[17]، وبه قال الطبري[18].

يعيش ١/ ١٤٥.

(١) مجاز القرآن: ٢/ ١٢٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٦.

(٣) تفسير السعدي: ٦٤٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٩٧-٩٨.

(٧) صحيح مسلم(٢٨٦٥):ص٢١٩٧/٤.

(٨) صفوة التفاسير: ٤٣٩/٢.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٨.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٤٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٨.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٨.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٨.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٨.

الثاني : لا تغيير لخلق الله من البهائم أن يخصي فحولها ، قاله عمر بن الخطاب، وابن عباس[١]، عباس[١]، ومجاهد-في رواية-[٢]، وعكرمة-في رواية-[٣].
الثالث : لا تبديل خالق غير الله فيخلق كخلق الله ، لأنه خالق يخلق ، وغيره مخلوق لا يخلق ، وهو معنى قول ابن بحر[٤].
الرابع: لا يشقى من خلقه سعيداً ولا يسعد من خلقه شقيّاً. أفاده الماوردي[٥].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}[الروم : ٣٠]، أي:" فهو الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله رب العالمين وجنته"[٦].

قال الطبري:يقول:" إن إقامتك وجهك للدين حنيفا، غير مغير ولا مبدل، هو الدين القيم، يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة"[٧].

قال ابن كثير:" أي : التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم"[٨].

قال السعدي: أي:" {ذَلِكَ} الذي أمرنا به {الدِّينُ الْقَيِّمُ} أي: الطريق المستقيم الموصل إلى الله وإلى كرامته، فإن من أقام وجهه للدين حنيفا فإنه سالك الصراط المستقيم في جميع شرائعه وطرقه"[٩].

عن بريدة :"{ذلك الدين القيم}، قال: الحساب القيم"[١٠].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[الروم : ٣٠]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الذي أمرتك به -أيها الرسول- هو الدين الحق دون سواه"[١١].

قال الطبري:يقول:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي: {فأقم وجهك للدين حنيفا} هو الدين الحق دون سائر الأديان غيره"[١٢].

قال السعدي: أي:" فلا يتعرفون الدين القيم وإن عرفوه لم يسلكوه"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : فلهذا لا يعرفه أكثر الناس ، فهم عنه ناكبون ، كما قال تعالى: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣] ، { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } الآية [الأنعام : ١١٦]"[١٤].

القرآن

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١)}[الروم : ٣١]

التفسير:

وكونوا راجعين إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل له، واتقوه بفعل الأوامر واجتناب النواهي، وأقيموا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وشروطها، ولا تكونوا من المشركين مع الله غيره في العبادة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣١٣/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣١٣/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.
(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٦.
(٩) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٩٩.
(١٣) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣١٦.

قوله تعالى:{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ}[الروم : ٣١]، أي:" وكونوا راجعين إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل له"[١].
قال أبو عبيدة:" أي: راجعين تائبين"[٢].
قال الطبري:يقول:" تائبين راجعين إلى الله مقبلين"[٣].
قال السعدي: " وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى"[٤].
قال ابن زيد:" المنيب إلى الله: المطيع لله، الذي أناب إلى طاعة الله وأمره، ورجع عن الأمور التي كان عليها قبل ذلك، كان القوم كفارا، فنزعوا ورجعوا إلى الإسلام"[٥].
قوله تعالى:{وَاتَّقُوهُ}[الروم : ٣١]، أي:" واتقوه بفعل الأوامر واجتناب النواهي"[٦].
قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وخافوا الله وراقبوه، أن تفرطوا في طاعته، وتركبوا معصيته"[٧].
قال ابن كثير:"أي : خافوه وراقبوه "[٨].
قال السعدي: " ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: {وَاتَّقُوهُ} فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات"[٩].
قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}[الروم : ٣١]، أي:" وأقيموا الصلاة تامة بأركانها وواجباتها وشروطها"[١٠].
قال ابن كثير:" وهي الطاعة العظيمة"[١١].
قال السعدي: " وخص من المأمورات: الصلاة، لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} فهذا إعانتها على التقوى.ثم قال: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} فهذا حثها على الإنابة"[١٢].
قوله تعالى:{وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[الروم : ٣١]، أي:" ولا تكونوا من المشركين مع الله غيره في العبادة"[١٣].
قال الطبري:" يقول: ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه، وركوبكم معاصيه، وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه"[١٤].
قال ابن كثير:" أي : بل من الموحدين المخلصين له العبادة ، لا يريدون بها سواه"[١٥].
قال السعدي: " وخص من المنهيات أصلها والذي لا يقبل معه عمل وهو: الشرك، فقال: {وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} لكون الشرك مضادا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه"[١].
وجه"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٢) مجاز القرآن: ٢/ ١٢٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٠/١٠٠.
(٤) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(٥) أخرجه الطبري:٢٠/١٠٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٧) تفسير الطبري:٢٠/١٠٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٦.
(٩) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(١١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٦.
(١٢) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(١٤) تفسير الطبري:٢٠/١٠٠.
(١٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣١٦.

القرآن
{مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)}[الروم : ٣٢]
التفسير:
ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدَّلوا دينهم، وغيَّروه، فأخذوا بعضه، وتركوا بعضه؛ تبعًا لأهوائهم، فصاروا فرقًا وأحزابًا، يتشيعون لرؤسائهم وأحزابهم وآرائهم، يعين بعضهم بعضًا على الباطل، كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون، يحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل.

قوله تعالى:{مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا}[الروم : ٣٢]، أي:" ولا تكونوا من المشركين وأهل الأهواء والبدع الذين بدَّلوا دينهم، وغيَّروه، فأخذوا بعضه، وتركوا بعضه؛ تبعًا لأهوائهم، فصاروا فرقًا وأحزابًا"[٢].

قال الطبري:" يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وخالفوه ففارقوه، وكانوا أحزابا فرقا كاليهود والنصارى"[٣].

قال مقاتل:"يعني: أهل الأديان {فرقوا دينهم} الإسلام {وكانوا شيعا} يعني: أحزابا في الدين يهود ونصارى ومجوس وغيره ونحو ذلك"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم، أي : بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض.. وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعَبَدة الأوثان ، وسائر أهل الأديان الباطلة ، مما عدا أهل الإسلام ، كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [الأنعام : ١٥٩] ، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومِلَل باطلة "[٥].

قال السعدي: " ذكر حالة المشركين مهجنا لها ومقبحا فقال: {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ} مع أن الدين واحد وهو إخلاص العبادة لله وحده وهؤلاء المشركون فرقوه، منهم من يعبد الأوثان والأصنام. ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين ومنهم يهود ومنهم نصارى، ولهذا قال: {وَكَانُوا شِيَعًا}، أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها من الباطل ومنابذة غيرهم ومحاربتهم"[٦].

قال قتادة:" وهم اليهود والنصارى"[٧].

قال ابن زيد:" هؤلاء يهود"[٨].

قال السمعاني:" في الآية أقول، أظهر الأقاويل: أن المراد منهم اليهود والنصارى"[٩].

قال الزجاج:" فأمرهم الله - عز وجل - بالاجتماع والألفة ولزوم الجماعة، والسنة في الهداية، والضلالة هي الفرقة"[١٠].

وقرأ بعضهم : «فارقوا دينهم»[١١]، قال ابن كثير:"أي : تركوه وراء ظهورهم"[١٢].

---

(١) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٣) تفسير الطبري:١٠٠/٢٠.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤١٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٦.
(٦) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٠.
(٩) تفسير السمعاني: ٢١٣/٤.
(١٠) معاني القرآن: ٤/ ١٨٦.
(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٨٦/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٦.

قوله تعالى:{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}[الروم : ٣٢]، أي:" كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون، يحكمون لأنفسهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل"(١).
قال مقاتل:" كل أهل ملة بما عندهم من الدين راضون به"(٢).
قال أبو عبيدة:" أي: كل شيعة وفرقة بما عندهم"(٣).
قال الزجاج:" أي: كل حزب من هذه الجماعة الذين فارقوا دينهم فرح يظن أنه هو المهتدي"(٤).
قال الطبري:" يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق، فأحدثوا البدع التي أحدثوا، بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم"(٥).
قال ابن كثير:" وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة ، وهم أهل السنة والجماعة ، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه ، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل ، عليه السلام عن الفرقة الناجية منهم ، فقال : «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(٦)"(٧).
قال السعدي: " {كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ} من العلوم المخالفة لعلوم الرسل {فَرِحُونَ} به يحكمون لأنفسهم بأنه الحق وأن غيرهم على باطل، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق بل الدين واحد والرسول واحد والإله واحد. وأكثر الأمور الدينية وقع فيها الإجماع بين العلماء والأئمة، والأخوة الإيمانية قد عقدها الله وربطها أتم ربط، فما بال ذلك كله يُلْغَى ويُبْنَى التفرق والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية أو فروع خلافية يضلل بها بعضهم بعضا، ويتميز بها بعضهم عن بعض؟ فهل هذا إلا من أكبر نزغات الشيطان وأعظم مقاصده التي كاد بها للمسلمين؟"(٨).
قال أبو هلال : الحزب، هو: "الجماعة المتعاونة، ومنه: تحزب القوم إذا اجتمعوا وتعاونوا. قال الراجز(٩):
[أَلَقَيتُ أَقْوَالَ الرِّجَالِ الكُذْبِ] ... ولست أَضْوَى وَبِلالٌ حِزْبِي!
أي: مغيثي.
وأصل الكلمة من: الشدة، ومنه يقال: حزبي، إذا استبد عليَّ، والاسم: حزابة، وأمر حازب وحزيب أي: شديد"(١٠).
فوائد الآيات:[٣٠-٣٢]:
١- وجوب الإقبال على الله تعالى بعبادته والإخلاص له فيها.
٢- الإسلام هو دين الله الذي خلق الإنسان متأهلا له ولا يقبل منه دين غيره.
٣- وجوب الإنابة إلى الله تعالى والرجوع إليه في كل حال.
٤- وجوب تقوى الله عز وجل وإقام الصلاة.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٧.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٤١٤.
(٣) مجاز القرآن: ٢/ ١٢٢.
(٤) معاني القرآن: ٤/ ١٨٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/١٠١.
(٦)المستدرك (١/١٢٨ ، ١٢٩) ، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف ص (٦٣) : "إسناده حسن".
(٧) .تفسير ابن كثير: ٦/ ٣١٧
(٨) تفسير السعدي: ٦٤٠.
(٩) الشعر لرؤبة بن العجاج في ديوانه: ١٦، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٦٩، وتفسير الطبري: ١٠/ ٤٢٨، ٤٢٨، وفيهما" فَكَيْفَ أَضْوَى". من أرجوزة يمدح بها بلال ابن أبي بردة.
(١٠) الاشباه والنظائر: ٦٩.

٥- البراءة من الشرك والمشركين.
٦- حرمة الافتراق في الدين الإسلامي ووجوب الاتحاد فيه عقيدة وعبادة وقضاء.
القرآن
{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)} [الروم : ٣٣]
التفسير:
وإذا أصاب الناسَ شدة وبلاء دعَوا ربهم مخلصين له أن يكشف عنهم الضر، فإذا رحمهم وكشف عنهم ضرهم إذا فريق منهم يعودون إلى الشرك مرة أخرى، فيعبدون مع الله غيره.
قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} [الروم : ٣٣]، أي:" وإذا أصاب الناسَ شدة وبلاء دعَوا ربهم مخلصين له أن يكشف عنهم الضر"[١].
قال الطبري:" وإذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضر، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط، أخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرع إليه، واستغاثوا به، تائبين إليه من شركهم وكفرهم"[٢].
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن الناس إنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له"[٣].
قال السمعاني:" معناه: أنهم إذا وقعوا في الشدة تركوا دعاء الأصنام، ودعوا الله وحده"[٤].
قال الزمخشري:" الضر: الشدة من هزال أو مرض أو قحط أو غير ذلك"[٥].
عن قتادة، قوله: "{منيبين إليه}، قال: تائبين إليه"[٦].
وعن ابن عباس: "أي: مقبلين إليه بكل قلوبهم"[٧].
قال النحاس:أي: " دعوا ربهم منيبين إليه على الحال"[٨].
قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [الروم : ٣٣]، أي:" فإذا رحمهم وكشف عنهم ضرهم إذا فريق منهم يعودون إلى الشرك مرة أخرى، فيعبدون مع الله غيره"[٩].
قال الطبري:" يقول: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر، وفرجه عنهم، وأصابهم برخاء وخصب وسعة، إذا جماعة منهم يعبدون معه الآلهة والأوثان"[١٠].
قال ابن كثير:" وأنه إذا أسبغ عليهم النعم ، إذا فريق منهم، أي: في حالة الاختبار يشركون بالله ، ويعبدون معه غيره"[١١].
قال السمعاني:"{ثم إذا} كشف الشدة عنهم برحمته، عادوا إلى رأس شركهم"[١٢].
قال الزمخشري:" الرحمة: الخلاص من الشدة"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠١.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٦.
(٤) تفسير السمعاني: ٢١٤/٤.
(٥) الكشاف: ٣/ ٤٨٠.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٩٣):ص٣٠٩١/٩.
(٧) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣/ ١٨٦. بدون سند.
(٨) إعراب القرآن: ٣/ ١٨٦.
(٩) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٦.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢١٤/٤.
(١٣) الكشاف: ٣/ ٤٨٠.

القرآن

{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤)} [الروم : ٣٤]

التفسير:

ليكفروا بما آتيناهم ومننًّا به عليهم من كشف الضر، وزوال الشدة عنهم، فتمتعوا -أيها المشركون- بالرخاء والسَّعَة في هذه الدنيا، فسوف تعلمون ما تلقونه من العذاب والعقاب.

قوله تعالى:{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ} [الروم : ٣٤]، أي:" ليكفروا بما آتيناهم ومننًّا به عليهم من كشف الضر، وزوال الشدة عنهم"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضر عنهم كفروا به: ليكفروا بما أعطيناهم، يقول: إذا هم بربهم يشركون، كي يكفروا: أي يجحدوا النعمة التي أنعمتها عليهم، بكشفي عنهم الضر الذي كانوا فيه، وإبدالي ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية"[٢].

قال النحاس:" «لام كي»، وقيل: هي «لام أمر» فيه معنى التهديد، كما قال جل وعز :{فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} [الكهف: ٢٩] وكما تقول: كلم فلانا حتى نرى ما يلحقك مني وكذا فتمتعوا، ودل على ذلك: {فسوف تعلمون}"[٣].

قال الزمخشري:" «اللام» في {ليكفروا} مجاز مثلها في {لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا} [القصص : ٨]"[٤].

قال ابن كثير:اللام في قووله: {لِيَكْفُرُوا}، "هي «لام العاقبة» عند بعضهم، و«لام التعليل» عند آخرين ، ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك "[٥].

قوله تعالى:{فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الروم : ٣٤]، أي:" فتمتعوا -أيها المشركون- بالرخاء والسَّعَة في هذه الدنيا، فسوف تعلمون ما تلقونه من العذاب والعقاب"[٦].

قال الطبري:" يقول: فتمتعوا أيها القوم، بالذي آتيناكم من الرخاء والسعة في هذه الدنيا {فسوف تعلمون} إذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه، وعظيم عقابه على كفركم به في الدنيا"[٧].

قال ابن كثير:" توعدهم بقوله : {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}، قال بعضهم : والله لو توعدني حارس دَرْب لخفت منه، فكيف والمتوعد هاهنا هو الذي يقول للشيء : كن ، فيكون "[٨].

قال الزمخشري:" فسوف تعلمون وبال تمتعكم"[٩].

قال السمعاني:" صورة أمر بمعنى التهديد"[١٠].

وقرئ:«فسوف يعلمون» بالياء، بمعنى: ليكفروا بما آتيناهم، فقد تمتعوا، على وجه الخبر، فسوف يعلمون[١١].

وقرأ ابن مسعود: «وليتمتعوا فسوف يعلمون»[١٢].

القرآن

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠١.
(٣) إعراب القرآن: ٣/ ١٨٦.
(٤) الكشاف: ٣/ ٤٨٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٦.
(٩) الكشاف: ٣/ ٤٨٠.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢١٤/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠١.
(١٢) انظر: تفسير السمعاني: ٤/ ٢١٤.

{أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)} [الروم : ٣٥]
التفسير:
أم أنزلنا على هؤلاء المشركين برهانًا ساطعًا وكتابًا قاطعًا، ينطق بصحة شركهم وكفرهم بالله وآياته.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان كتابا بتصديق ما يقولون، وبحقيقة ما يفعلون {فهو يتكلم بما كانوا به يشركون} يقول: فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم، وإنما يعني جل ثناؤه بذلك: أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابا، ولا أرسل به رسولا وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه؛ اتباعا منهم لأهوائهم"(١).
قال ابن كثير:" ثم قال منكرًا على المشركين فيما اختلقوه من عبادة الأوثان بلا دليل ولا حجة ولا برهان. { أَمْ أَنزلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا } أي : حجة { فَهُوَ يَتَكَلَّمُ } أي : ينطق { بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } ؟ وهذا استفهام إنكار ، أي : لم يكن لهم شيء من ذلك"(٢).
قال ابن قتيبة:" أي: أنزلنا عليهم برهانا يستدلون به، فهو يدلهم"(٣).
قال النحاس:" استفهام فيه معنى التوقيف"(٤).
قال الصابوني:" الاستفهام للإِنكار والتوبيخ، والمعنى: هل أنزلنا على هؤلاء المشركين حجة واضحة قاهرة على شركهم، أو كتاباً من السماء فهو ينطق ويشهد بشركهم وبصحة ما هم عليه؟ ليس الأمر كما يتصورون، والمراد ليس لهم حجة بذلك"(٥).
قال قتادة: يقول: أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم"(٦).
قال الضحاك: "«سلطانا»، أي: كتابا"(٧).
قال الزمخشري:" السلطان: الحجة، وتكلمه، مجاز. كما تقول: كتابه ناطق بكذا، وهذا مما نطق به القرآن. ومعناه: الدلالة والشهادة، كأنه قال: فهو يشهد بشركهم وبصحته. وما في بما كانوا مصدرية أى: بكونهم بالله يشركون. ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير إليها. ومعناه: فهو يتكلم بالأمر الذي يسببه يشركون. ويحتمل أن يكون المعنى: أم أنزلنا عليهم ذا سلطان، أى: ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون"(٨).

القرآن
{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦)} [الروم : ٣٦]
التفسير:
وإذا أذقنا الناس منا نعمة مِن صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأَشَرٍ، لا فرح شكر، وإن يصبهم مرض وفقر وخوف وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم يَيْئَسون من زوال ذلك، وهذا طبيعة أكثر الناس في الرخاء والشدة.
قوله تعالى:{وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا} [الروم : ٣٦]، أي:" وإذا أذقنا الناس منا نعمة مِن صحة وعافية ورخاء، فرحوا بذلك فرح بطرٍ وأَشَرٍ، لا فرح شكر"(٩).

---
(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٦.
(٣) تاويل مشكل القرىن: ٧٤.
(٤) إعراب القرآن: ٣/ ١٨٦.
(٥) صفوة التفاسير: ٤٤٠/٢.
(٦) أخرجه الطبري:١٠٢/٢٠.
(٧) حكاه عنه النحاس في إعراب القرىن: ٣/ ١٨٦. بدون سند.
(٨) الكشاف: ٣/ ٤٨٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤٠٨.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك"(١).

قال ابن كثير:" هذا إنكار على الإنسان من حيث هو ، إلا مَنْ عَصَمه الله ووفقه ؛ فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بَطر وقال : { ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } [هود : ١٠] ، أي : يفرح في نفسه ويفخر على غيره "(٢).

قال السمعاني:" {رحمة} أي: الخصب وكثرة المطر، ويقال: الأمن والعافية، و«الفرح» هاهنا فرح البطر وترك الشكر"(٣).

قوله تعالى:{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} [الروم : ٣٦]، أي:" وإن يصبهم مرض وفقر وخوف وضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، إذا هم يَيْئَسون من زوال ذلك"(٤).

ذلك"(٤).

قال الطبري:يقول: " وإن تصبهم منا شدة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي، إذا هم ييأسون من الفرج، والقنوط: هو الإياس"(٥).

قال الزمخشري:" وإن تصبهم سيئة أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض- والسبب فيها شؤم معاصيهم- قنطوا من الرحمة"(٦).

قال ابن كثير:" وإذا أصابته شدة قَنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية ؛ قال الله :{إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [هود : ١١] ، أي : صبروا في الضراء ، وعملوا الصالحات في الرخاء ، كما ثبت في الصحيح : «عجبا للمؤمن ، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيرًا له»(٧)"(٨).

قال أبو عبيدة:" {إذا هُمْ يَقْنَطُونَ}، أي: يئسون، قال حميد الأرقط(٩):

قد وجدوا الحجّاج غير قانط"(١٠).

قال السمعاني:" وهذا علامة غير المؤمنين، فأما علامة المؤمنين فهو شكر الله عند النعمة، ورجاء الكشف عند الشدة"(١١).

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)} [الروم : ٣٧]

التفسير:

أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانًا، هل يشكر أو يكفر؟ ويضيِّقه على من يشاء اختبارًا، هل يصبر أو يجزع؟ إن في ذلك التوسيع والتضييق لآيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون حكمة الله ورحمته.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٦.
(٣) تفسير السمعاني: ٢١٤/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٢.
(٦) الكشاف: ٣/ ٤٨٠.
(٧)صحيح مسلم برقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٦-٣١٨.
(٩) الشعر له في مجاز القرآن : ١٢٢/٢، وتفسير الطبري: ١٠٢/٢٠، والجمهرة ٣/ ١١٥.
(١٠) مجاز القرآن: ٢/ ١٢٢.
(١١) تفسير السمعاني: ٢١٥/٤.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الروم : ٣٧]، أي:" أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء امتحانًا، هل يشكر أو يكفر؟ ويضيِّقه على من يشاء اختبارًا، هل يصبر أو يجزع؟"(١).

قال الطبري:يقول:" أولم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب، وييأسون من الفرج عند شدة تنالهم، بعيون قلوبهم، فيعلموا أن الشدة والرخاء بيد الله، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه"(٢).

قال القرطبي:" أي: يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء أو يضيق، فلا يجب أن يدعوهم الفقر إلى القنوط"(٣).

قال ابن كثير:" أي : هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله ، فيوسع على قوم ويضيّق على آخرين"(٤).

قال الزمخشري:" ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض، فما لهم يقنطون من رحمته، وما لهم لا يرجعون إليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها، حتى يعيد إليهم رحمته"(٥).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الروم : ٣٧]، أي:" إن في ذلك التوسيع والتضييق لآيات لقوم يؤمنون بالله ويعرفون حكمة الله ورحمته"(٦).

قال الطبري:" يقول: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه، وقدره على من قدره عليه، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر، لدلالة واضحة لمن صدق حجج الله وأقر بها إذا عاينها ورآها"(٧).

قال القشيري في الآية:" الإشارة فيها إلى أن العبد لا يعلق قلبه إلا بالله لأن ما يسوءهم ليس زواله إلا بالله، وما يسرهم ليس وجوده إلا من الله"(٨).

فوائد الآيات:[٣٣-٣٧]:

١- بيان جهل المشركين وضلال عقولهم بما ذكر تعالى من صفاتهم وأحوالهم.

٢-- بيان تهديد الله تعالى للمصرين على الشرك والكفر بعذاب يوم القيامة.

٣- بيان حال أهل الشرك والجهل في فرحهم بالنعمة فرح البطر والأشر ويأسهم وقنوطهم عند نزول البلاء بهم والشدة.

٤- مظهر حكمة الله وتدبيره في الرزق توسعة وتقديراً وإدراك ذلك خاص بالمؤمنين لأنهم أحياء يبصرون ويفهمون بخلاف الكافرين فهم أموات لا إبصار ولا إدراك لهم.

القرآن

{فَآَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨)} [الروم : ٣٨]

التفسير:

فأعط -أيها المؤمن- قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة، ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله، والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون مِن عقابه.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٣.
(٣) تفسير القرطبي: ٣٥/١٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٦.
(٥) الكشاف: ٣/ ٤٨٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٣.
(٨) لطائف الإشارات: ٣/ ١١٩.

قوله تعالى:{فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ} [الروم : ٣٨]، أي:" فأعط -أيها المؤمن- قريبك حقه من الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، وأعط الفقير الذي لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، والمحتاج الذي انقطع به السبيل من الزكاة والصدقة"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبر، والمسكين وابن السبيل، ما فرض الله لهما في ذلك"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا بإعطاء ذي { الْقُرْبَى حَقَّهُ } أي : من البر والصلة ، { وَالْمِسْكِينَ } وهو : الذي لا شيء له ينفق عليه ، أو له شيء لا يقوم بكفايته ، { وَابْنَ السَّبِيلِ } وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره"(٣).

قال النحاس:" تأوله مجاهد وقتادة على أنه قريب الرجل، وجعلا صلة الرحم فرضا من الله جل وعز حتى قال مجاهد: «لا يقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجة».

وقيل: «ذو القربى»: القربى بالنبي ﷺ، وحقه مبين في قوله جل وعز: {واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى} [الأنفال: ٤١]، «وابن السبيل»: الضيف فجعل الضيافة فرضا"(٤).

قال الكلبي في تفسير هذه الآية: "أمرت أن تصل القرابة، وتطعم المسكين، وتحسن إلى ابن السبيل هو الضيف"(٥).

قال الحسن: "بعض هذه الآية تطوع وبعضها فريضة، فأما قوله: {فآت ذا القربى حقه}: فهو تطوع، وهو ما أمره الله تبارك وتعالى به من صلة القرابة، وأما قوله: {والمسكين وابن السبيل}، يعني: الزكاة"(٦).

قال يحيى: "حدثونا إن الزكاة فرضت بمكة ولكن لم تكن شيئا معلوما"(٧).

وقال الحسن:" هو أن توفيهم حقهم إن كان عند يسر، وإن لم يكن عندك؛ فقل لهم قولا ميسورا، قل لهم الخير"(٨).

قال الزجاج:" جعل الله عز وجل لذي القربى حقا وكذلك للمساكين وابن السبيل الضيف فجعل الضيافة لازمة. فأما القرابات فالمواريث قد بينت ما يجب لكل صنف منهم، وفرائض المواريث كأنها قد نسخت هذا أعني أمر حق القرابة، وجائز أن يكون للقرابة حق لازم في البر"(٩).

قوله تعالى:{ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} [الروم : ٣٨]، أي:" ذلك الإعطاء خير للذين يريدون بعملهم وجه الله"(١٠).

قال الطبري:يقول:" إيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك"(١١).

قال ابن كثير:" أي : النظر إليه يوم القيامة ، وهو الغاية القصوى"(١٢).

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الروم : ٣٨]، أي:" والذين يعملون هذه الأعمال وغيرها من أعمال الخير، أولئك هم الفائزون بثواب الله الناجون مِن عقابه"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٦.
(٤) إعراب القرآن: ١٨٧/٣.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٦١/٢.
(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٦١/٢.
(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦١/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢.
(٩) معاني القرآن: ١٨٧/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٦.

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا وفي الآخرة "[٢].
قال الطبري: " يقول: ومن يفعل ذلك مبتغيا وجه الله به، فأولئك هم المنجحون، المدركون طلباتهم عند الله، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بإيتائهم إياهم ما آتوا"[٣].

القرآن
{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)} [الروم : ٣٩]
التفسير:
وما أعطيتم قرضًا من المال بقصد الربا، وطلب زيادة ذلك القرض؛ ليزيد وينمو في أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يمحقه ويبطله. وما أعطيتم من زكاة وصدقة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله وطلبًا لثوابه، فهذا هو الذي يقبله الله ويضاعفه لكم أضعافًا كثيرة.
قوله تعالى:{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ} [الروم : ٣٩]، أي:" وما أعطيتم قرضًا من المال بقصد الربا، وطلب زيادة ذلك القرض؛ ليزيد وينمو في أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يمحقه ويبطله"[٤].
قال الطبري: يقول:" وما أعطيتم أيها الناس، بعضكم بعضا من عطية؛ لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه، ممن أعطاه ذلك، فلا يزداد ذلك عند الله، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه"[٥].
قال ابن كثير:" أي : من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم ، فهذا لا ثواب له عند الله.. وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة ، قاله الضحاك[٦]، واستدل بقوله : { وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ } [المدثر : ٦] أي : لا تعط العطاء تريد أكثر منه "[٧].
وفي قوله تعالى:{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ} [الروم : ٣٩]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه الرجل يهدي هدية ليكافأ عليها أفضل منها ، قاله ابن عباس[٨]، وجماعة، وهو اختيار الطبري[٩].
قال الطبري:" لأنه أظهر معانيه"[١٠].
قال ابن عباس:" هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضا، يعطي الرجل الرجل العطية، يريد أن يعطى أكثر منها"[١١].
قال سعيد بن جبير:" هو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه"[١٢].
قال مجاهد:" يعطي ماله يبتغي أفضل منه"[١٣].
وقال مجاهد:" هي الهدايا"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٣-١٠٤.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٤٩٧):ص٣٠٩١/٩. وسوف يأتي.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٦.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٦.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٤.

قال إبراهيم:" هو الرجل يهدي إلى الرجل الهدية؛ ليثيبه أفضل منها"[٢].
قال طاوس:" هو الرجل يعطي العطية، ويهدي الهدية، ليثاب أفضل من ذلك، ليس فيه أجر ولا وزر"[٣].
قال قتادة:" ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا، ومجازاة الناس ذاك الربا الذي لا يقبله الله، ولا يجزي به"[٤].
الثاني : أنه في رجل صحبه في الطريق فخدمه فجعل له المخدوم بعض الربح من ماله جزاء لخدمته لا لوجه الله ، قاله عامر الشعبي[٥].
الثالث : أنه في رجل يهب لذي قرابة له مالاً ليصير به غنيّاً ذا مال ولا يفعله طلباً لثواب الله ، قاله ابن عباس-في رواية-[٦]، وإبراهيم النخعي[٧].
قال إبراهيم:" كان هذا في الجاهلية، يعطي أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله"[٨].
الرابع: أن ذلك للنبي ﷺ خاصة، وأما لغيره فحلال. وهذا قول الضحاك[٩].
قال الضحاك:" هو الربا الحلال أن تهدي تريد أكثر منه، وليس له أجر ولا وزر، ونهى عنه رسول الله ﷺ خاصة فقال: ولا تمنن تستكثر"[١٠].
قال الزجاج:" يعني به: دفع الإنسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، فذلك في أكثر التفسير ليس بحرام، ولكنه لا ثواب لمن زاد على ما أخذ. والربا ربوان، والحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو يجر منفعة، فهذا حرام، والذي ليس بحرام هو الذي يهبه الإنسان يستدعي به ما هو أكثر منه، أو يهدي الهدية يستدعي بها ما هو أكثر منها"[١١].
وقرئ:«لتربوا»، بالتاء[١٢].
قوله تعالى:{وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} [الروم : ٣٩]، أي:" وما أعطيتم من زكاة وصدقة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله وطلبًا لثوابه، فهذا هو الذي يقبله الله ويضاعفه لكم أضعافًا كثيرة"[١٣].
قال الطبري: " يقول: وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله، {فأولئك} يعني الذين يتصدقون بأموالهم، ملتمسين بذلك وجه الله هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب. من قول العرب: أصبح القوم مسمنين معطشين، إذا سمنت إبلهم وعطشت"[١٤].
قال الزجاج:" أي وما أعطيتم من صدقة لا تطلبون بها المكافأة وإنما يقصدون بها ما عند الله، {فأولئك هم [المضعفون}، أي: فأهلها هم المضعفون، أي: هم الذي يضاعف لهم الثواب، يعطون بالحسنة عشرة أمثالها ويضاعف الله لمن يشاء، وقيل:{المضعفون} كما يقال: رجل مقو، أي: صاحب قوة، وموسر، أي: صاحب يسار، وكذلك: مضعف، أي: ذو أضعاف من الحسنات"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٤-١٠٥.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٥.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٥-١٠٦.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٥-١٠٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٠، وتفسير ابن ابي حاتم(١٧٤٩٧):ص٣٠٩١/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٩٧):ص٣٠٩١/٩.
(١١) معاني القرآن: ١٨٧/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٦.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٤.
(١٥) معاني القرآن: ٤/ ١٨٨.

قال ابن كثير:" وإنما الثواب عند الله في الزكاة ؛ ولهذا قال : { وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } أي : الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء ، كما جاء في الصحيح : «وما تصدق أحد بِعَدْل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه ، فَيُرَبِّيها لصاحبها كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوّه أو فَصِيلَه ، حتى تصير التمرة أعظم من أُحُد»[١] "[٢].

عن قتادة قوله: "{وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون}، قال: هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها، وأكثر من ذلك"[٣].

وعن ابن عباس، قوله:{ وما آتيتم من زكاة}، قال: هي الصدقة "[٤].

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)} [الروم : ٤٠]

التفسير:

الله وحده هو الذي خلقكم -أيها الناس- ثم رزقكم في هذه الحياة، ثم يميتكم بانتهاء آجالكم، ثم يبعثكم من القبور أحياء للحساب والجزاء، هل من شركائكم مَن يفعل من ذلكم من شيء؟ تنزَّه الله وتقدَّس عن شرك هؤلاء المشركين به.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ} [الروم : ٤٠]، أي:" الله وحده هو الذي خلقكم -أيها الناس- ثم رزقكم في هذه الحياة"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمشركين به، معرفهم قبح فعلهم، وخبث صنيعهم: الله أيها القوم الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره، هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا، ثم رزقكم وخولكم، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك"[٦].

قال ابن كثير:" أي : هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قُوَى ، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك ، والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب ، كما قال الإمام أحمد:..عن حَبَّة وسواء ابني خالد قالا دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلح شيئا فأعَنَّاه ، فقال : «لا تيأسا من الرزق ما تَهَزّزَتْ رؤوسكما ؛ فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ، ثم يرزقه الله عز وجل»[٧]"[٨].

قال القشيري:" «ثم» حرف يقتضى التراخي وفي ذلك إشارة إلى أنه ليس من ضرورة خلقه إياك أن يرزقك كنت في ضعف أحوالك ابتداء ما خلقك، فأنبتك وأحياك من غير حاجة لك إلى رزق فإلى أن خرجت من بطن أمك: إما أن كان يغنيك عن الرزق وأنت جنين فى بطن الأم ولم يكن لك أكل ولا شرب، وإما أن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق، إن حق ما قالوا: إن الجنين يتغذى بدم الطمث. وإذا أخرجك من بطن أمك رزقك على الوجه المعهود في الوقت المعلوم، فيسر لك أسباب الأكل والشرب من لبن الأم، ثم من فنون الطعام، ثم أرزاق القلوب والسرائر من الإيمان والعرفان وأرزاق التوفيق من الطاعات والعبادات، وأرزاق اللسان من الأذكار وغير ذلك مما جرى ذكره"[٩].

---

(١)صحيح البخاري برقم (١٤١٠).
(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٦.
(٣)أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٦ .
(٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٩٩):ص٣٠٩٢/٩، والطبري: ٢٠/ ١٠٦ .
(٥) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٧.
(٧)المسند (٤٦٩/٣).
(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٩/٦.
(٩) لطائف الإشارات: ١٢٠/٣.

قال سهل:" أفضل الرزق السكون إلى الرازق"[١].
قوله تعالى:{ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [الروم : ٤٠]، أي:" ثم يميتكم بانتهاء آجالكم، ثم يبعثكم من القبور أحياء للحساب والجزاء"[٢].
قال الطبري:يقول: " ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة"[٣].
قال ابن كثير:" { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } ، أي : بعد هذه الحياة { ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } أي : يوم القيامة"[٤].
قال قتادة:" للبعث بعد الموت"[٥].
قوله تعالى:{هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ} [الروم : ٤٠]، أي:" هل من شركائكم مَن يفعل من ذلكم من شيء؟"[٦].
قال الطبري:" هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء، فيخلق، أو يرزق، أو يميت، أو ينشر، وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئا من ذلك، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئا من ذلك"[٧].
قال ابن كثير:" أي : لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك ، بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق ، والإحياء والإماتة ، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة "[٨].
قال يحيى:" {هل من شركائكم}: استفهام منه، يعني: ما يعبد من دونه، {من يفعل من ذلكم من شيء}: يخلق، أو يرزق، أو يميت، أو يحيي"[٩].
قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الروم : ٤٠]، أي:" تنزَّه الله وتقدَّس عن شرك هؤلاء المشركين به"[١٠].
قال الطبري:" ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء، فقال جل ثناؤه: تنزيها لله وتبرئة وعلوا له عن شرك هؤلاء المشركين به"[١١].
قال ابن كثير:" أي : تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعَزّ عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو ، أو ولد أو والد ، بل هو الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد "[١٢].
قال قتادة:" يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان"[١٣].
فوائد الآيات:[٣٨-٤٠]:
١- وجوب إعطاء ذوي القربى حقوقهم من البر والصلة.
٢- وجوب كفاية الفقراء وأبناء السبيل في المجتمع الإسلامي.

---

(١) تفسير التستري: ١٢١.
(٢) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٧.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣١٩/٦.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٧.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٧.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٩/٦.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٢/٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٨.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٧.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣١٩/٦.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٧.

٣- جواز هدية الثواب الدنيوي كأن يهدي رجل شيئا يريد أن يرد عليه أكثر منه ولكن لا ثواب فيه في الآخرة، وتسمى هذه الهدية: هدية الثواب وهي للرسول محرمة لقوله تعالى له: {وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} .
٤- بيان مضاعفة الصدقات التي يراد بها وجه الله تعالى.
٥- إبطال الشرك والتنديد بالمشركين وبيان جهلهم وضلال عقولهم.

القرآن

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)} [الروم : ٤١]

التفسير:

ظهر الفساد في البر والبحر، كالجدب وقلة الأمطار وكثرة الأمراض والأوبئة؛ وذلك بسبب المعاصي التي يقترفها البشر؛ ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ كي يتوبوا إلى الله -سبحانه- ويرجعوا عن المعاصي، فتصلح أحوالهم، وتستقيم أمورهم.

قوله تعالى:{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم : ٤١]، أي:" ظهرت البلايا والنكبات في بر الأرض وبحرها بسبب معاصي الناس وذنوبهم"[١].

قال الطبري:" ظهرت المعاصي في بر الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه"[٢].

قال ابن عباس:" نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا"[٣].

قال الحسن:" أفسدهم الله بذنوبهم في بر الأرض وبحرها بأعمالهم الخبيثة"[٤].

قال قتادة:" هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا ﷺ، امتلأت ضلالة وظلما، فلما بعث الله نبيه رجع راجعون من الناس"[٥].

قال الشوكاني:" الباء في {بما كسبت}: للسببية، و{ما}: إما موصولة أو مصدرية"[٦].

وفي معنى «الفساد» هاهنا أقوال:

أحدها : أنه: الشرك امتلأت الأرض ضلالة وظلما. قاله قتادة[٧]، وزيد بن اسلم[٨].

قال ابن كثير:" وفيه نظر"[٩].

الثاني : ارتكاب المعاصي ، قاله أبو العالية[١٠].

الثالث : قحط المطر وقلة النبات. قاله يحيى بن سلام[١١].

الرابع : أي: أجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس. قاله الفراء[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، وهو معنى قول عطية[١٤].

وروي عن فضيل بن مرزوق، عن عطية :"{ظهر الفساد في البر والبحر}، قال: قلت: هذا البر، والبحر أي فساد فيه؟ قال: فقال: إذا قل المطر، قل الغوص"[١].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٤٢/٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٠٧/٢٠.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥٠٠):ص٣٠٩٢/٩.
(٤)مصنف ابن بي شيبة(٣٥٢٠٥):ص١٨٨/٧.
(٥) أخرجه الطبري:١٠٨/٢٠.
(٦) فتح القدير: ٢٦٣/٤.
(٧) تفسير عبدالرزاق(٢٢٨٤):ص٢٠/٣.
(٨) رواه مالك عنه كما في تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٤.
(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٢/٢.
(١٢) انظر: معني القرآن: ٣٢٥/٢.
(١٣) انظر: غريب لقرآن: ٣٤٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٩.

وعن ن زيد بن رفيع، قوله: "{ظهر الفساد في البر والبحر}، قال: انقطاع المطر. قيل: فالبحر؟ قال: إذا لم يمطر عميت دواب البحر"(٢).

قال الفراء:" وكان ذلك ليذاقوا الشدة بذنوبهم في العاجل"(٣).

الخامس: فساد البر : قتل ابن آدم أخاه ، وفساد البحر : أخذ السفينة غصباً . قاله مجاهد(٤).

السادس: أن ظهور الفساد ولاة السوء. أفاده الماوردي(٥).

قال ابن كثير:معناه: " بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي "(٦).

قال أبو العالية : مَنْ عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض ؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة"(٧).

وفي الحديث: "لَحَدٌّ يقام في الأرض أحبّ إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحا"(٨).

قال ابن كثير:«السبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت ، انكف الناس - أو أكثرهم ، أو كثير منهم - عن تعاطي المحرمات ، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببا في محاق البركات من السماء والأرض ؛ ولهذا إذا نزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت ، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية ، وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج ، قيل للأرض : أخرجي بركاتك. فيأكل من الرمانة الفئَام من الناس ، ويستظلون بقَحْفها ، ويكفي لبن اللّقحة الجماعةَ من الناس. وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله ﷺ ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير(٩).

ولهذا ثبت في الصحيح : «إنَّ الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد ، والشجر والدواب»(١٠).

وروي عن أبي قحذم قال :" وجد رجل في زمان زياد - أو : ابن زياد - صرة فيها حَبّ ، يعني من بر أمثال النوى ، عليه مكتوب : هذا نبت في زمان كان يعمل فيه بالعدل"(١١).

وفي قوله تعالى:{فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الروم : ٤١]، أقوال:

أحدها:أن البر: الفلوات، وبالبحر: الأمصار والقرى التي على المياه والأنهار. وهذا قول مجاهد(١٢)، وعكرمة(١٣).

روي عن أنه قرأ: "{ظهر الفساد في البر والبحر ... } الآية، ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر"(١٤).

عن حبيب بن الزبير، قال: "جاء رجل إلى عكرمة فقال يا أبا عبد الله قوله جل ثناؤه {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس} [الروم: ٤١] فهذا البر قد عرفناه فما بال البحر قال: «إن العرب تسمي الأمصار البحر»(١٥).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٠١):ص٣٠٩٢/٩.
(٣) معني القرآن: ٣٢٥/٢.
(٤) انظر: مصنف ابن بي شيبة(٢٧٧٦١):ص٤٣٦/٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٣١٧/٤.
(٦)تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦ .
(٧)تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦ .
(٨)رواه أحمد في المسند (٣٦٢/٢) والنسائي في السنن (٧٥/٨) من حديث أبي هريرة.
(٩)تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦ .
(١٠)) صحيح البخاري برقم (٦٥١٢).
(١١)المسند (٢٩٦/٢).
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٨.
(١٥)أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٠٨، وانظر: الكنى والاسماء، سعيد بن مسلم الأنصاري: (١٤٤٦):ص٨٢٨/٢.

قال ابن كثير:هذا" القول الأول أظهر ، وعليه الأكثر ، ويؤيده ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة : أن رسول الله ﷺ وسلم صَالَح ملك أيلة ، وكتب إليه ببحره ، يعني : ببلده"[١].
الثاني : أن البر: أهل العمود، والبحر: أهل القرى والريف ، حكاه الطبري[٢].
الثالث : أن البر: بادية الأعراب، والبحر: الأمصار والقرى. قاله الضحاك[٣].
وروي عن قتادة:" البر: أهل البوادي ، والبحر: أهل القرى"[٤].
وروي عن عطاء في الآية قال: "البحر: الجزائر"[٥].
الرابع : أن البر: ما كان من المدن والقرى على غير نهر ، والبحر ما كان على شط نهر ، قاله ابن عباس[٦].
وقال السدي:" البر: كل قرية نائبة عن البحر مثل مكة والمدينة، والبحر كل قرية علي البحر مثل كوفة والبصرة والشام"[٧].
الخامس: أن البر: ظهر الأرض، الأمصار وغيرها، والبحر: البحر المعروف. وهذا قول مجاهد-في رواية اخرى-[٨]، وابن أبي نجيح[٩]، وعطية[١٠].
قال الشوكاني:" البر والبحر: هما المعروفان المشهوران، ويكون معنى البر: مدن البر، ومعنى البحر: مدن البحر، وما يتصل بالمدن من مزارعها ومراعيها "[١١].
وقال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعا عندهم بحر، ولم يخصص جل ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبا كان أو ملحا. إذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار.
فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان من بر وبحر {بما كسبت أيدي الناس}: أي: بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما"[١٢].
وقال سهل التستري: "قوله تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر}، مثل الله تعالى الجوارح بالبر، ومثل القلب بالبحر، وهم أعم نفعا وأكثر خطرا، هذا باطن الآية، ألا ترى أن القلب إنما سمي قلبا لتقلبه وبعد غوره، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه: «جدد السفينة فإن البحر عميق»[١٣] ، يعني جدد النية لله تعالى من قلبك، فإن البحر عميق، فحينئذ إذا صارت المعاملة في القلوب التي هي بحور ليس له منها مخرج، وخرجت النفس من الوسط، استراحت الجوارح، فصار صاحبها في كل يوم أقرب إلى غورها، وأبعد من نفسه حتى يصل.
وسئل عن معنى قوله ﷺ: «من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه»[١٤]، فقال: للقلب ثلاث مقامات: جمهور القلب، ومقام اللسان من القلب، ومقام الجوارح من القلب. وقوله: «ذهب ثلثا

---

(١)تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦ .
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٠. ونسبه الماوردي:٣١٧/٤ لقتادة، ولم اقف عليه.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٥٢٤):ص٢٩١٠/٩.
(٤) تفسير عبدالرزاق(٢٢٨٤):ص٢٠/٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥٠٦):ص٣٠٩٢/٩.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣١٨/٤، وزاد المسير: ٤٢٥/٣، وتفسير القرطبي: ٤١/١٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥٠٥):ص٣٠٩٢/٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٩.
(١١) فتح القدير: ٢٦٣/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٠٩.
(١٣)انظر: الفردوس بمأثور الخطاب(٨٣٦٨):ص ٥/ ٣٣٩، وفيه أنه حديث خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفاري.
(١٤)كشف الخفاء ٢/ ٣١٦- ٣١٧ وشعب الإيمان ٦/ ٢٩٨ وفي قوت القلوب ٢/ ٢٠ أنه خبر منقول من

دينه» يعني اشتغل من الثلاثة اثنان: اللسان وسائر الجوارح، وبقي الجمهور الذي لا يصل إليه أحد، وهو موضع إيمانه من القلب"[1].

قوله تعالى:{لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا} [الروم : ٤١]، أي:" ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بها جميعاً في الآخرة"[2].

قال ابن كثير:" أي : يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات ، اختبارا منه ، ومجازاة على صنيعهم"[3].

قال الشوكاني:" اللام في {ليذيقهم} لام العلة، أي: ليذيقهم عقاب بعض عملهم، أو جزاء بعض عملهم"[4].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم : ٤١]، أي:" لعلهم يتوبون ويرجعون عمّا هم عليه من المعاصي والآثام"[5].

قال ابن كثير:" أي : عن المعاصي ، كما قال تعالى : { وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الأعراف : ١٦٨]"[6].

قال ابن عباس:"يتوبون"[7].

قال الحسن:" يرجع من بعدهم"[8].

قال كعب:"إنا نجد أن الله تعالى يقول: «أنا الله لا إله إلا أنا، خالق الخلق، أنا الملك العظيم، ديان الدين، ورب الملوك، قلوبهم بيدي، فلا تشاغلوا بذكرهم عن ذكري ودعائي والتوبة إلي، حتى أعطفهم عليكم بالرحمة، فأجعلهم رحمة وإلا جعلتهم نقمة» ، ثم قال: " ارجعوا رحمكم الله تعالى، وموتوا من قريب، فإن الله يقول: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} [الروم: ٤١] ، قال: ثم قال: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله} [الحديد: ١٦] ، قال كعب: فهل ترون الله تعالى يعاتب إلا المؤمنين؟"[9].

القرآن

{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢)} [الروم : ٤٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمكذبين بما جئت به: سيروا في أنحاء الأرض سير اعتبار وتأمل، فانظروا كيف كان عاقبة الأمم السابقة المكذبة كقوم نوح، وعاد وثمود، تجدوا عاقبتهم شر العواقب ومآلهم شر مآل؟ فقد كان أكثرهم مشركين بالله.

قوله تعالى:{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ} [الروم : ٤٢]، أي:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين: سيروا في في أنحاء الأرض سير اعتبار وتأمل، فانظروا إلى مساكن الذين ظلموا كيف كان آخر أمرهم وعاقبة تكذيبهم للرسل"[10].

التوراة.

(١) تفسير لتستري: ١٢١.

(٢) صفوة التفاسير: ٤٤٢/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦.

(٤) فتح القدير: ٢٦٣/٤.

(٥) صفوة التفاسير: ٤٤٢/٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٠٧):ص٣٠٩٢/٩.

(٨)مصنف ابن بي شيبة(٣٥٢٠٥):ص١٨٨/٧.

(٩) الزهد والرقائق لابن المبارك(١٠٥٥)٣٧١/١.

(١٠) صفوة التفاسير: ٤٤٢/٢-٤٤٣.[بتصرف]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذبوا رسله، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رسل الله وكفرهم، ألم نهلكهم بعذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم"[١].

قال ابن كثير:" أي : فانظروا ماذا حلَّ بهم من تكذيب الرسل وكفر النعم "[٢].

قال مقاتل:" فكان عاقبتهم الهلاك في الدنيا"[٣].

قال الزمخشري:" ثم أكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله: حيث أمرهم بأن يسيروا في الأرض فينظروا كيف أهلك الله الأمم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم"[٤].

قوله تعالى:{كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ} [الروم : ٤٢]، أي:" فقد كان أكثرهم مشركين بالله"[٥].

قال يحيى:" أي: فأهلكهم"[٦].

قال الطبري:" يقول: فعلنا ذلك بهم؛ لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم"[٧].

قال الزمخشري:" دل بقوله :{كان أكثرهم مشركين} على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم، وأن ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك"[٨].

القرآن

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)} [الروم : ٤٣]

التفسير:

فوجِّه وجهك -أيها الرسول- نحو الدين المستقيم، وهو الإسلام، منفذًا أوامره مجتنبًا نواهيه، واستمسك به من قبل مجيء يوم القيامة، فإذا جاء ذلك اليوم الذي لا يقدر أحد على ردِّه تفرقت الخلائق أشتاتًا متفاوتين؛ ليُروا أعمالهم.

قوله تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ} [الروم : ٤٣]، أي:" فتوجَّه بكليتك إلى الدين المستقيم دين الإسلام، واستقم عليه في حياتك"[٩].

قال الطبري:يقول:" فوجه وجهك يا محمد، نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك {للدين القيم} لطاعة ربك، والملة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها عن الحق"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: فأخلص دينك للإسلام المستقيم فإن غير دين الإسلام ليس بمستقيم"[١١].

قال يحيى:" أي: وجهتك {للدين القيم}، وهو الإسلام"[١٢].

وقال السدي: "التوحيد"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٢٠/ ١١٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٢٠/٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٧/٣.
(٤) الكشاف: ٤٨٣/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٣/٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٠/ ١١٠.
(٨) الكشاف: ٤٨٣/٣.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٢.[بتصرف]
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٠-١١١.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٧/٣.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٣/٢.
(١٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٦٣/٢.

قال ابن كثير:" أمر عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته ، والمبادرة إلى الخيرات"(١).
قال الزمخشري:" القيم: البليغ الاستقامة الذي لا يتأتى فيه عوج "(٢).
قوله تعالى:{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} [الروم : ٤٣]، أي:" من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا يقدر أحدٌ على ردِّه"(٣).
قال الطبري: يقول:" من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مرد له لمجيئه؛ لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء"(٤).
قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، إذا أراد كونه فلا رادَّ له"(٥).
قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} [الروم : ٤٣]، أي:" يومئذٍ يتفرقون، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير"(٦).
قال الطبري: يقول: يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس، يقول: يتفرق الناس فرقتين من قولهم: صدعت الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير"(٧).
قال ابن كثير:" أي : يتفرقون ، ففريق في الجنة وفريق في السعير"(٨).
قال مقاتل:" يعني: بعد الحساب يتفرقون إلى الجنة وإلى النار"(٩).
قال يحيى:" يعني: يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير"(١٠).
قال الفراء: أي" يتفرقون. قال: وسمعت العرب تقول: صدعت غنمي صدعتين، كقولك: فرقتها فرقتين"(١١).
عباس قوله: "{يومئذ يصدعون}، يقول: يتفرقون"(١٢).
قال ابن زيد:" يتفرقون إلى الجنة، وإلى النار"(١٣).
قال قتادة:" فريق في الجنة، وفريق في السعير"(١٤).

القرآن
{مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٤)} [الروم : ٤٤]
التفسير:
من كفر فعليه عقوبة كفره، وهي خلوده في النار، ومن آمن وعمل صالحًا فلأنفسهم يهيئون منازل الجنة؛ بسبب تمسكهم بطاعة ربهم.
قوله تعالى:{مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} [الروم : ٤٤]، أي:" من كفر بالله فعليه أوزار كفره مع خلوده في النار المؤبدة"(١٥).
قال الطبري:" من كفر بالله فعليه أوزار كفره، وآثام جحوده نعم ربه (١).

(١) تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦.[بتصرف]
(٢) الكشاف: ٤٨٣/٣.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٢.[بتصرف]
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦.
(٦) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٢.[بتصرف]
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٧/٣.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٣/٢.
(١١) معني القرآن: ٣٢٥/٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١١.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١١.
(١٥) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٢.[بتصرف]

قوله تعالى:{وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} [الروم : ٤٤]، أي:" ومن فعل خيراً وأطاع الله فلأنفسهم في الآخرة فراشاً ومسكناً وقراراً بالعمل الصالح"[٢].

قال الطبري:" يقول: ومن أطاع الله، فعمل بما أمره به في الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها، فلأنفسهم يستعدون، ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه"[٣].

قال أبو عبيدة:" «يمهد»، أي: يكتسب ويعمل ويستعد. قال سليمان بن يزيد العدوى[٤]:

أمهد لنفسك حان السقم والتلف ... ولا تضيعنّ نفسا ما لها خلف"[٥].

قال الزمخشري:" أى: يسؤون لأنفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه، لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغض عليه مرقده: من نتوء أو قضض[٦] أو بعض ما يؤذى الراقد. ويجوز أن يريد: فعلى أنفسهم يشفقون، من قولهم في المشفق: أم فرشت فأنامت. وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود إلا على الكافر لا يتعداه. ومنفعة الإيمان والعمل الصالح: ترجع إلى المؤمن لا تتجاوزه"[٧].

عن مجاهد: "{فلأنفسهم يمهدون}، قال: يسوون المضاجع"[٨].

عن مجاهد: "{فلأنفسهم يمهدون}، قال: في القبر"[٩].

القرآن

{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥) }[الروم : ٤٥]

التفسير:

ليجزي الله الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من فضله وإحسانه. إنه لا يحب الكافرين لسخطه وغضبه عليهم.

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ}[الروم : ٤٥]، أي:" ليجزي الله الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من فضله وإحسانه"[١٠].

قال الطبري: يقول:" يقول تعالى ذكره: {يومئذ يصدعون ... ليجزي الذين آمنوا} بالله ورسوله {وعملوا الصالحات} يقول: وعملوا بما أمرهم الله {من فضله} الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة"[١١].

قال ابن كثير:" أي : يجازيهم مجازاة الفضل : الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما يشاء الله"[١٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم"[١٣].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[الروم : ٤٥]، أي:" إنه لا يحب الكافرين لسخطه وغضبه عليهم"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١١.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٢.[بتصرف]
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١١.
(٤) وانظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٠.
(٥) مجاز القرآن: ١٢٤/٢.
(٦)النتوء: الارتفاع. والقضض: صغار الحصى. أفاده الصحاح.
(٧) الكشاف: ٤٨٣/٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٣/٢.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٢.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦.
(١٣) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٧٥/٦. بدون سند.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٤٣/٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنما خص بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله، إنه لا يحب أهل الكفر به"(١).

قال ابن كثير:" ومع هذا هو العادل فيهم ، الذي لا يجور "(٢).

قال الزمخشري:" قوله :{إنه لا يحب الكافرين}: تقرير بعده تقرير، على الطرد والعكس"(٣).

فوائد الآيات:[٤١-٤٥]:

١- ظهور الفساد بالجدب والغلاء أو بالحرب والأمراض يسبقه حسب سنة الله تعالى في ظهور الفساد في العقائد بالشرك، وفي الأعمال بالفسق والمعاصي.

٢- وجوب الاستقامة على الدين الإسلامي عقيدة وعبادة وقضاءً وحكماً.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثه ووقائعه.

٤- بيان أن الله تعالى يحب المتقين ويكره الكافرين.

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)} [الروم : ٤٦]

التفسير:

ومن آيات الله الدالة على أنه الإله الحق وحده لا شريك له وعلى عظيم قدرته إرسال الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب، فتستبشر بذلك النفوس؛ وليذيقكم من رحمته بإنزاله المطر الذي تحيا به البلاد والعباد، ولتجري السفن في البحر بأمر الله ومشيئته، ولتبتغوا من فضله بالتجارة وغيرها؛ فعل الله ذلك من أجل أن تشكروا له نعمه وتعبدوه وحده.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ} [الروم : ٤٦]، أي:" ومن آيات الله الدالة على أنه الإله الحق وحده لا شريك له وعلى عظيم قدرته إرسال الرياح أمام المطر مبشرات بإثارتها للسحاب، فتستبشر بذلك النفوس"(٤).

قال الطبري: يقول:" ومن أدلته على وحدانيته، وحججه عليكم، على أنه إله كل شيء {أن يرسل الرياح مبشرات} بالغيث والرحمة"(٥).

عن مجاهد: "{الرياح مبشرات}، قال: بالمطر"(٦).

قوله تعالى:{وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ} [الروم : ٤٦]، أي:" وليذيقكم من رحمته بإنزاله المطر الذي تحيا به البلاد والعباد"(٧).

قال الطبري: " يقول: ولينزل عليكم من رحمته، وهي الغيث الذي يحيي به البلاد، ولتجري السفن في البحار بها بأمره إياها"(٨).

قال مقاتل:" يقول: وليعطيكم من نعمته، يعني: المطر"(٩).

عن مجاهد قوله: "{وليذيقكم من رحمته}، قال: المطر"(١٠). وروي عن قتاده مثله(١١).

قال السمعاني:" ويقال: طيب الريح ولذتها"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦.
(٣) الكشاف: ٤٨٣/٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٥) تفسير الطبري: ١١٢/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٨) تفسير الطبري: ١١٢/٢٠.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٨/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٠.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢١٩/٤.

قوله تعالى:{وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ} [الروم : ٤٦]، أي:" ولتجري السفن في البحر بأمر الله ومشيئته"[١].

قال الطبري: " يقول: ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم"[٢].

قال السمعاني:" أي: لتجري الفلك في البحر بهذه الرياح بأمره"[٣].

قال مجاهد:" السفن في البحار"[٤].

قوله تعالى:{وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [الروم : ٤٦]، أي:" ولتبتغوا من فضله بالتجارة وغيرها"[٥].

قال السمعاني:" أي: لتطلبوا من فضل الله تعالى بالتجارات في البحر"[٦].

قال مجاهد:" التجارة في السفن"[٧].

قوله تعالى:{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [الروم : ٤٦]، أي:" فعل الله ذلك من أجل أن تشكروا له نعمه وتعبدوه وحده"[٨].

قال الطبري: " يقول: ولتشكروا ربكم على ذلك، أرسل هذه الرياح مبشرات"[٩].

قال السمعاني:" يعني: تشكرون الله تعالى"[١٠].

قال مقاتل:" رب هذه النعم، فتوحدونه"[١١].

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)} [الروم : ٤٧]

التفسير:

ولقد أرسلنا مِن قبلك -أيها الرسول- رسلا إلى قومهم مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك، فجاؤوهم بالمعجزات والبراهين الساطعة، فكفر أكثرهم بربهم، فانتقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم، فأهلكناهم، ونصرنا المؤمنين أتباع الرسل، وكذلك نفعل بالمكذبين بك إن استمروا على تكذيبك، ولم يؤمنوا.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ} [الروم : ٤٧]، أي:" ولقد أرسلنا مِن قبلك -أيها الرسول- رسلا إلى قومهم مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى التوحيد، ويحذرونهم من الشرك"[١٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مسليا نبيه ﷺ، فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم، ومعلمه سنته فيهم، وفي قومهم، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم، وفي أممهم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا إلى قومهم الكفرة، كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان من دون الله"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٢) تفسير الطبري: ١١٢/٢٠.
(٣) تفسير السمعاني: ٢١٩/٤.
(٤)اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥١٢):ص٣٠٩٣/٩ .
(٥) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٦) تفسير السمعاني: ٢١٩/٤.
(٧)اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥١٢):ص٣٠٩٣/٩ .
(٨) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٩) تفسير الطبري: ١١٢/٢٠-١١٣.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢١٩/٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٨/٣.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(١٣) تفسير الطبري: ١١٣/٢٠.

قال مقاتل:" خوف كفار مكة لكي لا يكذبوا النبي- ﷺ-"[1].

قوله تعالى:{فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [الروم : ٤٧]، أي:" فجاؤوهم بالمعجزات والبراهين الساطعة"[2].

قال السمعاني:" أي: بالدلالات"[3].

قال الطبري:" يعني: بالواضحات من الحجج على صدقهم، وأنهم لله رسل، كما جئت أنت قومك بالبينات فكذبوهم، كما كذبك قومك، وردوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله، كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك"[4].

قوله تعالى:{فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} [الروم : ٤٧]، أي:" فانتقمنا من الذين اكتسبوا السيئات منهم، فأهلكناهم"[5].

قال البغوي:أي:" عذبنا الذين كذبوهم"[6].

قال الطبري:" يقول: فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام، واكتسبوا السيئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك"[7].

قوله تعالى:{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم : ٤٧]، أي:" كان حقاً واجباً علينا أن ننصر المؤمنين على الكافرين"[8].

قال الطبري:" يقول: ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، إذ جاءهم بأسنا، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك، {وكان حقا علينا نصر المؤمنين} على الكافرين، ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك، ومظفروك بهم"[9].

قال مقاتل:" يعني: المصدقين للأنبياء- عليهم السلام-، بالعذاب، فكان نصرهم أن الله- عز وجل- أنجاهم من العذاب مع الرسل"[10].

قال ابن كثير:" هو حقّ أوجبه على نفسه الكريمة ، تكرما وتفضلا، كقوله تعالى : { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } [الأنعام : ٥٤]"[11].

قال البغوي:" ففي هذا تبشير للنبي ﷺ بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء"[12].

قال الحسن: "أنجاهم مع الرسل من عذاب الأمم"[13].

عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "ما من امرئ مسلم يَرُدُّ عن عرض أخيه ، إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة". ثم تلا هذه الآية : { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }"[14].

فوائد الآيتين:[٤٦-٤٧]:

١- تقرير الربوبية لله المستلزمة لألوهيته بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والعدل.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٨/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٣) تفسير السمعاني: ٢١٩/٤.
(٤) تفسير الطبري: ١١٣/٢٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٦) تفسير البغوي: ٢٧٥/٦.
(٧) تفسير الطبري: ١١٣/٢٠.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٢.
(٩) تفسير الطبري: ١١٣/٢٠-١١٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٨/٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦.
(١٢) تفسير البغوي: ٢٧٥/٦.
(١٣) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٧٥/٦. بدون سند.
(١٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٢١/٦-٣٢٢، رواه أحمد في المسند (٤٤٨/٦) من طريق إسماعيل ، وابن أبي الدنيا في الغيبة والنميمة برقم (١٠٢) من طريق جرير كلاهما عن ليث - وهو ابن أبي سليم - به ولم يذكر الآية.

٢- بيان أن الله تعالى ينعم عباده من أجل أن يشكروه بعبادته وتوحيده فيها فإذا كفروا تلك النعم ولم يشكروا الله تعالى عليها عذبهم بما يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء.
٣- بيان أن الله منتقم من المجرمين وإن طال الزمن، وناصر المؤمنين كذلك.

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)} [الروم : ٤٨]

التفسير:

الله -سبحانه- هو الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا مثقلا بالماء، فينشره الله في السماء كيف يشاء، ويجعله قطعًا متفرقة، فترى المطر يخرج من بين السحاب، فإذا ساقه الله إلى عباده إذا هم يستبشرون ويفرحون بأن الله صرف ذلك إليهم.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} [الروم : ٤٨]، أي:" الله -سبحانه- هو الذي يرسل الرياح فتثير سحابًا مثقلا بالماء"[١].

قال الطبري:" يقول: فتنشئ الرياح سحابا، وهي جمع سحابة"[٢].

قال ابن كثير:" يبين تعالى كيف يخلق السحاب التي ينزل منها الماء فقال : { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} ، إما من البحر على ما ذكره غير واحد ، أو مما يشاء الله عز وجل"[٣].

عن عبيد بن عمير :"{يرسل الرياح فتثير سحابا}، قال: الرياح أربع: يبعث الله ريحا فتقم الأرض قما، ثم يبعث الله الريح الثانية فتثير سحابا، فيجعله في السماء كسفا، ثم يبعث الله الريح الثالثة فتؤلف بينه، فيجعله ركاما، ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر"[٤].

قال ابن عباس:" يرسل الله الريح، فتحمل الماء من السحاب فتمر به السحاب فتدركما تدر الناقة وتجاح مثل العزالي غير أنه متفرق"[٥].

قوله تعالى:{فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ} [الروم : ٤٨]، أي:" فينشره الله في السماء كيف يشاء"[٦].

قال الطبري:" يقول: فينشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء"[٧].

قال ابن كثير:" أي : يَمُدّه فيكثّرهُ ويُنَمّيه ، ويجعل من القليل كثيرا ، ينشئ سحابة فترى في رأي العين مثل الترس ، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق. وتارة يأتي السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءة ماء ، كما قال تعالى : { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الأعراف : ٥٧]"[٨].

عن قتادة :"{فيبسطه في السماء كيف يشاء}، ويجمعه"[٩].

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا} [الروم : ٤٨]، أي:" ويجعله قطعًا متفرقة"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ويجعل السحاب قطعا متفرقة"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٢) تفسير الطبري: ١١٤/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٦.
(٤) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٠-١١٥.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥١٤):ص٣٠٩٣/٩.
(٦) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٧) تفسير الطبري: ١١٤/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٦.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(١١) تفسير الطبري: ١١٤/٢٠.

عن قتادة: "{ويجعله كسفا}، أي: قطعا"[١].
قوله تعالى:{فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [الروم : ٤٨]، أي:" فترى المطر يخرج من بين السحاب"[٢].
قال الطبري:" يعني: المطر، {يخرج} من بين السحاب"[٣].
قال ابن كثير:" أي : فترى المطر - وهو القطر - يخرج من بين ذلك السحاب "[٤].
قال الفراء:" الودق: المطر "[٥].
عن مجاهد: "{فترى الودق}، قال: القطر"[٦].
قال أبو عبيدة: "{فَتَرَى الْوَدْقَ}، أي: القطر والمطر، قال عامر بن جوين الطّائى[٧]:
فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل إبقالها"[٨].
قوله تعالى:{فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الروم : ٤٨]، أي:" فإذا ساقه الله إلى عباده إذا هم يستبشرون ويفرحون بأن الله صرف ذلك إليهم"[٩].
قال الطبري:" يقول: فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه؛ رأيتهم يستبشرون؛ بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : لحاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله إليهم "[١١].

القرآن
{وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)} [الروم : ٤٩]
التفسير:
وإنْ كانوا من قبل نزول المطر لفي يأس وقنوط؛ بسبب احتباسه عنهم.
قال مقاتل:" يعني: من قبل نزول المطر في السنين السبع حين قحط عليهم المطر {لمبلسين}، يعني: آيسين من المطر "[١٢].
قال الطبري:" وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده، من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث، من قبل هذا الغيث لمكتئبين حزنين؛ باحتباسه عنهم"[١٣].
قال ابن كثير:" معنى الكلام : أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قَنطين أزلين من نزول المطر إليهم قبل ذلك ، فلما جاءهم ، جاءهم على فاقة ، فوقع منهم موقعا عظيما"[١٤].
عن قتادة: "{وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين}، أي: قانطين"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٤.
(٢) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٣) تفسير الطبري: ١١٤/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٦.
(٥) معاني القرآن: ٢٥٦/٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٤.
(٧)عامر بن جوين: شاعر جاهلى كان خليعا فاتكا وشريفا وفيا انظر حياته فى المعمرين رقم ٤٠ والشعراء ص ص ٥٤ والأغانى ٨/ ٦٦- والبيت من الأبيات المختلف فى عزوها وقال بعضهم إنه للخنساء ولم أجده فى ديوانها: وانظر الاختلاف فى الخزانة ١/ ٢١، ٣/ ٣٣٠ وهو فى الكتاب ١/ ٢٠٥ والطبري ١٨/ ١٠٦ والشنتمرى ١/ ٢٤٠ والقرطبي ١٢/ ٢٨٩ والعيني ٢/ ٤٦٤ وشواهد المغني ص ٣١٣.
(٨) مجاز القرآن: ٦٧/٢.
(٩) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(١٠) تفسير الطبري: ١١٤/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٦.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٩/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ١١٤/٢٠.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٦.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٥.

القرآن

{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)} [الروم : ٥٠]

التفسير:

فانظر -أيها المشاهد- نظر تأمل وتدبر إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر، كيف يحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويعشبها؟ إن الذي قَدَر على إحياء هذه الأرض لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

قوله تعالى:{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الروم : ٥٠]، أي:" فانظر -أيها المشاهد- نظر تأمل وتدبر إلى آثار المطر في النبات والزروع والشجر، كيف يحيي به الله الأرض بعد موتها، فينبتها ويعشبها؟"[(١)].

قال الطبري:أي:" فانظر يا محمد، إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب، كيف يحيي بها الأرض الميتة، فينبتها ويعشبها، من بعد موتها ودثورها"[(٢)].

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى} [الروم : ٥٠]، أي:" إن الذي قَدَر على إحياء هذه الأرض لمحيي الموتى"[(٣)].

قال الطبري: يقول:" إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث، لمحيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير، لا يعز عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه"[(٤)].

قال مقاتل:" يقول: إن هذا الذي فعل ما ترون، لمحي الموتى في الآخرة، فلا تكذبوا بالبعث، يعني: كفار مكة"[(٥)].

قال ابن كثير:" ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها ، فقال : { إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى }، أي : إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات "[(٦)].

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الروم : ٥٠]، أي:" وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء"[(٧)].

قال مقاتل:" من البعث وغيره"[(٨)].

القرآن

{وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١)} [الروم : ٥١]

التفسير:

ولئن أرسلنا على زروعهم ونباتهم ريحًا مفسدة، فرأوا نباتهم قد فسد بتلك الريح، فصار من بعد خضرته مصفرًا، لمكثوا من بعد رؤيتهم له يكفرون بالله ويجحدون نعمه.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا} [الروم : ٥١]، أي:" ولئن أرسلنا على زروعهم ونباتهم ريحًا مفسدة"[(٩)].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٢) تفسير الطبري: ١١٦/٢٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٤) تفسير الطبري: ١١٦/٢٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٩/٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٢٤٢٣/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤٠٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٩/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٠.

قال الطبري: يقول:" ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء"[١].

قال ابن كثير:" يقول { وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا } يابسة على الزرع الذي زرعوه ، ونبت وشب واستوى على سوقه "[٢].

قوله تعالى:{فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا} [الروم : ٥١]، أي:" فرأوا نباتهم قد فسد بتلك الريح، فصار من بعد خضرته مصفرًا"[٣].

قال الطبري: يقول:" فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضوهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم، ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفرا"[٤].

قال ابن كثير:" أي : قد اصفر وشرع في الفساد "[٥].

قوله تعالى:{لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} [الروم : ٥١]، أي:" لمكثوا من بعد رؤيتهم له يكفرون بالله ويجحدون نعمه"[٦].

قال الطبري: يقول:" لظلوا من بعد استبشارهم، وفرحتهم به يكفرون بربهم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : بعد هذا الحال يكفرون ، أي : يجحدون ما تقدم إليهم من النعم ، كما قال : { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ. لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ. إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ } [الواقعة : ٦٣ - ٦٧]"[٨].

قال عبد الله بن عمرو: "الرياح ثمانية ، أربعة منها رحمة ، وأربعة عذاب ، فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات. وأما العذاب فالعقيم والصرصر ، وهما في البر ، والعاصف والقاصف ، وهما في البحر [فإذا شاء سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحْمته ، ولاقحًا للسحاب تلقحه بحمله الماء ، كما يلقح الذكر الأنثى بالحمل ، وإن شاء حركه بحركة العذاب فجعله عقيمًا ، وأودعه عذابًا أليمًا ، وجعله نقمة على من يشاء من عباده ، فيجعله صرصرًا وعاتيًا ومفسدًا لما يمر عليه ، والرياح مختلفة في مهابها : صبا ودبور ، وجنوب ، وشمال ، وفي منفعتها وتأثيرها أعظم اختلاف ، فريح لينة رطبة تغذي النبات وأبدان الحيوان ، وأخرى تجففه ، وأخرى تهلكه وتعطبه ، وأخرى تسيره وتصلبه ، وأخرى توهنه وتضعفه"[٩].

وعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "الريح مسخرة من الثانية - يعني الأرض الثانية - فلما أراد الله أن يهلك عادًا ، أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحًا تهلك عادًا ، فقال : يا رب ، أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور. قال له الجبار تبارك وتعالى : لا إذًا تكفأ الأرض وما عليها ، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم" ، فهي التي قال الله في كتابه : { مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ }[الذاريات : ٤٢]"[١٠].

قال ابن كثير:" هذا حديث غريب ، ورفعه منكر. والأظهر أنه من كلام عبد الله بن عمرو ، رضي الله عنه"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٦.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٢٤٢٣/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٦.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٢٤٢٣/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٦.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٢٤٢٣/٦.
(٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٦.
(١٠) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٦-٣٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٦.

القرآن
{فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢)} [الروم : ٥٢]
التفسير:
فإنك -أيها الرسول- لا تسمع من مات قلبه، أو سدَّ أذنه عن سماع الحق، فلا تجزع ولا تحزن على عدم إيمان هؤلاء المشركين بك، فإنهم كالصم والموتى لا يسمعون، ولا يشعرون ولو كانوا حاضرين، فكيف إذا كانوا غائبين عنك مدبرين؟

قوله تعالى:{فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم : ٥٢]، أي:" فإنك يا محمد لا تُسمع الأموات في أجداثها"(١).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: {فإنك} يا محمد، {لا تسمع الموتى} يقول: لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم، وإنما هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين، الذين قد ختم الله على أسماعهم، فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم، بأن تجعل لهم أسماعا"(٢).

قال مقاتل:" شبه الكفار بالأموات، يقول: فكما لا يسمع الميت النداء فكذلك الكفار لا يسمعون الإيمان ولا يفقهون"(٣).

قال النسفي:" أي: موتى القلوب أو هؤلاء في حكم الموتى فلا تطمع أن يقبلوا منك"(٤).

قال الزجاج:" هذا مثل ضربه الله للكفار كما قال: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} [البقرة : ١٧١/١٨] ، فجعلهم في تركهم العمل بما يسمعون ووعي ما يبصرون بمنزلة الموتى، لأن ما بين من قدرته وصنعته التي لا يقدر على مثلها المخلوقون دليل على وحدانيته"(٥).

قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر"(٦).

قوله تعالى:{وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} [الروم : ٥٢]، أي:" ولا تبلغ كلامك الذين فَقدوا القدرة على السمع، وهم مع ذلك مدبرون عنك"(٧).

قال الطبري: " يقول: وكما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع -الدعاء، إذا هم ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه، لسماع ذلك وفهمه"(٨).

قال مقاتل:" يقول: إن الأصم إذا ولى مدبرا ثم ناديته لا يسمع الدعاء، فكذلك الكافر لا يسمع الإيمان إذا دعى"(٩).

قال قتادة:" يقول: لو أن أصم ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع"(١٠).

قال النسفي:" فإن قلت: الأصم لا يسمع مقبلا أو مدبرا، فما فائدة هذا التخصيص؟

قلت: هو إذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة"(١١).

قال البيضاوي:" {إذا ولوا مدبرين} قيد الحكم به ليكون أشد استحالة، فإن الأصم المقبل وإن لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا"(١).

---

(١) التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:٦٧/٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٦-١١٧
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٩/٣-٤٢٠.
(٤) تفسير النسفي: ٧٠٦/٢.
(٥) معاني القرآن: ١٩٠/٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٠.
(٧) التفسير الوسيط بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:٦٧/٨.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٦-١١٧
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤١٩/٣-٤٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٠.
(١١) تفسير النسفي: ٧٠٦/٢.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "وقف النبي ﷺ علي قليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟» ثم قال: «إنهم الآن يسمعوا ما أقول». فذكر لعائشة رضي الله عنها فقالت: إنما قال النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت: {فإنك لا تسمع الموتى}، حتى قرأت الآية"[٢].

وقال قتادة : أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعًا وتوبيخًا ونقمة"[٣].

قال ابن كثير:" والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر ، لما لها من الشواهد على صحتها من وجوه كثيرة ، من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححًا له، عن ابن عباس مرفوعًا : «ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم ، كان يعرفه في الدنيا ، فيسلم عليه ، إلا رد الله عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام»[٤]"[٥].

ثم قال ابن كثير:" وثبت عنه ﷺ أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له ، إذا انصرفوا عنه ، وقد شرع النبي ﷺ لأمته إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا هذا الخطاب لكانوا بمنزلة خطاب المعدوم والجماد ، والسلف مجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر.

فروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن عائشة-رضي الله عنها-: "قالت : قال رسول الله ﷺ: ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده ، إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم"[٦].

عن حسن القصاب، قال : "كنت أغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى نأتي أهل الجبان ، فنقف على القبور فنسلم عليهم ، وندعو لهم ثم ننصرف ، فقلت ذات يوم : لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين ؟ قال : بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويومًا قبلها ويومًا بعدها. قال : ثنا محمد ، ثنا عبد العزيز بن أبان قال : ثنا سفيان الثوري قال : بلغني عن

---

(١) تفسير البيضاوي: ٤/ ٢١٠.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥١٦):ص٩/ ٣٠٩٤.

قال الإمام الزركشي رحمه الله في كتابه "الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة" ص (١٢١) : "أخرج البخاري عن ابن عمر قال : وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال : "هل وجدتم ما وعد ربكم حقا" ثم قال : "إنهم الآن يسمعون ما أقول" ، فذكر لعائشة فقالت : إنما قال النبي ﷺ : "إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول لهم حق". قال السهيلي في الروض : "وعائشة لم تحضر ، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه ﷺ ، وقد قالوا له : يا رسول الله ، أتخاطب قوما قد جيفوا أو أجيفوا ؟ فقال : "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" ، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين ، جاز أن يكونوا سامعين ، إما بآذان رؤوسهم ، إذا قلنا : إن الروح تعاد إلى الجسد أو إلى بعضه عند المسألة. وهو قول جمهور أهل السنة ، وإما بأذن القلب أو الروح على مذهب مَنْ يقول بتوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد أو إلى بعضه. قال : وقد روي أن عائشة احتجت بقوله تعالى : {وما أنت بمسمع من في القبور} وهذه الآية كقوله : {أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي}، أي : إن الله هو الذي يهدي ويوفق ويدخل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت ، وجعل الكفار أمواتًا وصمًا على جهة التشبيه بالأموات وبالصم ، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا شاء ، فلا تعلق لها في الآية لوجهين : أحدهما : أنها إنما نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان ، الثاني : أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم ، وصدق الله ، فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو".

(٣) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٢٤.

(٤)الاستذكار لابن عبد البر من طريق بشر بن بكير ، عن الأوزاعي ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس ، مرفوعا. ولفظه : "ما من أحد مر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام".

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٢٥.

(٦)أخرجه ابن أبي الدنيا في " كتاب القبور " - كما في " تفسير ابن كثير " (٦/ ٣٢٥)، و " تخريج الإحياء " (٤/ ٤٩١)، و " الحاوي " (٢/ ١٧٥) - " وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله "، قاله الحافظ العراقي رحمه الله تعالى.

الضحاك أنه قال : من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لمكان يوم الجمعة"[١].

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن رجل من آل عاصم الجَحْدَرِي قال : "رأيت عاصمًا الجحدري في منامي بعد موته بسنتين، فقلت : أليس قد متّ ؟ قال : بلى ، قلت : فأين أنت ؟ قال : أنا - والله - في روضة من رياض الجنة ، أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني ، فنتلقى أخباركم. قال : قلت : أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال: هيهات! قد بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح ، قال : قلت : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال : نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس ، قال : قلت : فكيف ذلك دون الأيام كلها ؟ قال : لفضل يوم الجمعة وعظمته"[٢].

وعن أبي التَّيَّاح يقول :" كان مُطَرِّف يغدو ، فإذا كان يوم الجمعة أدلج. قال : وسمعت أبا التياح يقول : بلغنا أنه كان ينزل بغوطة ، فأقبل ليلة حتى إذا كان عند المقابر يقوم وهو على فرسه ، فرأى أهل القبور كل صاحب قبر جالسًا على قبره ، فقالوا : هذا مطرف يأتي الجمعة ويصلون عندكم يوم الجمعة ؟ قالوا : نعم ، ونعلم ما يقول فيه الطير. قلت : وما يقولون ؟ قال : يقولون سلام عليكم"[٣].

عن سفيان بن عيينة قال : "لما مات أبي جزعت عليه جزعًا شديدًا ، فكنت آتي قبره في كل يوم ، ثم قصرت عن ذلك ما شاء الله ، ثم إني أتيته يومًا ، فبينا أنا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت ، فرأيت كأن قبر أبي قد انفرج ، وكأنه قاعد في قبره متوشح أكفانه ، عليه سِحْنَة الموتى ، قال : فكأني بكيت لما رأيته. قال : يا بني ، ما أبطأ بك عني ؟ قلت : وإنك لتعلم بمجيئي ؟ قال : ما جئت مرة إلا علمتها ، وقد كنت تأتيني فأسر بك ويسر من حولي بدعائك ، قال : فكنت آتيه بعد ذلك كثيرًا"[٤].

عن عثمان بن سُوَيْد الطُّفَاوي قال : "وكانت أمه من العابدات ، وكان يقال لها : راهبة ، قال : لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت : يا ذخري وذخيرتي من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي ، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني. قال : فماتت. فكنت آتيها في كل جمعة فأدعو لها وأستغفر لها ولأهل القبور ، فرأيتها ذات يوم في منامي ، فقلت لها : يا أمي ، كيف أنت ؟ قالت : أي : بني ، إن للموت لكربة شديدة ، وإني بحمد الله لفي برزخ محمود يفرش فيه الريحان ، ونتوسد السندس والإستبرق إلى يوم النشور ، فقلت لها : ألك حاجة ؟ قالت : نعم ، قلت : وما هي ؟ قالت : لا تدع ما كنت تصنع من زياراتنا والدعاء لنا ، فإني لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك ، يقال لي : يا راهبة ، هذا ابنك ، قد أقبل ، فأسر ويسر بذلك مَنْ حولي من الأموات"[٥].

بشر بن منصور قال : "لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبان ، فيشهد الصلاة على الجنائز ، فإذا أمسى وقف على المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ، ورحم غربتكم ، وتجاوز عن مسيئكم ، وقبل حسناتكم ، لا يزيد على هؤلاء الكلمات ، قال : فأمسيت ذات ليلة وانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، قال : فبينا أنا نائم إذا بخلق قد جاءوني ، فقلت : ما أنتم وما حاجتكم ؟ قالوا : نحن أهل المقابر ، قلت : ما حاجتكم ؟ قالوا : إنك عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك ، قلت : وما هي ؟ قالوا : الدعوات التي كنت تدعو بها ، قال : قلت فإني أعود لذلك ، قال : فما تركتها بعد"[٦].

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٦.
(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٦.
(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٦.
(٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٦/٦-٣٢٥.
(٥) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٦.
(٦) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٦.

القرآن
{وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)} [الروم : ٥٣]

التفسير:

وما أنت -أيها الرسول- بمرشد مَن أعماه الله عن طريق الهدى، ما تُسمع سماع انتفاع إلا مَن يؤمن بآياتنا، فهم خاضعون ممتثلون لأمر الله.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ} [الروم : ٥٣]، أي:" وما أنت -أيها الرسول- بمرشد مَن أعماه الله عن طريق الهدى"[١].

قال الطبري: يقول:" وما أنت يا محمد بمسدد من أعماه الله عن الاستقامة، ومحجة الحق، فلم يوفقه لإصابة الرشد، فصارفه عن ضلالته التي هو عليها، وركوبه الجائر من الطرق إلى سبيل الرشاد، يقول: ليس ذلك بيدك ولا إليك، ولا يقدر على ذلك أحد غيري؛ لأني القادر على كل شيء"[٢].

قال مقاتل:" يقول: عموا عن الإيمان عن ضلالتهم، يعني: كفرهم الذي هم عليه"[٣].

عن يحيى بن يعمر، قوله: {وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم}، أي: ما تفعل ذلك"[٤].

ذلك"[٤].

قال البيضاوي:" سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الأبصار أو لعمى قلوبهم"[٥].

قلوبهم"[٥].

وقرأ حمزة وحده: «تهدي العمي»[٦].

قوله تعالى:{إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ} [الروم : ٥٣]، أي:" ما تُسمع سماع انتفاع إلا مَن يؤمن بآياتنا، فهم خاضعون ممتثلون لأمر الله"[٧].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه: ما تسمع السماع الذي ينتفع به سامعه فيعقله، إلا من يؤمن بآياتنا، لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبره وفهمه وعقله، وعمل بما فيه، وانتهى إلى حدود الله الذي حد فيه، فهو الذي يسمع السماع النافع، فهم خاضعون لله بطاعته، متذللون لمواعظ كتابه"[٨].

قال النحاس:" أي: ما تسمع إلا من كان قابلا غير معاند"[٩].

قال ابن كثير:" أي : خاضعون مستجيبون مطيعون ، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه ، وهذا حال المؤمنين ، والأول مَثَلُ الكافرين ، كما قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [الأنعام : ٣٦]"[١٠].

قال الزجاج:" أي: ما يسمع إلا من يؤمن بآياتنا، وجعل الإسماع ههنا إسماعا إذا قبل وعمل بما سمع، وإذا لم يقبل بمنزلة ما لم يسمع ولم يبصر"[١١].

قال البيضاوي:" فإن إيمانهم يدعوهم إلى تلقي اللفظ وتدبر المعنى، ويجوز أن يراد بالمؤمن المشارف للإيمان. فهم مسلمون لما تأمرهم به"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٦-١١٧
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤١٩-٤٢٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٢):ص٩/٢٩٢١.
(٥) تفسير البيضاوي: ٤/٢١٠.
(٦) انظر: تفسير البيضاوي: ٤/٢١٠.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٦-١١٧
(٩) معاني القرآن: ٥/٢٧١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٣٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٤/١٩٠.
(١٢) تفسير البيضاوي: ٤/٢١٠.

عن ابن عباس، قوله: "{مسلمون}، يقول: موحدون"[١].

عن زهير بن محمد، قوله: "{مسلمون}، يقول: مخلصين"[٢].

فوائد الآيات:[٤٨-٥٣]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة والحجج العقلية.

٢- بيان كيفية إنشاء السحاب ونزول المطر وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم الإلهي.

٣- بيان حال الكافر في أيام الرخاء وأيام الشدة فهو في الشدة يقنط وفي الرخاء يكفر، وذلك لفساد قلبه بالجهل بالله تعالى وآياته.

٤- الاستدلال بالمحسوس الحاضر على المحسوس الغيبي.

٥- بيان أن الكفار أموات، ولذا هم لا يسمعون ولا يبصرون وأن المؤمنين أحياء لأنهم يسمعون ويبصرون، إذ الحياة لها آثارها في الجسم الحي والموت كذلك.

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)} [الروم : ٥٤]

التفسير:

الله تعالى هو الذي خلقكم من ماء ضعيف مهين، وهو النطفة، ثم جعل من بعد ضعف الطفولة قوة الرجولة، ثم جعل من بعد هذه القوة ضعف الكبر والهرم، يخلق الله ما يشاء من الضعف والقوة، وهو العليم بخلقه، القادر على كل شيء.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ} [الروم : ٥٤]، أي:" الله تعالى هو الذي خلقكم من ماء ضعيف مهين، وهو النطفة"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بالبعث من مشركي قريش، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك، وعلى ما يشاء: {الله الذي خلقكم} أيها الناس من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشرا سويا"[٤].

عن قتادة، قوله: "{الذي خلقكم من ضعف}، أي: من نطفة"[٥].

وقرئ:«ضُعْفٍ»، بضم الضاد[٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً} [الروم : ٥٤]، أي:" ثم جعل من بعد ضعف الطفولة قوة الرجولة"[٧].

قال الطبري:" يقول: ثم جعل لكم قوة على التصرف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة"[٨].

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} [الروم : ٥٤]، أي:" ثم جعل من بعد هذه القوة ضعف الكبر والهرم"[٩].

قال الطبري:" يقول: ثم أحدث لكم الضعف، بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم، وشيبة"[١٠].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٣):ص٢٠٢١/٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٥٨٤):ص٢٠٢١/٩.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٤) تفسير الطبري: ١١٨/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٨.
(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٩١/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٨) تفسير الطبري: ١١٨/٢٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٠.
(١٠) تفسير الطبري: ١١٨/٢٠.

عن قتادة:" {ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا} الهرم {وشيبة}: الشمط"[1].

قوله تعالى:{يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} [الروم : ٥٤]، أي:" يخلق الله ما يشاء من الضعف والقوة"[2].

قال الطبري:يقول:" يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب"[3].

قال ابن كثير:" أي : يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد"[4].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم : ٥٤]، أي:" وهو العليم بخلقه، القادر على كل شيء"[5].

قال الطبري: يقول:" {وهو العليم} بتدبير خلقه، {القدير} على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء"[6].

القرآن

{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)} [الروم : ٥٥]

التفسير:

ويوم تجيء القيامة ويبعث الله الخلق من قبورهم يقسم المشركون ما مكثوا في الدنيا غير فترة قصيرة من الزمن، كذبوا في قسمهم، كما كانوا يكذبون في الدنيا، وينكرون الحق الذي جاءت به الرسل.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [الروم : ٥٥]، أي:" ويوم تقوم القيامة ويُبعث الناس للحساب يحلف الكافرون المجرمون بأنهم ما مكثوا في الدنيا غير ساعة"[7].

قال الطبري: يقول:" ويوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم، يقسم المجرمون-وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام- بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة"[8].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان ، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا ، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة ، ومقصودهم هم بذلك عدم قيام الحجة عليهم"[9].

قال قتادة:" يعنون: في الدنيا، استقل القوم أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة"[10].

قال الزمخشري:" {الساعة}: القيامة، سميت بذلك لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو لأنها تقع بغتة وبديهة، كما تقول: «في ساعة» لمن تستعجله، وجرت علما لها كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة. وأرادوا: لبثهم في الدنيا، أو في القبور، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث. وفي الحديث: «ما بين فناء الدنيا إلى وقت البعث أربعون»[11] قالوا: لا نعلم أهى

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٨.

(٢) التفسير الميسر: ٤١٠.

(٣) تفسير الطبري: ١١٨/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٢٧/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٠.

(٦) تفسير الطبري: ١١٨/٢٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٤٤/٢.

(٨) تفسير الطبري: ١١٨/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥١٨):ص٣٠٩٤/٩.

(١١)لم أجده. وفي الصحيحين عن أبى هريرة مرفوعا «ما بين النفختين» أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون

أربعون سنة أم أربعون ألف سنة؟ وذلك وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم، وإنما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له. أو ينسون أو يكذبون أو يخمنون"(١).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ} [الروم : ٥٥]، أي:" كذبوا في قسمهم، كما كانوا يكذبون في الدنيا، وينكرون الحق الذي جاءت به الرسل"(٢).

قال الطبري: يقول: "كذلك في الدنيا كذبوا في قيلهم وقسمهم: ما لبثنا غير ساعة، كما كانوا في الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون"(٣).

قال الزمخشري:" أى: مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا، وهكذا كانوا يبنون أمرهم على خلاف الحق. أو مثل ذلك الإفك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن أنه ما كان إلا ساعة"(٤).

قال قتادة:" كذلك كانوا يكذبون في الدنيا"(٥).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)} [الروم : ٥٦]

التفسير:

وقال الذين أوتوا العلم والإيمان بالله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين: لقد مكثتم فيما كتب الله مما سبق في علمه من يوم خُلقتم إلى أن بُعثتم، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون، فأنكرتموه في الدنيا، وكذَّبتم به.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} [الروم : ٥٦]، أي:" وقال الذين أوتوا العلم والإيمان بالله من الملائكة والأنبياء والمؤمنين: لقد مكثتم فيما كتب الله مما سبق في علمه من يوم خُلقتم إلى أن بُعثتم"(٦).

قال ابن كثير:" أي : فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة ، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا ، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة : { لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ } أي : في كتاب الأعمال ، { إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ } أي : من يوم خلقتم إلى أن بعثتم"(٧).

عن قتادة:"{وقال الذين أوتوا العلم}، الآية. قال: هذا من مقاديم(٨) الكلام، وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم في كتاب الله: لقد لبثتم إلى يوم البعث"(٩).

وقال ابن جريج:" وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه"(١٠).

قال الزجاج:" أي: في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ"(١١).

قال الطبري:" قوله: {في كتاب الله} يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه"(١٢).

سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت قالوا: أربعون يوما؟ قال: أبيت».

(١) الكشاف: ٣/٤٨٦-٤٨٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤١٠.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/١١٨.

(٤) الكشاف: ٣/٤٨٧.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥١٨):ص٩/٣٠٩٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٣٢٨.

(٨) في رواية ابن ابي حاتم« تفاديهم».

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١١٩، وابن ابي حاتم(١٧٥١٨):ص٩/٣٠٩٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/١١٩.

(١١) معاني القرآن: ٤/١٩٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٩.

قال الربيع بن انس:" لبثوا في علم الله في البرزخ إلى يوم القيامة، لا يعلم متى علم وقت الساعة إلا الله، وفي ذلك أنزل الله: {وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ}[1] "[2].

قوله تعالى:{فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الروم : ٥٦]، أي:" فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون، فأنكرتموه في الدنيا، وكذَّبتم به"[3].

قال الطبري:" يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم، ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون، وأنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون"[4].

القرآن

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧)} [الروم : ٥٧]

التفسير:

فيوم القيامة لا ينفع الظالمين ما يقدمونه من أعذار، ولا يُطلب منهم إرضاء الله تعالى بالتوبة والطاعة، بل يُعاقبون بسيئاتهم ومعاصيهم.

قوله تعالى:{فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ} [الروم : ٥٧]، أي:" فيوم القيامة لا ينفع الظالمين ما يقدمونه من أعذار"[5].

قال الطبري: يقول: " فيوم يبعثون من قبورهم {لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم} يعني: المكذبين بالبعث في الدنيا {معذرتهم}، وهو قولهم: ما علمنا أنه يكون، ولا أنا نبعث"[6].

قال ابن كثير:" { فَيَوْمَئِذٍ } أي : يوم القيامة ، { لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ } أي : لا ينفعهم اعتذارهم عما فعلوا "[7].

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} [الروم : ٥٧]، أي:" ولا يُطلب منهم إرضاء الله تعالى بالتوبة والطاعة، بل يُعاقبون بسيئاتهم ومعاصيهم"[8].

قال الطبري: "يقول: ولا هؤلاء الظلمة يسترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به في الدنيا"[9].

قال ابن كثير:" أي : ولا هم يرجعون إلى الدنيا ، كما قال تعالى : { وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ } [فصلت : ٢٤] "[10].

فوائد الآيات:[٥٤-٥٧]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية التي لا ترد بحال.

٢- بيان أطوار خلق الإنسان من نطفة إلى شيخوخة وهرم.

٣- فضل العلم والإيمان وأهلهما.

٤- بيان أن معذرة الظالمين لا تقبل منهم، ولا يستعتبون فيرضون الله تعالى فيرضى عنهم.

القرآن

{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨)} [الروم : ٥٨]

---

(١)[الأنعام : ٢].

(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥١٩):ص٣٠٩٤/٩.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٠.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٩.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤١٠.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ١١٩.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.

التفسير:
ولقد بينَّا للناس في هذا القرآن مِن كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا، ولئن جئتهم -أيها الرسول- بأي حجة تدل على صدقك ليقولَنَّ الذين كفروا بك: ما أنتم -أيها الرسول وأتباعك- إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من الأمور.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الروم : ٥٨]، أي:" ولقد بينَّا للناس في هذا القرآن مِن كل مثل من أجل إقامة الحجة عليهم وإثبات وحدانية الله جل وعلا"(١).

قال الطبري: يقول:" ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم، وتنبيها لهم عن وحدانية الله"(٢).

قال ابن كثير:" أي : قد بينا لهم الحق ، ووضحناه لهم ، وضربنا لهم فيه الأمثال ليتبينوا الحق ويتبعوه "(٣).

قال القرطبي:" أي: من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه، وينبههم على التوحيد وصدق الرسل"(٤).

قوله تعالى:{وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ} [الروم : ٥٨]، أي:" ولئن جئتهم -أيها الرسول- بأي حجة تدل على صدقك ليقولَنَّ الذين كفروا بك: ما أنتم -أيها الرسول وأتباعك- إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من الأمور"(٥).

قال الطبري: يقول: "ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية، يقول: بدلالة على صدق ما تقول، يقول: ليقولن الذين جحدوا رسالتك، وأنكروا نبوتك، إن أنتم أيها المصدقون محمدا فيما أتاكم به إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور"(٦).

قال مقاتل:" ولئن جئتهم يا محمد بآية كما سأل كفار مكة، {ليقولن الذين كفروا} للنبي-ﷺ-: ما أنت يا محمد لا كذاب وما هذه الآية من الله- عز وجل-، كما كذبوا في انشقاق القمر حين قالوا: هذا سحر"(٧).

قال القرطبي:" {ولئن جئتهم بآية} أي: معجزة، كفلق البحر والعصا وغيرهما، {ليقولن الذين كفروا إن أنتم} يا معشر المؤمنين، {إلا مبطلون}، أي: تتبعون الباطل والسحر"(٨).

قال ابن كثير:" أي : لو رأوا أي آية كانت ، سواء كانت باقتراحهم أو غيره ، لا يؤمنون بها ، ويعتقدون أنها سحر وباطل ، كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه ، كما قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الألِيمَ } [يونس : ٩٦ ، ٩٧]"(٩).

القرآن

{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)} [الروم : ٥٩]

التفسير:
ومثل ذلك الختم يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به -أيها الرسول- من عند الله من هذه العبر والآيات البينات.

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٢) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.
(٤) تفسير القرطبي: ٤٩/١٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٦) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٣.
(٨) تفسير القرطبي: ٤٩/١٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.

قال الطبري: يقول: " كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العبر والعظات، والآيات البينات، فلا يفقهون عن الله حجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يترددون"(١).

قال مكي:" أي: كتم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله"(٢).

قال الواحدي:" أي: كالذي طبع على قلوبهم حتى لا يصدقون بآية يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله، فكل من لم يعلم توحيد الله فذلك لأجل طبع الله على قلبه"(٣).

قال ابن عطية:" أخبر تعالى أن هذا إنما هو من طبعه وختمه على قلوب الجهلة الذين قد حتم عليهم الكفر في الأزل"(٤).

قال القرطبي:" أي: كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك {يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون} أدلة التوحيد"(٥).

قال يحيى: {الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}" يعني: الذين يلقون الله بشركهم"(٦).

قال البغوي:" {لا يعلمون} توحيد الله"(٧).

القرآن

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)} [الروم : ٦٠]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على ما ينالك مِن أذى قومك وتكذيبهم لك، إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين وثواب حق لا شك فيه، ولا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء.

سبب النزول

قال مقاتل:" فلما أخبرهم الله- عز وجل- بالعذاب أنه نازل بهم في الدنيا كذبوه فأنزل الله- تبارك وتعالى- :{فاصبر} يا محمد على تكذيبهم إياك بالعذاب، يعزي نبيه- ﷺ- ليصبر فقال: {فاصبر إن وعد الله حق}، يعني: صدق بالعذاب أنه نازل بهم في الدنيا فقالوا للنبي- ﷺ-: عجل لنا العذاب في الدنيا إن كنت صادقا. هذا قول النضر بن الحارث القرشي من بني عبد الدار بن قصي، فأنزل الله- تعالى-: {ولا يستخفنك}، يعنى: ولا يستفزنك في تعجيل العذاب بهم الذين لا يوقنون بنزول العذاب عليهم في الدنيا، فعذبهم الله- عز وجل- ببدر حين قتلهم وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله أرواحهم إلى النار فهم يعرضون عليها كل يوم طرفي النهار ما دامت الدنيا، فقتل الله النضر بن الحارث ببدر وضرب عنقه علي بن أبي طالب- رضي الله عنه"(٨).

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ} [الروم : ٦٠]، أي:" فاصبر -أيها الرسول- على ما ينالك مِن أذى قومك وتكذيبهم لك"(٩).

قال الطبري: يقول: " فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلغهم رسالة ربك"(١٠).

---

(١) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٠.
(٢) الهداية غلى بلوغ النهاية: ٥٧٠٧/٩.
(٣) التفسير الوسيط: ٤٣٩/٣.
(٤) المحرر الوجيز: ٣٤٤/٤.
(٥) تفسير القرطبي: ٤٩/١٤.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٨/٢.
(٧) تفسير البغوي: ٢٧٩/٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٢١/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٠.
(١٠) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٠.

قال ابن كثير:" أي : اصبر على مخالفتهم وعنادهم "[١].

قال الزمخشري:أي:" على عداوتهم"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [الروم : ٦٠]، أي:" إن ما وعدك الله به من نصر وتمكين وثواب حق لا شك فيه"[٣].

قال الطبري: يقول: " فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتباعك في الأرض حق"[٤].

قال الزجاج:" أي: إن ما وعدك الله من النصر على عدوك حق، وإظهار دين الإسلام حق"[٥].

قال الزمخشري:أي:" بنصرتك وإظهار دينك على الدين كله حق لا بد من إنجازه والوفاء به"[٦].

قال ابن كثير:" فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك ، وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة "[٧].

قوله تعالى:{وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم : ٦٠]، أي:" ولا يستفزَّنَّك عن دينك الذين لا يوقنون بالميعاد، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء"[٨].

قال الطبري: يقول: ولا يستخفن حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته"[٩].

قال الزجاج:" أي: لا يستفزنك عن دينك الذين لا يوقنون، أي: هم ضلال شاكون"[١٠].

قال الزمخشري:أي:" ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فإنهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك"[١١].

قال يحيى:" وهم المشركون، لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك إليه من ترك دينك"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : بل اثبت على ما بعثك الله به ، فإنه الحق الذي لا مرية فيه ، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هُدَى يتبع ، بل الحق كله منحصر فيه "[١٣].

قال الواحدي:" يقال: استخف فلان فلانا إذا استجهله فحمله على اتباعه في غيه، والمفسرون يقولون: لا يستخفن رأيك وعلمك"[١٤].

قال السمعاني:" أي: لا يستهجلنك؛ فإن الخفة تؤدي إلى الجهل، ومعناه: لا يحملنك الذين لا يوقنون وأتباعهم في الغي، فأمره الله تعالى بالصبر على الحق وترك أتباعهم في الضلالات، وأن لا يصغي إلى أقوالهم"[١٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.
(٢) الكشاف: ٤٤٨/٣.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٤) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٠.
(٥) معاني القرآن: ١٩٢/٤.
(٦) الكشاف: ٤٤٨/٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٠.
(٩) تفسير الطبري: ١٢٠/٢٠.
(١٠) معاني القرآن: ١٩٢/٤.
(١١) الكشاف: ٤٤٨/٣.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٨/٢.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٢٨/٦.
(١٤) التفسير الوسيط: ٤٣٩/٣.
(١٥) تفسير السمعاني: ٢٢٤/٤.

قال القرطبي:" {الذين لا يوقنون} قيل: هو النضر بن الحارث. والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته"[(١)].

قال علي بن ربيعة:" نادى رجل من الخوارج عليا رضي الله عنه، وهو في صلاة الفجر، فقال: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الزمر : ٦٥]، فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة: { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ "[(٢)].

وقرئ«ولا يستخفنك» بتخفيف النون، وقرأ ابن أبى إسحاق ويعقوب: «ولا يستحقنك»، أى: لا يفتننك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين"[(٣)].

فوائد الآيات:[٥٨-٦٠]:

١- اعذار الله تعالى إلى الناس بما ساقه تعالى في كتابه من أدلة الإيمان وحجج الهدى.

٢- أسوأ أحوال الإنسان عندما يطبع على قلبه لكثرة ذنوبه فيصبح لا يفهم ولا يعقل شيئا وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم.

٣- وجوب الصبر والتزام الحلم والأناة مهما جهل الجاهلون.

«آخر تفسير سورة (الروم)، والحمد لله وحده»

---

(١) تفسير القرطبي: ٤٩/١٤.

(٢) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٠، وانظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٥٢٠):ص٣٠٩٥/٩، والدر المنثور: ٦/ ٥٠٠-٥٠٣

(٣) انظر: الكشاف: ٤٨٨/٣-٤٨٩.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «لقمان»

سورة «لقمان»: هي السورة «الواحدة والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «الصافات»[١]. عدد آياتها ثلاث وثلاثون عند الحجازيين، وأربع عند الباقين. وكلماتها خمسمائة وثمان وأربعون. وحروفها ألفان ومائة وعشر[٢].

المختلف فيها آيتان: {الم (١)} [لقمان : ١]، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [لقمان : ٣٢]، فواصل آياتها «ظن مرد» و«مد نظر»، على الدال منها آية واحدة: {غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان : ١٢]، وعلى الظاء آية: {عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤][٣].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة لقمان»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة لقمان»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، و سميت سورة لقمان لاشتمالها على قصته[٤].

قال المهايمي:" سميت به لاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى وصفاته، وذم الشرك والأمر بالاخلاق والأفعال الحميدة"[٥].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس[٦]، ومقاتل[٧]، ويحيى بن سلام[٨]، والزجاج[٩]، والثعلبي[١٠]، والواحدي[١١]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي:" هي مكية في قول الأكثرين"[١٢].

الثاني: أنها مكية إلا آية نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [لقمان : ٤]، لأن الصلاة والزكاة مدنيتان. وهذا قول الحسن[١٣].

الثالث: أن السورة مكية، سوى آيتين: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} [لقمان : ٢٧] إلى آخر الآيتين. وهذا قول عطاء[١٤].

الرابع: أنها مكية إلا الآيات:[٢٧ و ٢٨ و ٢٩][١٥] فمدنية. قاله ابن عباس –في رواية أخرى-[١]، وبه قال الزمخشري[٢].

---

(١) انظر: الكشاف:٤٨٩/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٠.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٠.
(٥) تفسير المهايمي: ١٤٣/٢.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٠٣، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣١/٣.
(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٩/٢.
(٩) انظر: معاني القرآن: ١٩٣/٤.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٩/٧.
(١١)انظر: التفسير الوسيط: ٤٤٠/٣ .
(١٢) زاد المسير: ٣/ ٤٢٩.
(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٢٩/٣. بدون سند.
(١٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٢٩/٣. بدون سند.
(١٥) وهي الآيات: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ

▪ **مناسبة سورة«لقمان» مع سورة «الروم»:**
تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه تعالى قال فى السورة السالفة: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الروم : ٥٨]، وأشار إلى ذلك فى مفتتح هذه السورة.
٢- إنه قال فى آخر ما قبلها: {وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُون} [الروم : ٥٨]، وقال فى هذه: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا} [لقمان : ٧].
٣- إنه قال فى السورة السابقة: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]، وقال هنا: « {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان : ٢٨]، ففى كلتيهما إفادة سهولة البعث.
٤- إنه ذكر هناك قوله: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} [الروم : ٣٣] ، وقال هنا: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان : ٣٢]، فذكر فى كل من الآيتين قسما لم يذكره فى الآخر(٣).

▪ **أغراض السورة ومقاصدها**
تضمنت سورة لقمان عدداً من المقاصد، نذكر منها التالي:

١- إثبات الحكمة للقرآن الكريم، اللازم منه حكمة منزّله سبحانه في أقواله وأفعاله. وقصة لقمان عليه السلام، المسمى بها السورة، دليل واضح على ذلك.
٢- صُدِّرت السورة بالتنويه بهدي القرآن؛ ليعلم الناس أنه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه، فكان صدر هذه السورة تمهيداً لقصة لقمان.
٣- تسفيه من يتخذ آيات الله هزواً، ويتبع كل ما كان ملهياً عن دين الله وطاعته.
٤- بيان قدرة الله في الخلق والإبداع، والإيجاد والإمداد.
٥- التنويه بذكر لقمان بأن آتاه الله الحكمة، وأمره بشكر النعمة. وذكر وصاياه وما اشتملت عليه: من التحذير من الإشراك، والأمر ببر الوالدين، ومراقبة الله؛ لأنه عليم بخفيات الأمور، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر، والتحذير من الكبر والعجب، والأمر بالاتسام بسمات المتواضعين في المشي والكلام.
٦- عالجت السورة قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، حقيقة توحيد الخالق وعبادته وحده، وشكر آلائه، واليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل، واتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات.
٧- ذكرت المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم، وكيف أعرضوا عن هديه، وتمسكوا بما ألفوا عليه آباءهم.
٨- بينت السورة مزية دين الإسلام، وأنه هو الدين الحق، من تمسك به فقد رشد وفاز، ومن أعرض عنه فقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً.
٩- تضمنت السورة تسلية للرسول الكريم ﷺ بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى، وأنه لا يحزنه كفر من كفروا.

فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)} [لقمان : ٢٧ - ٢٩].
(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٣ ٥٠٣، وعزاه إلى النحاس في تاريخه.
(٢) انظر: الكشاف: ٤٨٩/٣.
(٣) انظر: تفسير المراغي:٢٦/٢١.

١٠- الرد على المعارضين للقرآن في قوله سبحانه: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان : ٢٧]، وبيان امتداد علم الله سبحانه بلا نهاية، وانطلاق مشيئته في الخلق والإنشاء بلا حدود، وجَعْلُ هذا دليلاً كونيًّا على البعث والإعادة وعلى الخلق والإنشاء.

١١- بينت السورة أن قضية الجزاء في الآخرة مرتبطة بقضية الإيمان والكفر.

١٢- بيان طبيعة النفس الإنسانية؛ وأنه إذا داهمها الخطر لجأت إليه سبحانه؛ ثم إذا كشف الخطر عنها فمن تلك النفوس من يبقى مستمسكاً بما عاهد الله عليه، ومنهم من يرتد على عقيبه، ويجحد نعمة الله عليه.

١٣- بيان أهمية التقوى في حياة الإنسان، وأن الإنسان لا ينفعه يوم الحساب إلا ما قدمه من عمل صالح، ولا يغني عنه يوم الحساب عمل الآخرين، ولو كانوا أقرب الناس إليه.

١٤- خُتمت السورة بالتحذير من دعوة الشيطان، والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى"(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عمر-رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: " مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: {إن الله عنده علم الساعة} [لقمان: ٣٤] "(٢).
- عن البراء بن عازب، قال: "كان رسول الله ﷺ يصلي بنا الظهر، فنسمع منه الآية بعد الآيات، من سورة لقمان، والذاريات"(٣).
- عن أبي بن كعب، قال: قال لي رسول الله، ﷺ: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان شفيعا يوم القيامة، وأعطي من الحسنات عشرا، بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر»(٤).
- وعن الزهري -رضي الله تعالى عنه-:" أكثروا قر اءة سورة لقمان فإن فيها أعاجبب والله أعلم"(٥).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) موقع: [إسلام ويب].
(٢) صحيح البخاري(٤٧٧٨):ص١١٥/٦.
(٣) سنن ابن ماجة(٨٣٠):ص٢٧١/١، وسنن النسائي(٩٧١):ص١٦٣/٢. [حكم الألباني: ضعيف].
(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠٩/٧، والواحدي في التفسير الوسيط: ٤٤٠/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع.
(٥) حكاه عنه النسفي في التفسير: ٧٢٣/٢.

القرآن

{الم (١)} [لقمان : ١]

التفسير:

الله أعلم بمراده، والأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها دون سند شرعي، واليقين بأن الله أنزلها لحكمة قد لا نعلمها.

وقد اختلف أهل العلم في قوله تعالى:{الم (١)} [لقمان : ١]، وفواتح السور-بصورة عامة- على أقوال:

أحدها: معناه: أنا الله أعلم. قاله ابن عباس[١]. وروي عن سعيد بن جبير والضحاك نحو ذلك[٢].

الثاني: أنها أسماء لله تعالى. وهذا قول ابن عباس[٣]، وابن مسعود[٤] وسالم بن عبدالله[٥]، والشعبي[٦]، وروي عن السدي الكبير وعكرمة نحو ذلك[٧].

الثالث: أنه اسم من أسماء القرآن. قاله ابن أبي نجيح[٨]. وروي عن قتادة وزيد بن أنس نحو ذلك[٩].

الرابع: أنها أقسام أقسم الله بها: لإظهار شرفها وفضلها، ممن قال ذلك ابن عباس[١٠]، وعكرمة[١١]، والأخفش[١٢] والزركشي[١٣].

الخامس: أنها جاءت للدلالة على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر، ومعنى ذلك أنه افتتح بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت وأنه قد أخذ في أخرى، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما. وهذا قول مجاهد[١٤]، وأبي عبيدة[١٥]، والأخفش[١٦].

السادس: ما قاله ابو العالية، أن :" هذه الأحرف الثلاثة من التسعة والعشرين حرفا وأزت فيها الألسن كلها منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في الآية وبلا به، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم، وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه وسلم وعجب. فقال: وعجب أنهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به، فالألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف: إلا الله، واللام: لطف الله، والميم: مجد الله، فالألف: ستة، واللام: ثلاثون، والميم: أربعون"[١٧]. وروي، عن الربيع بن أنس نحو ذلك[١٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١١٩):ص٣٠٢٩/٩.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٠٢٩/٩. بدون سند.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٠):ص٣٠٢٩/٩.
(٤)عزاه إليه النسفي في التفسير: ١ /٣٩ .
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٢):ص٣٠٢٩/٩.
(٦) عزاه إليه الطبري في جامع البيان: ٦٧/١.
(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣/٤ ، وتفسير للقرطبي ٧٣/١١ ، وفتح القدير: ٤٢٤/٢.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٥):ص٣٠٣٠/٩.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٣٠٣٠/٩. بدون سند.
(١٠) انظر: عزاه إليه النسفي في تفسيره: ١ /٣٩.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٧):ص٣٠٣٠/٩.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٢٠/١
(١٣) انظر: البرهان: ١٧٣/١.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.
(١٥) انظر: مجاز القرآن:٢٨١/١.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٢١/١.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧١٢٤):ص٣٠٢٩/٩-٣٠٣٠.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ٩/ ٣٠٣٠. بدون سند.

السابع: أنها لبيان أعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها ويؤلفون منها كلامهم. وهذا قول الباقلاني[١]، والزمخشري[٢]، والفخر الرازي[٣]، وابن كثير[٤]، وسيد قطب[٥].
الثامن: أن هذه الأحرف أسماء للسور التي جاءت فيها، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز، فكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور عن غيرها[٦]، وهذا قول أبي بن كعب[٧]، واختيار سيبويه[٨]، وبه قال الزمخشري والبيضاوي ونسباه إلى أكثر العلماء[٩]، وبه قال الفخر الرازي وعزاه إلى أكثر المتكلمين والمحققين[١٠].
التاسع: أنها نزلت ليستغربها المشركون فيسمعون القرآن. قال به الرازي[١١] والزرقاني[١٢].
العاشر: أن هذه الحروف أمارة قد كان الله تعالى جعلها لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد - صلى الله عليه وسلم- كتاباً في أول سور منه حروف مقطعة[١٣].
الحادي عشر: أن هذه الحروف جاءت للدلالة على مدة بقاء هذه الأمة، وذلك بحساب الجمل - بضم الجيم وفتح الميم المشددة - ويُعْرَف بحساب «أبي جاد»[١٤].
والراجح –والله أعلم-أن هذه الحروف المقطعة لها معاني خاصة، سميت أسرارا وحكما أو غير ذلك، ومن رحمة الله تعالى بنا أنه لم يكلفنا بإدراكها، بل نؤمن بتنزيلها وكونها كلام الله تعالى، ونفوض له سبحانه العلم بحقيقة ما أراد من معانيها، دون أن نزيغ بها إلى معاني باطلة كما وقع لبعض الإشراقيين والفلاسفة الإسلاميين، ودون أن نسلبها معانيها في نفس الأمر بحيث يلزم من ذلك ثبوت كلام لله تعالى لا مدلول له في نفس الأمر، تعالى كلام ربنا عن ذلك. وهذا مرجع كلام الصحب الكرام رضوان الله تعالى عليهم[١٥].

القرآن

{تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢)} [لقمان : ٢]

التفسير:

هذه الآيات آيات القرآن ذي الحكمة البالغة.
قال الطبري: يقول:" هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا"[١٦].
قال الزجاج:" معناه هذه الآيات، تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة، ويجوز أن يكون بمعنى: هذه آيات الكتاب"[١٧].

---

(١) انظر: إعجاز القرآن:١/ ٦٨ – ٦٩.
(٢) انظر: الكشاف: ٩٥/١-٩٧.
(٣) انظر: التفسير الكبير: ٨/٢.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧/١-٣٨.
(٥) انظر: في ظلال القرآن، ٦ مج، دار الشروق (ط٩ / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م) (١ :٣٨) .
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/١ ، وتفسير ابن كثير: ٣٧/١ ، وإرشاد العقل السليم: ٢١/١ .
(٧) أخرجه الطبري : ٦٧/١ .
(٨) انظر: الكتاب: ٣٤/٢-٣٥.
(٩) انظر الكشاف ٧٢/١ ، وأنوار التنزيل ٨٦/١ و٨٧ .
(١٠) انظر مفاتيح الغيب ٢٥٢/٢ و ٢٥٤ .
(١١) انظر: التفسير الكبير: ٨/٢.
(١٢) انظر: مناهل العرفان: ٢٣٠/١.
(١٣) انظر المحرر الوجيز ٨٢/١ ، والبحر المحيط ١٥٧/١ ، والإتقان ٢٨/٣ .
(١٤) انظر تفسير الطبري ٦٨/١ ، والرازي ٢٥٣/٢ ، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٣٥/١ ، والبحر المحيط ١٥٦/١ ، والإتقان ٢٦/٣ .
(١٥) يقول الطبري: "هي حروف يشتمل كل حرف منها على معاني شتى مختلفة".(انظر: تفسيره: ٢٠٩/١).

(١٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٤.
(١٧) معاني القرآن: ١٩٣/٤.

قال القرطبي:" {الكتاب}: القرآن. و{الحكيم}: المحكم، أي: لا خلل فيه ولا تناقض. وقيل: ذو الحكمة، وقيل: الحاكم"[١].

قال السمعاني:" أي: المحكم بالحلال والحرام وذكر الأحكام، ويقال: بالوعد والوعيد، والثواب والعقاب. وقال بعضهم: الحكيم الذي يبين الحكمة، كالحكيم الذين ينطق بالحكمة"[٢].

قال السيوطي: فأما تسميته كتابا، فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه والكتاب لغة الجمع"[٣].

يقول محمد دراز:" وفي تسميته بهذين الاسمين[أي القرآن والكتاب] إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، يعني أنه يجب حفظه في الصدور و السطور جميعا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلا بعد جيل، على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.. وبهذا بقي القرآن محفوظا في حرز حريز، إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : ٩]"[٤].

القرآن

{هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣)} [لقمان : ٣]

التفسير:

هذه الآيات هدى ورحمة للذين أحسنوا العمل بما أنزل الله في القرآن، وما أمرهم به رسوله محمد ﷺ.

قال الطبري: يقول: " هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه"[٥].

قال ابن كثير:" جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين، وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة "[٦].

قال القرطبي:" المحسن: الذي يعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه. وقيل: هم المحسنون في الدين وهو الإسلام، قال الله تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} [النساء: ١٢٥] الآية"[٧].

قال السمعاني:" قوله: {للمحسنين} أي: للمسلمين، والمسلم محسن إلى نفسه، ويقال: المحسن هو الذي يحب للناس ما يحب لنفسه"[٨].

قال الشوكاني:" المحسن: العامل للحسنات، أو من يعبد الله كأنه يراه كما ثبت عنه ﷺ في الصحيح لما سأله جبريل عن الإحسان: فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٩]"[١٠].

---

(١) تفسير القرطبي: ٥٠/١٤.

(٢) تفسير السمعاني: ٢٢٥/٤.

(٣)الإتقان في علوم القرآن:١٤٣/١.

(٤)النبأ العظيم، د. محمد دراز :١٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦.

(٧) تفسير القرطبي: ٥٠/١٤.

(٨) تفسير السمعاني: ٢٢٥/٤.

(٩)حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٤٢٦/٢، رقم ٩٤٩٧) ، والبخارى (٢٧/١، رقم ٥٠) ، ومسلم (٣٩/١، رقم ٩) ، وابن ماجه (٢٥/١، رقم ٦٤) .
حديث أبى هريرة وأبى ذر: أخرجه النسائى (١٠١/٨، رقم ٤٩٩١).

(١٠) فتح القدير: ٢٩٦/٤.

قال الزجاج:" القراءة بالنصب على الحال، المعنى: تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة"[١].

وقرأ حمزة:«هدى ورحمة»، بالرفع[٢].

قال السيوطي:" قوله تعالى في البقرة: {هُدًى لِلْمُتَّقِين} [البقرة : ٢]، وفي لقمان: {هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ}، لأنه لما ذكر هنا مجموع الإيمان ناسب «المتقين»، ولما ذكر ثم الرحمة ناسب «المحسنين»"[٣].

القرآن

{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)} [لقمان : ٤]

التفسير:

الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقيها، وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} [لقمان : ٤]، أي:" الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها ويؤتون"[٤].

قال الطبري: " يقول: الذين يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها"[٥].

قال ابن كثير:" أقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها ، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة"[٦].

وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} [لقمان : ٤]، قولان:

أحدهما : يؤدونها بفروضها. قاله ابن عباس[٧].

الثاني : أنه إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع فيها ، قاله قتادة[٨]، ومقاتل بن حيان[٩]، وحكي عن ابن عباس مثل ذلك[١٠].

وفي أصل «الصلاة»، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها :الدُّعاءُ ، كما قال الأعشى[١١]:

لَهَا حَارِسٌ لا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا   وَإِنْ ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا

يعني بذلك : دعا لها

قال الطبري: " وأرى أن الصلاة المفروضة سُمِّيت «صلاة»، لأنّ المصلِّي متعرِّض لاستنجاح طَلِبتَه من ثواب الله بعمله ، مع ما يسأل رَبَّه من حاجاته ، تعرُّضَ الداعي بدعائه ربَّه استنجاحَ حاجاته وسؤلَهُ"[١٢].

الثاني: أنها من «الرحمة». قاله أبو عبيدة[١٣]، وأنسد قول الأعشى[١]:

---

(١) معاني القرآن: ١٩٣/٤.
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٥٠/١٤.
(٣) الغتقان في علوم القرآن:٣٩١/٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤١١.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦.
(٧) أنظر: تفسير الطبري(٢٨٢):ص٢٤١/١.
(٨) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٥):ص٣٧/١.
(٩) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٦):ص٣٧/١.
(١٠) أنظر: تفسير الطبري(٢٨٣):ص٢٤١/١-٢٤٢.
(١١)ديوانه : ٢٠٠ ، يذكر الخمر في دنها . وزمزم العلج من الفرس : إذا تكلف الكلام عند الأكل وهو مطبق فمه بصوت خفي لا يكاد يفهم . وفعلهم ذلك هو الزمزمة . " ذبحت " أي بزلت وأزيل ختمها . وعندئذ يدعو مخافة أن تكون فاسدة ، فيخسر .
(١٢) تفسير الطبري: ٢٤٣/١.
(١٣) انظر: مجاز القرآن: ٦١-٦٢.

تقولُ بنتي وقد قَرّبْتُ مُرْتَحِلًا يا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأوصابَ والوجعا
عليكِ مِثْلُ الذي صلَّيتِ فاغتمضي نومًا فإنّ لجنب المرء مضطجَعا

قال: عليك مثل دعائك، أي: ينالك من الخير مثل الذي أردت لي. فأبو عبيدة يجعل صليت بمعنى: ترحمت(٢).

والقولان: الأول والثاني: قريبان من البعض، " لأن المترحم على الإنسان داعٍ له، والداعي للإنسان مترحّم عليه"(٣).

الثالث: أنها : مأخوذة من :«الصّلا»، وهو عرق في وسط الظهر، ويفترق عند العجب فيكتنفه، ومنه أخذ المصلي في سبق الخيل، لأنه يأتي مع صلوي السابق، فاشتقّت الصلاة منه، إما لأنها جاءت ثانية للإيمان فشبهت بالمصلّي من الخيل، وإما لأن الراكع والساجد صلواه"(٤).

قال ابن عطية:" والقول إنها من الدعاء أحسن(٥).

قوله تعالى:{وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [لقمان : ٤]، أي:" ويؤتون الزكاة المفروضة عليهم لمستحقيها"(٦).

قال الطبري: يقول: "{ويؤتون الزكاة} من جعلها الله له المفروضة في أموالهم"(٧).

قال ابن كثير:" آتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها"(٨).

واختلف في أصل «الزَّكاة»، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مأخوذة من: زكا الشيء، إذا نما وزاد، قال الراغب: أصل الزكاة: النمو الحاصل عن بركة الله تعالى(٩).

قال ابن عطية: "وسمي الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه، من حيث ينمو بالبركة أو بالأجر الذي يثيب الله به المزكي"(١٠).

الثاني: أنها مأخوذة من: التطهير، كما يقال زكا فلان أي طهر من دنس الجرحة أو الاغفال(١١).

قال ابن عطية: فكأن الخارج من المال يطهره من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين، ألا ترى أن النبي ﷺ سمى في الموطأ ما يخرج في الزكاة أوساخ الناس(١٢)"(١).

---

(١)ديوانه: ١٠٦، وانظر: الخزانة: ١/ ٣٥٩، ومراتب النحويين: ١٩٤.
(٢) انظر: التفسير البسيط: ٤٣١/٣.
(٣) التفسير البسيط: ٤٣١/٣.
(٤) المحرر الوجيز: ٨٥/١.
(٥) المحرر الوجيز: ٨٥/١.
(٦) التفسير الميسر: ٤١١.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦.
(٩) المفردات في غريب القرآن ص: ٢١٣ والمعجم الوسيط ص: ٣٩٨.
(١٠) المحرر الوجيز: ١٣٦/١.
(١١) انظر: تهذيب اللغة (زكا) ٢/ ١٥٤٢، واللسان:(زكا) ٣/ ١٨٤٩، والمصباح ج١ ص: ٢٧٢ والمختار من صحاح اللغة ص ٢١٨ والمطلع على أبواب المقنع ص: ٢٢٢ والروض المربع ج ١ ص: ١٠٧ والمجموع شرح المهذب ج٥ ص: ٢٩١، والمحرر الوجيز: ١٣٦/١.
(١٢) رواه مسلم(١٠٧٢)، ولفظه:""إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس".
وإنما كانت الزكاة أوساخ الناس؛ لأن الناس يتطهرون بإخراجها، كما قال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ} [التوبة: ١٠٣]، وليس لها علاقة بمستحقي الزكاة، بل هي مال طيب حلال بالنسبة لهم، لكن إخراجها تطييب وتطهير لما يمكن أن يشوب صاحبها أو عمله أو ماله من سوء، فلذلك منع منها النبي ﷺ آل محمد، لكن ليس هذا فيه إزراء بالناس، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، يمنع آل النبي ﷺ من أخذها صيانة لهم عن أن يقبلوا ما تطهر به الناس، وهذه مرتبة عليا، لكن هذا لا يعني أن من يأخذ الزكاة بحق فهو ناقص، فقد جعل الله من مصارف الزكاة الجهاد في سبيل الله، وهو من أفضل الأعمال، ومن مصارفها الغارم للإصلاح بين الناس ولو كان غنيًا، وهو من خير الأعمال، قال الله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ

قال الطبري:" لأنها تطهيرٌ لما بقي من مال الرجل ، وتخليص له من أن تكون فيه مَظْلمة لأهل السُّهمان[2]، كما قال جل ثناؤه مخبرًا عن نبيه موسى صلوات الله عليه : {أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً} [سورة الكهف : ٧٤] ، يعني بريئة من الذنوب طاهرة. وكما يقال للرجل : هو عدل زَكِيٌّ - لذلك المعنى، وهذا الوجه أعجب إليّ - في تأويل زكاة المال - من الوجه الأوّل ، وإن كان الأوّل مقبولا في تأويلها"[3].

وقال ابن الأثير: وأصل الزكاة في اللغة: الطهارة والنماء والبركة والمدح فالزكاة طهرة للأموال وزكاة الفطر طهرة للأبدان[4].

الثالث: أنها من : زكا الفَرْدُ، إذا صارَ زَوْجًا، بزيادة الزائد عليه حتى صار به شفْعًا.

قال الواحدي: "والعرب تقول للفرد: خسا، وللزوجين اثنين: زكا، قيل لهما: زكا، لأن الاثنين أكثر من الواحد"[5]، ثم استشهد بقول الشاعر[6]:

إذا نَحْنُ في تِعْدَادِ خَصْلِكَ لَمْ نَقُلْ خَسَا وَزَكا أَعْيَيْن مِنَّا المُعَدِّدَا

ومنه قول الشاعر[7]:

كَانُوا خَسًا أو زَكًا مِنْ دُونِ أَرْبَعَةٍ لَمْ يُخْلَقُوا، وَجُدُودُ النَّاسِ تَعْتَلِجُ

وقال آخر[8] :

فَلا خَسًا عَدِيدُهُ وَلا زَكا كَمَا شِرَارُ الْبَقْلِ أَطْرَافُ السَّفَا

و«السفا» شوك البُهْمَى، والبُهْمى الذي يكون مُدَوَّرًا في السُّلاء، ويعني بقوله: «ولا زكا»، لم يُصَيِّرْهم شَفعًا من وَترٍ، بحدوثه فيهم[9].

قال الواحدي: "والأظهر أن أصلها من الزيادة"[10]، ثم استشهد بقول النابغة[11]:

وَمَا أَخَّرْتَ مِنْ دُنْيَاكَ نَقْصٌ وَإِن قَدَّمْتَ عَادَ لَكَ الزَّكاءُ

أراد بالزكاء: الزيادة[12].

والزكاة شرعًا: حق واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص[13].

قال الشوكاني:" وخص هذه العبادات الثلاث، لأنها عمدة العبادات"[14].

إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا{، والمقصود أنه ليس صحيحًا أن إعطاء الزكاة لمن يستحقها تنقص له، ومن فهم بهذا المعنى فإنه لم يفهم مراد النبي ﷺ، والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز: ١٣٦/١.

(٢)السهمان جمع سهم ، كالسهام : وهو النصيب والحظ .

(٣) تفسير الطبري: ٥٧٤/١.

(٤) النهاية في غريب الحديث ج ٢ ص: ٣٠٧.

(٥) التفسير البسيط: ٤٤٥/١-٤٤٦.

(٦) البيت في "الزاهر" ٢/ ١٨٧، وفي شعر الكميت جمع دواد سلوم ١/ ١٦٢، وفيه: (إذا نحن في تكرار وصفك ...).

(٧)اللسان (خسا) ، وفيه : " الفراء : العرب تقول للزوج زكا ، وللفرد خسا . . . قال ، وأنشدتني الدبيرية . . . " وأنشد البيت . وتعتلج : تصطرع ويمارس بعضها بعضا .

(٨) الرجل من بني سعد، ثم أحد بني الحارث في عمرو بن كعب بن سعد، وهذا الرجز في خبر للأغلب العجلي، (طبقات فحول الشعراء : ٥٧٢ / ومعجم الشعراء : ٤٩٠ / والأغاني ١٨ : ١٦٤) ورواية الطبقات والأغاني : " كما شرار الرعى " . والرعى (بكسر فسكون) : الكلأ نفسه ، والمرعى أيضًا . والسفا : شوط البهمي والسنبل وكل شيء له شوك . يقول : أنت في قومك كالسفا في البهمي ، هو شرها وأخبثها . والبيت الأول زيادة ليست في المراجع المذكورة .

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/١.

(١٠) التفسير البسيط: ٤٤٥/٢.

(١١)ورد البيت في "الزاهر" ٢/ ١٨٧، "شمس العلوم" ٢/ ٢٢٣.

(١٢)أنظر: التفسير البسيط: ٤٤٥/٢.

(١٣) الإقناع في فقه الإمام ابن حنبل ج ١ ص: ٢٤٢.

(١٤) فتح القدير: ٢٩٦/٤.

قوله تعالى:{وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} [لقمان : ٤]، أي:" وهم بالبعث والجزاء في الدار الآخرة يوقنون"[١].

قال الطبري:" يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون"[٢].

قال ابن كثير:" أيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة ، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك ، لم يراؤوا به ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكورا"[٣].

القرآن

{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)} [لقمان : ٥]

التفسير:

أولئك المتصفون بالصفات السابقة على بيان مِن ربهم ونور، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ} [لقمان : ٥]، أي:" أولئك المتصفون بالصفات السابقة على بيان مِن ربهم ونور"[٤].

قال الطبري:يقول:" هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور"[٥].

قال الشوكاني: المعنى: "أن أولئك المتصفين بالإحسان، وفعل تلك الطاعات التي هي أمهات العبادات هم على طريقة الهدى"[٦].

قال ابن كثير:" فَمَنْ فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى : { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ } أي : على بصيرة وبينة ومنهج واضح وجلي"[٧].

قال ابن عباس: " أي على نور من ربهم ، واستقامة على ما جاءهم"[٨].

وقال سعيد بن جبير:أي: " على بينة من ربهم"[٩].

قال قتادة:" قوم استحقوا الهدى والفلاح بحق، فأحقه الله لهم، وهذا نعت أهل الإيمان"[١٠].

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [لقمان : ٥]، أي:" وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة"[١١].

قال الطبري:" يقول: وهؤلاء هم المنجحون المدركون ما رجوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : في الدنيا والآخرة "[١٣].

قال الثعلبي:" وهم الناجون الفائزون فازوا بالجنّة ونجوا من النار"[١٤].

قال الشوكاني: " هم الفائزون بمطالبهم الظافرون بخيري الدارين"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤١١.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٤.
(٦) فتح القدير: ٢٩٦/٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦.
(٨) أخرجه الطبري(٢٩٣):ص٢٤٩/١-٢٥٠، وابن أبي حاتم(٨٤):ص٣٩/١.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥):ص٣٩/١.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠):ص٤٠/١.
(١١) التفسير الميسر: ٤١١.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦.
(١٤) تفسير الثعلبي: ١٤٩/١.

قال البغوي: أي: فهم الناجون والفائزون، فازوا بالجنة ونجوا من النار، ويكون الفلاح بمعنى البقاء أي باقون في النعيم المقيم[٢].
قال البيضاوي:" لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح"[٣].
قال السمعاني:" أي: السعداء، ويقال: الناجون، وقيل: هم الذين أدركوا ما أملوا، ونجوا مما عنه هربوا"[٤].
قال ابن عباس:" أي: الذين أدْركوا ما طلبوا ، ونجَوْا من شرّ ما منه هَرَبُوا"[٥].
قال ابن عثيمين:" «الفلاح» هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب؛ فهي كلمة جامعة لانتفاء جميع الشرور، وحصول جميع الخير"[٦].
قال الزمخشري:" وفي تكرير {أولئك} تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى ، فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها"[٧].
فوائد الآيات:[١-٥]:
١- بيان إعجاز القرآن حيث ألف من مثل آلم، وص، وطس، ولم يستطع خصومه تحديه.
٢- بيان معنى الحكيم وفضل الحكمة.
٣- بيان أن القرآن بيان للهدى المنجي المسعد ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه.
٤- فضل الصلاة والزكاة واليقين.
٥- بيان مبنى الدين: وهو الإيمان والإسلام والإحسان.

القرآن
{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦)} [لقمان : ٦]
التفسير:
ومن الناس مَن يشتري لَهْو الحديث -وهو كل ما يُلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته- ليضلَّ الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى، ويتخذ آيات الله سخرية، أولئك لهم عذاب يهينهم ويخزيهم.
في سبب نزول الآية قولان:
أحدهما: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن، فنزلت فيه هذه الآية. قاله الكلبي[٨]، ومقاتل[٩].
الثاني: عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ، قال: "لا تبيعوا القينات، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام، في مثل هذا أنزلت هذه الآية: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} إلى آخر الآية"[١٠].

---

(١) فتح القدير: ٢٩٦/٤-٢٩٧.
(٢) تفسير البغوي: ٦٣/١.
(٣) تفسير البيضاوي: ٢١٢/٤.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٢٥/٤.
(٥) أخرجه الطبري (٢٩٤):ص ٢٥٠/١، وابن أبي حاتم(٨٨):ص٣٩/١.
(٦) تفسير الطبري: ٣٢/١.
(٧) الكشاف: ٤٥/١.
(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في أسباب النزول: ٣٥٦، والكلبي متهم بالكذب.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٢٣/٤.
(١٠)أخرجه الترمذي في البيوع (١٢٨٢) وقال: "حديث أبي أمامة إنما نعرفه مثل هذا من هذا الوجه، وقد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه وهو شامي". وأخرجه في التفسير (٣١٩٥) وقال: "هذا حديث غريب

وقال مجاهد: "نزلت في شراء القيان والمغنيات"[(١)].

وقال الحسن:" نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث في الغناء والمزامير"[(٢)].

وقال ابن عباس: "نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية تغنيه ليلا ونهارا"[(٣)].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} [لقمان : ٦]، أي:" ومن الناس مَن يشتري لَهْو الحديث -وهو كل ما يُلهي عن طاعة الله ويصد عن مرضاته-"[(٤)].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى حال السعداء ، وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه ، كما قال الله تعالى:{ اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الزمر : ٢٣] ، عطف بذكر حال الأشقياء ، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله ، وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب"[(٥)].

وفي قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ} [لقمان : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : شراء المغنيات لرواية القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي[(٦)].
الثاني : الغناء ، قاله ابن مسعود[(٧)]، وابن عباس[(٨)]، وابن عمر[(٩)]، وجابر[(١٠)]، والحسن[(١١)]، ومجاهد[(١٢)]، وعكرمة[(١٣)]، وسفيان[(١٤)]، وميمون بن مهران[(١٥)]، ومكحول[(١٦)].

إنما يروى من حديث القاسم عن أبي أمامة والقاسم ثقة وعلي بن يزيد يضعف في الحديث، قال: سمعت محمدا يقول: القاسم ثقة وعلي بن يزيد يضعف".
وأخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات (٢١٦٨)، ولم يذكر في الإسناد علي بن يزيد ولا القاسم.
وأخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٢)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢١٢، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤) والبيهقي في السنن (٦/ ١٥)، والطبري في التفسير: ١٢٦/٢٠، وابن أبي حاتم(١٧٥٢٣):ص٣٠٩٦/٩.
وذكره الهيثمي في المجمع (٨/ ١٢١) وقال: رواه الطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ١٩٨) وأخرجه ابن جرير (٢١/ ٣٩) .
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥/ ١٥٩) لسعيد بن منصور وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في أسباب النزول: ٣٥٦،[مرسل].
وروي ع مجاهد، قال:"هو اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير، والاستماع إليهم، وإلى مثله من الباطل». بدون كلمة «نزلت». [تفسير مجاهد: ٥٤١].

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٢٦):ص٣٠٩٦/٩.

(٣)
في سنده ثوير بن أبي فاختة: وهو ضعيف. [تقريب ١/ ١٢١] .
وقال سفيان الثوري: كان ثوير بن أبي فاختة من أركان الكذب [المجروحين ١/ ٢٠٥].

(٤) التفسير الميسر: ٤١١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٠/٦.

(٦) سبق تخريجه في سبب نزول الآية.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٠-١٢٨.

(٩)عزاه غليه النحاس في معاني القرآن: ٢٧٨/٥. بدون سند.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢٠.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٥٢٦):ص٣٠٩٦/٩. وقال:" الغناء والمزامير".

(١٢) انظر: تفسير سفيان الثوري(٧٦٧: ٢: ٥):ص٢٣٨، وتفسير الطبري: ١٢٨/٢٠-١٢٩.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٩.

(١٤) انظر: تفسير سفيان الثوري(٧٦٦: ١: ٤):ص٢٣٨.

(١٥)عزاه غليه النحاس في معاني القرآن: ٢٧٨/٥. بدون سند.

(١٦)عزاه غليه النحاس في معاني القرآن: ٢٧٨/٥. بدون سند.

عن أبي الصهباء البكري: "أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية: {ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم}، فقال عبد الله: الغناء، والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات"[١].

قال ابن عباس:" هو الغناء والاستماع له"[٢].

وقال ابن عباس:" باطل الحديث: هو الغناء ونحوه"[٣].

قال مجاهد:" هو الغناء، وكل لعب لهو"[٤].

وقال مجاهد:" الغناء والاستماع له وكل لهو"[٥].

قال مجاهد:" المغني والمغنية بالمال الكثير، أو استماع إليه، أو إلى مثله من الباطل"[٦].

الباطل"[٦].

الثالث : أنه الطبل ، قاله مجاهد-في رواية-[٧].

الرابع : أنه الغناء والباطل، قاله عطاء[٨].

الخامس : أنه الشرك بالله ، قاله الضحاك[٩]، وابن زيد[١٠].

قال ابن زيد:" هؤلاء أهل الكفر، ألا ترى إلى قوله: {وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا}، فليس هكذا أهل الإسلام، قال: وناس يقولون: هي فيكم وليس كذلك، قال: وهو الحديث الباطل الذي كانوا يلغون فيه"[١١].

السادس : ما ألهى عن الله سبحانه ، قال الحسن[١٢].

السابع : أنه الجدال في الدين والخوض في الباطل ، قاله سهل بن عبد الله[١٣].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عم بقوله: {لهو الحديث} ولم يخصص بعضا دون بعض، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك"[١٤].

قال الزجاج:" أكثر ما جاء في التفسير أن {لهو الحديث} –ههنا-: الغناء، لأنه يلهي عن ذكر الله"[١٥].

قال ابن الجوزي:" وإنما قيل لهذه الأشياء: لهو الحديث، لأنها تلهي عن ذكر الله تعالى."[١٦].

قوله تعالى:{لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [لقمان : ٦]، أي:" ليضلَّ الناس عن طريق الهدى إلى طريق الهوى"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٢٧.
(٢) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٩.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٥٢٥):ص٣٠٩٦/٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٢٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٠.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٢٨/٤، وزاد المسير: ٤٣٠/٣.[مرسل]
(١٣) انظر: تفسير التستري:١٢٣.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٠.
(١٥) معني القرآن: ١٩٤/٤.
(١٦) زاد المسير: ٤٣٠/٣.
(١٧) التفسير الميسر: ٤١١.

قال الطبري:" يقول: ليصد ذلك الذي يشتري من لهو الحديث عن دين الله وطاعته، وما يقرب إليه من قراءة قرآن وذكر الله، جهلا منه بما له في العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه"[١].

قال ابن كثير:" أي : إنما يصنع هذا للتخالف للإسلام وأهله "[٢].

قال ابن عباس:" {سبيل الله}: قراءة القرآن، وذكر الله إذا ذكره، وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية"[٣].

وقرئ:« لِيَضِلَّ»، بفتح الياء[٤].

قال ابن كثير: " وعلى قراءة فتح الياء تكون اللام لام العاقبة ، أو تعليلا للأمر القدري ، أي : قُيضوا لذلك ليكونوا كذلك"[٥].

قوله تعالى:{وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} [لقمان : ٦]، أي:" ويتخذ آيات الله سخرية"[٦].

قال الطبري:" ويتخذ آيات الله هزوا"[٧].

عن مجاهد، قوله:"{ويتخذها هزوا}، قال: {سبيل الله}، يتخذ السبيل هزوا"[٨].

عن قتادة، قوله: "{ويتخذها هزوا}، قال: يستهزئ بها ويكذبها"[٩]. أي: ويتخذ آيات الله هزوا[١٠].

قال ابن كثير:" وقول مجاهد أولى"[١١].

قال قتادة:" بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضر على ما ينفع"[١٢].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [لقمان : ٦]، أي:" أولئك لهم عذاب يهينهم ويخزيهم"[١٣].

قال الطبري: يقول:" هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله. لهم يوم القيامة عذاب مذل مخز في نار جهنم"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : كما استهانوا بآيات الله وسبيله ، أهينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر "[١٥].

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)}[لقمان : ٧]

التفسير:

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٣١/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٠.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣١/٦.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣١/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤١١.
(٧) تفسير الطبري: ١٣٠/٢٠.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٢٢):ص٣٠٩٦/٩، والطبري: ٢٠/ ١٣١. باختصار.
(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٢١):ص٣٠٩٦/٩.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٣١/٦.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٣١/٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣١.
(١٣) التفسير الميسر: ٤١١.
(١٤) تفسير الطبري: ١٣١/٢٠.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٣١/٦.

وإذا تتلى عليه آيات القرآن أعرض عن طاعة الله، وتكبَّر غير معتبر، كأنه لم يسمع شيئًا، كأَنَّ في أذنيه صممًا، ومَن هذه حاله فبشِّره -أيها الرسول- بعذاب مؤلم موجع في النار يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا}[لقمان : ٧]، أي:" وإذا تتلى عليه آيات القرآن، أعرض وأدبر متكبراً عنها كأنه لم يسمعها"(١).

قال الطبري: يقول:" وإذا تتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله آيات كتاب الله، فقرئت عليه، أدبر عنها، واستكبر استكبارا، وأعرض عن سماع الحق والإجابة عنه {كأن لم يسمعها}"(٢).

قال الصابوني:أي:" شأن المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام، ويجعل نفسه كأنها غافلة"(٣).

قال ابن كثير:" أي: هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب ، إذا تليت عليه الآيات القرآنية ، ولى عنها وأعرض وأدبر .. كأنه ما يسمعها ؛ لأنه يتأذى بسماعها ، إذ لا انتفاع له بها ، ولا أرَبَ له فيها"(٤).

قوله تعالى:{كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا}[لقمان : ٧]، أي:" كأن في أذنيه ثقلاً وصمماً يمنعانه عن استماع آيات الله"(٥).

قال الطبري:" يقول: ثقلا فلا يطيق من أجله سماعه"(٦).

قال ابن كثير:" أي: وتَصَامّ وما به من صَمَم"(٧).

عن مجاهد، قوله: "{في أذنيه وقرا}، قال: ثقلا"(٨).

قوله تعالى:{فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[لقمان : ٧]، أي:" فبشِّره -أيها الرسول- بعذاب مؤلم موجع في النار يوم القيامة"(٩).

قال الطبري: يقول:" فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة موجع، وذلك عذاب النار"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة يؤلمه ، كما تألم بسماع كتاب الله وآياته "(١١).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨)}[لقمان : ٨]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات التي أُمروا بها، أولئك لهم نعيم مقيم في الجنات.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[لقمان : ٨]، أي:" إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات التي أُمروا بها"(١٢).

قال الطبري: يقول:" {إن الذين آمنوا} بالله فوحدوه، وصدقوا رسوله واتبعوه، فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه"(١٣).

---

(١) انظر: التفسير الميسر: ٤١١، وصفوة التفاسير: ٤٤٨/٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٣١/٢٠.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٤٨/٢.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤١١.
(٦) تفسير الطبري: ١٣١/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤١١.
(١٠) تفسير الطبري: ١٣١/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(١٢) التفسير الميسر: ٤١١.
(١٣) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٠.

قال ابن كثير:" هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء في الدار الآخرة، الذين آمنوا بالله وصَدّقوا المرسلين ، وعملوا الأعمال الصالحة المتابعة لشريعة الله "[١].

قوله تعالى:{لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ}[لقمان : ٨]، أي:" أولئك لهم نعيم مقيم في الجنات"[٢].

قال الطبري: " يقول: لهؤلاء بساتين النعيم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسارّ ، من المآكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والمراكب والنساء ، والنضرة والسماع الذي لم يخطر ببال أحد"[٤].

عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: جنات النعيم بين جنات الفردوس، وبين جنات عدن وفيها جوار من ورد الجنة. قيل: ومن يسكنه؟ قال: الذين هموا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني، والذين انثنت أصلابهم في خشيتي"[٥].

القرآن

{خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)}[لقمان : ٩]

التفسير:

وحياتهم في تلك الجنات حياة أبديةٌ لا تنقطع ولا تزول، وعدهم الله بذلك وعدًا حقًا. وهو سبحانه لا يُخلف وعده، وهو العزيز في أمره، الحكيم في تدبيره.

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا}[لقمان : ٩]، أي:" وحياتهم في تلك الجنات حياة أبديةٌ لا تنقطع ولا تزول"[٦].

قال الطبري: " يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية"[٧].

قال ابن كثير:" أي : وهم في ذلك مقيمون دائما فيها ، لا يظعنون ، ولا يبغون عنها حولا"[٨].

قوله تعالى:{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا}[لقمان : ٩]، أي:" وعداً من الله قاطعاً، كائناً لا محالة، لا خلف فيه لأنه الله لا يخلف الميعاد"[٩].

قال الطبري: " يقول: وعدهم الله وعدا حقا، لا شك فيه ولا خلف له"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : هذا كائن لا محالة ؛ لأنه من وعد الله ، والله لا يخلف الميعاد ؛ لأنه الكريم المنان ، الفعال لما يشاء ، القادر على كل شيء"[١١].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[لقمان : ٩]، أي:" وهو العزيز في أمره، الحكيم في تدبيره"[١٢].

قال الطبري: " يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادين عن سبيله، {الحكيم} في تدبير خلقه"[١٣].

قال ابن كثير:" { وَهُوَ الْعَزِيزُ } ، الذي قد قهر كل شيء ، ودان له كل شيء ، { الْحَكِيمُ} ، في أقواله وأفعاله ، الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين، { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(٢) التفسير الميسر: ٤١١.
(٣) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٢٧):ص٣٠٩٦/٩-٣٠٩٧.
(٦) التفسير الميسر: ٤١١.
(٧) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٤٨/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(١٢) التفسير الميسر: ٤١١.
(١٣) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٠.

وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى } [فصلت : ٤٤] ، { وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا } [الإسراء : ٨٢]"[١].

القرآن

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)}[لقمان : ١٠]

التفسير:

خلق الله السموات، ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها، وألقى في الأرض جبالا ثابتة؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم، ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأنزلنا من السحاب مطرًا، فأنبتنا به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر.

قوله تعالى:{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}[لقمان : ١٠]، أي:" خلق الله السموات، ورفعها بغير عمد كما تشاهدونها"[٢].

قال الطبري: يقول:" ومن حكمته أنه {خلق السموات} السبع {بغير عمد ترونها}"[٣].

قال ابن كثير:" يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض ، وما فيهما وما بينهما "[٤].

عن ابن عباس: "{بغير عمد ترونها}، قال: لعلها بعمد لا ترونها"[٥].

وقال ابن عباس:" لها عمد لا ترونها"[٦].

وعن مجاهد قال: "إنها بعمد لا ترونها"[٧].

وقال عكرمة:" ترونها بغير عمد، وهي بعمد"[٨].

وقال الحسن وقتادة: إنها بغير عمد ترونها، ليس لها عمد"[٩].

قوله تعالى:{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}[لقمان : ١٠]، أي:" وألقى في الأرض جبالا ثابتة؛ لئلا تضطرب وتتحرك فتفسد حياتكم"[١٠].

قال الطبري: "يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي، -وهي ثوابت الجبال- أن لا تضطرب بكم، ولا تتحرك يمنة ولا يسرة، ولكن تستقر بكم، ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا"[١١].

قال ابن كثير:" يعني : الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ؛ ولهذا قال : { أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ } أي : لئلا تميد بكم "[١٢].

عن قتادة: "{وألقى في الأرض رواسي}، أي: جبالا، {أن تميد بكم}، أثبتها بالجبال"[١٣].

قوله تعالى:{وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ}[لقمان : ١٠]، أي:" ونشر في الأرض مختلف أنواع الدواب"[١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(٢) التفسير الميسر: ٤١١.
(٣) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١١.
(١١) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٠.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦.
(١٣)اخرجه الطبري: ١٣٣/٢٠ .
(١٤) التفسير الميسر: ٤١١.

قال الطبري: " يقول: وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب. وقيل: الدواب اسم لكل ما أكل وشرب، وهو عندي لكل ما دب على الأرض"[١].
قال ابن كثير:" أي : وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا يعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذي خلقها "[٢].
قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}[لقمان : ١٠]، أي:" وأنزلنا من السحاب مطرًا"[٣]. مطرًا"[٣].
قال الطبري: "وأنزلنا من السماء مطرا"[٤].
قوله تعالى:{فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}[لقمان : ١٠]، أي:" فأنبتنا به من الأرض من كل زوج بهيج نافع حسن المنظر"[٥].
قال الطبري: يقول:" فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كل نوع من النبات {كريم}، وهو الحسن النبتة"[٦].
قال ابن كثير:" لما قرر أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله تعالى { وَأَنزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}، أي : من كل زوج من النبات كريم ، أي : حسن المنظر"[٧].
عن قتادة: "{من كل زوج كريم}، أي: حسن"[٨].

القرآن
{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)}[لقمان : ١١]
التفسير:
وكل ما تشاهدونه هو خلق الله، فأروني -أيها المشركون-: ماذا خلقت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟ بل المشركون في ذهاب بيِّن عن الحق والاستقامة.
قوله تعالى:{هَذَا خَلْقُ اللَّهِ}[لقمان : ١١]، أي:" وكل ما تشاهدونه هو خلق الله"[٩].
قال الطبري: يقول:" هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء، وعبادة كل خلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : هذا الذي ذكره تعالى من خلق السموات ، والأرض وما بينهما ، صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره ، وحده لا شريك له في ذلك"[١١].
قال الزمخشري:" {هذا}، إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. والخلق بمعنى المخلوق"[١٢].
قال القرطبي:" أي: هذا الذي ذكرته مما تعاينون: {خلق الله}، أي: مخلوق الله، أي: خلقها من غير شريك"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٣٢/٦-٣٣٣.
(٣) التفسير الميسر: ٤١١.
(٤) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤١١.
(٦) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٦.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤١١.
(١٠) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٦.
(١٢) الكشاف: ٤٩٢/٣.
(١٣) تفسيرا لقرطبي: ٥٨/١٤.

قال قتادة:" أي: ما ذكر من خلق السموات والأرض، وما بث فيهما من الدواب وما أنبت من كل زوج"[١].

قال الزجاج:" وصف الله عز وجل خلقه الذي يعجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله، أو يقدروا على نوع منه ثم قال: {هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه}"[٢].

قوله تعالى:{فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ}[لقمان : ١١]، أي:" فأروني -أيها المشركون-: ماذا خلقت آلهتكم التي تعبدونها من دون الله؟"[٣].

قال الطبري: يقول:" فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الآلهة والأوثان، أي شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه؟ كما استحق ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد "[٥].

قال القرطبي:" {فأروني} معاشر المشركين {ماذا خلق الذين من دونه}، يعني: الأصنام"[٦].

قال قتادة:" يعني: الأصنام"[٧].

قال مقاتل:" يعني: كفار مكة، {ماذا خلق الذين تدعون}، يعني: تعبدون {من دونه} يعني: الملائكة"[٨].

قال الزمخشري:" {الذين من دونه}: آلهتهم، بكتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه. فأرونى ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة"[٩].

قال القشيري:" فأرونى ماذا خلق الذين عبدتم من دونه في أرضه وسمائه؟"[١٠].

قوله تعالى:{بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[لقمان : ١١]، أي:" بل المشركون في ذهاب بيِّن عن الحق والاستقامة"[١١].

قال السمعاني:" أي: في خطأ بين"[١٢].

قال ابن كثير:" يعني : المشركين بالله العابدين معه غيره [في] جهل وعمى واضح ظاهر لا خفاء به "[١٣].

قال الطبري: يقول:" ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم، وذهابهم عن سبيل الحق، فهم في ضلال: يقول: فهم في جور عن الحق، وذهاب عن الاستقامة مبين: يقول: يبين لمن تأمله، ونظر فيه وفكر بعقل أنه ضلال لا هدى"[١٤].

قال الزمخشري:" أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال"[١٥].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٢٨):ص٣٠٩٧/٩.
(٢) معني القرآن: ١٩٤/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٤١١.
(٤) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٠-١٣٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٦.
(٦) تفسيرا لقرطبي: ٥٨/١٤.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٢٨):ص٣٠٩٧/٩.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٣/٣.
(٩) الكشاف: ٤٩٢/٣.
(١٠) لطائف الغشارات: ١٣٠/٣.
(١١) التفسير الميسر: ٤١١.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢٢٩/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٣/٦.
(١٤) تفسير الطبري: ١٣٤/٢٠.
(١٥) الكشاف: ٤٩٢/٣.

فوائد الآيات:[٦-١١]:
١- حرمة غناء النساء للرجال الأجانب.
٢- حرمة شراء الأغاني في الأشرطة والاسطوانات التي بها غناء العواهر والخليعين من الرجال.
٣- حرمة حفلات الرقص والغناء الشائعة اليوم في العالم كافره ومسلمه.
٤- دعوة الله تقوم على دعامتي الترهيب والترغيب والبشارة والنذارة.
٥- بيان شتّى مظاهر القدرة والعلم والعز والحكمة الموجب للإيمان والتوحيد.
٦- لا قصور في الأدلة والحجج الإلهية وإنما ضلال العقول بالشرك والمعاصي هو المانع من الاهتداء. والعياذ بالله تعالى.

القرآن
{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)} [الروم: ١٢]
التفسير:
ولقد أعطينا عبدًا صالحًا من عبادنا (وهو لقمان) الحكمة، وهي الفقه في الدين وسلامة العقل والإصابة في القول، وقلنا له: اشكر لله نِعَمَه عليك، ومَن يشكر لربه فإنما يعود نَفْع ذلك عليه، ومن جحد نِعَمَه فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ} [الروم: ١٢]، أي:" ولقد أعطينا عبدًا صالحًا من عبادنا (وهو لقمان) الحكمة، وهي الفقه في الدين وسلامة العقل والإصابة في القول"[١].
قال الطبري: يقول:" ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول"[٢].
قال مقاتل:" أعطيناه العلم والفهم من غير نبوة، فهذه نعمة"[٣].
قال ابن كثير:" أي : الفهم والعلم والتعبير"[٤].
قال القشيري:" «الحكمة» الإصابة في العقل والعقد والنطق"[٥].
قال قتادة:" أي: الفقه في الإسلام، ولم يكن نبيا، ولم يوح إليه"[٦].
عن مجاهد، قوله: "{ولقد آتينا لقمان الحكمة}، قال: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوة"[٧].
وقال مجاهد:" الحكمة: الصواب"[٨].
وقال مجاهد:" الحكمة: الأمانة"[٩].
عن مجاهد: "{ولقد آتينا لقمان الحكمة}، قال: القرآن"[١٠].
قال مجاهد:" كان لقمان رجلا صالحا، ولم يكن نبيا"[١١].
وقال قتادة:" خير الله تعالى لقمان بين الحكمة والنبوة فاختار الحكمة علي النبوة فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح ينطق بها، فقيل له: كيف اخترت الحكمة

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٤/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٥/٦.
(٥) لطائف الغشارات: ١٣٠/٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(١١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٤-١٣٥.

علي النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال لو أنه أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه، ولكنت أرجو أن أقوم بها، ولكنه خيرني، فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي"(١).

عن وهب بن منبه: "أنه سئل أكان لقمان عليه السلام نبيا؟ قال: لا. لم يوح اليه، وكان رجلا صالحا"(٢).

قال مجاهد:" كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، قاضيا على بني إسرائيل"(٣).

قال مجاهد:" كان لقمان عبدا أسود، عظيم الشفتين، مشقق القدمين"(٤).

قال سعيد بن المسيب:" كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر"(٥).

قال ابن عباس:" كان لقمان عبدا حبشيا"(٦).

عن عبد الرحمن بن حرملة، قال: "جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأل، فقال له سعيد: لا تحزن من أجل أنك أسود، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان: بلال، ومهجع مولى عمر بن الخطاب، ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر"(٧).

قال خالد الربعي: "كان لقمان عبدا حبشيا نجارا، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما، فقال له لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا"(٨).

قال عمرو بن قيس: "كان لقمان عبدا أسود، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، فأتاه رجل، وهو في مجلس أناس يحدثهم، فقال له: ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني"(٩).

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أنه ذكر لقمان الحكيم، فقال: "ما أوتي ما أوتي عن أهل، ولا مال، ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمصامة سكيتا، طويل التفكير عميق النظر، لم ينم نهارا قط ولم يره أحد يبزق ولا يتنحنح ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك كان لا يعيد منطقا نطقه إلا أن يقول: حكمة يستعيدها إياه وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكماء لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتي ما أوتي"(١٠).

وروي عن عكرمة، قال:" كان لقمان عليه السلام نبيا"(١١).

وقال ليث:" كانت حكمة لقمان عليه السلام نبوة"(١٢).

قال السمعاني:" ذهب أكثر أهل العلم أنه لم يكن نبيا"(١٣).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٣٣):ص٣٠٩٧/٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٣٤):ص٣٠٩٧/٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٥.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٥.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٥.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٥.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥٣٧):ص٣٠٩٨/٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٣٥):ص٣٠٩٨/٩، والطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥٣٦):ص٣٠٩٨/٩.
(١٣) تفسير السمعاني: ٢٢٩/٤.

قال ابن كثير:" اختلف السلف في لقمان ، عليه السلام : هل كان نبيًا ، أو عبدًا صالحا من غير نبوة ؟ على قولين ، الأكثرون على الثاني"(١).
قوله تعالى:{أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ} [الروم: ١٢]، أي:" وقلنا له: اشكر لله نِعَمَه عليك"(٢).
قال الطبري: يقول:" أن احمد الله على ما آتاك من فضله"(٣).
قال ابن كثير:" أي : أمرناه أن يشكر الله ، عز وجل ، على ما أتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل ، الذي خصَّه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه "(٤).
قال مقاتل:" فقلنا له: {أن اشكر لله}- عز وجل- في نعمه فيما أعطاك من الحكمة"(٥).
قوله تعالى:{وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} [الروم: ١٢]، أي:" ومَن يشكر لربه فإنما يعود نَفْع ذلك عليه"(٦).
قال الطبري: " يقول: ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه، لأن الله يجزل له على شكره إياه الثواب، وينقذه به من الهلكة"(٧).
قال ابن كثير:" أي : إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى : { وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ } [الروم : ٤٤]"(٨).
قال مقاتل:" ومن يشكر لله- تعالى- في نعمه فيوحده، فإنما يعمل الخير لنفسه"(٩).
قوله تعالى:{وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [الروم: ١٢]، أي:" ومن جحد نِعَمَه فإن الله غني عن شكره، غير محتاج إليه، له الحمد والثناء على كل حال"(١٠).
قال الطبري: " يقول: ومن كفر نعمة الله عليه إلى نفسه أساء؛ لأن الله معاقبه على كفرانه إياه، والله غني عن شكره إياه على نعمه، لا حاجة به إليه، لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه. ويعني بقوله: {حميد} محمود على كل حال، له الحمد على نعمه، كفر العبد نعمته أو شكره عليها"(١١).
قال مقاتل:" {ومن كفر} النعم فلم يوحد ربه- عز وجل- {فإن الله غني} عن عبادة خلقه، {حميد} عن خلقه في سلطانه"(١٢).
قال ابن كثير:" أي : غني عن العباد ، لا يتضرر بذلك ، ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعًا ، فإنه الغني عمن سواه ؛ فلا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه "(١٣).

القرآن
{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)} [لقمان : ١٣]
التفسير:
واذكر -أيها الرسول- نصيحة لقمان لابنه حين قال له واعظًا: يا بنيَّ لا تشرك بالله فتظلم نفسك؛ إن الشرك لأعظم الكبائر وأبشعها.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٤/٦.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٥/٦.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٤/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٣٥/٦.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٤/٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٢.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٤/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٥/٦.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ} [لقمان : ١٣]، أي:" واذكر -أيها الرسول- نصيحة لقمان لابنه حين قال له واعظًا: يا بنيَّ لا تشرك بالله أحدا"[١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد {وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله}"[٢].

قال السمعاني:" أي: لا تعدل بالله أحدا في الربوبية"[٣].

قال مقاتل:" اسم ابنه أنعم، {وهو يعظه}، يعني- عز وجل-: يؤدبه، {يا بني لا تشرك بالله} معه غيره"[٤].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده - وهو : لقمان بن عنقاء بن سدون. واسم ابنه : ثاران في قول حكاه السهيلي. وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر ، فإنه آتاه الحكمة ، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه ، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان : ١٣]، أي:" إن الشرك لأعظم الكبائر وأبشعها"[٦].

قال الطبري: "يقول: لخطأ من القول عظيم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : هو أعظم الظلم "[٨].

قال الزجاج:" يعني: أن الله هو المحيي المميت الرازق المنعم وحده لا شريك له فإذا أشرك به أحد غيره فذلك أعظم الظلم؛ لأنه جعل النعمة لغير ربها، وأصل الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه"[٩].

قال السمعاني:" من أشرك مع الله غيره فقد وضع الشيء في غير موضعه"[١٠].

قال مقاتل:" كان ابنه وامرأته كفارا فما زال بهما حتى أسلما وزعموا أن لقمان كان ابن خالة أيوب- صلى الله عليه"[١١].

عن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : "لما نزلت : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } [الأنعام : ٨٢] ، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : أينا لم يَلْبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنه ليس بذاك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : { يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }»"[١٢].

القرآن

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)} [لقمان : ١٤]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٢، وصفوة التفاسير: ٤٥١/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٣٠/٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٤/٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٦.
(٩) معاني القرآن: ١٩٦/٤.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢٣٠/٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٤/٣.
(١٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٧٦) وصحيح مسلم برقم (١٢٤).

وأَمَرْنا الإنسان ببرِّ والديه والإحسان إليهما، حَمَلَتْه أمه ضعفًا على ضعف، وحمله وفِطامه عن الرضاعة في مدة عامين، وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك، إليَّ المرجع فأُجازي كُلا بما يستحق.

سبب النزول:

قال مصعب بن سعد: "حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب، حتى يتحول سعد عن دينه، قال: فأبى عليها، فلم تزل كذلك حتى غشي عليها، قال: فأتاها بنوها فسقوها، قال: فلما أفاقت دعت الله عليه، فنزلت هذه الآية: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه}، إلى قوله:{ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان : ١٥] "(١).

قال أبو هبيرة:" نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أن تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ علْمٌ فَلا تُطِعْهُما}"(٢).

قوله تعالى:{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ} [لقمان : ١٤]، أي:" وأَمَرْنا الإنسان ببرِّ والديه والإحسان إليهما"(٣).

قال الطبري: يقول: " وأمرنا الإنسان ببر والديه"(٤).

قال ابن كثير:" ثم قَرَنَ بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين. كما قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء : ٢٣]. وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك في القرآن. وقال هاهنا { وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ}"(٥).

قوله تعالى:{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} [لقمان : ١٤]، أي:" حَمَلَتْه أمه ضعفًا على ضعف"(٦).

قال الطبري:" يقول: ضعفا على ضعف، وشدة على شدة، ومنه قول زهير(٧):

فَلَنْ يَقُولُوا بِحَبْلٍ وَاهِنٍ خَلَقٍ ... لَوْ كانَ قَوْمُكَ فِي أسْبابِه هَلَكُوا"(٨).

قال الزجاج:" أي: لزمها لحملها إياه أن ضعفت مرة بعد مرة"(٩).

عن قتادة قوله: "{حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلى وَهْنٍ}، أي: جهدا على جهد"(١٠).

وعن مجاهد: "{وَهْنًا عَلى وَهْنٍ}، قال: وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها"(١١).

وقال مجاهد:" مشقة، وهو الولد"(١٢).

قال عطاء الخراساني:" ضعفا على ضعف"(١٣).

قوله تعالى:{وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} [لقمان : ١٤]، أي:" وحمله وفِطامه عن الرضاعة في مدة عامين"(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٢.

(٧)البيت لزهير بن أبي سلمى (مختار الشعر الجاهلي، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي ص ٢٤٥) . وقبل البيت بيت مرتبط به ارتباط السؤال بالجواب قال: هَلا سألْتَ بني الصَّيْدَاءِ كُلِّهِمِ ... بِأيّ حَبْلِ جِوَارٍ كُنْتُ أمْتَسِكُ ومعنى بيت الشاهد: هو حبل شديد محكم، فمن تمسك به نجا، وليس بحبل ضعيف، من تعلق بأسبابه هلك. قالوا: وكان الحارث بن ورقاء الصيداوي من بني أسد، أغار على بني عبد الله بن غطفان، فغنم، واستاق إبل زهير وراعيه يسارًا فخاطبه زهير بهذه القصيدة، وذكره بأنه كان في عهده وجواره، وأنه إن لم يرد عليه الإبل والراعي فإنه سيقول فيه من قصائد الهجو ما يفضحه في أحياء العرب.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.

(٩) معاني القرآن: ١٩٦/٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٧.

(١٢) اخجره ابن ابي حاتم(١٧٥٤١):ص٣٠٩٨/٩.

(١٣) اخجره ابن ابي حاتم(١٧٥٤٠):ص٣٠٩٨/٩.

قال الطبري: " يقول: وفطامه في انقضاء عامين"[٢].
قال ابن كثير:" أي : تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين ، كما قال تعالى : { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } [البقرة : ٢٣٣]. ومن هاهنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ؛ لأنه قال تعالى في الآية الأخرى : { وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا } [الأحقاف : ١٥]. وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في سهرها ليلا ونهارًا ، ليُذكّر الولد بإحسانها المتقدم إليه ، كما قال تعالى : { وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } [الإسراء : ٢٤]"[٣].
قوله تعالى:{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} [لقمان : ١٤]، أي:" وقلنا له: اشكر لله، ثم اشكر لوالديك"[٤].
قال الطبري:" يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك"[٥].
قال ابن كثير:" أي : فإني سأجزيك على ذلك أوفر الجزاء "[٦].
قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس في مواقيتها فقد شكر الله تعالى، ومن استغفر لأبويه في كل صلاة فقد شكر أبويه"[٧].
قوله تعالى:{إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان : ١٤]، أي:" إليَّ المرجع فأُجازي كُلا بما يستحق"[٨].
قال الطبري:" يقول: إلى الله مصيرك أيها الإنسان، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لوالديك، وبرّك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفوليتك وصباك، وما اصطنعا إليك في برّهما بك، وتحننهما عليك"[٩].
عن سعيد بن وهب قال : "قدم علينا معاذ بن جبل ، وكان بعثه النبي ﷺ ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني رسول رسول الله ﷺ إليكم : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تطيعوني لا آلوكم خيرًا ، وأن المصير إلى الله ، وإلى الجنة أو إلى النار ، إقامة فلا ظعن ، وخلود فلا موت"[١٠].

القرآن
{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)} [لقمان : ١٥]
التفسير:
وإن جاهدك -أيها الولد المؤمن- والداك على أن تشرك بي غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به عِلم، أو أمراك بمعصية مِن معاصي الله فلا تطعهما؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه، واسلك -أيها الابن المؤمن- طريق مَن تاب من ذنبه، ورجع إليَّ وآمن برسولي محمد ﷺ، ثم إليَّ مرجعكم، فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، وأجازي كلَّ عامل بعمله.
سبب النزول:

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٦.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٥) تفسير الطبري :٢٠/ ١٣٨.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٦.
(٧) نقلا عن تفسير السمعاني: ٢٣١/٤. بدون سند.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٩) تفسير الطبري :٢٠/ ١٣٨.
(١٠) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٣٦/٦-٣٣٧.

أ- سبب نزول قوله تعالى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا} [لقمان : ١٥]

عن أبي عثمان النهدي : "أن سعد بن مالك قال : أنزلت فيَّ هذه الآية : {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا} الآية ، وقال : كنت رجلا برًا بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ، ما هذا الذي أراك قد أحدثت ؟ لَتَدَعَنّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فَتُعَيَّر بي ، فيقال : "يا قاتل أمه". فقلت : لا تفعلي يا أمَه ، فإني لا أدع ديني هذا لشيء. فمكثتْ يومًا وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثتْ يومًا آخر وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحتْ قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت : يا أمه ، تعلمين والله لو كانت لكِ مائة نفس فخَرجت نَفْسا نَفْسًا ، ما تركت ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي ، وإن شئت لا تأكلي. فأكلتْ"(١).

ب- سبب نزول قوله تعالى: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيّ} [لقمان : ١٥]:

قال عطاء عن ابن عباس: "يريد أبا بكر، وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: آمنت وصدقت محمدا؟ فقال أبو بكر: نعم، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا، فأنزل الله تعالى- يقول لسعد-: واتبع سبيل من أناب إلي يعني أبا بكر رضي الله عنه"(٢).

قوله تعالى:{وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} [لقمان : ١٥]، أي:" وإن جاهدك -أيها الولد المؤمن- والداك على أن تشرك بي غيري في عبادتك إياي مما ليس لك به عِلم، أو أمراك بمعصية مِن معاصي الله فلا تطعهما"(٣).

قال الطبري : يقول:" وإن جاهدك أيها الإنسان، والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري، مما لا تعلم أنه لي شريك، ولا شريك له تعالى ذكره علوّا كبيرا، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي"(٤).

قال ابن كثير:" أي : إن حَرَصَا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما ، فلا تقبل منهما ذلك"(٥).

قوله تعالى:{وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان : ١٥]، أي:" وصاحبهما في الدنيا بالمعروف فيما لا إثم فيه"(٦).

قال الطبري : " يقول: وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه، فيما بينك وبين ربك ولا إثم"(٧).

قال ابن كثير:أي:" ولا يمنعنَّك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا ، أي : محسنًا إليهما"(٨).

قال الزجاج:" معنى: «المعروف»: ما يستحسن من الأفعال"(٩).

قال قتادة:" تعودهما إذا مرضا، وتتبعهما إذا ماتا، وتواسيهما مما أعطاك الله"(١٠).

قوله تعالى:{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} [لقمان : ١٥]، أي:" واسلك -أيها الابن المؤمن- طريق مَن تاب من ذنبه، ورجع إليَّ وآمن برسولي محمد ﷺ"(١).

---

(١) رواه الطبراني في كتاب العشرة، نقلا عن تفسير ابن كثير:٣٣٧/٦، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٢١٦/٢) عن داود بن أبي هند.

(٢) اسباب النزول للواحدي: ٣٥٨. بدون سند.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٢.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٩.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٦.

(٩) معاني القرآن: ١٩٧/٤.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٤٣):ص٣٠٩٩/٩.

قال الطبري : " يقول: واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمدا ﷺ"[٢].
قال الزجاج:" أي: اتبع سبيل من رجع إلي"[٣].
قال ابن كثير: " يعني : المؤمنين"[٤].
عن قَتادة :"{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}، أي: من أقبل إليّ"[٥].
قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان : ١٥]، أي:" ثم إليَّ مرجعكم، فأخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، وأجازي كلَّ عامل بعمله"[٦].
قال الطبري : يقول: " فإن إليّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم، فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشرّ، ثم أجازيكم على أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته"[٧].
فوائد الآيات:[١٢-١٥]:
١- تقرير التوحيد والتنديد بالشرك.
٢- بيان الحكمة وهي شكر الله تعالى بطاعته وذكره إذ لا يشكر إلا عاقل فقيه.
٣- مشروعية الوعظ والإرشاد للكبير والصغير والقريب والبعيد.
٤- التهويل في شأن الشرك وإنه لظلم عظيم.
٥- بيان مدة الرضاع وهي في خلال العامين لا تزيد.
٦- وجوب بر الوالدين وصلتهما.
٧- تقرير مبدأ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بعدم طاعة الوالدين في غير المعروف.
٨- وجوب اتباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتباع سبيل أهل البدع والضلالة.

القرآن
{يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)} [لقمان : ١٦]
التفسير:
يا بنيَّ اعلم أن السيئة أو الحسنة إن كانت قَدْر حبة خردل -وهي المتناهية في الصغر- في باطن جبل، أو في أي مكان في السموات أو في الأرض، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، ويحاسِب عليها. إن الله لطيف بعباده خبير بأعمالهم.
قوله تعالى:{يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ} [لقمان : ١٦]، أي:" يا ولدي إن الخطيئة والمعصية مهما كانت صغيرة حتى ولو كانت وزن حبة الخردل في الصغر"[٨].
قال الأخفش:" يقول :إن تكن المعصية مثقال حبة من خردل"[٩].
قال الطبري:أي:" إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شرّ"[١٠].

---
(١) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٩.
(٣) معاني القرآن: ١٩٧/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٦.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٣٩.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٣٩.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٥٢/٢.
(٩) معاني القرآن: ٤٧٧/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ١٤١/٢٠.

قال ابن كثير:" هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم ؛ ليمتثلها الناس ويقتدوا بها ، فقال:{يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ}، أي: إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة من خردل"[١].

عن قَتادة، قوله: "{يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ}: من خير أو شرّ"[٢].

قوله تعالى:{فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} [لقمان : ١٦]، أي:" فتكن تلك السيئة - مع كونها في أقصى غايات الصغر - في أخفى مكان أحرزه، كجوف الصخرة الصماء، أو في أعلى مكان في السماء أو في الأرض يحضرها الله سبحانه ويحاسب عليه"[٣].

قال الطبري: أي:" فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بها الله يوم القيامة، حتى يوفيك جزاءه"[٤].

قال ابن كثير:" {يَأْتِ بِهَا اللَّهُ } أي : أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط ، وجازى عليها إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر. كما قال تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء : ٤٧] ، وقال تعالى : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } [الزلزلة : ٧ ، ٨] ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صَمَّاء ، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات أو الأرض فإن الله يأتي بها ؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض"[٥].

عن أبي مالك: "{فَتَكُن فِي صخْرَةٍ أوْ فِي السَّمَوَاتِ أوْ فِي الأرْضِ يَأْتِ بِها اللهُ}، قال: يعلمها الله"[٦].

وفي قوله تعالى:{فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} [لقمان : ١٦]، قولان:

أحدهما : أنها الصخرة التي عليها الأرض. قاله ابن عباس[٧]، والكلبي[٨].

وقال عبد الله بن الحارث : الصخرة خضراء على ظهر حوت"[٩].

قال مقاتل:" التي في الأرض السفلى، وهي خضراء مجوفة لها ثلاث شعب على لون السماء"[١٠].

وروي عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: "خلق الله الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكر الله في القرآن {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء، ولا في الأرض"[١١].

قال الثوري : "بلغنا أن خضرة السماء من تلك الصخرة"[١٢].

قال الماوردي:" وقيل: إن هذه الصخرة هي سجّين التي يكتب فيها أعمال الكفار ولا ترفع إلى السماء"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٦.
(٢) أخرجه الطبري: ١٤١/٢٠.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٥٢/٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٤١/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٦-٣٣٨.
(٦) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٠.
(٨) تفسير عبدالرزاق(٢٢٩٠):ص٢٢/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٤١/٢٠.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٥/٣.
(١١) أخرجه الطبري: ١٤١/٢٠.
(١٢) تفسير عبدالرزاق(٢٢٩١):٢٢/٣.

الثاني : أن معنى قوله: {في صخرة}، أي: في جبل ، قاله قتادة(٢).
قال ابن كثير:" زعم بعضهم أن المراد بقوله : { فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ } أنها صخرة تحت الأرضين السبع ، ذكره السُّدِّي بإسناده ذلك المطروق عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ، ويروى هذا عن عطية العوفي ، وأبي مالك ، والثوري ، والمِنهال بن عمرو ، وغيرهم. وهذا والله أعلم ، كأنه متلقى من الإسرائيليات التي لا تصدق ، ولا تكذب ، والظاهر - والله أعلم - أن المراد : أن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة ، فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه ، كما قال الإمام أحمد : ،..عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صَمَّاء ، ليس لها باب ولا كوَّة ، لخرج عمله للناس كائنًا ما كان»(٣)"(٤).
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان : ١٦]، أي:" إن الله لطيف بعباده خبير بأعمالهم"(٥).
قال الطبري:" يقول: إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها"(٦).
قال ابن كثير:" أي : لطيف العلم ، فلا تخفى عليه الأشياء وإن دَقت ولطفت وتضاءلت { خَبِيرٌ } بدبيب النمل في الليل البهيم"(٧).
قال قتادة:" أي: لطيف باستخراجها، خبير بمستقرّها"(٨).

القرآن
{يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)} [لقمان : ١٧]
التفسير:
يا بنيَّ أقم الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأْمر بالمعروف، وانْه عن المنكر بلطفٍ ولينٍ وحكمة بحسب جهدك، وتحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها.
قوله تعالى:{يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ} [لقمان : ١٧]، أي:" يا بنيَّ أقم الصلاة تامة بأركانها وشروطها وواجباتها"(٩).
قال الطبري:أي:" بحدودها"(١٠).
قال ابن كثير:" أي : بحدودها وفروضها وأوقاتها"(١١).
قوله تعالى:{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [لقمان : ١٧]، أي: "وأمر الناس بكل خير وفضيلة، وأنههم عن كل شر ورذيلة"(١٢).
قال الطبري:" يقول: وأمر الناس بطاعة الله، واتباع أمره، وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه"(١).

---

(١) النكت والعيون: ٣٣٨/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٠.
(٣)المسند (٢٨/٣) وحسنه الهيثمي في المجمع (٢٢٥/١٠) وفيه ابن لهيعة عن دراج وهما ضعيفان.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٦) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٦.
(٨)أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤٢ .
(٩) التفسير الميسر: ٤١٢.
(١٠) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٦.
(١٢) صفوة التفاسير: ٤٥٢/٢.

قال ابن كثير:" أي : بحسب طاقتك وجهدك"[٢].
قوله تعالى:{وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ} [لقمان : ١٧]، أي:" وتحمَّل ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر"[٣].
قال الطبري:" يقول: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله، إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدّنك عن ذلك ما نالك منه"[٤].
قال ابن كثير:" علم أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، لا بد أن يناله من الناس أذى ، فأمره بالصبر "[٥].
قال ابن جريج:" اصبر على ما أصابك من الأذى في ذلك"[٦].
قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان : ١٧]، أي:" واعلم أن هذه الوصايا مما أمر الله به من الأمور التي ينبغي الحرص عليها"[٧].
قال الطبري:" يقول: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزما منه"[٨].
قال ابن جريج:" إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور، يقول: مما أمر الله به من الأمور"[٩].
وقال ابن كثير:" أي : إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور "[١٠].

القرآن
{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)} [لقمان : ١٨]
التفسير:
ولا تُمِلْ وجهك عن الناس إذا كلَّمتهم أو كلموك؛ احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولا تمش في الأرض بين الناس مختالا متبخترًا، إن الله لا يحب كل متكبر متباه في نفسه وهيئته وقوله.
قوله تعالى:{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} [لقمان : ١٨]، أي:" ولا تُمِلْ وجهك عن الناس إذا كلَّمتهم أو كلموك؛ احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم"[١١].
قال ابن كثير:" يقول : لا تُعرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك ، احتقارًا منك لهم ، واستكبارًا عليهم ولكن أَلِنْ جانبك ، وابسط وجهك إليهم ، كما جاء في الحديث : "ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه مُنْبَسِط ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المِخيلَة ، والمخيلة لا يحبها الله»[١٢]"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢٠-١٤٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٨) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢٠-١٤٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٦.
(١١) التفسير الميسر: ٤١٢.
(١٢)أخرجه الطيالسى (ص ١٦٧ رقم ١٢٠٨) ، وأحمد (٦٣/٥، رقم ٢٠٦٥١) ، وأبو داود (٥٦/٤، رقم ٤٠٨٤) ، والنسائى فى الكبرى (٤٨٦/٥، رقم ٩٦٩١) ، والبغوى (٤٦٩/١ رقم ٣٠٧) ، والطبرانى (٦٣/٧، رقم ٦٣٨٤) ، وابن حبان (٢٨١/٢، رقم ٥٢٢) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٥٢/٦، رقم٨٠٥٠) . وأخرجه أيضا: البخارى فى الأدب المفرد
(٤٠٣/١، رقم ١١٨٢) ، والحسين المروزى فى زوائد الزهد (ص ٣٦٠، رقم ١٠٠١٧) .
ومن غريب الحديث: "المخيلة": هى الكبر والعجب.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٨/٦.

قال ابن عباس:" يقول: ولا تتكبر؛ فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك"[1].
قال ابن عباس:" يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا"[2].
قال عكرمة:" لا تُعْرِض بوجهك"[3].
عن مجاهد :"{وَلا تُصَعِّرْ}، قال: الصدود والإعراض بالوجه عن الناس"[4].
قال الضحاك:" يقول: لا تعرض عن الناس، يقول: أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك"[5].
قال يزيد:" إذا كلمك الإنسان لويت وجهك، وأعرضت عنه محقرة له"[6].
قال ميمون بن مهران:" هو الرجل يكلم الرجل فيلوي وجهه"[7].
قال ابن زيد:" تصعير الخدّ: التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم"[8].
وقال مجاهد:" الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة، فيراه فيعرض عنه"[9].
وعن إبراهيم، قال: "هو التشديق"[10].
قال أبو عبيدة: معناه: " ولا تقلب وجهك ولا تعرض بوجهك فى ناحية من الكبر، ومنه: الصعر الذي يأخذ الإبل فى رؤوسها حتى يلفت أعناقها عن رؤوسها، قال عمرو بن حنىّ التّغلبىّ[11]:

وكنا إذا الجبار صعّر خدّه ... أقمنا له من ميله فتقوّما

و«الصّعر»: داء يأخذ البعير في عنقه أو رأسه فيشبّه به الرجل الذي يتكبر على الناس"[12].
وقرئ:« وَلا تُصَاعِرْ»[13].
قوله تعالى:{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} [لقمان : ١٨]، أي:" ولا تمش في الأرض بين الناس مختالا متبخترًا"[14].
قال أبو عبيدة:" أي: لا تمرح فى مشيك من الكبر"[15].
قال الطبري:" يقول: ولا تمش في الأرض مختال"[16].
قال ابن كثير:" أي : جذلا متكبرًا جبارًا عنيدًا ، لا تفعل ذلك يبغضك الله"[17].
قال الضحاك: يقول: بالخيلاء"[18].
قال قتادة:" نهاه عن التكبر"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٢) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٠.
(١١)أنشده صاحبا اللسان والتاج (صعر) ونسباه للمتلمس وهو من كلمة فى معجم المرزباني (ص ٢٠٦) قال: وهذا البيت يروى فى قصيدة المتلمس التي أولها يعيرنى.. إلخ وأبو عبيدة وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حى التغلبي والقصيدة فى شعراء الجاهلية ١/ ٣٣٨ والبيت فى الطبري ٢١/ ٤٣ والقرطبي ١٤/ ٦٩.
(١٢) مجاز القرآن:١٢٧/٢.
(١٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٢٨/٢.
(١٤) التفسير الميسر: ٤١٢.
(١٥) مجاز القرآن:١٢٧/٢.
(١٦) تفسير الطبري: ١٤٥/٢٠.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٦.
(١٨) اخرجه الطبري: ١٤٥/٢٠.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان : ١٨]، أي:" إن الله لا يحب كل متكبر متباه في نفسه وهيئته وقوله"(٢).
قال ابن كثير:" أي : مختال معجب في نفسه ، فخور : أي: على غيره"(٣).
قال قتادة:" متكبر ذي فخر"(٤).
عن مجاهد، قوله: "{كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ}، قال: متكبر. وقوله: {فخور}، قال: يعدّد ما أعطى الله، وهو لا يشكر الله"(٥).
عن ثابت بن قيس بن شَمَّاس قال : "ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدد فيه ، فقال : "إن الله لا يحب كل مختال فخور". فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ، ويعجبني شِراك نعلي ، وعِلاقة سَوْطي ، فقال : "ليس ذلك الكبر ، إنما الكبر أن تَسْفه الحق وتَغْمِط الناس"(٦).

القرآن
{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)} [لقمان : ١٩]
وتواضع في مشيك، واخفض من صوتك فلا ترفعه، إن أقبح الأصوات وأبغضها لصوت الحمير المعروفة ببلادتها وأصواتها المرتفعة.
قوله تعالى:{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} [لقمان : ١٩]، أي:" وتواضع في مشيك"(٧).
قال الطبري:" يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتئد"(٨).
قال ابن كثير:" أي : امش مشيًا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط ، ولا بالسريع المفرط ، بل عدلا وسطًا بين بين"(٩).
عن مجاهد: "{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}، قال: التواضع"(١٠).
قال قتادة:" نهاه عن الخيلاء"(١١).
عن يزيد بن أبي حبيب، قوله: "{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}، قال: من السرعة"(١٢).
قوله تعالى:{وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ} [لقمان : ١٩]، أي:" واخفض من صوتك فلا ترفعه"(١٣).
قال الطبري:" يقول: واخفض من صوتك، فاجعله قصدا إذا تكلمت"(١٤).
قال ابن كثير:" أي : لا تبالغ في الكلام ، ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه "(١٥).
عن ابن زيد، قوله :"{وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ}، قال: اخفض من صوتك"(١).

---
(١) اخرجه الطبري: ١٤٥/٢٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٦.
(٤) اخرجه الطبري: ١٤٥/٢٠.
(٥) اخرجه الطبري: ١٤٥/٢٠.
(٦)المعجم الكبير (٦٩/٢) وفيه انقطاع بين ابن أبي ليلى وثابت.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٤٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤٦.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤٦.
(١٣) التفسير الميسر: ٤١٢.
(١٤) تفسير الطبري: ١٤٦/٢٠.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٦.

قال قتادة:" أمره بالاقتصاد في صوته"[٢].
قوله تعالى:{إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان : ١٩]، أي:" إن أقبح الأصوات وأبغضها لصوت الحمير المعروفة ببلادتها وأصواتها المرتفعة"[٣].
قال الطبري:" معناه: إن أقبح أو أشرّ الأصوات، وذلك نظير قولهم: إذا رأوا وجها قبيحا، أو منظرا شنيعا، ما أنكر وجه فلان، وما أنكر منظره"[٤].
قال ابن كثير:" أي : غاية مَنْ رفع صوته أنه يُشَبه بالحمير في علوه ورفعه ، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى. وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم ؛ لأن رسول الله ﷺ قال : «ليس لنا مثل السوء ، العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه»[٥]"[٦].
قال الفراء:" يقول: إن أقبح الأصوات لصوت الحمير"[٧].
قال الضحاك:" إن أقبح الأصوات {لَصَوْتُ الحَمِيرِ}"[٨].
قال قتادة:" أي: أقبح الأصوات لصوت الحمير، أوّله زفير، وآخره شهيق، أمره بالاقتصاد في صوته"[٩].
قال أبو عبيدة:" أي: أشدّ الأصوات"[١٠].
عن عكرِمة والحكم بن عُتيبة: "{إِنَّ أنكَرَ الأصْوَاتِ}، قال: أشرّ الأصوات"[١١].
قال جابر: "وقال الحسن بن مسلم: أشدّ الأصوات"[١٢].
قال ابن زيد:" لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير"[١٣].
عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : "إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطانًا"[١٤].
فوائد الآيات:[١٦-١٩]:
١- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم الاستخفاف بالحسنة والسيئة مهما قلت وصغرت.
٢- وجوب إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يلحق الآمر والناهي من أذى.
٣- حرمة التكبر والاختيال في المشي ووجوب القصد في المشي والصوت فلا يسرع ولا يرفع صوته إلا على قدر الحاجة.

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٤٦.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٤٧/٢٠.
(٥)حديث ابن عباس: أخرجه عبد الرزاق (١٠٩/٩، رقم ١٦٥٣٦) ، وأحمد (٢١٧/١، رقم ١٨٧٢) ، والبخارى
(٩٢٤/٢، رقم ٢٤٧٩) ، والترمذى (٥٩٢/٣، رقم ١٢٩٨) ، والنسائى (٢٦٦/٦، رقم ٣٦٩٨) . وأخرجه أيضا: الخطيب (١٧٧/٨) .
حديث أبى بكر: أخرجه الخطيب (٤٧٨/١٢) ، وابن عساكر (٣٢٥/٤٩).
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٣٩/٦.
(٧) معاني القرآن: ٣٢٨/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ١٤٦/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١٤٦/٢٠.
(١٠) مجاز القرآن:١٢٧/٢.
(١١) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٠.
(١٤)النسائي في السنن الكبرى (١١٣٩١) وصحيح البخاري برقم (٣٣٠١) وصحيح مسلم برقم (٢٧٧٩) وسنن أبي داود برقم (٥١٠٢) وسنن الترمذي برقم (٣٤٥٩).

{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٢٠)} [لقمان : ٢٠]

التفسير:

ألم تروا -أيها الناس- أن الله ذلَّل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والسحاب وغير ذلك، وما في الأرض من الدوابِّ والشجر والماء، وغير ذلك مما لا يحصى، وعمَّكم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب، وما ادَّخره لكم مما لا تعلمونه؟ ومن الناس مَن يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيِّن حقيقة دعواه.

في سبب نزول قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [لقمان : ٢٠]، قولان:

احدهما: عن أبي مالك، قوله: "{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم}، قال: نزلت في النضر بن الحارث"(١).

الثاني: أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن ربك، من أي شي هو؟ فجاءت صاعقة فأخذته. وهذا قول مجاهد(٢).

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [لقمان : ٢٠]، أي:" ألم تروا -أيها الناس- أن الله ذلَّل لكم ما في السموات من الشمس والقمر والسحاب وغير ذلك، وما في الأرض من الدوابِّ والشجر والماء، وغير ذلك مما لا يحصى"(٣).

قال الطبري: يقول:" {أَلَمْ تَرَوْا} أيها الناس {أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ} من شمس وقمر ونجم وسحاب {وَما فِي الأرْضِ} من دابة وشجر وماء وبحر وفلك، وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه"(٤).

قال الزجاج:" تسخير ما في السماوات الشمس والقمر والنجوم، ومعنى تسخيرها للآدميين الانتفاع بها في بلوغ منابتهم، والاهتداء بالنجوم في مسالكهم، وتسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم في الدنيا والآخرة ، بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم ، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد ، وجعله إياها لهم سقفا محفوظا ، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار"(٦).

قال السعدي:" يمتن تعالى على عباده بنعمه، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها؛ وعدم الغفلة عنها فقال: {أَلَمْ تَرَوْا} أي: تشاهدوا وتبصروا بأبصاركم وقلوبكم، {أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} من الشمس والقمر والنجوم، كلها مسخرات لنفع العباد. {وَمَا فِي الأرْضِ} من الحيوانات والأشجار والزروع، والأنهار والمعادن ونحوها كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا}"(٧).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٧٧٦):ص٢٤٧٤/٨.

(٢) حكاه عنه القرطبي في التفسير: ٧٤/١٤.

والخبر رواه الطبري بسنده عن مجاهد، قال:" جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: أخبرني عن ربّك من أيّ شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: {ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال}".[انظر: تفسير الطبري(٢٠٢٦٧):ص٣٩١/١٦]

(٣) التفسير الميسر: ٤١٣.

(٤) تفسير الطبري: ١٤٧/٢٠.

(٥) معاني القرآن: ١٩٩/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.

(٧) تفسير السعدي: ٦٤٩.

قوله تعالى:{وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان : ٢٠]، أي:" وأتمَّ عليكم أيها الناس نعمه العديدة، الظاهرة المرئية كنعمة السمع والبصر والصحة والإسلام، والباطنة الخفية كالقلب والعقل والفهم والمعرفة وما أشبه ذلك"[١].

قال البيضاوي: أي:" محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه"[٢].

قال ابن كثير:" وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإزاحة الشبَه والعلل"[٣].

قال السعدي:" أي: عمّكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها؛ والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم والخضوع له؛ وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته"[٤].

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ}، بفتح العين وضم الهاء على الجمع[٥]، والباقون بالتنوين: {وأسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً}، يعني: «نعمة واحدة»[٦]، وفي هذه القراءة ثلاثة وجوه:

أحدها : أنه عنى الإسلام فجعلها واحدة، قاله ابن عباس[٧]، وإبراهيم .

وأخرج الفراء بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس، "أنه قرأ: «نِعْمَةً» واحدة. قال: ولو كانت «نِعْمَهُ»، لكانت نعمة دون نعمة، أو نعمة فوق نعمة"«الشكّ من الفراء»[٨].

الثاني : أنها شهادة أن لا إله إلا الله. قاله ابن عباس-في رواية اخرى-[٩]، ومجاهد[١٠].

الثالث : أنه قصد التكثير بلفظ الواحد كقول العرب : كثر الدينار والدرهم ، والأرض سيف وفرس ، وهذا أبلغ في التكثير من لفظ الجمع ، قاله ابن شجرة[١١].

قال الزجاج:" فمن قرأ: «نعمة»، فعلى معنى: ما أعطاهم من توحيده عز وجل، ومن قرأ :{نعمه}، فعلى جميع ما أنعم به عليهم"[١٢].

وفي قوله :{ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[لقمان : ٢٠]، أقوال:

أحدها : أن الظاهرة الإسلام ، والباطنة ما ستره الله من المعاصي. قاله الضحاك[١٣]، ومقاتل بن حيان[١٤].

وقال مقاتل بن سليمان:" وأوسع عليكم نعمه ظاهرة: يعني تسوية الخلق والرزق والإسلام، وباطنة: يعني ما ستر من الذنوب من بني آدم فلم يعلم بها أحد ولم يعاقب فيها فهذا كله من النعم"[١٥].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٥٥/٢.
(٢) تفسير البيضاوي: ٢١٥/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.
(٤) تفسير السعدي: ٦٤٩.
(٥) قال الفراء:" وقد قرأ قوم :«نعمه» على الجمع. وهو وجه جيد لأنه قد قال: {شاكرا لأنعمه اجتباه}، فهذا جمع النعم وهو دليل على أن «نعمه» جائز".[معاني القرآن: ٣٢٩/٢]
(٦) انظر: السبعة في القراءات: ٥١٣، والمبسوط في القراءات العشر: ٣٥٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤٨/٢٠.
(٨) معاني القرآن: ٣٢٨/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٩/٢٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤٨/٢٠-١٤٩.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٤.
(١٢) معاني القرآن: ١٩٩/٤.
(١٣) انظر: الدر المنثور: ٥٢٦/٦، وعزاه إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق، وقال:" أما الظاهرة : فالإسلام والقرآن..".
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٥٥٨):ص٣١٠٠/٩.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٦/٣.

وروي عن ابن عباس، رضي الله عنه، أنه سئل عن هذه الآية؛ فقال: هذه من مخزوني الذي سألت عنها النبي، ﷺ، قلت: يا رسول الله، ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة؟ فقال: " يابن عباس، أما ما ظهر؛ فالإسلام، وما سوى الله من خلقك، وما فضل عليك من الرزق، وأما ما بطن؛ فستر مساوئ عملك، ولم يفضحك به، يابن عباس، إن الله يقول: ثلاثة جعلتهن للمؤمنين ولم تكن له: صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله، وجعلت له قلة ماله أكفر به عنه خطاياه، والثالثة: سترت مساوئ عمله فلم أفضحه بشيء منه، ولو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم"[١].
سواهم"[١].

الثاني : أن الظاهرة على اللسان ، والباطنة في القلب ، قاله مجاهد[٢].

قال الطبري:" ظاهرة على الألسن قولا وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملا، وباطنة في القلوب، اعتقادا ومعرفة"[٣].

الثالث : الباطنة المعرفة، والظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة، وتسوية الأعضاء. قاله الضحاك[٤].

الرابع : أن الظاهرة ما أعطاهم من الزي والثياب ، والباطنة متاع المنازل ، حكاه النقاش[٥].

الخامس : أن الظاهرة نعم الدنيا، والباطنة نعم العقبى. قاله المحاسبي[٦].

السادس : الظاهرة الولد ، والباطنة الجماع. حكاه الماوردي[٧].

السابع : أن الظاهرة في نفسه ، والباطنة في ذريته من بعده . أفاده الماوردي[٨].

الثامن : أن الظاهرة ما مضى ، والباطنة ما يأتي . أفاده الماوردي[٩].

التاسع : أن الظاهرة في الأبدان ، والباطنة في الأديان. أفاده الماوردي[١٠].

العاشر: أن الظاهرة محبة الصالحين، والباطنة سكون القلب إلى الله تعالى. قاله سهل[١١].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ} [لقمان : ٢٠]، أي:" ومن الناس مَن يجادل في توحيد الله وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيِّن حقيقة دعواه"[١٢].

قال الطبري:يقول:" ومن الناس من يخاصم في توحيد الله، وإخلاص الطاعة والعبادة له {بِغَيرِ عِلْمٍ} عنده بما يخاصم، ولا بيان يبين به صحة ما يقول، ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعي، يبين حقية دعواه"[١٣].

قال قتادة:" ليس معه من الله برهان ولا كتاب"[١٤].

وقال مقاتل بن سليمان:" {ومن الناس}، يعني: النضر بن الحارث، {من يجادل}، يعني: يخاصم {في الله بغير علم} يعلمه حين يزعم أن الله- عز وجل- البنات، يعني: الملائكة، {ولا

---

(١) أخرجه الواحدي في الوسيط(٧٢٥):ص٤٤٥/٣، وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٤٥٠٥ والديلمي ٧١٦٧ من حديث ابن عباس، وإسناده ضعيف جدا، له ثلاث علل: عمار بن عمرو الجنبي ضعيف وجويبر بن سعيد متروك متهم بالوضع، والضحاك لم يلق ابن عباس. وحسبه أن يكون موقوفا.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٥٥٧):ص٣١٠٠/٩.

(٣) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٠.

(٤) التفسير الوسيط للواحدي: ٤٤٥/٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٤.

(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١٤/ ٧٣، وذكر نحوه الماوردي في النكت والعيون: ٣٤٣/٤. دون نسبة.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٤٢/٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٤٣/٤.

(١١) انظر: تفسير التستري: ١٢٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٤١٣.

(١٣) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٠.

(١٤) اخرجه الطبري: ١٤٩/٢٠.

هدى ولا كتاب منير}، يعني: لا بيان معه من الله- عز وجل-، يقول: ولا كتاب مضيء له فيه حجة بأن الملائكة بنات الله- عز وجل-"(١).

قال ابن كثير:" ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم ، بل منهم من يجادل في الله ، أي : في توحيده وإرسال الرسل. ومجادلته في ذلك بغير علم ، ولا مستند من حجة صحيحة ، ولا كتاب مأثور صحيح"(٢).

قال السعدي:" {و} لكن مع توالي هذه النعم؛ {مِنَ النَّاسِ مَنْ} لم يشكرها؛ بل كفرها؛ وكفر بمن أنعم بها؛ وجحد الحق الذي أنزل به كتبه؛ وأرسل به رسله، فجعل {يُجَادِلُ فِي اللَّهِ} أي: يجادل عن الباطل؛ ليدحض به الحق؛ ويدفع به ما جاء به الرسول من الأمر بعبادة الله وحده، وهذا المجادل على غير بصيرة، فليس جداله عن علم، فيترك وشأنه، ويسمح له في الكلام {وَلا هُدًى} يقتدي به بالمهتدين {وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ} غير مبين للحق فلا معقول ولا منقول ولا اقتداء بالمهتدينوإنما جداله في الله مبني على تقليد آباء غير مهتدين، بل ضالين مضلين"(٣).

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)} [لقمان : ٢١]

التفسير:

وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله وإفراده بالعبادة: اتبعوا ما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، قالوا: بل نتبع ما كان عليه آباؤنا من الشرك وعبادة الأصنام، أيفعلون ذلك، ولو كان الشيطان يدعوهم؛ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، وكفرهم بالله إلى عذاب النار المستعرة؟

قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [لقمان : ٢١]، أي:" وإذا قيل لهؤلاء المجادلين في توحيد الله وإفراده بالعبادة: اتبعوا ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ"(٤).

قال الطبري: يقول:" وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلا منهم بعظمة الله اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدِّقوا به، فإنه يفرق بين المحقّ منا والمبطل، ويفصل بين الضّالّ والمهتدى"(٥).

قال ابن كثير:" { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ } أي : لهؤلاء المجادلين في توحيد الله : { اتَّبِعُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ } أي : على رسوله من الشرائع المطهرة "(٦).

قال مقاتل بن سليمان:" يعنى: للنضر، {اتبعوا ما أنزل الله} من الإيمان بالقرآن"(٧).

قوله تعالى:{قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [لقمان : ٢١]، أي:" قالوا: بل نتبع ما كان عليه آباؤنا من الشرك وعبادة الأصنام"(٨).

قال الطبري: "فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حقّ"(٩).

قال ابن كثير:" أي : لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين"(١٠).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٦/٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.
(٣) تفسير السعدي: ٦٤٩.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٥) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٦/٣.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٩) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.

قوله تعالى:{أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان : ٢١]، أي:" أيفعلون ذلك، ولو كان الشيطان يدعوهم؛ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، وكفرهم بالله إلى عذاب النار المستعرة؟"(١).

قال الطبري: " قال الله تعالى ذكره {أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ} بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على ضلالتهم، وكفرهم بالله، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه {إلى عَذَابِ السَّعِيرِ}، يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب"(٢).

قال ابن كثير:" قال الله : { أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ } [البقرة : ١٧٠] أي : فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم ، أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ؛ ولهذا قال : { أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ }"(٣).

قال السعدي:" قال تعالى في الرد عليهم وعلى آبائهم: {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} فاستجاب له آباؤهم، ومشوا خلفه، وصاروا من تلاميذ الشيطان، واستولت عليهم الحيرة. فهل هذا موجب لاتباعهم لهم ومشيهم على طريقتهم، أم ذلك يرهبهم من سلوك سبيلهم، وينادي على ضلالهم، وضلال من اتبعهم.

وليس دعوة الشيطان لآبائهم ولهم، محبة لهم ومودة، وإنما ذلك عداوة لهم ومكر بهم، وبالحقيقة أتباعه من أعدائه، الذين تمكن منهم وظفر بهم، وقرت عينه باستحقاقهم عذاب السعير، بقبول دعوته "(٤).

فوائد الآيتين:[٢٠-٢١]:

١- تعيين الاستدلال بالخلق على الخالق وبالنعمة على المنعم.

٢- وجوب ذكر النعم وشكرها لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- حرمة الجدل بالجهل ودون علم.

٤- حرمة التقليد في الباطل والشر والفساد كتقليد بعض المسلمين اليوم للكفار في عاداتهم وأخلاقهم ومظاهر حياتهم.

القرآن

{وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢)} [لقمان : ٢٢]

التفسير:

ومن يُخْلص عبادته لله وقصده إلى ربه تعالى، وهو محسن في أقواله، متقن لأعماله، فقد أخذ بأوثق سبب موصل إلى رضوان الله وجنته. وإلى الله وحده تصير كل الأمور، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ} [لقمان : ٢٢]، أي:" ومن يُخْلص عبادته لله وقصده إلى ربه تعالى"(٥).

قال يحيى:" أي: وجهته في الدين"(٦).

قال ابن فورك:" أي: إلى طاعة الله بقصده لها، وإقباله عليها"(٧).

قال مقاتل:" يقول: من يخلص دينه لله"(٨).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.
(٤) تفسير السعدي: ٦٤٩.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٦٧٩/٢.
(٧) تفسير ابن فورك:٤٥٨/١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٣.

قال التستري:" من يخلص دينه لله عز وجل"[1].
قال الطبري: يقول:" ومن يُعبِّد وجهه متذللا بالعبودة، مقرّا له بالألوهة"[2].
قال البغوي:" أي: يخلص دينه لله، ويفوض أمره إلى الله"[3].
قال ابن كثير:" أي : أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه "[4].
قال الزمخشري:" المراد: التوكل عليه والتفويض إليه"[5].
وقرأ أبو عبد الحمن السلمى: «يسلم»، بالتشديد[6].
قال الفراء:" هو كقولك للرجل: أسْلِم أمرك إلى الله وسَلِّم"[7].
قوله تعالى:{وَهُوَ مُحْسِنٌ} [لقمان : ٢٢]، أي:" وهو محسن في أقواله، متقن لأعماله"[8].
لأعماله"[8].
قال مقاتل:" فى عمله"[9].
قال التستري:" ويحسن أدب الإخلاص"[10].
قال الطبري: " يقول: وهو مطيع لله في أمره ونهيه"[11].
قال ابن فورك:" أي: عمله عمل محسن بما ليس بمرائي، ولا مشرك"[12].
قال ابن كثير:" أي : في عمله ، باتباع ما به أمر ، وترك ما عنه زجر "[13].
قوله تعالى:{فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} [لقمان : ٢٢]، أي:" فقد أخذ بأوثق سبب موصل إلى رضوان الله وجنته"[14].
قال الطبري:"يقول: فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به، وهذا مثل، وإنما يعني بذلك: أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة"[15].
قال الزجاج:" أي: من أسلم فقد استمسك بقول: لا إله إلا الله، وهي العروة الوثقى"[16].
قال البغوي:" أي: اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه"[17].
عن ابن عباس: "{وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}، قال: لا إله إلا الله"[18].
قال الزمخشري: هو" من باب التمثيل: مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه "[19].
وقال التستري:"{بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}: وهي السنة"[1].

---

(١) تفسير التستري: ١٢٣.
(٢) تفسيرالطبري: ١٤٩/٢٠.
(٣) تفسير البغوي: ٢٩١/٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.
(٥) الكشاف: ٥٠٠/٣.
(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٢٩/٢.
(٧) معاني القرآن: ٣٢٩/٢.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٣.
(١٠) تفسير التستري: ١٢٣.
(١١) تفسيرالطبري: ١٤٩/٢٠.
(١٢) تفسير ابن فورك:٤٥٨/١.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٧/٦.
(١٤) التفسير الميسر: ٤١٣.
(١٥) تفسيرالطبري: ١٤٩/٢٠-١٥٠.
(١٦) معاني القرآن: ١٩٩/٤.
(١٧) تفسير البغوي: ٢٩١/٦.
(١٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ١٥٠.
(١٩) الكشاف: ٥٠٠/٣.

قوله تعالى:{وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [لقمان : ٢٢]، أي:" وإلى الله وحده تصير كل الأمور، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته"[٢].

قال الطبري:" يقول: وإلى الله مرجع عاقبة كلّ أمر خيره وشرّه، وهو المسائل أهله عنه، ومجازيهم عليه"[٣].

قال الزمخشري:" أى: هي صائرة إليه"[٤].

القرآن

{وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣)} [لقمان : ٢٣]

التفسير:

ومن كفر فلا تأسَ عليه -أيها الرسول- ولا تحزن؛ لأنك أدَّيت ما عليك من الدعوة والبلاغ، إلينا مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها، إن الله عليم بما تُكِنُّه صدورهم من الكفر بالله وإيثار طاعة الشيطان.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة قالوا في: {حم عسق}، {افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}[٥]، يعنون: النبي- ﷺ- حين يزعم أن القرآن جاء من الله- عز وجل- فشق على النبي- ﷺ- قولهم وأحزنه فأنزل الله- عز وجل- {ومن كفر} بالقرآن {فلا يحزنك كفره..}"[٦].

قوله تعالى:{وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ} [لقمان : ٢٣]، أي:" ومن كفر فلا تأسَ عليه -أيها الرسول- ولا تحزن"[٧].

قال الطبري:" ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة"[٨].

قال الزمخشري:" المعنى: لا يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام، فإن الله عز وجل دافع كيده في نحره، ومنتقم منه"[٩].

قوله تعالى:{إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا} [لقمان : ٢٣]، أي:" إلينا مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها"[١٠].

قال الطبري:يقول:" فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها جزاءهم"[١١].

قال الزمخشري:" والله معاقبه على عمله"[١٢].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [لقمان : ٢٣]، أي:" إن الله عليم بما تُكِنُّه صدورهم من الكفر بالله وإيثار طاعة الشيطان"[١٣].

---

(١) تفسير التستري: ١٢٣.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٠.
(٤) الكشاف: ٥٠٠/٣.
(٥) [سورة الشورى: ٢٤]، ومنها : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ} [الشورى : ٢٤].
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٨) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٠.
(٩) الكشاف: ٥٠٠/٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٣.
(١١) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٠.
(١٢) الكشاف: ٥٠٠/٣.
(١٣) التفسير الميسر: ٤١٣.

قال الطبري: " يقول: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان"[١].

قال الزمخشري:" إن الله يعلم ما في صدور عباده، فيفعل بهم على حسبه"[٢].

القرآن

{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)} [لقمان : ٢٤]

التفسير:

نمتعهم في هذه الدنيا الفانية مدة قليلة، ثم يوم القيامة نُلجئهم ونسوقهم إلى عذاب فظيع، وهو عذاب جهنم.

قوله تعالى:{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا} [لقمان : ٢٤]، أي:" نمتعهم في هذه الدنيا الفانية مدة قليلة"[٣].
قليلة"[٣].

قال الطبري: " يقول: نمهلهم في هذه الدنيا مهلا قليلا يتمتعون فيها"[٤].

قال مقاتل:" فى الدنيا إلى آجالهم"[٥].

قال البغوي:" أي: نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا إلى انقضاء آجالهم"[٦].

قال الزمخشري:أي: "نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم"[٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤]، أي:" ثم يوم القيامة نُلجئهم ونسوقهم إلى عذاب فظيع، وهو عذاب جهنم"[٨].

قال الطبري: "يقول: ثم نوردهم على كره منهم عذابا غليظا، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عمل يقرّب منها"[٩].

قال مقاتل:" نصيرهم {إلى عذاب غليظ}، يعني: شديد لا يفتر عنهم"[١٠].

قال البغوي:" ثم نلجئهم ونردهم في الآخرة، {إلى عذاب غليظ} عذاب النار"[١١].

قال ابن كثير:" أي : نلجئهم { إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ } أي : فظيع صعب مشق على النفوس ، كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } [يونس : ٦٩ ، ٧٠]"[١٢].

قال الزمخشري: "شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه. والغلظ: مستعار من الأجرام الغليظة. والمراد الشدة والثقل على المعذب"[١٣].

القرآن

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)} [لقمان : ٢٥]

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/١٥٠.
(٢) الكشاف: ٣/٥٠٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/١٥٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٣٧.
(٦) تفسير البغوي: ٦/٢٩١.
(٧) الكشاف: ٣/٥٠٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/١٥٠.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٣٧.
(١١) تفسير البغوي: ٦/٢٩١.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/٣٤٧.
(١٣) الكشاف: ٣/٥٠٠.

التفسير:
ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بالله: مَن خلق السموات والأرض؟ ليقولُنَّ الله، فإذا قالوا ذلك فقل لهم: الحمد لله الذي أظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم، بل أكثر هؤلاء المشركين لا ينظرون ولا يتدبرون مَن الذي له الحمد والشكر، فلذلك أشركوا معه غيره.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [لقمان : ٢٥]، أي:" ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بالله: مَن خلق السموات والأرض؟ ليقولُنَّ الله"(١).

قال الطبري: يقول: " ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك: {مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ لله}"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء المشركين به : إنهم يعرفون أن الله خالقُ السموات والأرض ، وحدَه لا شريك له ، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خَلْقٌ له وملك له"(٣).

قوله تعالى:{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ} [لقمان : ٢٥]، أي:" فإذا قالوا ذلك فقل لهم: الحمد لله الذي أظهر الاستدلال عليكم من أنفسكم"(٤).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد، فإذا قالوا ذلك، فقل لهم: الحمد لله الذي خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئا وهم يخلقون"(٥).

قال ابن كثير:" أي : إذْ قامت عليكم الحجة باعترافكم"(٦).

قال الزمخشري: " {قل الحمد لله}: إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر. وأن لا يعبد معه غيره"(٧).

قوله تعالى:{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [لقمان : ٢٥]، أي:" بل أك ثر هؤلاء المشركين لا يفكّرون ولا يتدبرون فلذلك لا يعلمون"(٨).

قال مقاتل:اي:" بتوحيد الله- عز وجل-"(٩).

قال الطبري:" يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد، وأين موضع الشكر"(١٠).

قال الزمخشري: " ثم قال: {بل أكثرهم لا يعلمون} أن ذلك يلزمهم، وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا"(١١).

فوائد الآيات:[٢٢-٢٦]:

١- بيان نجاة أهل لا إله إلا الله وهم الذين عبدوا الله وحده بما شرع لهم على لسان رسوله محمد ﷺ.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣- بيان أن المشركين من العرب موحدون في الربوبية مشركون في العبادة كما هو حال كثير من الناس اليوم يعتقدون أن الله رب كل شيء ولا ربّ سواه ويذبحون وينذرون ويحلفون بغيره، ويخافون غيره ويرهبون سواه. والعياذ بالله.

القرآن

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٥) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٠-١٥١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦.
(٧) الكشاف: ٥٠٠/٣.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٥٦/٢.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٧/٣.
(١٠) تفسير الطبري:١٥١/٢٠.
(١١) الكشاف: ٥٠٠/٣.

{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)} [لقمان : ٢٦]

التفسير:

لله -سبحانه- كل ما في السموات والأرض ملكًا وعبيدًا وإيجادًا وتقديرًا، فلا يستحق العبادة أحد غيره. إن الله هو الغني عن خلقه، له الحمد والثناء على كل حال.

قوله تعالى:{لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [لقمان : ٢٦]، أي:" لله -سبحانه- كل ما في السموات والأرض ملكًا وعبيدًا وإيجادًا وتقديرًا، فلا يستحق العبادة أحد غيره"(١).

قال الطبري: يقول: "لله كلّ ما في السموات والأرض من شيء ملكا كائنا ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك، مما يعبد أو لا يعبد"(٢).

قال ابن كثير:" أي : هو خلقه وملكه"(٣).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [لقمان : ٢٦]، أي:" إن الله هو الغني عن خلقه، له الحمد والثناء على كل حال"(٤).

قال الطبري: "يقول: إن الله هو الغنيّ عن عباده هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه؛ لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه، الحميد: يعني: المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه"(٥).

قال ابن كثير:" أي : الغني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، الحميد في جميع ما خلق ، له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع ، وهو المحمود في الأمور كلها"(٦).

قال ابن فورك:" الغني: المختص؛ بأن وجود غيره وعدمه سواء؛ في أنه لا يتغير به ونقيضه محتاج، والمحتاج: هو المختص بأن في وجود غيره انتفاء الضر عنه، أو صفة النقص. الحميد: المستحق للحمد، ونقيضه الذميم، وقد يقال: محمود على هذا المعنى؛ أنه أهل للحمد"(٧).

قال الزمخشري:" إن الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد، وإن لم يحمدوه"(٨).

القرآن

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)} [لقمان : ٢٧]

التفسير:

ولو أن أشجار الأرض كلها بُريت أقلامًا والبحر مداد لها، ويُمَد بسبعة أبحر أخرى، وكُتِب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله من علمه وحكمه، وما أوحاه إلى ملائكته ورسله؛ لتكسرت تلك الأقلام، ولنفِد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد. إن الله عزيز في انتقامه ممن أشرك به، حكيم في تدبير خلقه.

سبب النزول:

عن ابن عباس: أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد، أرأيت قوله: {وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قَلِيلا} إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: "كُلا"، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك: أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلّ شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّها في عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذلكَ ما يكْفِيكُمْ»، فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك: {وَلَوْ أنَّما في الأرْضِ مِنْ

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٢) تفسير الطبري:١٥١/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٥) تفسير الطبري:١٥١/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦.
(٧) تفسير ابن فورك:٤٥٨/١-٤٥٩.
(٨) الكشاف: ٥٠٠/٣.

شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ}، أي: أن التوراة في هذا من علم الله قليل"(١).

عن عطاء بن يسار، قال: "لما نزلت بمكة: {وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العلْم إلا قَلِيلا}، يعني: اليهود، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد، ألم يبلغنا أنك تقول: {وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلا قَلِيلا} أفتعنينا أم قومك؟ قال: "كُلا قَدْ عَنَيْتُ"، قالوا: فإنك تتلو أنا قد أوتينا التوراة، وفيها تبيان كلّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: "هِيَ فِي عِلمِ اللهِ قَلِيلٌ، وقَدْ أتاكُمُ اللهُ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ"، فأنزل الله: {وَلَوْ أنَّما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ منْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ... } إلى قوله: {إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"(٢).

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ} [لقمان : ٢٧]، أي:" ولو أنَّ جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما"(٣).

قال الطبري: يقول:" ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاما"(٤).

قال مقاتل:" يقول: لو أن كل شجرة ذات ساق على وجه الأرض بريت أقلاما"(٥).

قال ابن كثير:" أي : ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما"(٦).

قال الحسن:" لو جعل شجر الأرض أقلاما"(٧).

قال عمرو:" لو بريت أقلاما"(٨).

قوله تعالى:{وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ} [لقمان : ٢٧]، أي:" وجعل البحر بسعته حبراً ومداداً وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله"(٩).

وجلاله"(٩).

قال الطبري: يقول: والبحر له مداد يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد"(١٠).

قال مقاتل:" وكانت البحور السبعة مدادا فكتب بتلك الأقلام وجميع خلق الله- عز وجل- يكتبون من البحور السبعة فكتبوا علم- الله تعالى- وعجائبه"(١١).

قال الفراء:" يقول: يكون مدادا كالمداد المكتوب بِهِ"(١٢).

قال الحسن:" وجعل البحور مدادا"(١٣).

قال عمرو:" والبحر مدادا، فكتب بتلك الأقلام منه"(١٤).

قال ابن كثير:أي:" وجعل البحر مدادًا ومَده سبعة أبحر معه ، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله.. وإنما ذكرت «السبعة» على وجه المبالغة ، ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم ، كما يقوله من تلقاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدق ولا تكذب ، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى : { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } [الكهف : ١٠٩] ، فليس

---

(١) اخرجه الطبري: ١٥٢/٢٠.
(٢) اخرجه الطبري: ١٥٣/٢٠.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٥٦/٢.
(٤) تفسير الطبري :١٥١/٢٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦.
(٧) اخرجه الطبري: ١٥١/٢٠.
(٨) اخرجه الطبري: ١٥١/٢٠.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٥٦/٢.
(١٠) تفسير الطبري :١٥١/٢٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٣.
(١٢) معاني القرآن: ٣٢٩/٢.
(١٣) اخرجه الطبري: ١٥١/٢٠.
(١٤) اخرجه الطبري: ١٥١/٢٠.

المراد بقوله : { بِمِثْلِهِ } آخر فقط ، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ، ثم هلم جرا ؛ لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته"[١].

قوله تعالى:{مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [لقمان : ٢٧]، أي:" لتكسرت تلك الأقلام، ولنفِد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد"[٢].

قال الطبري: "لتكسرت تلك الأقلام، ولنفذ ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله"[٣].

قال ابن كثير:" لتكسرت الأقلام ، ونَفدَ ماء البحر، ولو جاء أمثالها مَدَدا"[٤].

قال أبو عبيدة:" فكتب كتاب الله بهذه الأقلام وبهذه البحور مانفد كتاب الله"[٥].

قال مقاتل:" لنفدت تلك الأقلام وتلك البحور ولم ينفد علم الله وكلماته ولا عجائبه"[٦].

قال يحيى:" يعني: لانكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، ولمات الكتاب وما نفدت كلمات الله، علمه بما خلق"[٧].

قال الزجاج:" معناه: ما انقطعت، ويروى أن المشركين قالوا في القرآن: إن هذا كلام سينفد، وسيقطع، فأعلم الله عز وجل أن كلماته وحكمته لا تنفد"[٨].

قال عمرو:" {ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ} ولو مدّه سبعة أبحر"[٩].

قال الحسن:" لنفد ماء البحور، وتكسَّرت الأقلام"[١٠].

عن قتادة في هذه الآية، قال:" قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، قال: لو كان شجر البرّ أقلاما، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه"[١١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان : ٢٧]، أي:" إن الله عزيز في انتقامه ممن أشرك به، حكيم في تدبير خلقه"[١٢].

قال الطبري:" يقول: إن الله ذو عزّة في انتقامه ممن أشرك به، وادّعى معه إلها غيره، حكيم في تدبيره خلقه"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : عزيز قد عَز كلَّ شيء وقهره وغلبه ، فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه ، { حَكِيمٌ } في خلقه وأمره ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وجميع شؤونه"[١٤].

القرآن

{مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)} [لقمان : ٢٨]

التفسير:

ما خَلْقُكم -أيها الناس- ولا بَعْثُكم يوم القيامة في السهولة واليسر إلا كخَلْق نفس واحدة وبَعْثها، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

سبب النزول:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٣) تفسير الطبري :١٥١/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٤٨/٦.
(٥) مجاز القرآن: ١٢٨/٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٣.
(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٠/٢.
(٨)معاني القرآن: ٢٠٠/٤ .
(٩) اخرجه الطبري: ١٥١/٢٠.
(١٠) اخرجه الطبري: ١٥١/٢٠.
(١١) اخرجه الطبري: :١٥١/٢٠-١٥٢.
(١٢) التفسير الميسر: ٤١٣.
(١٣) تفسير الطبري: ١٥٣/٢٠.
(١٤)تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٦ .

قال مقاتل:" نزلت في أبي بن خلف، وأبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة ومنبه ونبيه ابني الحجاج بن السباق بن حذيفة السهمي، كلهم من قريش وذلك أنهم قالوا للنبي- ﷺ-: إن الله خلقنا أطوارا، نطفة، علقة، مضغة، عظاما، لحما، ثم تزعم أنا نبعث خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة، فقال الله- عز وجل-: {ما خلقكم}- أيها الناس- جميعا على الله- سبحانه- في القدرة إلا كخلق نفس واحدة، {ولا بعثكم} جميعا على الله- تعالى- إلا كبعث نفس واحدة {إن الله سميع بصير} لما قالوا من الخلق والبعث"(١).

قوله تعالى:{مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان : ٢٨]، أي:" ما خَلْقُكم -أيها الناس- ولا بَعْثُكم يوم القيامة في السهولة واليسر إلا كخَلْق نفس واحدة وبَعْثها"(٢).

قال الطبري في الآية:" يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، وذلك أن الله لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه {إنما أمره إذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون} فسواء خلق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم"(٣).

قال الزجاج:" تأويله: إلا كخلق نفس واحدة، وكبعث نفس واحدة، أي: قدرة الله على بعث الخلق أجمعين وعلى خلق الخلق أجمعين كقدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة"(٤).

قال ابن كثير:أي:" ما خَلْقُ جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلقنفس واحدة ، الجميع هين عليه و{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس : ٨٢] ، { وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ } [القمر : ٥٠] أي : لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة ، فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكده. { فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ } [النازعات : ١٣ ، ١٤]"(٥).

قال قتادة: يقول: إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها"(٦).

عن مجاهد، قوله: "{كَنَفْسٍ وِاحِدَةٍ}، يقول: كن فيكون، للقليل والكثير"(٧).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [لقمان : ٢٨]، أي:" إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، وسيجازيكم عليها"(٨).

قال الطبري: يقول:" إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم"(٩).

قال ابن كثير: " أي : كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة"(١٠).

فوائد الآيات:[٢٦-٢٨]:

١- بيان قدرة الله تعالى وأنها لا تحد ولا يعجزها شيء.

٢- إثبات صفات الله كالعزة والحكمة والسمع والبصر.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٥٣/٢٠.
(٤)معاني القرآن: ٢٠٠/٤ .
(٥)تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٦ .
(٦) اخرجه الطبري: ١٥٣/٢٠.
(٧) اخرجه الطبري: ٢٠/ ١٥٣.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٣.
(٩) تفسير الطبري: ١٥٤/٢٠.
(١٠)تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٦ .

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)} [لقمان : ٢٩]

التفسير:

ألم تر أن الله يأخذ من ساعات الليل، فيطول النهار، ويقصر الليل، ويأخذ من ساعات النهار، فيطول الليل، ويقصر النهار، وذلَّل لكم الشمس والقمر، يجري كل منهما في مداره إلى أجل معلوم محدد، وأن الله مُطَّلع على كل أعمال الخلق مِن خير أو شر، لا يخفى عليه منها شيء؟

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [لقمان : ٢٩]، أي:" ألم تر أن الله يأخذ من ساعات الليل، فيطول النهار، ويقصر الليل، ويأخذ من ساعات النهار، فيطول الليل، ويقصر النهار"[(١)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {ألم تر} يا محمد بعينك {أن الله} يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار، ويزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل"[(٢)].

قال يحيى:" يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه"[(٣)].

قال الزجاج:" {يولج الليل في النهار}، معناه: يدخل الليل في النهار، ليل الصيف في نهاره، {ويولج النهار في الليل}، يدخل نهار الشتاء في ليله"[(٤)].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ } بمعنى : يأخذ منه في النهار ، فيطولُ ذلك ويقصر هذا ، وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ، ثم يسرع في النقص فيطول الليل ويقصر النهار ، وهذا يكون في زمن الشتاء"[(٥)].

عن قتادة، قوله: "{ألم تر أن الله يولج الليل في النهار}: نقصان الليل في زيادة النهار، {ويولج النهار في الليل}: نقصان النهار في زيادة الليل"[(٦)].

قال السعدي:" وهذا فيه أيضا، انفراده بالتصرف والتدبير، وسعة تصرفه بإيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، أي: إدخال أحدهما على الآخر، فإذا دخل أحدهما، ذهب الآخر"[(٧)].

قوله تعالى:{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [لقمان : ٢٩]، أي:" وذلَّل لكم الشمس والقمر، يجري كل منهما في مداره إلى أجل معلوم محدد"[(٨)].

قال الطبري:يقول:" وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم، كل ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم، وأجل محدود إذا بلغه كورت الشمس والقمر"[(٩)].

قال السعدي:" وتسخيره للشمس والقمر، يجريان بتدبير ونظام، لم يختل منذ خلقهما، [ص:٦٥٢] ليقيم بذلك من مصالح العباد ومنافعهم، في دينهم ودنياهم، ما به يعتبرون وينتفعون. و{كُلّ} منهما {يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} إذا جاء ذلك الأجل، انقطع جريانهما، وتعطل سلطانهما، وذلك في يوم القيامة، حين تكور الشمس، ويخسف القمر، وتنتهي دار الدنيا، وتبتدئ الدار الآخرة"[(١٠)].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٤.
(٢) تفسير الطبري: ١٥٤/٢٠.[بتصرف بسيط]
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٤) معاني القرآن: ٢٠٠/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٤٩/٦-٣٥٠.
(٦) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٠.
(٧) تفسير السعدي: ٦٥١.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٤.
(٩) تفسير الطبري: ١٥٤/٢٠.
(١٠) تفسير السعدي: ٦٥١.

قال قتادة:" يقول: لذلك كله وقت وحد معلوم، لا يجاوزه ولا يعدوه"[1].

قال يحيى:" يجريان، لا يقصر دونه ولا يزيد عليه إلى الوقت الذي يكور فيه فيذهب ضوءه"[2].

قال ابن كثير:{ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}" قيل : إلى غاية محدودة. وقيل : إلى يوم القيامة. وكلا المعنيين صحيح.

ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر ، رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ قال : «يا أبا ذر ، أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟". قلت : الله ورسوله أعلم. قال : "فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأذن ربَّها فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت»[3].

وعن ابن عباس أنه قال : "الشمس بمنزلة الساقية ، تجري بالنهار في السماء في فلكها ، فإذا غربت جرت بالليل في فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها ، قال : وكذلك القمر"[4]. إسناده صحيح"[5]"[6].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [لقمان : ٢٩]، أي:" وأن الله مُطَّلع على كل أعمال الخلق مِن خير أو شر، لا يخفى عليه منها شيء"[7].

قال الطبري: " يقول: وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك، وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله ﷺ، والمعني به المشركون، وذلك أنه تعالى ذكره: نبه بقوله: {أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل} على موضع حجته من جهل عظمته، وأشرك في عبادته معه غيره، يدل على ذلك قوله: {ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل}"[8].

قال ابن كثير: معناه:" أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء"[9].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)} [لقمان : ٣٠]

التفسير:

ذلك كله من عظيم قدرة الله ؛ لتعلموا وتقروا أن الله هو الحق في ذاته وصفاته، وأفعاله، وأن ما يدعون من دونه الباطل، وأن الله هو العلي بذاته وقَدْره وقهره فوق جميع مخلوقاته، الكبير على كل شيء، وكل ما عداه خاضع له، فهو وحده المستحق أن يُعبد دون مَن سواه.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} [لقمان : ٣٠]، أي:" ذلك كله من عظيم قدرة الله ؛ لتعلموا وتقروا أن الله هو الحق في ذاته وصفاته، وأفعاله"[10].

قال الطبري:يقول:" هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وغير ذلك من عظيم قدرته، إنما فعله بأنه الله حقا، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقدرته"[11].

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ١٥٤.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٣)صحيح البخاري برقم (٤٨٠٣) وصحيح مسلم برقم (١٥٩).
(٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦، وقال :" إسناده صحيح".
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٤.
(٨) تفسير الطبري: ١٥٤/٢٠-١٥٥.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٤.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٥٥.

قال ابن كثير: "أي:: إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق ، أي : الموجود الحق ، الإله الحق "[1].

قال السعدي:" {ذَلِكَ} الذي بين لكم من عظمته وصفاته، ما بيَّن {بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} في ذاته وفي صفاته، ودينه حق، ورسله حق، ووعده حق، ووعيده حق، وعبادته هي الحق"[2].

قال يحيى:"«الحق»: اسم من أسماء الله"[3].

قوله تعالى:{وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} [لقمان : ٣٠]، أي:" وأن كل ما يعبدون من دون الله من الأوثان والأصنام باطل لا حقيقة له"[4].

قال الطبري: يقول:"وبأن الذي يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحل، فيبيد ويفنى"[5].

قال ابن كثير: "وأن كل ما سواه باطل فإنه الغني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ؛ لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده ، لا يقدر أحد منهم على تحريك ذَرّة إلا بإذنه ، ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابا لعجزوا عن ذلك"[6].

قال السعدي:" {وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} في ذاته وصفاته، فلولا إيجاد الله له لما وجد، ولولا إمداده لَمَا بَقِيَ، فإذا كان باطلا كانت عبادته أبطل وأبطل"[7].

قال يحيى:" يعني: أوثانهم"[8].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [لقمان : ٣٠]، أي:" وأن الله هو العلي بذاته وقَدْره وقهره فوق جميع مخلوقاته، الكبير على كل شيء، وكل ما عداه خاضع له، فهو وحده المستحق أن يُعبد دون مَن سواه"[9].

قال الطبري: يقول: "وبأن الله هو ذو العلو على كل شيء، وكل ما دونه فله متذلل منقاد، الكبير الذي كل شيء دونه، فله متصاغر"[10].

قال ابن كثير: " أي : العلي : الذي لا أعلى منه ، الكبير : الذي هو أكبر من كل شيء ، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه "[11].

قال السعدي:" {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ} بذاته، فوق جميع مخلوقاته، الذي علت صفاته، أن يقاس بها صفات أحد من الخلق، وعلا على الخلق فقهرهم {الْكَبِيرُ} الذي له الكبرياء في ذاته وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء والأرض"[12].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)} [لقمان : ٣١]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.
(٢) تفسير السعدي: ٦٥١.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٥٧/٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٥٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.
(٧) تفسير السعدي: ٦٥١.
(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٥٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٥٠/٦.
(١٢) تفسير السعدي: ٦٥١.

ألم تر -أيها المشاهد- أن السفن تجري في البحر بأمر الله نعمة منه على خلقه؛ ليريكم من عبره وحججه عليكم ما تعتبرون به؟ إن في جرْي السفن في البحر لَدلالات لكل صبَّار عن محارم الله، شكور لنعمه.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ} [لقمان : ٣١]، أي:" ألم تر -أيها المشاهد- أن السفن تجري في البحر بأمر الله نعمة منه على خلقه"(١).

قال الطبري: يقول: " ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه"(٢).

قال ابن كثير: " يخبر تعالى أنه هو الذي سَخَّر البحر لتجري فيه الفلك بأمره ، أي : بلطفه وتسخيره ؛ فإنه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت "(٣).

قال السعدي:" أي: ألم تر من آثار قدرته ورحمته، وعنايته بعباده، أن سخر البحر، تجري فيه الفلك، بأمره القدري ولطفه وإحسانه"(٤).

قوله تعالى:{لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ} [لقمان : ٣١]، أي:" ليريكم من عبره وحججه عليكم ما تعتبرون به"(٥).

قال الطبري: " يقول: ليريكم من عبره وحججه عليكم"(٦).

قال ابن كثير: " أي : من قدرته "(٧).

قال يحيى:" يعني: جري السفن من آياته"(٨).

قال السعدي:" {لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ} ففيها الانتفاع والاعتبار"(٩).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [لقمان : ٣١]، أي:" إن في جرْي السفن في البحر لَدلالات لكل صبَّار عن محارم الله، شكور لنعمه"(١٠).

قال الطبري: " يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق، وأن ما يدعون من دونه الباطل لكل من صبر نفسه عن محارم الله، وشكره على نعمه فلم يكفره"(١١).

قال ابن كثير: " أي : صبار في الضراء ، شكور في الرخاء "(١٢).

قال يحيى:" وهو المؤمن"(١٣).

قال السعدي:" فهم المنتفعون بالآيات، صبار على الضراء، شكور على السراء، صبار على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقداره، شكور لله، على نعمه الدينية والدنيوية"(١٤).

قال الزجاج:" فأعلم الله - عز وجل - أن المعتبر المتفكر في خلق السماوات والأرض هو الصبار الشكور"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٥٥.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(٤) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٤.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٥٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٩) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٤.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ١٥٥. ثم قال الطبري:" إن قال قائل: وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبَّار الشَّكور دون سائر الخلق؟ قيل: لأنّ الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول، فأخبر أن في ذلك لآيات لكلّ ذي عقل؛ لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوي العقول والتمييز".
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(١٤) تفسير السعدي: ٦٥٢.

قال قتادة:" كان مطرف يقول: إن من أحب عباد الله إليه: الصبار الشكور"[٢].
قال الشعبي:" الصبر نصف الإيمان، واليقين: الإيمان كله"[٣].
قال مغيرة، "الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين: الإيمان كله، ألم تر إلى قوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}، {إِنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ للْمُوقِنينَ}، {إِنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ للْمُؤْمِنينَ}"[٤].

القرآن

{وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)} [لقمان : ٣٢]

التفسير:

وإذا ركب المشركون السفن وعَلَتْهم الأمواج مِن حولهم كالسحب والجبال، أصابهم الخوف والذعر من الغرق ففزعوا إلى الله، وأخلصوا دعاءهم له، فلما نجاهم إلى البر فمنهم متوسط لم يقم بشكر الله على وجه الكمال، ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها، وما يكفر بآياتنا وحججنا الدالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا إلا كل غدَّار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه.

قوله تعالى:{وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ} [لقمان : ٣٢]، أي:" وإذا علا المشركين وغطّاهم وهم في البحر موج كثيف كالجبال"[٥].

قال الطبري:" وإذا غشى هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر -إذا ركبوا في الفُلك- موج كالظُّلل، وهي جمع: «ظُلَّة»، شبَّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء..وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظلل"[٦].

قال أبو عبيدة:« الظُّلَلِ»" واحدتها: «ظلة»، ومجازه: من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه، قال النابغة الجعدى وهو يصف البحر[٧]:
يُماشِيهِنَّ أَخْضَرُ ذُو ظلال ... عَلى حافاتِهِ فِلَق الدّنانِ "[٨].

قال ابن كثير: " {كَالظُّلَلِ}، أي : كالجبال والغمام "[٩].

قال الزجاج:" قال في الموج: {كالظلل}، لأن موج البحر يعظم حتى يصير كأنه ظلل"[١٠].

قوله تعالى:{دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [لقمان : ٣٢]، أي:" أخلصوا دعاءهم لله حين علموا أنه لا منجي لهم غيره فلا يدعون لخلاصهم سواه"[١١].

قال الطبري: يقول:" وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئا، ولا يدعون معه أحدا سواه، ولا يستغيثون بغيره"[١٢].

---

(١) معاني القرآن: ٢٠١/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٠.
(٣) اخرجه الطبري: ١٥٦/٢٠.
(٤) اخرجه الطبري: ١٥٥/٢٠-١٥٦.
(٥) صفوة التفاسير: ٤٥٧/٢.
(٦) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٠.
(٧) البيت له في مجاز القرآن: ١٢٩/٢، وتفسير الطبري: ١٥٦/٢٠، والكشف والبيان: ٣٢٢/٧، والمحرر الجيز: ٣٥٥/٤، وتفسير القرطبي: ٨٠/١٤.
(٨) مجاز القرآن: ١٢٨/٢-١٢٩.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(١٠) معاني القرآن: ٢٠١/٤.
(١١) صفوة التفاسير: ٤٥٧/٢.
(١٢) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٠.

قوله تعالى:{فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ} [لقمان : ٣٢]، أي:" فلما أنقذهم من شدائد البحر، واخرجهم إلى شاطئ النجاة في البر"(١).

قال الطبري: يقول: "{فَلَمَّا نجَّاهُمْ إلى البَرّ} مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البرّ"(٢).

قوله تعالى:{فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} [لقمان : ٣٢]، أي:" فمنهم متوسط لم يقم بشكر الله على وجه الكمال ومنهم كافر بنعمة الله جاحد لها"(٣).

قال الطبري: "يقول: فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه، وهو مع ذلك مضمر الكفر به"(٤).

قال السعدي:" {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ} انقسموا فريقين: فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم. وفرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها"(٥).

قال يحيى: {فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}، " وهو المؤمن، وإما الكافر فعاد في كفره"(٦).

قال مجاهد:" المقتصد في القول، وهو كافر"(٧).

قال ابن كثير: " كأن مجاهد فسر «المقتصد» -هاهنا- بالجاحد ، كما قال تعالى : { فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } [العنكبوت : ٦٥]"(٨).

قال ابن زيد:" المقتصد الذي على صلاح من الأمر"(٩).

قال ابن كثير: "وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله : { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } [فاطر : ٣٢] ، فالمقتصد هاهنا هو : المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مرادًا هنا أيضا ، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر ، ثم بعدما أنعم عليه من الخلاص ، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام ، والدؤوب في العبادة ، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة هذه ، والله أعلم"(١٠).

قوله تعالى:{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} [لقمان : ٣٢]، أي:" وما يكفر بآياتنا وحججنا الدالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا إلا كل غدَّار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه"(١١).

قال الطبري:" وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كلّ غدّار بعهده، {كَفُور}، يعني: جحودا للنعم، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة"(١٢).

قال السعدي:" أي: غدار، ومن غدره، أنه عاهد ربه، لئن أنجيتنا من البحر وشدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر ولم يف بذلك، {كَفُور} بنعم الله. فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم الله؟"(١٣).

قال أبو عبيدة:" «الختر»: أقبح الغدر، قال الأعشى(١٤):

بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير ختار

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٥٧/٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٠.
(٣) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(٤) تفسير الطبري: ١٥٦/٢٠.
(٥) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٧) اخرجه الطبري: ١٥٧/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(٩) اخرجه الطبري: ١٥٧/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(١١) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(١٢) تفسير الطبري: ١٥٧/٢٠.
(١٣) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(١٤)ديوانه ص ١٢٧ واللسان (ختر) والقرطبي ١٤/ ٨٠.

وقال عمرو بن معديكرب[1]:
وَإِنَّكَ لَوْ رأيْتَ أبا عُمَيْرٍ ... مَلأتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ
قال ابن كثير: " الختار : هو الغَدَّار... وقوله : { كَفُورٍ } أي : جحود للنعم لا يشكرها ، بل يتناساها ولا يذكرها"[2].
عن ابن عباس، قوله: "{وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}، قال: كلّ جحاد كفور"[3].
كفور"[3].
عن مجاهد: "{كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}، قال: كلّ غَدّار"[4]. وروي عن الحسن مثله[5].
قال قتادة:" الختار: الغدار، كلّ غدار بذمته كفور بربه"[6].
وقال قتادة:" الذي يغدر بعهده"[7].
قال ابن زيد:" الختار: الغدّار، كما تقول: غدرني"[8].
قال الضحاك:" الغدّار"[9].
قال علي-رضي الله عنه-:"المكر غدر، والغدر كفر"[10].
فوائد الآيات:[٢٩-٣٢]:
١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك بذكر الأدلة المستفادة من مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته.
٢- فضيلة الصبر والشكر والجمع بينهما خير من افتراقهما.
٣- بيان أن المشركين أيام نزول القرآن كانوا يوحدون في الشدة ويشركون في الرخاء.
٤- شر الناس الختّار أي الغدار الكفور.
٥- ذم الختر وهو أسوأ الغدر وذم الكفر بالنعم الإلهية.

القرآن
{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣)} [لقمان : ٣٣]
التفسير:
يا أيها الناس اتقوا ربكم، وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا، إن وعد الله حق لا ريب فيه، فلا تنخدعوا بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الأخرى، ولا يخدعنكم بالله خادع من شياطين الجن والإنس.
قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ} [لقمان : ٣٣]، أي:" يا أيها الناس اتقوا ربكم، وأطيعوه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه"[11].
قال الطبري: يقول:" أيها المشركون من قريش، اتقوا الله"[12].
قال القرطبي:" يعني الكافر والمؤمن، أي: خافوه ووحدوه"[13].

---
(١) البيت ل في مجاز القرآن: ١٢٩/٢، وتفسير الطبري: ١٥٧/٢٠، وتفسير القرطبي: ٨٠/١٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(٣) اخرجه الطبري: ١٥٨/٢٠.
(٤) اخرجه الطبري: ١٥٧/٢٠.
(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٦) اخرجه الطبري: ١٥٧/٢٠-١٥٨.
(٧) اخرجه الطبري: ١٥٨/٢٠.
(٨) اخرجه الطبري: ١٥٨/٢٠.
(٩) اخرجه الطبري: ١٥٨/٢٠.
(١٠) اخرجه الطبري: ١٥٨/٢٠.
(١١) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(١٢) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٠.
(١٣) تفسير القرطبي: ٨١/١٤.

قال السعدي: " يأمر تعالى الناس بتقواه، التي هي امتثال أوامره، وترك زواجره"(١).

قوله تعالى:{وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا} [لقمان : ٣٣]، أي:" واحذروا يوم القيامة الذي لا يغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا"(٢).

قال الطبري: يقول:" وخافوا أن يحلّ بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود هو مغن عن والده شيئا؛ لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا"(٣).

قال ابن كثير: " أي : لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه. وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يتقبل منه"(٤).

قال القرطبي:" فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم»(٥).

وقال:" « من ابتلي بشيء من هذه البنات، فأحسن إليهن، كن له سترا من النار»(٦).

قيل له: المعني بهذه الآية: أنه لا يحمل والد ذنب ولده، ولا مولود ذنب والده، ولا يؤاخذ أحدهما عن الآخر. والمعني بالأخبار أن ثواب الصبر على الموت والإحسان إلى البنات يحجب العبد عن النار، ويكون الولد سابقا له إلى الجنة"(٧).

قال السعدي: " فلفت النظر في هذا لهذا اليوم المهيل، مما يقوي العبد ويسهّل عليه تقوى الله، وهذا من رحمة الله بالعباد، يأمرهم بتقواه التي فيها سعادتهم، ويعدهم عليها الثواب، ويحذرهم من العقاب، ويزعجهم إليه بالمواعظ والمخوفات، فلك الحمد يا رب العالمين"(٨).

قوله تعالى:{إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [لقمان : ٣٣]، أي:" إن وعد الله حق لا ريب فيه"(٩).

قال يحيى:" يعني: البعث، والحساب، والجنة، والنار"(١٠).

قال الطبري: "يقول: اعلموا أن مجيء هذا اليوم حقّ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده"(١١).

قال السعدي:" فلا تمتروا فيه، ولا تعملوا عمل غير المصدق"(١٢).

قوله تعالى:{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [لقمان : ٣٣]، أي:" فلا تنخدعوا بالحياة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الأخرى"(١٣).

قال الطبري:" يقول: فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم"(١٤).

قال ابن كثير: " أي : لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة "(١٥).

---

(١) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(٢) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(٣) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.
(٥)أخرجه أحمد (٢٧٦/٢، رقم ٧٧٠٧) . وأخرجه أيضا: عبد الرزاق عن معمر فى الجامع (١٣٩/١١، رقم ٢٠١٣٩).
(٦) مسند احمد(٢٤٠٥٥):ص٦١/٤٠، و"مصنف" عبد الرزاق (١٩٦٩٣).
(٧) تفسير القرطبي: ٨١/١٤.
(٨) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(٩) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(١١) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٠.
(١٢) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(١٣) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(١٤) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٠.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦.

قال القرطبي:" أي تخدعنكم {الحياة الدنيا} بزينتها وما تدعوا إليه فتتكلوا عليها وتركنوا إليها وتتركوا العمل للآخرة"(١).

قال السعدي: أي:"بزينتها وزخارفها وما فيها من الفتن والمحن"(٢).

قوله تعالى:{وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [لقمان : ٣٣]، أي:" ولا يخدعنكم بالله خادع من شياطين الجن والإنس"(٣).

قال الطبري:" يقول: ولا يخدعنَّكم بالله خادع. و«الغَرور» بفتح الغين: هو ما غرّ الإنسان من شيء كائنا ما كان شيطانا كان أو إنسانا، أو دنيا، وأما «الغُرور» بضم الغين: فهو مصدر من قول القائل: غررته غرورا"(٤).

قال ابن كثير: " {الْغَرُورُ } يعني : الشيطان، فإنه يغر ابن آدم ويَعدهُ ويمنيه ، وليس من ذلك شيء بل كما قال تعالى : { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا } [النساء : ١٢٠]"(٥).

قال أبو عبيدة: معناه: "أن كل من غرّك من أمر الله أو من غير ذلك فهو غرور شيطانا كان أو غيره"(٦).

قال السعدي:" {وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} الذي هو الشيطان، الذي ما زال يخدع الإنسان ولا يغفل عنه في جميع الأوقات، فإن لله على عباده حقا، وقد وعدهم موعدا يجازيهم فيه بأعمالهم، وهل وفوا حقه أم قصروا فيه.وهذا أمر يجب الاهتمام به، وأن يجعله العبد نصب عينيه، ورأس مال تجارته، التي يسعى إليها. ومن أعظم العوائق عنه والقواطع دونه، الدنيا الفتانة، والشيطان [ص:٦٥٣] الموسوس الْمُسَوِّل، فنهى تعالى عباده، أن تغرهم الدنيا، أو يغرهم بالله الغرور {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا}"(٧).

قال يحيى:" هي تقرأ على وجهين: «الْغَرُورُ» و«الْغُرُورُ»، فمن قرأها « الْغَرُورَ»، فيقول: الشيطان، ومن قرأها « الْغُرُورَ» يقول: غرور الدنيا، كقوله: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: ٢٠]"(٨).

عن مجاهد، قوله: "{الغَرُور}، قال: الشيطان"(٩). وروي عن الضحاك مثله(١٠).

عن قَتادة، قوله: "{وَلا يَغُرَنَّكُمْ باللهِ الغَرُور}، ذاكم الشيطان"(١١).

وعن سعيد بن جُبَير، قوله: "{وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ}، قال: إن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة"(١٢).

قال وهب بن منبه : "قال عزير ، عليه السلام : لما رأيت بلاء قومي اشتد حزني وكثر همي ، وأرق نومي ، فضرعت إلى ربي وصليت وصمت فأنا في ذلك أتضرع أبكي إذ أتاني الملك فقلت له : أخبرني هل تشفع أرواح المصدقين للظلمة ، أو الآباء لأبنائهم ؟ قال : إن القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ، ليس فيه رخصة ، لا يتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن ، ولا يؤخذ فيه والد عن ولده ، ولا ولد عن والده ، ولا أخ عن أخيه ، ولا عبد عن سيده ، ولا

---

(١) تفسير القرطبي: ٨١/١٤.
(٢) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(٣) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(٤) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٥١/٦-٣٥٢.
(٦) مجاز القرآن: ١٢٩/٢.
(٧) تفسير السعدي: ٦٥٢.
(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٩) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٠.
(١٠) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(١١) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٠.

يهتم أحد بغيره ولا يحزن لحزنه ، ولا أحد يرحمه ، كل مشفق على نفسه ، ولا يؤخذ إنسان عن إنسان ، كل يَهُم همه ويبكي عَوله ، ويحمل وزره ، ولا يحمل وزره معه غيره"(١).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)} [لقمان : ٣٤]

التفسير:

إن الله -وحده لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة؛ وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره، ويعلم ما في أرحام الإناث، ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها، وما تعلم نفس بأيِّ أرض تموت. بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعه. إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها.

سبب النزول:

عن مجاهد: "{إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ}، قال: جاء رجل - قال أبو جعفر: أحسبه أنا، قال: - إلى النبيّ ﷺ فقال: إن امرأتي حُبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا محل جدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرني متى أموت، فأنزل الله: {إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الغَيْثَ ... }، إلى آخر السورة، قال: فكان مجاهد يقول: هنّ مفاتح الغيب التي قال الله: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ}"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان : ٣٤]، أي:" إن الله -وحده لا غيره- يعلم متى تقوم الساعة"(٣).

قال الطبري:" {السَّاعَةِ} التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره"(٤).

قال ابن كثير:" هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها ، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها ؛ فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، { لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ } [الأعراف : ١٨٧]"(٥).

قال قَتادة:" فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أيّ سنة، أو في أيّ شهر، أو ليل، أو نهار"(٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه إن رجلا قال: «يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن سأحدثكم بأشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها واذا كانت الحفاة العراة رعاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، واذا تطاول رعاء الغنم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا: {إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث}، إلى آخر الآية"(٧).

قوله تعالى:{وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} [لقمان : ٣٤]، أي:" وهو الذي ينزل المطر من السحاب، لا يقدر على ذلك أحد غيره"(٨).

قال يحيى:" يعني: المطر"(٩).

قال الطبري:" {وينزلُ الغيْثَ} من السماء، لا يقدر على ذلك أحد غيره"(١).

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٦.
(٢) اخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠، وابن أبي حاتم(١٧٥٦٥):ص٣١٠١/٩
(٣) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(٤) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠.
(٧) اخجره ابن ابي حاتم(١٧٥٦٨):ص٣١٠٢/٩.
(٨) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.

قال ابن كثير:" وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومَنْ شاء الله من خلقه "(٢).
قال السعدي: " أي: هو المنفرد بإنزاله، وعلم وقت نزوله"(٣).
قال قَتادة:" فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلا أو نهارا ينزل؟"(٤).
قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} [لقمان : ٣٤]، أي:" ويعلم ما في أرحام الإناث"(٥).
قال الطبري:" أرحام الإناث"(٦).
قال يحيى:" من ذكر أو أنثى وكيف صوره"(٧).
قال ابن كثير:" وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه الله تعالى سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى ، أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك ، ومَنْ شاء الله من خلقه "(٨).
قال السعدي: " فهو الذي أنشأ ما فيها، وعلم ما هو، هل هو ذكر أم أنثى، ولهذا يسأل الملك الموكل بالأرحام ربه: هل هو ذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما يشاء"(٩).
قال قَتادة:" فلا يعلم أحد ما فِي الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمر أو أسود، أو ما هو؟"(١٠).
قوله تعالى:{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان : ٣٤]، أي:" ويعلم ما تكسبه كل نفس في غدها"(١١).
قال الطبري:" يقول: وما تعلم نفس حيّ ماذا تعمل في غد"(١٢).
قال ابن كثير:" وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها "(١٣).
عن قَتادة:" {وَما تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا}: خير أم شر، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غدا، لعلك المصاب غدا؟"(١٤).
قوله تعالى:{وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان : ٣٤]، أي:" وما تعلم نفس بأيِّ أرض تموت"(١٥).
قال الطبري:" يقول: وما تعلم نفس حيّ بأيّ أرض تكون منيتها"(١٦).
قال السعدي: أي:" من كسب دينها ودنياها"(١٧).
قال ابن كثير:" في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان ، لا علم لأحد بذلك. وهذه شبيهة بقوله تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ } الآية [الأنعام : ٥٩]. وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس : مفاتيح الغيب"(١٨).

---

(١) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٦.
(٣) تفسير السعدي: ٦٥٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠.
(٥) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(٦) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٠.
(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨١/٢.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٦.
(٩) تفسير السعدي: ٦٥٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠.
(١١) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(١٢) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٠.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٦.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠.
(١٥) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(١٦) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٠.
(١٧) تفسير السعدي: ٦٥٣.
(١٨) تفسير ابن كثير: ٣٥٢/٦.

قال قَتادة:" ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو برّ أو سهل أو جبل، تعالى وتبارك"[1].

عن أبي غرة الهذلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله ﷺ: {وما تدري نفس بأي أرض تموت}"[2].

عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : "ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة"[3].

عن عمر بن علي مرفوعا : "إذا كان أجل أحدكم بأرض أوثَبَتْه إليها حاجة ، فإذا بلغ أقصى أثره ، قبضه الله عز وجل ، فتقول الأرض يوم القيامة : رب ، هذا ما أودعتني"[4].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان : ٣٤]، أي:" إن الله عليم خبير محيط بالظواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها"[5].

قال الطبري:" يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون كلّ أحد سواه، إنه ذو علم بكلّ شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان"[6].

قال السعدي: " ولما خصص هذه الأشياء، عمم علمه بجميع الأشياء فقال: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} محيط بالظواهر والبواطن، والخفايا والخبايا، والسرائر، ومن حكمته التامة، أن أخفى علم هذه الخمسة عن العباد، لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك"[7].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن هذه الخمس مفاتح الغيب التي قال الله عز وجل فيها: {وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو}، فمن ادعى أنه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن، لأنه قد خالفه"[8].

عن قَتادة: "{إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... }، الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهنّ، فلم يطلع عليهنّ ملَكا مقرّبا، ولا نبيا مرسلا"[9].

قالت عائشة: "من قال: إن أحدا يعلم الغيب إلا الله فقد كذب، وأعظم الفرية على الله، قال الله: {لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله}"[10].

عن عمرو بن شُعيب أن رجلا قال: "يا رسول الله، هل من العلم علم لم تؤته؟ قال: "لَقَدْ أُوتِيتُ عِلْما كَثِيرًا، وَعِلما حَسنًا"، أو كما قال رسول الله ﷺ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الغَيْثَ ... } إلى {إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} لا يَعْلَمُهُنَّ إلا اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى"[11].

عن رِبْعي بن حِرَاش ، عن رجل من بني عامر ؛ "أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ألج ؟ فقال النبي ﷺ لخادمه : "اخرُجي إليه ، فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له : فليقل : "السلام عليكم ، أأدخل ؟" قال : فسَمعتهُ يقول ذلك ، فقلت : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فأذن ، فدخلت ، فقلت : بم أتيتنا به ؟ قال : "لم آتكم إلا بخير ، أتيتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تَدَعوا اللات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ؛ وأن تصوموا من السنة شهرًا ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم".

---

(١) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٦٩):ص٣١٠٢/٩.
(٣)المعجم الكبير (١٧٨/١) وقال الهيثمي في المجمع (١٩٦/٧) "ورجاله رجال الصحيح".
(٤)سنن ابن ماجه برقم (٤٢٦٣) وقال البوصيري في الزوائد (٢٦٤/٢) : "هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات".
(٥) التفسيرالميسر: ٤١٤.
(٦) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٠.
(٧) تفسير السعدي: ٦٥٣.
(٨)معاني القرآن: ٢٠٢/٤ .
(٩) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠.
(١٠) اخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠.
(١١) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٠-١٦١.

قال : فقال : فهل بقي من العلم شيء لا تعلمه ؟ قال : "قد عَلم الله عز وجل خيرًا ، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل : الخمس : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }"[1].

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "مَفاتِحُ الغَيبِ خَمْسَةٌ" ثم قرأ هؤلاء الآيات :{إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَة ...}، إلى آخرها"[2].

عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر يقول: "قال رسول الله ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله، {إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الغَيْثَ وَيعْلَمُ ما فِي الأرْحام... }» الآية، ثم قال: «لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة إلا الله، ولا يعلم أحد ما في الأرحام إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت»"[3].

قال ابن مسعود: "كل شيء أوتيه نبيكم ﷺ إلا علم الغيب الخمس: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ}"[4].

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا اللهُ: {إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنزلُ الغَيْثَ ...} الآية»[5].

فوائد الآيتين:[٣٣-٣٤]:

١- وجوب تقوى الله عز وجل بالإيمان به وتوحيده في عبادته.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٣- التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا، والتحذير من الشيطان أي من اتباعه والاغترار بما يزينه ويحسنه من المعاصي.

٤- بيان مفاتح الغيب الخمسة واختصاص الرب تعالى بمعرفتها.

٥- كل مدع لمعرفة الغيب من الجن والإنس فهو طاغوت يجب لعنه ومعاداته.

٦- ما ادّعي اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة فهذه المعرفة ليست داخلة في قوله تعالى {ويعلم ما في الأرحام}، لأنها بمثابة من فتح البطن ونظر ما فيه فقال هو كذا وذلك لوجود أشعة عاكسة أما المنفي عن كل أحد إلا الله أن يقول المرء: إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقرب منها ولا يجرّبها في ولادتها السابقة، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأية محاولة.

«آخر تفسير سورة (لقمان)، والحمد لله وحده»

---

(١)المسند (٣٦٨/٥). قال ابن كثير:" وهذا إسناد صحيح ". تفسير ابن كثير: ٣٥٥/٦

(٢) اخجره الطبري: ١٦١/٢٠.

(٣) اخجره الطبري: ١٦١/٢٠.

(٤) اخجره الطبري: ١٦١/٢٠.

(٥) اخرجه الطبري: ١٦٢/٢٠.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «مالسجدة»

سورة «السجدة»: هي السورة «الثانية والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة «المؤمنون»(١). عدد آياتها تسع وعشرون عند البصريين، وثلاثون عند الباقين. كلماتها ثلاثمائة وثلاثون. وحروفها ألف وخمسمائة وتسع وتسعون(٢).

المختلف فيها آيتان : {الم (١)} [السجدة : ١]، {خَلْقٍ جَدِيدٍ} [السجدة : ١٠]، فواصل آياتها: «ملن» على الميم اثنان: {الم (١)} [السجدة : ١]، و {الْعَزِيزُ الرَّحِيمِ} [السجدة : ٦]، وعلى اللام آية: {هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [السجدة : ٢٣](٣).

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول: «سورة السجدة»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة السجدة»، لاشتمالها على سجدة التلاوة(٤).

قال ابن عاشور:" أشهر أسماء هذه السورة هو سورة السجدة، وهو أخصر أسمائها، وهو المكتوب في السطر المجعول لاسم السورة من المصاحف المتداولة، وبهذا الاسم ترجم لها الترمذي في «جامعه» وذلك بإضافة كلمة سورة إلى كلمة السجدة. ولا بد من تقدير كلمة الم محذوفة للاختصار إذ لا يكفي مجرد إضافة سورة إلى السجدة في تعريف هذه السورة، فإنه لا تكون سجدة من سجود القرآن إلا في سورة من السور"(٥).

- **الاسم الثاني: «سورة آلم تنزيل»، «آلم تنزيل السجدة»:**

سميت بسورة«آلم تنزيل» في عهد النبي-ﷺ-:

- عن جابر بن عبدالله:"أن النبي ﷺ، كان لا ينام حتى يقرأ«آلم تنزيل»، و«تبارك الذي بيده الملك»(٦).
- عن أبي هريرة، ان النبي ﷺ:"كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة، بـ«آلم تنزيل» في الركعة الاولى، وفي الثانية: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}(٧)"(٨).

كما سميت «آلم تنزيل السجدة» في بعض الاحاديث:

- عن ابن عباس، أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صَلاة الفجرِ يومَ الجمعة: {الم (١) تَنْزِيلُ} السجدة، و {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}"(٩).

- **ثانيا:- أسماؤها الإجتهادية:**

١- سورة المضاجع

وسميت بذلك لوقوع لفظ«المضاجع» فيها في قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة : ١٦]، وقد وردت هذه الكلمة في سورة النساء، في قوله تعالى: { فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ}

---

(١) انظر: الكشاف: ٥٠٦/٣.
(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٣.
(٥) التحرير والتنوير: ٢٠١/٢١.
(٦) أخرجه الترمذي في جامعه(٢٨٩٧):ص١٦٥/٥.
(٧)[الإنسان : ١].
(٨) صحيح مسلم(٨٨٠):ص٥٩٩/٢.
(٩)أخرجه مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وابو داود(١٠٧٤):ص٣٠١/٢-٣٠٢. –واللفظ له- والترمذي (٥٢٧).
زاد مسلم في روايته: وأن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.
وهو في "مسند أحمد" (١٩٩٣)، و"صحيح ابن حبان" (١٨٢٠) و (١٨٢١).

[النساء : ٣٤]، وفي سورة آل عمران: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران : ١٥٤].

٢- سورة سجدة لقمان

ذكر الطبرسي أنها تسمى أيضاً سورة «سجدة لقمان» لوقوعها بعد سورة لقمان؛ لئلا تلتبس بسورة «حم السجدة»[(١)]، أي: كما سموا سورة «حم السجدة» وهي سورة فصلت «سورة سجدة المؤمن» لوقوعها بعد سورة المؤمن[(٢)].

٣- سورة المنجية:

سماها خالد بن معدان : المنجية[(٣)]. وهو حديث مرسل منه، إذ لم يرفعه إلى رسول الله -ﷺ-، فلا يكون بمستند صحيح في تسمية السورة.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعا. قاله ابن عباس[(٤)]، وابن الزبير[(٥)]، ويحيى بن سلام[(٦)].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[(٧)].

الثاني: أنها مكية إلا آية واحدة نزلت بالمدينة في الأنصار وهي قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة : ١٦]. قاله مقاتل[(٨)].

الثالث: أنها نزلت بمكة سوى ثلاث آيات: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ} [السجدة : ١٨]، إلى تمام الآيات الثلاث. ةهذا مروي عن ابن عباس أيضا[(٩)]، والكلبي[(١٠)].

الرابع: أنها مكية إلا من آية (١٦) إلى غاية آية (٢٠)[(١١)] فمدنية. قاله صاحب الكشاف[(١٢)]، وحكاه ابن الجوزي[(١٣)]، والقرطبي[(١٤)].

- **مناسبة سورة«السجدة» مع سورة «لقمان»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

١- اشتمال كل منهما على دلائل الألوهية.

٢- إنه ذكر فى السورة السالفة دلائل التوحيد، وهو الأصل الأول، ثم ذكر المعاد، وهو الأصل الثاني، وهنا ذكر الأصل الثالث، وهو النبوة.

٣- إن هذه السورة شرحت مفاتح الغيب التي ذكرت فى خاتمة ما قبلها، فقوله: {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة : ٥]، شرح لقوله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ}

---

(١) انظر: مجمع البيان: ٧١/٥.
(٢) انظر: مجمع البيان: ٧١/٥.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي. وسوف يأتي الخبر في فضائل السورة.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٣٤، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٣٤، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٤/٢.
(٧) زاد المسير: ٤٣٧/٣.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٤٧/٣.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٣٤، وعزاه إلى النحاس.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٣.
(١١) أي: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)} [السجدة : ١٦ - ٢٠].
(١٢) انظر: الكشاف: ٥٠٦/٣.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٤٣٧/٣.
(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ٨٤/١٤.

[السجدة : ٢٧]، شرح لقوله: {وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَه} [السجدة : ٧]، تفصيل لقوله: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْض} [السجدة : ٥]، إيضاح لقوله: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان : ٣٤]، وقوله: {أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُون} [السجدة : ١٠]، شرح لقوله: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت} [لقمان : ٣٤](١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

فالسورة أساساً تدور حول مقاصد أربعة:

أ- مقصد الوحي وصدق الرسول ﷺ.

ب- مقصد الألوهية وصفتها.

ت- مقصد البعث والمصير.

ث- مقصد يوم القيامة يُعرض فيه مشهد المؤمنين والمشركين.

وفيما يأتي بعض تفصيل لهذه المقاصد التي اشتملت عليها هذه السورة:

١- التنويه بشأن القرآن؛ لأنه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها؛ ولأن جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب، فالله جعل القرآن هدى للناس، وخص العرب أن شرَّفهم بجعلهم أول من يتلقى هذا الكتاب، وبأن أنزله بلغتهم، فكان منهم أشد المكذبين بما جاء به، لا جرم أن تكذيب أولئك المكذبين أعرق في الضلالة، وأوغل في فساد الرأي.

٢- الاستدلال على إبطال إلهية أصنام المشركين بإثبات انفراد الله بأنه خالق السماوات والأرض، ومدبر أمورهما.

٣- ذِكْر البعث والاستدلال على كيفية بدء خلق الإنسان ونسله، والتمثيل لذلك بإحياء الأرض، مع بيان أن إحياء الأرض كان نعمة على المشركين، غير أنهم لم يقدروا تلك النعمة، وكفروا بالمنعم.

٤- الثناء على المصدقين بآيات الله ووعدهم بالجزاء الحسن، والإنكار على الذين جحدوا بآيات الله ولقائه، ووعيدهم بالعقاب الأليم، والعذاب المقيم.

٥- التذكير بما حلَّ بالمكذبين السابقين؛ ليكون ذلك عظة للحاضرين، وتهديدهم بالنصر الحاصل للمؤمنين.

٦- أمر الرسول ﷺ بالإعراض عن المشركين بالله وآياته تحقيراً لهم، ووعده بانتظار نصره عليهم(٢).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، " أنه كان يقرأ في الفجر، يوم الجمعة: {الم تَنْزِيلُ}، و{هَلْ أَتَى }"(٣).
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من صلى أربع ركعات خلف العشاء الآخرة قرأ في الركعتين الأولتين {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد} وفي الركعتين الأخيرتين {تبارك الذي بيده الملك} {الم تنزيل} السجدة كتبت له كأربع ركعات من ليلة القدر"(٤).

---

(١) انظر: تفسير المراغي:١٠٢/٢١.

(٢) موقع: [إسلام ويب].

(٣) صحيح مسلم(٨٨٠):ص٥٩٩/٢.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٤/٦-٥٣٥، وعزاه إلى ابن نصر والطبراني والبيهقي في سننه.

- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "قال رسول الله ﷺ: من قرأ {تبارك الذي بيده الملك} و {الم تنزيل} السجدة بين المغرب والعشاء الآخرة فكأنما قام ليلة القدر"(١).
- عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ: من قرأ في ليلة {الم تنزيل} السجدة و {يس} و {اقتربت الساعة} و {تبارك الذي بيده الملك} كن له نورا وحرزا من الشيطان ورفع في الدرجات إلى يوم القيامة"(٢).
- عن المسيب بن رافع رضي الله عنه:" أن النبي ﷺ قال: {الم تنزيل} تجيء لها جناحان يوم القيامة تظل صاحبها وتقول لا سبيل عليه لا سبيل عليه"(٣).
- عن خالد بن معدان رضي الله عنه، قال: "اقرأوا المنجية وهي {الم تنزيل} فانه بلغني أن رجلا كان يقرأوها وما هوى شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت: رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة"(٤).
- عن خالد بن معدان رضي الله تعالى عنه قال: "ان {الم تنزيل} تجادل عن صاحبها في القبر تقول: اللهم ان كنت من كتابك فشفعني فيه وان لم أكن من كتابك فامحني منه وانها تكون كالطير تجعل جناحها عليه فتشفع له فتمنعه من عذاب القبر وفي {تبارك} مثله. فكان خالد رضي الله عنه لا يبيت حتى يقرأ بهما"(٥).
- عن كعب رضي الله عنه قال: "من قرأ في ليلة {الم تنزيل} السجدة {تبارك الذي بيده الملك} كتب له سبعون حسنة وحط عنه سبعون سيئة ورفع له سبعون درجة"(٦).
- عن طاوس رضي الله عنه قال:" {الم تنزيل} و {تبارك الذي بيده الملك} تفضلان على كل سورة في القرآن بستين حسنة"(٧).
- عن طاوس رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ {ألم تنزيل} السجدة و {تبارك الذي بيده الملك} في صلاة العشاء وصلاة الفجر كل يوم وليلة في السفر والحضر ويقول: من قرأهما كتب له بكل آية سبعون حسنة فضلا عن سائر القرآن ومحيت عنه سبعون سيئة ورفعت له سبعون درجة"(٨).
- عن يحي بن أبي كثير قال: "كان طاوس رضي الله تعالى عنه لا ينام حتى يقرأ هاتين السورتين {تنزيل} و {تبارك} وكان يقول: كل آية منهما تشفع ستين آية يعني تعدل ستين آية"(٩).
- عن طاوس رضي الله عنه، قال: "ما على الأرض رجل يقرأ {الم تنزيل} السجدة {تبارك الذي بيده الملك} في ليلة إلا كتب الله له مثل أجر ليلة القدر قال حاتم رضي الله عنه: فذكرت ذلك لعطاء رضي الله عنه فقال: صدق طاوس والله ما تركتهن منذ سمعت بهن إلا أن أكون مريضا"(١٠).
- عن علي رضي الله عنه قال: "عزائم سجود القرآن {الم تنزيل} السجدة {الم تنزيل} السجدة {والنجم} و {اقرأ باسم ربك الذي خلق}"(١١).

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن الضريس.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي.
(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى ابن الضريس والدارمي.
(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٥/٦، وعزاه إلى الدارمي والترمذي وابن مردويه.
(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى ابن الضريس.
(١٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى الخرائطي في مكارم الأخلاق.
(١١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٦/٦، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة.

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن

الم (١)} [السجدة : ١]

(الم) سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

القرآن

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)} [السجدة : ٢]

التفسير:

هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ لا شك أنه منزل من عند الله، رب الخلائق أجمعين.

قال الطبري: يقول:" تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ، لا شكّ فيه من ربّ الثقلين: الجنّ والإنس"(١).

قال ابن كثير:" أي : لا شك فيه ولا مرية أنه نزل ، { مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }"(٢).

قال القرطبي:أي:" لا شك فيه أنه من عند الله، فليس بسحر ولا شعر ولا كهانة ولا أساطير الأولين"(٣).

قال الصابوني:" أي: هذا الكتاب الموحى به إليك يا محمد هو القرآن الذي لا شك أنه من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، تنزيلٌ من رب العالمين"(٤).

عن قتادة، قوله:"{لا رَيْبَ فِيهِ}، لا شكّ فيه"(٥).

قال السمعاني:"الريب: هو الشك"(٦).

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)} [السجدة : ٣]

التفسير:

بل أيقول المشركون: اختلق محمد ﷺ القرآن؟ كذَبوا، بل هو الحق الثابت المنزل عليك -أيها الرسول- من ربك؛ لتنذر به أناسًا لم يأتهم نذير من قبلك، لعلهم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروه، ويؤمنوا بك.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} [السجدة : ٣]، أي:" بل أيقول المشركون: اختلق محمد ﷺ القرآن؟"(٧).

قال الزجاج:" معناه: بل أيقولون افتراه"(٨).

قال الطبري:يقول: " يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه، وتكذّبه"(٩).

قال ابن كثير:"ثم قال مخبرًا عن المشركين : { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ } ، بل يقولون : { افْتَرَاهُ } أي : اختلقه من تلقاء نفسه "(١٠).

---

(١) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٦.
(٣) تفسير القرطبي: ٨٥/١٤.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٦٠/٢.
(٥) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٠.
(٦) تفسير السمعاني: ٢٤١/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٨) معاني القرآن: ٢٠٣/٤.
(٩) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٦.

قال الزمخشري:" أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أم يقولون افتراه لأن «أم» هي المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، إنكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره: في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه"(١).

قوله تعالى:{بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} [السجدة : ٣]، أي:" بل هو القول الحق، ولكلام الصدق المنزل من ربك"(٢).

قال الطبري:" ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمدا افتراه، بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يا محمد"(٣).

قال الزمخشري:" ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك. ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة، قد احترز فيها أنواع الاحتراز، كقول المتكلمين: النظر أول الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف، ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه، فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك، ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته"(٤).

قوله تعالى:{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ} [السجدة : ٣]، أي:" لتنذر به أناسًا لم يأتهم نذير من قبلك"(٥).

قال الطبري:يقول:" أنزله إليك؛ لتنذر قوما بأس الله وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم به لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك"(٦).

قال الزجاج:" أي: لم يشاهدوا هم ولا آباؤهم نبيا، فأما الإنذار بما قدم من رسل الله صلى الله عليهم فعلى آبائهم به الحجة، لأن الله عز وجل لا يعذب إلا من كفر بالرسل. والدليل على ذلك قوله: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء : ١٥] "(٧).

قال السمعاني:" {ما} -ها هنا- بمعنى: النفي، ومعناه: لتنذر قوما لم يشاهدوا وآباؤهم قبلك نبيا، فإن قيل: إذا لم يشاهدوا نبيا ولم ينذروا، كيف يستجوبوا النار بترك الإيمان؟ والجواب: أنه لزمهم الإيمان بالله بإرسال الرسل الذين كانوا من قبل، وقد سمعوا ذلك. وقال بعضهم: إن إسماعيل كان نبيا إلى العرب، وقد تركوا دينه، ويقال: إنهم تركوا دين إبراهيم صلوات الله عليه"(٨).

قال قتادة: كانوا أمَّة أمِّيَّة، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ"(٩).

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [السجدة : ٣]، أي:" لعلهم يهتدون، فيعرفوا الحق ويؤمنوا به ويؤثروه، ويؤمنوا بك"(١٠).

قال الطبري:" يقول: ليتبيَّنوا سبيل الحقّ فيعرفوه ويؤمنوا به"(١١).

قال السمعاني:" أي: يرشدون"(١٢).

قال ابن كثير:" أي: يتبعون الحق "(١٣).

---

(١) الكشاف: ٥٠٦/٣.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٦٠/٢.
(٣) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٠.
(٤) الكشاف: ٥٠٦/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٦) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٠-١٦٥.
(٧) معاني القرآن: ٢٠٤/٤.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٤٢/٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٥.
(١١) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٠.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢٤٢/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٥٨/٦.

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)} [السجدة : ٤]

التفسير:

الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لحكمة يعلمها، وهو قادر أن يخلقها بكلمة «كن» فتكون، ثم استوى سبحانه وتعالى -أي علا وارتفع- على عرشه استواء يليق بجلاله، لا يكيَّف، ولا يشبَّه باستواء المخلوقين. ليس لكم -أيها الناس- من وليٍّ يلي أموركم، أو شفيع يشفع لكم عند الله؛ لتنجوا من عذابه، أفلا تتعظون وتتفكرون -أيها الناس-، فتُفردوا الله بالألوهية وتُخلصوا له العبادة؟

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [السجدة : ٤]، أي:" الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لحكمة يعلمها، وهو قادر أن يخلقها بكلمة «كن» فتكون"[١].

قال الطبري: يقول: " المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له أيها الناس {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا} من خلق {فِي سِتَّةِ أَيَّام}"[٢].

قال القرطبي:" عرفهم كمال قدرته ليسمعوا القرآن ويتأملوه. ومعنى:{خلق}: أبدع وأوجد بعد العدم وبعد أن لم تكن شيئا.{في ستة أيام}: من يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة"[٣].

وفي ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع قدرته على ذلك أربعة أوجه[٤] :

أحدها : أن إنشاءها شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات بما ينشئه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته .

والثاني : أن ذلك لاعتبار الملائكة ، خلق شيئاً بعد شيء .

والثالث : أن ذلك ترتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهي ستة أيام فأخرج الخلق فيها ، قاله مجاهد[٥].

قال مجاهد:" بدءُ الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وجُمع الخلق في يوم الجمعة، وتهوَّدت اليهودُ يوم السبت. ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون"[٦].

والرابع : ليعلمنا بذلك ، الحساب كله من ستة ومنه يتفرع سائر العدد قاله ابن بحر[٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [السجدة : ٤]، أي:" ثم استوى -سبحانه- على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيلٍ ولا تحريف"[٨].

قال الطبري:يقول: " ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما"[٩].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٢) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٠.
(٣) تفسير القرطبي: ٨٦/١٤.
(٤) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٧٣):ص٤٨٢/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٤٧٧٣):ص٤٨٢/١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.
(٨) انظر: صفوة التفاسير:٤١٨/١.
(٩) تفسير الطبري: ١٦٥/٢٠.

عن قتادة: "{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} في اليوم السابع. يقول: ما لكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلق هذا الخلق العجيب في ستة أيام"[1].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف : ٥٤]، وجهان:

أحدهما : معناه: استوى أمره على العرش ، قاله الحسن[2]، وابن ابي زمنين[3].

والثاني : معناه: استولى على العرش ، واحتجوا بقول الشاعر[4]:

قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقِ[5]

وهذا قول أهل التأويل من المعتزلة والجهمية والحرورية وغيرهم، وقد اتفق أهل العلم على إبطاله[6].

قال الإمام الأشعري:" وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر؛ لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء"[7].

كما رد عليهم الدارمي وأبطل تأويلهم لذلك بقوله: "فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله حتى خص العرش بالذكر من بين الأمكنة والاستواء ...ثم قال: هذا محال من الحجج وباطل من الكلام لا تشكون أنتم - إن شاء الله - في بطوله واستحالته، غير أنكم تغالطون به الناس"[8].

وقد رَدَّ ابن الأعرابي -وهو من أئمة اللغة- على مَنْ فَسَّر الاستواء بـ «الاستيلاء» هنا، بقوله: ".. لا يقال: استولى على الشيء، إلا أن يكون له مضادّ، فإذا غلب أحدُهما، قيل: استولى .."[9].

والله تعالى لا منازع له في مُلْكه. ورَدَّه كذلك الخليل بن أحمد. ذكَرَ ذلك الكرمي[1].

---

(١) اخجره الطبري: ١٦٦/٢٠.

(٢) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٤٨٥/١.

(٤)الشاهد بدون نسبة فى "الصحاح" ٦/ ٢٣٨٥ (سوا)، و"تفسير الماوردي" ٢/ ٢٢٩، و"الأسماء والصفات" للبيهقي ٢/ ٣٠٩، و"زاد المسير" ٣/ ٢١٣، والقرطبي ٧/ ٢٢٠، و "رصف المباني" ص ٤٣٤، و"اللسان" ٤/ ٢١٦٣ (سوا)، و"الخازن" ٢/ ٣٣٩، و"الدر المصون" ١/ ٢٤٣، ونسب في "تاج العروس" ١٩/ ٥٥١ (سوا)، إلى الأخطل، وفي هذه المراجع (قد استوى)، وقال شيخ الإسلام في "الفتاوى" ٥/ ١٤٦: (لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة) اهـ. ونسبه ابن كثير في "البداية والنهاية" ٩/ ٧ إلى الأخطل، وقال: (الأخطل نصراني، والاستدلال به باطل من وجوه كثيرة) اهـ. وهو ليس في ديوان الأخطل والواحدي نسبه هنا وفي "الوسيط" ١/ ١٩٢ (إلى البعيث) وانظر: "مختصر الصواعق المرسلة" ٣/ ٨٩٠، ٨٩٨.

(٥) قال الآلوسي معلقا على البيت:" وأين استواء- بشر على العراق- من استواء الرحمن على العرش، ونهاية الأمر يحتاج إلى القول بأن المراد استيلاء يليق بشأن الرحمن جل شأنه فليقل من أول الأمر قبل تحمل مؤنة هذا التأويل استواء يليق بشأن من عز شأنه وتعالى عن إدراك العقول سلطانه، وهذا أليق بالأدب وأوفق بكمال العبودية وعليه درج صدر الأمة وساداتها- وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها- وإليها دعا أئمة الحديث في القديم والحديث حتى قال مجد بن الحسن كما أخرجه عنه اللالكائي: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه، وورد عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ضبيع: قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله ضبيع فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه- وفي رواية- فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعود فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين". روح المعاني:٨٥/٢-٨٦.

(٦)انظر: "الإبانة" ص ٣٦، و"الأسماء والصفات" ٢/ ٣٠٦ - ٣٠٨، و"الفتاوى" ٥/ ١٤٣ - ١٤٩، و"مختصر و"مختصر العلو" للألباني ص ٢٦.

(٧) رسالة إلى أهل الثغر بباب الابواب:١٣١.

(٨)انظر الرد على الجهمية :١٨.

(٩)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي: ٣/ ٤٤٢.

قال السمعاني:" أوّل المعتزلة الاستواء بالاستيلاء...وأما أهل السنة فيتبرءون من هذا التأويل، ويقولون: إن الاستواء على العرش صفة لله - تعالى - بلا كيف، والإيمان به واجب، كذلك يحكى عن مالك بن أنس، وغيره من السلف، أنهم قالوا في هذه الآية: الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[٢].

ومنهج السلف الصالح إزاء صفة الاستواء، وغيرها من صفات الباري تعالى: أن تمر كما جاءت، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل؛ فيثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، إثباتًا منزهًا عن التشبيه، منزهًا عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو مُعطّل، ومَنْ شبهه باستواء المخلوق على المخلوق، فهو مُمَثِّل. وقد قال الإمام مالك بن أنس، لَمَّا سُئل عن كيفية الاستواء، فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وقد وَرَدَ مثلُ ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها، وربيعة الرأي[٣].

قال الإمام الشوكاني:" مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه"[٤].

قال الإمام القرطبي - بعد أن ذكر مذهب المتكلمين-: "وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، لا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة، بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه، وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم المخلوقات، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم- أي في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها"[٥].

قال الإمام ابن كثير:" وأما قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى : ١١] بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري - : "من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى"[٦].

وفي تفسير: {الْعَرْشِ} [السجدة : ٤]، ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: أقاويل الثقات: ١٢٤.

(٢) تفسير السمعاني:١٨٨/٢.

(٣)انظر: "شرح أصول الاعتقاد" ٣/ ٤٤٠ - ٤٤٣. وانظر مادة (سوا) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٧٩٤، "الصحاح" ٦/ ٢٣٨٥ - ٢٣٨٦، "اللسان" ٤/ ٢١٦٠، "القاموس المحيط" ١٢٩٧، "قاموس القرآن" للدامغاني: ٢٥٥، "تاج العروس" للزبيدي: ١/ ١٧٩. وانظر حول موضوع صفة الاستواء: "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة: ٣٩٤، "الرد على الجهمية" للدارمي: ص ٤٠، "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد" للبيهقي: ص ١١٦، "الأسماء والصفات" للبيهقي: ٢/ ٣٠٣، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ٥/ ١٤٦، ٣٦٥، ٤٠٤، ٥١٩ - ٥٢٠ "العقائد السلفية" لأحمد بن حجر: ١/ ١٢٤ - ١٢٥، ١٦٤ - ١٦٧، "رسائل في العقيدة" لمحمد بن عثيمين: ٧٠.

(٤) فتح القدير:٢٤٠/٢.

(٥) تفسير القرطبي: ٧/ ٢١٩.

(٦) تفسير ابن كثير:٤٢٦/٣-٤٢٧.

أحدها : أنه المُلْك كني عنه بالعرش والسرير كعادة ملوك الأرض في الجلوس على الأسرة ، حكاه ابن بحر[١].

الثاني : أنه السموات كلها لأنها سقف ، وكل سقف عند العرب هو عرش ، قال الله تعالى :{خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الكهف : ٤٢] [الحج : ٤٥]، أي: على سقوفها[٢].

الثالث : أنه موضع في السماء في أعلاها وأشرفها ، محجوب عن ملائكة السماء[٣].

قال ابن عباس:" وإنما سمي العرش عرشا لارتفاعه"[٤].

قال سعد الطائي: "العرش ياقوتة حمراء"[٥].

قال وهب بن منبه :"إن الله خلق العرش من نوره"[٦].

قوله تعالى:{مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ} [السجدة : ٤]، أي:" ليس لكم -أيها الناس- من وليٍّ يلي أموركم، أو شفيع يشفع لكم عند الله؛ لتنجوا من عذابه"[٧].

قال القرطبي:" أي: ما للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيع "[٨].

قال الطبري: " يقول: ما لكم أيها الناس دونه وليّ يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرّا، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه فاتخذوا وليا، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم؛ فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو؛ لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب"[٩].

قال ابن كثير:" أي : بل هو المالك لأزمة الأمور ، الخالق لكل شيء ، المدبر لكل شيء ، القادر على كل شيء، فلا ولي لخلقه سواه، ولا شفيع إلا من بعد إذنه"[١٠].

قوله تعالى:{أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} [السجدة : ٤]، أي:" أفلا تتعظون وتتفكرون -أيها الناس-، فتُفردوا الله بالألوهية وتُخلصوا له العبادة؟"[١١].

قال القرطبي: أي:" في قدرته ومخلوقاته"[١٢].

قال الطبري: يقول: " أفلا تعتبرون وتتفكَّرون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه وليّ ولا شفيع، فتفردوا له الألوهة، وتخلصوا له العبادة، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة"[١٣].

قال ابن كثير:" يعني : أيها العابدون غيره ، المتوكلون على من عداه - تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو نديد ، أو وزير أو عديل ، لا إله إلا هو ولا رب سواه"[١٤].

عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ أخذ بيدي، فقال : "إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ثم استوى على العرش في اليوم السابع ، فخلق التربة يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار بعد العصر ، وخلقه من أديم

---

(١) انظر: النكت والعيون:٢/٢٣٠.
(٢) انظر: النكت والعيون:٢/٢٣٠.
(٣) انظر: النكت والعيون:٢/٢٣٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٨):ص٥/١٤٩٧.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٩):ص٥/١٤٩٧.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٠):ص٥/١٤٩٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٨) تفسير القرطبي: ١٤/٨٦.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/١٦٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٣٥٩.
(١١) التفسير الميسر: ٤١٥.
(١٢) تفسير القرطبي: ١٤/٨٦.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/١٦٥.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٦/٣٥٩.

الأرض ، بأحمرها وأسودها ، وطيبها وخبيثها ، من أجل ذلك جعل الله من بني آدم الطيب والخبيث"[1].

فوائد الآيات: [١-٤]:

١- تقرير النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزل الله ووحيه أوحاه إلى رسوله.
٢- إبطال ما كان المشركون يقولون في القرآن بأنه شعر وسجع كهان وأساطير الأولين.
٣- بيان الحكمة من إنزال القرآن على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الإنذار.
٤- بيان الزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما.
٥- إثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى.

قال أبو عبد الله مالك بن أنس -رضي الله عنه-، في جواب من سأله عن كيفية الاستواء: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأراك صاحب بدعة"، ثم أمر بإخراج السائل"[2].

٦- تقرير أنه ما للبشرية من إله إلا الله وأنه ليس لها من دونه من وليّ ولا شفيع فما عليها إلا أن تؤمن بالله وتعبده فتكمل وتسعد على عبادته.

القرآن

{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)} [السجدة : ٥]

التفسير:

يدبر الله تعالى أَمْر المخلوقات من السماء إلى الأرض، ثم يصعد ذلك الأمر والتدبير إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي تعدُّونها.

قوله تعالى:{يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ} [السجدة : ٥]، أي:" يدبر الله تعالى أَمْر المخلوقات من السماء إلى الأرض"[3].

قال السمعاني:" أي: يحكم ويقضي الأمر من السماء إلى الأرض"[4].

قال الطبري: يقول:" الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض"[5].

قال يحيى بن سلام:" يعني: ينزّل الوحي من السَّماء إلى الأرض"[6].

قال ابن قتيبة:" الأمر: القضاء، يريد سبحانه: أنه يقضي الأمر في السماء وينزله مع الملائكة إلى الأرض فتوقعه"[7].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} [السجدة : ٥]، أي:" ثم يصعد ذلك الأمر والتدبير إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي تعدُّونها"[8].

قال ابن كثير:" أي : يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة ، كما قال الله تعالى : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنزلُ الأمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } [الطلاق : ١٢]، وترفع الأعمال

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٩٢).
(٢)رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والإمام أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦)، والإمام البيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٠٨) وقد جود الإمام ابن حجر طريق ابن وهب عند البيهقي فقال: وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب ... فذكره. الفتح (١٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧). وقد ذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص١٢٣)، والقاضي عياض في المدارك (١/ ١٧٠ - ١٧١).
(٣) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٤٢/٤.
(٥) تفسير الطبري: ١٦٧/٢٠.
(٦)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٣.
(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢١٠، ٢٧٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٥.

إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسمك السماء خمسمائة سنة"[١].

قال الطبري: يقول: "ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل"[٢].

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أن «الأمر»: القضاء، والمعنى: يقضي القضاء من السماء فينزله مع الملائكة إلى الأرض ثم يصعد الملك إليه في يوم واحد من أيام الدنيا، فيكون الملك قد قطع في يوم واحد من أيام الدنيا في نزوله وصعوده مسافة ألف سنة من مسيرة الآدمي، لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، فذلك مسيرة ألف سنة، كل ذلك في يوم من أيام الدنيا. وهذا قول مقاتل[٣].
مقاتل[٣].

قال ابن قتيبة:" يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعددنا ألف سنة، لأن بعد ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم، فإذا قطعته الملائكة، بادئة وعائدة في يوم واحد، فقد قطعت مسيرة ألف سنة في يوم واحد"[٤].

الثاني: أن «الأمر»: أي: أمر الدنيا، والمعنى: يدبر أمر الدنيا مدة أيام الدنيا، فينزل القضاء والقدر من السماء إلى الأرض «ثم يعرج إليه» أي: يعود إليه الأمر والتدبير حين ينقطع أمر الأمراء وأحكام الحكام وينفرد الله تعالى بالأمر في يوم كان مقداره ألف سنة، وذلك في يوم القيامة، لأن كل يوم من أيام الآخرة كألف سنة. حكاه السمعاني[٥]، وابن الجوزي[٦].

الثالث: : أن«الأمر»: الوحي، والمعنى: ثم يعرج الملك إليه بعد نزوله بالأمر، وأنه جبريل يصعد إلى السماء بعد نزوله بالوحي ، ويحيى بن سلام[٧]، وهو معنى قول السدي[٨].

قال السدي:" ينزل الأمر من السماء الدنيا إلى الأرض العليا. {ثم يعرج إليه} مقدار يوم لو ساره الناس ذاهبين وجائين لساروا ألف سنة"[٩].

قال يحيى:" {ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ} من أيَّام الدُّنيا، قال: {كَانَ مِقْدَارُهُ}، يعني: مقدار نزول جبريل وصعوده إلى السّماء، {أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} لغير جبريل"[١٠].

وحكي الماوردي عن النقاش:" أنه الملك الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض"[١١].

قال السمعاني:" قوله:{في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون} هذه الآية تعد مشكلة، ووجه الإشكال: أن الله تعالى قال في آية أخرى: {في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة} قال مجاهد[١٢]: {في يوم كان مقداره ألف سنة} معناه: أن من السماء إلى الأرض إذا نزل الملك خمسمائة سنة، وإذا صعد خمسمائة سنة فيكون ألف سنة.

---

(١) تفسيرا بن كثير: ٣٥٩/٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٠.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤٤٨/٣-٤٤٩.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢١٠.

(٥) انظر: تفسير السمعاني: ٢٤٣/٤.

(٦) انظر: زاد المسير: ٤٣٨/٣.

(٧) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٥٠.

(٨) انظر: ابن أبي حاتم(١٧٨٢١):ص٣١٠٣/٩.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٨٢١):ص٣١٠٣/٩.

(١٠)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٥٠.

(١١) النكت والعيون: ٣٥٣/٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٧/٢٠. قال مجاهد:" يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد وذلك مقداره ألف سنة؛ لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام". وأخرج الطبري:١٦٧/٢٠ عن قتادة، قال:" مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمسمائة سنة نزوله، وخمسمائة صعوده فذلك ألف سنة".

وأما قوله: {خمسين ألف سنة} هو من قرار الأرض إلى العرش. وقال بعضهم: خمسين ألف سنة، وألف سنة كلها في القيامة، فيكون يوم القيامة على بعضهم ألف سنة، وعلى بعضهم خمسين ألف سنة، واليوم واحد.

وفي بعض الأخبار: "أن الله تعالى يقصره على المؤمن حتى يكون كما بين صلاتين"[١].

وقال بعضهم: يعرج بعض الأملاك في مقدار ألف سنة، ويعرج بعض الأملاك في مقدار خمسين ألف سنة، والله أعلم"[٢].

وروي عن ابن عباس، قوله: "{كان مقداره ألف سنة}، قال: لا ينتصف النهار في مقدار يوم من أيام الدنيا في ذلك اليوم حتى يقضي بين العباد، فينزل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولو كان إلى غيره لم يفرغ من ذلك خمسين ألف سنة"[٣].

وروي عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: "دخلت على ابن عباس أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه-، قال فيروز: يا أبا عباس، قوله: {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة}، فكأن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- اتهمه، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ فقال: إنما سألتك لتخبرني، فقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: هما يومان ذكرهما الله في كتابه. والله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم، فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب -رضي الله عنه-، فسأله عنها إنسان، فلم يخبر، ولم يدر، فقلت: ألا أخبرك بما أحضرت من ابن عباس؟ قال: بلى. فأخبرته، فقال للسائل: هذا ابن عباس -رضي الله عنهما- أبى أن يقول فيها، وهو أعلم مني"[٤].

القرآن

{ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦)} [السجدة : ٦]

التفسير:

ذلك الخالق المدبِّر لشؤون العالمين، عالم بكل ما يغيب عن الأبصار، مما تُكِنُّه الصدور وتخفيه النفوس، وعالم بما شاهدته الأبصار، وهو القويُّ الظاهر الذي لا يغالَب، الرحيم بعباده المؤمنين.

قوله تعالى:{ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [السجدة : ٦]، أي:" ذلك الخالق المدبِّر لشؤون العالمين، عالم بكل ما يغيب عن الأبصار، مما تُكِنُّه الصدور وتخفيه النفوس، وعالم بما شاهدته الأبصار"[٥].

قال يحيى:" وهذا تبع للكلام الأول: {لا ريب فيه من رب العالمين} ثم أخبر بقدرته ثم قال: {عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم} ، يعني: نفسه، والغيب السر، والشهادة العلانية"[٦].

قال الطبري: يقول:" هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات، هو {عالم الغيب} ، يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور وتخفيه النفوس،

---

(١) عن إبراهيم عن التيمي ، قال: «ما طول يوم القيامة على المؤمن ، إلا ما بين الظهر إلى العصر». أخرجه أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣٣٢٣):ص٣٤٥/٣

وأخرج عبدالرزاق عن الحسن ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طول يوم القيامة على المؤمن ، مثل صلاة صلاها في الدنيا فأكملها وأحسنها». تفسير عبدالرزاق(٣٣٢٤):ص٣٤٥/٣

(٢) تفسير السمعاني: ٢٤٣/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٨٢٣):ص٣١٠٤/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٢٢):ص٣١٠٣/٩-٣١٠٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٥.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٦/٢.

وما لم يكن بعد مما هو كائن، {والشهادة} يعني: ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود"[١].

قال ابن كثير:" أي : المدبر لهذه الأمور الذي هو شهيد على أعمال عباده ، يرفع إليه جليلها وحقيرها ، وصغيرها وكبيرها"[٢].

قال السمعاني:"{عالم الغيب والشهادة}، أي: ما غاب عن العباد، وما لم يغب"[٣].

قوله تعالى:{الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [السجدة : ٦]، أي:" وهو القويُّ الظاهر الذي لا يغالَب، الرحيم بعباده المؤمنين"[٤].

قال يحيى:" {العزيز} في نقمته، {الرحيم} بخلقه"[٥].

قال السمعاني:" أي: المنيع في ملكه، الرحيم بخلقه"[٦].

قال الطبري: " {العَزِيزُ} يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به، وأشرك معه غيره، وكذّب رسله. {الرَّحِيمُ} بمن تاب من ضلالته، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله، والعمل بطاعته، أن يعذّبه بعد التوبة"[٧].

قال ابن كثير:" هو { الْعَزِيزُ } الذي قد عَزَّ كلَّ شيء فقهره وغلبه ، ودانت له العباد والرقاب ، { الرَّحِيمُ } بعباده المؤمنين. فهو عزيز في رحمته ، رحيم في عزته [وهذا هو الكمال : العزة مع الرحمة ، والرحمة مع العزة ، فهو رحيم بلا ذل"[٨].

عن سلمان الفارسي، قال: "إن الله تبارك وتعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة منها طباقها السموات والأرض، فأنزل منها رحمة واحدة فبها تتراحم الخليقة حتى ترحم البهيمة بهيمتها والوالدة ولدها، حتى إذا كان يوم القيامة جاء بتلك التسعة وتسعين رحمة، ونزع تلك الرحمة من قلوب الخليقة، فأكملها مائة رحمة، ثم نصبها بينه وبين خلقه، فالخائب من خاب من تلك المائة رحمة"[٩].

القرآن

{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧)} [السجدة : ٧]

التفسير:

الله الذي أحكم خلق كل شيء، وبدأ خَلْقَ الإنسان، وهو آدم عليه السلام من طين.

قوله تعالى:{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [السجدة : ٧]، أي:" الله الذي أحكم خلق كل شيء"[١٠].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : إنه الذي أحسن خلق الأشياء وأتقنها وأحكمها "[١١].

قال الطبري:{أَحْسَنَ}" معناه: أحكم وأتقن"[١٢].

قال مجاهد:" أتقن كلّ شيء خلقه"[١٣].

وقال مجاهد:" أحصى كلّ شيء"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٧٠/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٤٣/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٦/٢.
(٦) تفسير السمعاني: ٢٤٣/٤.
(٧) تفسير الطبري: ١٧٠/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(٩) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٨٦/٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(١٢) تفسير الطبري: ١٧١/٢٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٠.

وقال مجاهد:" هو مثل {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثم هَدَى}، قال: فلم يجعل خلق البهائم في خلق الناس، ولا خلق الناس في خلق البهائم ولكن خلق كلّ شيء فقدّره تقديرا"(٢).

وعن مجاهد، قوله:"{أحسن كل شيء خلقه}، قال: اتقن. لم يركب الإنسان في صورة الحمار، ولا الحمار في صورة الإنسان"(٣).

وقال مجاهد:" أعطى كلّ شيء خلقه، قال: الإنسان إلى الإنسان، والفرس للفرس، والحمار للحمار وعلى هذا القول الخَلْق والكلّ منصوبان بوقوع أحسن عليهما"(٤).

عن ابن عباس، قوله: "{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ}، قال: أما إن آست القرد ليست بحسنة، ولكن أحكم خلقها"(٥).

قال ابن عباس:" أحسن بخلق كل شيء القبيح والحسن، والحيات والعقارب، وكل شيء مما خلق، وغيره لا يحسن شيئا من ذلك"(٦).

وقال ابن عباس:" فجعل الكلب في خلقه حسنا"(٧).

قال قتادة: حسن على نحو ما خلق"(٨).

قال الزمخشري:" {أحسن كل شيء}: حسنه، لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن، كما قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤]، وقيل: علم كيف يخلقه من قوله: «قيمة المرء ما يحسن». وحقيقته، يحسن معرفته، أى: يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإتقان"(٩).

وقرئ«أحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ»، بسكون اللام(١٠).

قوله تعالى:{وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة : ٧]، أي:" وبدأ خَلْقَ الإنسان، وهو آدم عليه السلام من طين"(١١).

قال الطبري:يقول:" وبدأ خلق آدم من طين"(١٢).

قال الزجاج:" يعني: آدم وذريته، فآدم خلق من طين"(١٣).

قال ابن كثير:" يعني : خلق أبا البشر آدم من طين"(١٤).

قال قتادة:" وهو خلق آدم"(١٥).

قال يحيى:" يعني: آدم، خلق الله تبارك وتعالى آدم من طين قبضه من جميع الأرض بيضاء، وحمراء، وسوداء، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فمنهم الأبيض والأحمر، والأسود، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب"(١٦).

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٠.
(٢) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٢٨):ص٣١٠٤/٩.
(٤) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٠.
(٦) اخجره ابن ابي حاتم(١٧٨٢٧):ص٣١٠٤/٩.
(٧) اخجره ابن ابي حاتم(١٧٨٢٦):ص٣١٠٤/٩.
(٨) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٠.
(٩) الكشاف: ٥٠٨/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤١٥.
(١٢) تفسير الطبري: ١٧٢/٢٠.
(١٣) معاني القرآن: ٢٠٥/٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(١٥) اخرجه الطبري: ١٧٣/٢٠.
(١٦) تفسير يحيى بن سلام: ٦٨٦/٢=٦٩٧.

{ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨)} [السجدة :]

التفسير:

ثم جعل ذرية آدم متناسلة من نطفة ضعيفة رقيقة مهينة.

قال ابن كثير:" أي : يتناسلون كذلك من نطفة تخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة "[١].

قال قتادة:" {ثم جعل نسله}، أي: ذرّيته، {من سلالة من ماء مهين}، و«السلالة»: هي الماء المهين الضعيف"[٢].

عن ابن عباس، قوله: "{مِنْ سُلالَةٍ}، قال: صفو الماء"[٣].

عن مجاهد :"{مِنْ ماءٍ مَهِينٍ}، قال: ضعيف نطفة الرجل"[٤].

قال الطبري:{ مِنْ ماءٍ مَهِين}، يعني:" من نطفة ضعيفة رقيقة"[٥].

قال الزجاج:" معنى: «مهين»: ضعيف، ومعنى: «السلالة» -في اللغة-: ما ينسل من الشيء القليل، وكذلك «الفعالة»، نحو: الفضالة والنخامة والقوارة"[٦].

قال الزمخشري:" سميت الذرية: «نسلا»، لأنها تنسل منه، أى: تنفصل منه وتخرج من صلبه، ونحوه قولهم للولد: سليل ونجل"[٧].

القرآن

{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩)} [السجدة : ٩]

التفسير:

ثم أتم خلق الإنسان وأبدعه، وأحسن خلقته، ونفخ فيه مِن روحه بإرسال الملك له؛ لينفخ فيه الروح، وجعل لكم -أيها الناس- نعمة السمع والأبصار يُميَّز بها بين الأصوات والألوان والذوات والأشخاص، ونعمة العقل يُميَّز بها بين الخير والشر والنافع والضار. قليلا ما تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم.

قوله تعالى:{ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} [السجدة : ٩]، أي:" ثم أتم خلق الإنسان وأبدعه، وأحسن خلقته، ونفخ بعد ذلك فيه الروح"[٨].

قال الطبري: يقول:" ثم سوّى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا، {وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} فصار حيا ناطقا"[٩].

قال ابن كثير:" يعني : آدم ، لما خلقه من تراب خلقه سويا مستقيما"[١٠].

قال الزمخشري:أي:" قوّمه، كقوله تعالى: {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين : ٤]، ودل بإضافة «الروح» إلى ذاته على أنه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو، كقوله: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ } [الإسراء : ٨٥]، الآية، كأنه قال: ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته"[١١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(٢) اخرجه الطبري: ١٧٣/٢٠.
(٣) اخرجه الطبري: ١٧٣/٢٠.
(٤) اخرجه الطبري: ١٧٣/٢٠.
(٥) تفسير الطبري: ١٧٢/٢٠.
(٦) معاني القرآن: ٢٠٥/٤.
(٧) الكشاف: ٥٠٨/٣.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٥.[بتصرف].
(٩) تفسير الطبري: ١٧٣/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(١١) الكشاف: ٥٠٨/٣-٥٠٩.

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} [السجدة : ٩]، أي:" وجعل لكم -أيها الناس- نعمة السمع والأبصار يُميِّز بها بين الأصوات والألوان والذوات والأشخاص، ونعمة العقل يُميِّز بها بين الخير والشر والنافع والضار"[١].

قال الطبري: " يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة، تعقلون بها الخير من السوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك"[٢].

قال ابن كثير:" {الأَفْئِدَةَ } ، يعني : العقول"[٣].

قوله تعالى:{قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} [السجدة : ٩]، أي:" قليلا ما تشكرون ربكم على ما أنعم به عليكم"[٤].

قال الطبري: " يقول: وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم"[٥].

قال ابن كثير:"أي : بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل. فالسعيد مَنْ استعملها في طاعة ربه عز وجل"[٦].

فوائد الآيات: [٥-٩]:

١- بيان جلال الله وعظمته في تدبيره أمر الخلائق.
٢- بيان صفات الله تعالى من العلم والعزة والرحمة.
٣- بيان كيفية خلق الإنسان ومادة خلقه.
٤- شكر العباد - إن شكروا - لا يوازي نعم الله تعالى عليهم.
٥- وجوب شكر النعم بالاعتراف بها وذكرها وحمد الله تعالى عليها وصرفها في مرضاته.

القرآن

{وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)} [السجدة : ١٠]

التفسير:

وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث: أإذا صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض أنُبعَث خلقًا جديدًا؟ يستبعدون ذلك غير طالبين الوصول إلى الحق، وإنما هو منهم ظلم وعناد؛ لأنهم بلقاء ربهم -يوم القيامة- كافرون.

قوله تعالى:{وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [السجدة : ١٠]، أي:" وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث: أإذا صارت لحومنا وعظامنا ترابًا في الأرض أنُبعَث خلقًا جديدًا؟"[٧].

قال يحيي:" {وقالوا} ، يعني: المشركين، {أئذا ضللنا في الأرض}، أي: إذا كنا عظاما ورفاتا، {أئنا لفي خلق جديد} على الاستفهام منهم، وهذا استفهام على إنكار، أي: أنا لا نبعث بعد الموت"[٨].

قال الطبري:يقول:" وقال المشركون بالله، المُكذّبون بالبعث: {أئِذَا ضَلَلْنا في الأرْض} أي: صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض{أئنا لفي خلق جديد}"[٩].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٢) تفسير الطبري: ١٧٣/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٥) تفسير الطبري: ١٧٣/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٦٨٧/٢.
(٩) تفسير الطبري:١٧٤/٢٠.

قال ابن كثير:" أي :[أَإِذَا] تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت ، أئنا لَنَعُودُ بعد تلك الحال ؟! يستبعدون ذلك، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قُدْرَتهم العاجزة ، لا بالنسبة إلى قُدْرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم ، الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"(١).

قال الزمخشري:" قيل: القائل أبى بن خلف، ولرضاهم بقوله أسند إليهم جميعا"(٢).

قال أبو عبيدة: « ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ»، معناه:" همدنا فلم يوجد لنا لحم ولا عظم"(٣).

قال ابن قتيبة:" أي: بطلنا ولحقنا بالتراب وصرنا منه. والعرب تقول: ضل الماء في اللبن: إذا غلب اللبن عليه فلم يتبين. وقال النابغة الذبياني -يرثي بعض الملوك-(٤):

وآب مضلوه بعين جلية ... وغودر بالجولان حزم ونائل

أي: قابروه، سماهم مضلين لأنهم غيبوه وأفقدوه فأبطلوه"(٥).

عن مجاهد :"{أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ}، يقول: أئذا هلكنا"(٦).

قال الضحاك:" يقول: أئذا كنا عظاما ورفاتا أنبعث خلقا جديدا؟ يكفرون بالبعث"(٧).

وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهما: «ضللنا»، بكسر اللام. يقال: ضل يضل وضل يضل. وقرأ الحسن رضي الله عنه: «صللنا»، من: صل اللحم وأصل: إذا أنتن. وقيل: صرنا من جنس الصلة وهي الأرض(٨).

قوله تعالى:{بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ} [السجدة : ١٠]، أي:" يستبعدون ذلك غير طالبين الوصول إلى الحق، وإنما هو منهم ظلم وعناد؛ لأنهم بلقاء ربهم -يوم القيامة- كافرون"(٩).

قال الطبري:يقول:" ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء، بل هم بلقاء ربهم كافرون؛ حذرا لعقابه، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد"(١٠).

قال الزمخشري:" فلما ذكر كفرهم بالإنشاء، أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في الكفر، وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة، لا بالإنشاء وحده: ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء، وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا"(١١).

القرآن

{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)} [السجدة : ١١]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦.
(٢) الكشاف: ٥٠٩/٣.
(٣) مجاز القرآن: ١٣١/٢.
(٤) البيت في ديوان النابغة الذبياني ص ١٢١، ولسان العرب (ضلل) ، (جلا) ، وتاج العروس (ضلل) ، (جلا) (جلا) ، وتهذيب اللغة ١١/ ١٨٧، ٤٦٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٤٤، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٠٧٧، ومقاييس اللغة ١/ ٤٩٦، ٣/ ٣٥٦، ومجمل اللغة ٣/ ٢٧٧.
(٥) تاويل مشكل القرآن: ٨٥.
(٦) أخرجه الطبري:١٧٤/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري:١٧٤/٢٠.
(٨) انظر: الكشاف: ٥٠٩/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٥.
(١٠) تفسير الطبري:١٧٤/٢٠-١٧٥.
(١١) الكشاف: ٥٠٩/٣.

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم، ولن تتأخروا لحظة واحدة، ثم تُردُّون إلى ربكم، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

قوله تعالى:{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة : ١١]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّل بكم، فيقبض أرواحكم إذا انتهت آجالكم"(١).

قال الطبري: يقول:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم، ومنه قول الراجز(٢):

إنَّ بَني الأدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أحَدْ ... وَلا تَوَفاَّهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ"(٣).

قال الزجاج:« يتوفاكم»: " من توفية العدد، تأويله: أنه يقبض أرواحكم أجمعين فلا ينقص واحد منكم، كما تقول: قد استوفيت من فلان وتوفيت من فلان مالي عنده، فتأويله: أنه لم يبق لي عليه شيء"(٤).

قال الزمخشري:" التوفي: استيفاء النفس وهي الروح. قال الله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُس} [الزمر : ٤٢]"(٥).

قال ابن كثير:" الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة ، كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة «إبراهيم»(٦)، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل ، وهو المشهور ، قاله قتادة وغير واحد ، وله أعوان. وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد ، حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت"(٧).

عن قَتادة: "{قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ}، قال: ملك الموت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة"(٨).

عن مجاهد، قوله: "{يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ}، قال: حويت له الأرض فجُعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء"(٩).

وفي رواية أخرى قال مجاهد: "جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء، وجعلت له أعوان يتوفَّون الأنفس ثم يقبضها منهم"(١٠).

عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه قال: "سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت، أهو وحده الذي يقبض الأرواح، قال: هو الذي يلي أمرَ الأرواح، وله أعوان على ذلك، ألا تسمع إلى قول الله تعالى ذكره: {حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ؟}. وقال:" توفته رسلنا وهم لا يفرطون"، غير أن ملك الموت هو الذي يسير كل خطوة منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة في الجنة"(١١).

قال الثعلبي:" قيل: توفي الملائكة: القبض والنزع. وتوفي ملك الموت: الدعاء والأمر، يدعو الأرواح فتجيبه ثم يأمر أعوانه بقبضها، وتوفي الله سبحانه: خلق الموت، والله أعلم"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٢)البيتان لمنظور الوبري (اللسان: وفى).
(٣) تفسير الطبري: ١٧٥/٢٠.
(٤) معاني القرآن: ٢٠٥/٤.
(٥) الكشاف: ٥٠٩/٣.
(٦)عند الآية السابعة والعشرين.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٦٠/٦-٣٦١.
(٨) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٠.
(١٠) اخرجه الطبري(١٣٣٣٤):ص٤١١/١١-٤١٢.
(١١) أخرجه الطبري(١٣٣٣٨):ص٤١٢/١١.
(١٢) الكشف والبيان: ٣٢٩/٧.

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة : ١١]، أي:" تُردُّون إلى ربكم، فيجازيكم على جميع أعمالكم: إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر"(١).

قال ابن كثير:" أي : يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم"(٢).

فوائد الآيتين: [١٠-١١]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- الذنب الذي هو سبب كل ذنب هو الكفر بلقاء الله تعالى.

٣- بيان أن لقبض الأرواح ملكاً وله أعوان من الملائكة وأن الأرض جعلت لملك الموت كالطست بين يديه يتناول منها ما يشاء.

القرآن

{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)} [السجدة : ١٢]

التفسير:

ولو ترى -أيها المخاطب- إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خفضوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار قائلين: ربنا أبصرنا قبائحنا، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، وقد تُبْنا إليك، فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك، إنا قد أيقنَّا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، وأنك تبعث من في القبور. ولو رأيت -أيها الخاطب- ذلك كله، لرأيت أمرًا عظيمًا، وخطبًا جسيمًا.

قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [السجدة : ١٢]، أي:" ولو ترى -أيها المخاطب- إذ المجرمون الذين أنكروا البعث قد خفضوا رؤوسهم عند ربهم من الخزي والعار"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين: {أَئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} إذ هم ناكسوا رءوسهم عند ربهم حياء من ربهم. للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا"(٤).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة ، وحالهم حين عاينوا البعث ، وقاموا بين يدي الله حقيرين ذليلين ، ناكسي رؤوسهم ، أي : من الحياء والخجل"(٥).

قال ابن زيد:" قد حزنوا واستحيوا"(٦).

قال الزجاج:" هذا متروك الجواب، وخطاب النبي - ﷺ - خطاب الخلق الدليل عليه ذلك: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء} [الطلاق : ١]، فهو بمنزلة: ولو ترون فالجواب لرأيتم ما يعتبر به غاية الاعتبار"(٧).

قال البغوي:" جواب لو مضمر مجازه: لرأيت العجب"(٨).

قوله تعالى:{رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} [السجدة : ١٢]، أي:" قائلين: ربنا أبصرنا قبائحنا، وسمعنا منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٦١/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٤) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٠.
(٧) معاني القرآن: ٢٠٦/٤.
(٨) تفسير البغوي: ٣٠٢/٦.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٦.

قال الطبري:" يقولون: يا {رَبَّنَا أَبْصَرْنا} ما كنا نكذّب به من عقابك أهل معاصيك {وَسَمِعْنَا} منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا"[١].

قال ابن كثير:" أي : نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك ، كما قال تعالى : { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا } [مريم : ٣٨]. وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم : { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك : ١٠]"[٢].

قوله تعالى:{فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا} [السجدة : ١٢]، أي:" فارجعنا إلى الدنيا لنعمل فيها بطاعتك"[٣].

قال الطبري:" يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، وذلك العمل الصالح"[٤].

قال ابن كثير:" {فَارْجِعْنَا } أي : إلى الدار الدنيا ، { نَعْمَلْ صَالِحًا}"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة : ١٢]، أي:" إنا قد أيقنَّا الآن ما كنا به في الدنيا مكذبين من وحدانيتك، وأنك تبعث من في القبور"[٦].

قال الطبري:" يقول: إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالا من وحدانيتك وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون ربّ سواك، وأنك تحيي وتميت، وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء"[٧].

قال ابن كثير:" أي : قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق ، وقد علم الرب تعالى منهم أنه لو أعادهم إلى الدار الدنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارا يكذبون آيات الله ويخالفون رسله ، كما قال : { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } [الأنعام : ٢٧ - ٢٩]"[٨].

قال السعدي:" أي: صار عندنا الآن، يقين بما كنا نكذب به، أي: لرأيت أمرا فظيعًا، وحالا مزعجة، وأقوامًا خاسرين، وسؤلا غير مجاب، لأنه قد مضى وقت الإمهال. وكل هذا بقضاء الله وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي"[٩].

القرآن

{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)} [السجدة : ١٣]

التفسير:

ولو شئنا لآتينا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان، ولكن حق القول مني ووجب لأملأنَّ جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفي الجِنِّ والإنس أجمعين؛ وذلك لاختيارهم الضلالة على الهدى.

قوله تعالى:{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} [السجدة : ١٣]، أي:" ولو شئنا لآتينا هؤلاء المشركين بالله رشدهم وتوفيقهم للإيمان"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٤) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٧) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٦.
(٩) تفسير السعدي: ٦٥٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٦.

قال الطبري:يقول:" {وَلَوْ شِئْنَا} يا محمد {لَآتَيْنَا} هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله رشدها وتوفيقها للإيمان بالله"[١].

قال السعدي:" أي: لهدينا الناس كلهم، وجمعناهم على الهدى، فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة، تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى"[٢].

قال قتادة:" لو شاء الله لهدى الناس جميعا، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية، فظلت أعناقهم لها خاضعين"[٣].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة : ١٣]، أي:" ولكن حق القول مني ووجب لأملأنَّ جهنم من أهل الكفر والمعاصي، من صنفي الجِنِّ والإنس أجمعين"[٤].

قال الطبري: يقول: وجب العذاب مني لهم، وقوله: {لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ منَ الجِنَّة والنَّاسِ أجمَعِينَ} يعني: من أهل المعاصي والكفر بالله منهم"[٥].

قال السعدي:" {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي} أي: وجب، وثبت ثبوتًا لا تغير فيه، {لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} فهذا الوعد، لا بد منه، ولا محيد عنه، فلا بد من تقرير أسبابه من الكفر والمعاصي"[٦].

عن قتادة:"{وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي}: حقّ القول عليهم"[٧].

قال الزجاج:" قال قتادة: «بذنوبهم»، وهذا حسن، لأن الله عز وجل قال: {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون} [الطور : ١٦/ التحريم: ٧]"[٨].

القرآن

{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)} [السجدة : ١٤]

التفسير:

يقال لهؤلاء المشركين -عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ-: فذوقوا العذاب؛ بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذائذ الدنيا، إنا تركناكم اليوم في العذاب، وذوقوا عذاب جهنم الذي لا ينقطع؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه.

قوله تعالى:{فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [السجدة : ١٤]، أي:" يقال لهؤلاء المشركين -عند دخولهم النار على سبيل التوبيخ-: فذوقوا العذاب؛ بسبب غفلتكم عن الآخرة وانغماسكم في لذائذ الدنيا"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ : ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به ، واستبعادكم وقوعه ، وتناسيكم له ؛ إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٠.
(٢) تفسير السعدي: ٦٥٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٠-١٧٧.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٥) تفسير الطبري: ١٧٦/٢٠.
(٦) تفسير السعدي: ٦٥٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٠-١٧٧.
(٨) معاني القرآن: ٢٠٦/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٦.
(١٠) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٦.

قال السعدي:" أي: يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه"[(١)].

قال الزجاج:" تأويل «النسيان» -ههنا-: الترك، المعنى: فذوقوا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا]"[(٢)].

قوله تعالى:{إِنَّا نَسِينَاكُمْ} [السجدة : ١٤]، أي:" إنا تركناكم اليوم في العذاب"[(٣)].

قال الطبري:" يقول: إنا تركناكم اليوم في النار"[(٤)].

قال الزجاج: "فتركناكم من الرحمة"[(٥)].

قال السعدي:" أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ"[(٦)].

قال ابن كثير:" أي : إنا سنعاملكم معاملة الناسي ؛ لأنه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شيء ، بل من باب المقابلة ، كما قال تعالى : { الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا } [الجاثية : ٣٤]"[(٧)].

عن ابن عباس، قوله: "{إِنَّا نَسِيناكُمْ}، يقول: تركناكم"[(٨)].

قال قتادة:" نسوا من كلّ خير، وأما الشرّ فلم ينسوا منه"[(٩)].

قوله تعالى:{وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [السجدة : ١٤]، أي:" وذوقوا عذاب جهنم الذي لا ينقطع؛ بما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر بالله ومعاصيه"[(١٠)].

قال الطبري:" يقول: يقال لهم أيضا: ذوقوا عذابا تخلدون فيه إلى غير نهاية {بِما كُنْتُمْ} في الدنيا {تَعْمَلُونَ} من معاصي الله"[(١١)].

قال ابن كثير:" أي : بسبب كفركم وتكذيبكم ، كما قال في الآية الأخرى : { لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا. إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَاءً وِفَاقًا. إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا. وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا. وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا. فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إِلا عَذَابًا } [النبأ : ٢٤ - ٣٠]"[(١٢)].

قال السعدي:" {وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ}، أي: العذاب غير المنقطع، فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية، كان فيه بعض التنفيس والتخفيف، وأما عذاب جهنم - أعاذنا الله منه - فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها. {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} من الكفر والفسوق والمعاصي"[(١٣)].

فوائد الآيات: [١٢-١٤]:

١- التنديد بالإجرام والمجرمين وبيان حالهم يوم القيامة.

٢- بيان عدم نفع الإيمان عند معاينة العذاب.

٣- بيان حكم الله في امتلاء جهنم من كل من مجرمي الإنس والجن.

٤- تقرير حكم السببية فالأعمال سبب للجزاء خيراً كان أو شراً.

القرآن

---

(١) تفسير السعدي: ٦٥٤.

(٢) معاني القرآن: ٢٠٦/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٤) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٠.

(٥) معاني القرآن: ٢٠٦/٤.

(٦) تفسير السعدي: ٦٥٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤١٦.

(١١) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٦٢/٦.

(١٣) تفسير السعدي: ٦٥٤.

{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)} [السجدة : ١٥]

التفسير:

إنما يصدق بآيات القرآن ويعمل بها الذين إذا وُعِظوا بها أو تُليت عليهم سجدوا لربهم خاشعين مطيعين، وسبَّحوا الله في سجودهم بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له.

سبب النزول:

قال الفراء:" كان المنافقون إذا نودي بالصلاة فإن خفوا عن أعين المسلمين تركوها، فأنزل الله:{ إنَّما يُؤْمِنُ بِآياتِنَا الَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا بِها}، إذا نودوا إلى الصلاة أتوها فركعوا وسجدوا غير مستكبرين"[١].

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا} [السجدة : ١٥]، أي:" إنما يصدق بآيات القرآن ويعمل بها الذين إذا وُعِظوا بها أو تُليت عليهم سجدوا لربهم خاشعين مطيعين"[٢].

قال الطبري: يقول:" ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا {خَرّوا} لله {سجدا} لوجوههم، تذلُّلا له، واستكانة لعظمته، وإقرارا له بالعبوديَّة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : إنما يصدق بها { الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا } أي : استمعوا لها وأطاعوها قولا وفعلا "[٤].

قال السعدي:" {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا}، أي: إيمانًا حقيقيًا، من يوجد منه شواهد الإيمان، وهم: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا} بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح على أيدي رسل الله، ودُعُوا إلى التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و {خَرُّوا سُجَّدًا}، أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته"[٥].

قوله تعالى:{وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [السجدة : ١٥]، أي:" وسبَّحوا الله في سجودهم بحمده، وهم لا يستكبرون عن السجود والتسبيح له، وعبادته وحده لا شريك له"[٦].

له"[٦].

قال الطبري: "يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد، يفعلون ذلك، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستنكفون عن التذلُّل له والاستكانة"[٧].

قال ابن كثير:" {وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ}، أي: عن اتباعها والانقياد لها ، كما يفعله الجهلة من الكفرة الفجرة ، وقد قال الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر : ٦٠]"[٨].

قال السعدي:" {وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ} لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد لها، بل متواضعون لها، قد تلقوها بالقبول، والتسليم، وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصلوا بها إلى مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلى الصراط المستقيم"[٩].

---

(١) معاني القرآن:٣٣١/٢.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٣) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٦.
(٥) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٧) تفسير الطبري: ١٧٧/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٦.
(٩) تفسير السعدي: ٦٥٥.

وقال مقاتل:" {وهم لا يستكبرون}، يعني: لا يتكبرون عن السجود كفعل كفار مكة حين تكبروا عن السجود"(١).

القرآن

{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦)} [السجدة : ١٦]

التفسير:

ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله عن فراش النوم، يتهجدون لربهم في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفًا من العذاب وطمعًا في الثواب، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله.

سبب النزول:

عن أنس بن مالك، "أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبيّ ﷺ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء :{تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ}"(٢).

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه قال : "قال بلال لما نزلت هذه الآية : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } الآية، كنا نجلس في المجلس ، وناس من أصحاب رسول الله ﷺ يصلون بعد المغرب إلى العشاء ، فنزلت هذه الآية : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}"(٣).

وقال مقاتل:" نزلت في الأنصار"(٤).

قوله تعالى:{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} [السجدة : ١٦]، أي:" ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله عن فراش النوم، يتهجدون لربهم في صلاة الليل"(٥).

قال الطبري: يقول:" تتنحَّى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم، وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم، ولا ينامون"(٦).

قال ابن كثير:" يعني بذلك : قيام الليل ، وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة"(٧).

قال السعدي:" أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى"(٨).

وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لأجله قولان :

أحدهما : لذكر الله إما في صلاة أو في غير صلاة. قاله ابن عباس(٩)، والضحاك(١٠).

قال الضحاك:" هم قوم لا يزالون يذكرون الله، إما في صلاة، وإما قياما، وإما قعودا، وإما إذا استيقظوا من منامهم، هم قوم لا يزالون يذكرون الله"(١١).

قال ابن عباس:" يقول: تتجافى لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله، إما في الصلاة، وإما في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، فهم لا يزالون يذكرون الله"(١٢).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣.
(٢) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٠.
(٣)مسند البزار برقم (٢٢٥٠) "كشف الأستار" ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٠/٧) : "فيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف".
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٦) تفسير الطبري: ١٧٨/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٦.
(٨) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٠.
(١١) اخرجه الطبري: ١٨٠/٢٠.
(١٢) اخرجه الطبري: ١٨٠/٢٠.

الثاني : للصلاة، وذلك لما روي عن الحكم، قال: "سمعت عروة بن الزبير يحدّث عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلُّكَ عَلى أبْواب الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وَقِيامُ العَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ» وتلا هذه الآية: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ}"[١].

وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لأجلها أربعة أقوال:

أحدها : التنفل بين المغرب والعشاء ، قاله أنس[٢]، وقتادة[٣]، وعكرمة[٤].

عن أنس :"{تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ}، قال: كانوا يتطوعون فيما بين المغرب والعشاء"[٥].

الثاني : صلاة العشاء التي يقال لها صلاة العتمة ، قاله الحسن[٦]، وعطاء[٧].

وقال انس:" نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة"[٨].

الثالث : صلاة الصبح والعشاء في جماعة ، قاله أبو الدرداء[٩]، وعبادة[١٠].

الرابع : قيام الليل ، قاله الحسن أيضا[١١]، ومجاهد[١٢]، والأوزاعي[١٣]، ومالك[١٤]، وابن زيد[١٥].

قال ابن زيد:" هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل"[١٦].

قال الطبري:" لم يخصص الله في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالا ووقتا دون حال ووقت، فكان واجبا أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ}، لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله، أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا، وهو على القيام أو القعود قادر، غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١٧].

عن مجاهد، قال: "ذكر رسول الله ﷺ قيام الليل، ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه، فقال: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ}"[١٨].

عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : "عجب ربنا من رجلين : رجل ثار من وِطَائه ولحافه ، ومن بين أهله وَحَيِّه إلى صلاته ، فيقول ربنا : أيا ملائكتي ، انظروا إلى عبدي ، ثار

---

(١) أخرجه الطبري: ١٨١/٢٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٠.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٠.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٠-١٨٠.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٠.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦٣/٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٠.
(١٦)أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٠ .
(١٧) تفسير الطبري: ١٨١/٢٠.[بتصرف بسيط]
(١٨) أخرجه الطبري: ١٨١/٢٠.

من فراشه ووطائه ، ومن بين حيه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله ، عز وجل ، فانهزموا ، فعلم ما عليه من الفرار ، وما له في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي. فيقول الله ، عز وجل للملائكة : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، ورهبة مما عندي ، حتى أهريق دمه"[1].

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ : "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، جاء مناد فنادى بصوت يُسمعُ الخلائق : سيعلم أهل الجمع اليوم مَن أولى بالكرم. ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } الآية ، فيقومون وهم قليل"[2].

قليل"[2].

قوله تعالى:{يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة : ١٦]، أي:" يدعون ربهم خوفًا من العذاب وطمعًا في الثواب"[3].

قال الطبري: يقول:" {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفا وَطَمَعا} في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته"[4].

قال ابن كثير:" أي : خوفًا من وبال عقابه ، وطمعًا في جزيل ثوابه"[5].

قال السعدي:" {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارهما. {خَوْفًا وَطَمَعًا} أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن ترد أعمالهم، وطمعًا في قبولها، خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه"[6].

قال قتادة:" خوفا من عذاب الله، وطمعا في رحمة الله"[7].

قوله تعالى:{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة : ١٦]، أي:" ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله وفي سبيله"[8].

قال الطبري: يقول:" {ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ} في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه"[9].

قال قتادة:" {ومما رزقناهم ينفقون} فى طاعة الله، وفي سبيله"[10].

قال ابن كثير:" فيجمعون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ، ومقدم هؤلاء وسيدهم وفخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ ، كما قال عبد الله بن رَوَاحة ، رضي الله عنه[11]:

وَفِينَا رَسُولُ الله يَتْلُو كتَابَه... إذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطعُ
أرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا... به مُوقِنَاتٌ أنَّ مَا قَال وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِه... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بالْمُشْرِكِين المَضَاجِعُ"[12].

قال السعدي:" ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه، ليدل على العموم، فإنه يدخل فيه، النفقة الواجبة، كالزكوات، والكفارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبة في وجوه

---

(١)المسند (٤١٦/١) وسنن أبي داود برقم (٥٢٣٦).
(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٦٥/٦، ورواه إسحاق بن راهوية في مسنده ، وأبو يعلى في المسند الكبير كما في المطالب العالية (٣٧٣/٤) من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٤) تفسير الطبري: ١٧٨/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٦.
(٦) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٧) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٩) تفسير الطبري: ١٧٨/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٠.
(١١) .
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٦٣/٦.

الخير، والنفقة والإحسان المالي، خير مطلقًا، سواء وافق غنيًا أو فقيرًا، قريبًا أو بعيدًا، ولكن الأجر يتفاوت، بتفاوت النفع، فهذا عملهم"[١].

القرآن

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)} [السجدة : ١٧]

التفسير:

فلا تعلم نفس ما ادَّخر الله لهؤلاء المؤمنين مما تَقَرُّ به العين، وينشرح له الصدر؛ جزاء لهم على أعمالهم الصالحة.

قوله تعالى:{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة : ١٧]، أي:" فلا تعلم نفس ما ادَّخر الله لهؤلاء المؤمنين مما تَقَرُّ به العين، وينشرح له الصدر"[٢].

قال الطبري:يقول:" فلا تعلم نفسٌ ذي نفس ما أخفي الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم ، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب"[٤].

قال السعدي:قوله:" {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ} يدخل فيه جميع نفوس الخلق، لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد {مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور"[٥].

قال عبدالله بن مسعود:" خبئ لهم ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٦].

عن ابن عباس، "{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}، قال: وهي التي لا تعلم نفس، أو قال: هما التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون. قال: وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها أو ما فيهما يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة"[٧].

عن الحسن :"{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ}، قال: أخفوا عملا في الدنيا، فأثابهم الله بأعمالهم"[٨].

وقرأ بعض الكوفيين: «أُخْفِي لَهُمْ» بضم الألف وإرسال الياء، بمعنى: أفعل، أخفي لهم أنا[٩].

قوله تعالى:{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة : ١٧]، أي:" ثواباً لما قدموه في الدنيا من صالح الأعمال"[١٠].

قال الطبري: "يقول: ثوابا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون"[١١].

قال ابن كثير:" أي : جزاء وفاقا ؛ فإن الجزاء من جنس العمل"[١٢].

قال السعدي:" فكما صلوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفى أجرهم، ولهذا قال: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٣) تفسير الطبري: ١٨٢/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٦٥/٦.
(٥) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٦) أخرجه الطبري: ١٨٣/٢٠.
(٧) أخجره الطبري: ١٨٤/٢٠-١٨٥.
(٨) أخرجه الطبري:١٨٦/٢٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٠.
(١٠) صفوة التفاسير: ٤٦٣/٢.
(١١) تفسير الطبري: ١٨٢/٢٠.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٦٥/٦.

قال عبدالله بن مسعود: "مكتوب في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في القرآن: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ منْ قُرَّةِ أعْيُن جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ}"(٢).

عن الشعبي، قال: "سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبي ﷺ: "إن موسى سأل ربه: أي رب، أي أهل الجنة أدنى منزلة؟ قال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل. فيقول: كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: بخ أي رب قد رضيت، فيقال له: إن لك هذا ومثله ومثله ومثله، فيقول: رضيت أي رب رضيت، فيقال له: إن لك هذا وعشرة أمثاله معه، فيقول: رضيت أي رب، فيقال له: فإن لك مع هذا ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، قال: فقال موسى: أي رب، وأي أهل الجنة أرفع منزلة، قال: إياها أردت، وسأحدثك عنهم غرست لهم كرامتي بيدي، وختمت عليها، فلا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال: ومصداق ذلك في كتاب الله: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُن جِزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُون}"(٣).

عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، عن الروح الأمين، قال: "يؤتى بحسنات العبد وسيئاته، فينقص بعضها من بعض، فإن بقيت حسنة واحدة، وسع الله له في الجنة"، قال: فدخلت على يزداد، فحدث بمثل هذا؛ قال: قلت: فأين ذهبت الحسنة؟ قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أصحابِ الجَنَّةِ وَعْدَ الصّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ}، قلت: قوله: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُن}، قال: العبد يعمل سرا أسره إلى الله لم يعلم به الناس، فأسر الله له يوم القيامة قرة عين"(٤).

فوائد الآيات: [١٥-١٧]:

١- فضيلة التسبيح في الصلاة وهو سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود.

٢- ذم الاستكبار وأهله ومدح التواضع لله وأهله.

٣- فضيلة قيام الليل وهو المعروف بالتهجد والدعاء خوفاً وطمعاً.

عن معاذ بن جبل، قال: "كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا نبي الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. قال: " لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت " ثم قال: " ألا أدلك على أبواب الخير؟: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، وصلاة الرجل في جوف الليل " ثم قرأ: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: ١٦] ، حتى بلغ، {يعملون} [السجدة: ١٧] ثم قال: " ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ " فقلت: بلى يا رسول الله. قال: " رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد " ثم قال: " ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ " فقلت له: بلى يا نبي الله. فأخذ بلسانه، فقال: " كف عليك هذا " فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: " ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟"(٥).

---

(١) تفسير السعدي: ٦٥٥.

(٢) أخرجه الطبري:١٨٣/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٠-١٨٦.

(٥) مسند أحمد(٢٢٠١٦):ص٣٤٤/٣٦-٣٤٥.

٤- بشرى المؤمنين الصادقين من ذوي الصفات المذكورة في الآيات وهو أنه تعالى أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما جاء في الحديث: « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[١].

القرآن

{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨)} [السجدة : ١٨]

التفسير:

أفمن كان مطيعًا لله ورسوله مصدقًا بوعده ووعيده، مثل من كفر بالله ورسله وكذب باليوم الآخر؟ لا يستوون عند الله.

سبب النزول:

قال عطاء بن يسار: "نزلت بالمدينة، في عليّ بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين عليّ كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لسانا، وأحدّ منك سنانا، وأرد منك للكتيبة، فقال عليّ: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: {أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِنا كَمَنْ كانَ فاسِقا لا يَسْتَوُونَ} إلى قوله: {بِهِ تُكَذِّبُونَ}"[٢].

قال عبد الرحمن بن أبي ليلى:"نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة"[٣].

قال مقاتل:" وذلك أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط من بني أمية أخو عثمان بن عفان- رضي الله عنه- من أمه قال لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: اسكت فإنك صبي، وأنا أحد منك سنانا، وأبسط منك لسانا، وأكثر حشوا في الكتيبة منك. قال له علي- عليه السلام-: اسكت فأنت فاسق. فأنزل الله- جل ذكره-: {أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِنًا}، يعني: عليا -عليه السلام-{كَمَنْ كانَ فَاسِقًا}، يعنى: الوليد"[٤].

قوله تعالى:{أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} [السجدة : ١٨]، أي:" أفمن كان مطيعًا لله ورسوله مصدقًا بوعده ووعيده، مثل من كفر بالله ورسله وكذب باليوم الآخر؟"[٥].

قال الطبري يقول:" أفهذا الكافر المكذّب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، والمصدّق بوعده ووعيد، المطيع له في أمره ونهيه"[٦].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حُكمه يوم القيامة مَنْ كان مُؤمنًا بآياته متبعًا لرسله ، بمن كان فاسقا ، أي : خارجا عن طاعة ربه مكذِّبًا لرُسُله إليه، كما قال تعالى : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [الجاثية : ٢١] ، وقال تعالى : { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } [ص : ٢٨] ، وقال تعالى : { لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } [الحشر : ٢٠]"[٧].

قال السعدي:" ينبه تعالى، العقول على ما تقرر فيها، من عدم تساوي المتفاوتين المتباينين، وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما فقال: {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا} قد عمر قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لشرائعه، واقتضى إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله، التي يضر وجودها بالإيمان. {كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا} قد خرب قلبه، وتعطل من الإيمان، فلم يكن فيه وازع ديني،

---

(١)حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٣١٣/٢، رقم ٨١٢٨) ، والبخارى (١١٨٥/٣، رقم ٣٠٧٢) ، ومسلم (٢١٧٤/٤، رقم ٢٨٢٤) ، والترمذى (٣٤٦/٥، رقم ٣١٩٧) وقال: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الطبري: ١٨٧/٢٠-١٨٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٥١):ص٣١٠٩/٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٦.

(٦) تفسير الطبري: ١٨٧/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.

فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن طاعة الله. أفيستوي هذان الشخصان؟"[١].

قوله تعالى:{لَا يَسْتَوُونَ} [السجدة : ١٨]، أي:" لا يستوون عند الله"[٢].

قال ابن كثير:" أي : عند الله يوم القيامة"[٣].

قال الطبري يقول:" كلا لا يستوون عند الله، يعني: لا يعتدل الكفَّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة"[٤].

قال السعدي:" {لا يَسْتَوُونَ} عقلا وشرعًا، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة"[٥].

قال قتادة:" لا والله ما استووا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة"[٦].

القرآن

{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩)} [السجدة : ١٩]

التفسير:

أما الذين آمنوا بالله وعملوا بما أُمِروا به فجزاؤهم جنات يأوون إليها، ويقيمون في نعيمها ضيافة لهم؛ جزاءً لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته.

قوله تعالى:{أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [السجدة : ١٩]، أي:" ما الذين آمنوا بالله وعملوا بما أُمِروا به"[٧].

قال الطبري: يقول:" أما الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله،"[٨]. ورسوله،"[٨].

قال ابن كثير:" أي : صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها، وهي الصالحات "[٩].

قال السعدي:" {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [ص:٦٥٦] من فروض ونوافل"[١٠].

قوله تعالى:{فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى} [السجدة : ١٩]، أي:" لهم الجنات التي فيها المساكن والدور والغرف العالية يأوون إليها ويستمتعون بها"[١١].

قال الطبري:" يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : التي فيها المساكن والدور والغرف العالية"[١٣].

قال السعدي:" أي: الجنات التي هي مأوى اللذات، ومعدن الخيرات، ومحل الأفراح، ونعيم القلوب، والنفوس، والأرواح، ومحل الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلى وجهه، وسماع خطابه"[١٤].

---

(١) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(٤) تفسير الطبري: ١٨٧/٢٠.
(٥) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٦) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٠.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٨) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٠.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(١٠) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(١١) صفوة التفاسير: ٤٦٤/٢.
(١٢) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٠.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(١٤) تفسير السعدي: ٦٥٥.

قوله تعالى:{نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة : ١٩]، أي:" ضيافةً مهيأةً ومعدةً لإكرامهم كما تهيأ التُحف للضيف وذلك بسبب ما قدموه من صالح الأعمال"(١).

قال الطبري:" يقول: نزلا بما أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته"(٢).

قال ابن كثير:" أي : ضيافة وكرامة {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"(٣).

قال السمعاني:" أي: عطاء بما كانوا يعملون"(٤).

قال السعدي:" أي: ضيافة، وقِرًى {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم، هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية، التي لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلا سوى الإيمان والعمل الصالح"(٥).

القرآن

{وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)} [السجدة : ٢٠]

التفسير:

وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فمستقرهم جهنم، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وقيل لهم -توبيخاً وتقريعاً-: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا.

قوله تعالى:{وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ} [السجدة : ٢٠]، أي:" وأما الذين خرجوا عن طاعة الله وعملوا بمعاصيه فمستقرهم جهنم"(٦).

قال الطبري: يقول:" وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار"(٧).

قال السمعاني:" أي: يأوون إلى النار، ويأوون: ينقلبون"(٨).

قال السعدي:" أي: مقرهم ومحل خلودهم، النار التي جمعت كل عذاب وشقاء، ولا يُفَتَّرُ عنهم العقاب ساعة"(٩).

قال ابن كثير:" {فَسَقُوا} أي : خرجوا عن الطاعة"(١٠).

عن قتادة: "{وأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا}: أشركوا"(١١).

قوله تعالى:{كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا} [السجدة : ٢٠]، أي:" كلما أرادوا أن يخرجوا من النار أعيدوا فيها"(١٢).

قال السعدي:" فكلما حدثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ، ردوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب"(١٣).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٦٤/٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٥١/٤.
(٥) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٧) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٠.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٥١/٤.
(٩) تفسير السعدي: ٦٥٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(١١) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٠.
(١٢) التفسير الميسر: ٤١٦.[بتصرف]
(١٣) تفسير السعدي: ٦٥٥.

قال مقاتل:" وذلك أن جهنم إذا جاشت ألقت الناس في أعلى النار فيريدون الخروج فتتلقاهم الملائكة بالمقامع فيضربونهم فيهوي أحدهم من الضربة إلى قعرها"[١].

قال الفُضَيل بن عياض: "والله إن الأيدي لموثقة ، وإن الأرجل لمقيدة ، وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم "[٢].

قال السمعاني:" في بعض التفاسير: أن لجهنم ساحلا كساحل البحر، فيخرج الكفار إليه فتحمل عليهم حيات لها أنياب كالنخيل، فيرجعون إلى النار ويستغيثون بها"[٣].

قوله تعالى:{وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} [السجدة : ٢٠]، أي:" وقيل لهم -توبيخاً وتقريعاً-: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون في الدنيا"[٤].

قال مقاتل:" وتقول الخزنة إذا ضربوهم :{ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون} بالبعث وبالعذاب بأنه ليس كائنا "[٥].

قال الطبري: أي: "{ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ} في الدنيا {تُكَذِّبُونَ} أن الله أعدّها لأهل الشرك به"[٦].

قال السعدي:" فهذا عذاب النار، الذي يكون فيه مقرهم ومأواهم، وأما العذاب الذي قبل ذلك، ومقدمة له وهو عذاب البرزخ، فقد ذكر بقوله: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأدْنَى..}"[٧].

قال ابن كثير:" أي : يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا "[٨].

عن قتادة، قوله: "{كنتم به تكذبون}، قال: هم يكذبون كما ترون"[٩].

وفي رواية:"والقوم مكذّبون كما ترون"[١٠].

القرآن

{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)} [السجدة : ٢١]

التفسير:

ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعذَّبون في نار جهنم؛ لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم.

قوله تعالى:{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ} [السجدة : ٢١]، أي:" ولنذيقن هؤلاء الفاسقين المكذبين من العذاب الأدنى من البلاء والمحن والمصائب في الدنيا قبل العذاب الأكبر يوم القيامة، حيث يُعذَّبون في نار جهنم"[١١].

قال مقاتل:" يعنى: كفار مكة {من العذاب الأدنى}، يعني: الجوع الذي أصابهم في السنين السبع بمكة حين أكلوا العظام والموتى والجيف والكلاب عقوبة بتكذيبهم النبي- صلى الله عليه وسلم- ثم- قال:{دون العذاب الأكبر}، يعني: القتل ببدر وهو أعظم من العذاب الذي أصابهم من الجوع"[١٢].

قال السعدي:" أي: ولنذيقن الفاسقين المكذبين، نموذجًا من العذاب الأدنى، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه، قبل أن يموتوا، إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرى لأهل بدر من

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥١/٣-٤٥٢.
(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٥١/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٦.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.
(٦) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٠.
(٧) تفسير السعدي: ٦٥٥-٦٥٦.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٥٢):ص٣١٠٩/٩-٣١١٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤١٧.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.

المشركين، وإما عند الموت، كما في قوله تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} ثم يكمل لهم العذاب الأدنى في برزخهم.

وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة، فإنه قال: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى} أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثَمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار"(١).

عن ابن عباس:" {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَاب الأدنى}، يقول: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا"(٢).

قال ابن عباس:" العذاب الأدنى بلاء الدنيا، قيل: هي المصائب"(٣).

قال الحسن:" أي: مصيبات الدنيا"(٤).

قال إبراهيم:" أشياء يُصابون بها في الدنيا"(٥).

عن أبي العالية: "{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى}، قال: المصائب في الدنيا"(٦).

قال الضحاك:" المصيبات في دنياهم وأموالهم"(٧).

عن أُبيّ بن كعب: "{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى}، قال: المصيبات في الدنيا قال: والدخان قد مضى، والبطشة واللزام"(٨).

وروي عن ابن عباس:" {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ}، قال: الحدود"(٩).

وروي عن عبد الله: "{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى}، قال: يوم بدر"(١٠). وروي عن ابيّ بن كعب-في رواية- مثل ذلك(١١).

وقال الحسن بن علي:" القتل بالسيف صبرا"(١٢).

قال عبد الله بن الحارث بن نوفل:" القتل بالسيف، كلّ شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى إنما هو السيف"(١٣).

وقال مجاهد:" القتل والجوع لقريش في الدنيا"(١٤).

وعن إبراهيم-في رواية- :"{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ}، قال: سنون أصابتهم"(١٥).

وفي رواية عن مجاهد، قال:" الأدنى في القبور وعذاب الدنيا"(١٦).

وقال ابن زيد:" العذاب الأدنى: عذاب الدنيا، العذاب الأكبر: عذاب الآخرة"(١٧).

---

(١) تفسير السعدي: ٦٥٦.
(٢) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٠-١٨٩.
(٣) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٠-١٩١.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٩٠/٢٠.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٠.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٠.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٠-١٩٢.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذّبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم. وقوله: {دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ}، يقول: قبل العذاب الأكبر، وذلك عذاب يوم القيامة"[١].

عن عبد الله: "{دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ}، قال: يوم القيامة"[٢]. وروي الحسن ومجاهد وابن زيد مثله[٣].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة : ٢١]، أي:" لعلهم يرجعون ويتوبون من ذنوبهم"[٤].

قال مقاتل:" يعني: لكي يرجعون من الكفر إلى الإيمان"[٥].

قال الطبري:" يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى"[٦].

عن عبد الله: "{لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}، قال: يتوبون"[٧]. وروي عن أبي العالية وقتادة مثله[٨]. مثله[٨].

قال السعدي:" ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنى في الدنيا، قد لا يتصل بها الموت، فأخبر تعالى أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}"[٩].

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٢)} [السجدة : ٢٢]

التفسير:

ولا أحد أشد ظلمًا لنفسه ممن وعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها، إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم ينتفعوا بها، منتقمون.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في المطعمين والمستهزئين من قريش انتقم الله- عز وجل- منهم بالقتل ببدر، وضربت الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار"[١٠].

قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا} [السجدة : ٢٢]، أي:" ولا أحد أشد ظلمًا لنفسه ممن وعظ بدلائل الله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها"[١١].

قال الطبري: يقول:" وأيّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه، وآي كتابه، ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٩١/٢٠.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.
(٦) تفسير الطبري: ١٩٢/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٠.
(٨) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها..
(٩) تفسير السعدي: ٦٥٦.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.
(١١) التفسير الميسر: ٤١٧.

قال ابن كثير:" أي : لا أظلم ممن ذَكَّرَه الله بآياته وبينها له ووضحها ، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها ، كأنه لا يعرفها"[٢].

قال السمعاني:" {ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه}، أي: وعظ بآيات ربه، وآيات ربه هو القرآن"[٣].

قال السعدي:" أي: لا أحد أظلم، وأزيد تعديًا، ممن ذكر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته على أيدي رسله، تأمره، وتذكره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهاه عن مضاره الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكر، فقابلها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر المجرمين، الذين يستحقون شديد النقمة"[٤].

قال قتادة : "إياكم والإعراض عن ذكر الله ، فإن مَنْ أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرَّة ، وأعوز أشد العَوَز، وعظم من أعظم الذنوب"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} [السجدة : ٢٢]، أي:" إنا من المجرمين الذين أعرضوا عن آيات الله وحججه، ولم ينتفعوا بها، منتقمون"[٦].

قال الطبري: يقول: إنا من الذين اكتسبوا الآثام، واجترحوا السيئات منتقمون"[٧].

قال ابن كثير:" أي : سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام"[٨].

عن يزيد بن رفيع، قال: "إن قول الله في القرآن {إِنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ} هم أصحاب القدر، ثم قرأ: {إِنَّ المُجْرِمِينَ في ضَلالٍ وَسُعُرٍ ...} إلى قوله: {خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}"[٩].

عن معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ثلاث من فعلهن فقد أجرم: من اعتقد لواء في غير حق، أو عق والديه، أو مشى مع ظالم ينصره فقد أجرم. يقول الله: {إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ}"[١٠].

فوائد الآيات: [١٨-٢٢]:

١- بيان خطأ من يسوي بين المؤمن والكافر والبار والفاجر والمطيع والفاسق.

٢- بيان جزاء كل من المؤمنين والفاسقين.

٣- بيان أن الله تعالى كان يأخذ قريشاً بألوان من المصائب لعلهم يتوبون، من ذلك سنوات الجدب التي أكلوا فيها العهن وأصبح أحدهم يرى السماء وكأنها دخان من شدة الجوع.

٤- بيان أنه لا أظلم ممن ذكر بآيات الله فيعرض عنها مستكبراً جاحداً معانداً.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)} [السجدة : ٢٣]

التفسير:

ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن، فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج، وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

---

(١) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٥٢/٤.
(٤) تفسير السعدي: ٦٥٦.
(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٧) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٧٠/٦.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢٠.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} [السجدة : ٢٣]، أي:" ولقد آتينا موسى التوراة"(١).
قال الطبري: يقول:" ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد"(٢).
قوله تعالى:{فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} [السجدة : ٢٣]، أي:" فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة الإسراء والمعراج"(٣).
قال الطبري: " يقول: فلا تكن في شك من لقائه"(٤).
وفي قوله تعالى:{فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} [السجدة : ٢٣]، وجوه من التفسير:
أحدها : فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى ولقد لقيته ليلة الإسراء. قاله ابن عباس(٥)، وأبو العالية(٦)، والكلبي(٧).
عن أبي العالية، قوله:"{فلا تكن في مرية من لقائه}، قال: من لقاء موسى قيل: أو لقى موسى؟ قال: نعم. ألا ترى إلى قوله: وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا"(٨).
عن ابن عباس قال : قال نبي الله ﷺ: "أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار، والدجال" في آيات أراهن الله إياه، {فلا تكن في مرية من لقائه} أنه قد رأى موسى، ولقى موسى ليلة أسري به"(٩).
الثاني : الرابع: فلا تكن في شك من أن تلقي موسى، قاله مجاهد(١٠).
وحكي الماوردي:"فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها"(١١).
قال الواحدي:" وكأنه -ﷺ- وعد أنه سيلقى موسى قبل أن يموت فلقيه"(١٢).
وروي عن مجاهد:" يعني: من أن يلقى موسى وكتابه"(١٣).
الثالث : فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب. قاله الزجاج(١٤)، والنحاس(١٥).
قال النحاس:" قيل «الهاء» للكتاب، واسم «موسى» -ﷺ – مضمر، والمعنى: «الهاء» لموسى وحذف الكتاب، لأنه تقدم ذكره وهذا أولى، والمعنى: فلا تكن في شك من تلقي موسى الكتاب بالقبول، ومخاطبة النبي ﷺ مخاطبة لجميع الناس ويجوز أن يكون المعنى: قل لهذا الشاك، ويجوز أن يكون المعنى: فلا تكن في شك من تلقي هذا الخبر بالقبول"(١٦).
الرابع : فلا تكن في شك من لقاء موسى- عليه السلام- التوراة، فإن الله- عز وجل- ألقى الكتاب عليه، يعنى: التوراة حقا. وهذا قول مقاتل(١٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٢) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٤) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨٥٨):ص٣١١٠/٩.
(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٩٣/٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٥٨):ص٣١١٠/٩.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٠.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨٥٩):ص٣١١٠/٩.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٤.
(١٢) التفسير الوسيط: ١٥٧/١٨.
(١٣) تفسير مجاهد: ٥٤٥.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٠٩/٤.
(١٥) انظر: معاني القرآن: ٣١٠/٥.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٣١٠/٥.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.

الخامس: فلا تكن في شك من أن تلقى من قومك من الأذى ما لقي موسى من قومه من الأذى، قاله الحسن(١).

السادس : فلا تكن في شك من لقاء الكتاب، يريد: تصديق التوراة. وهذا قول ابن عباس(٢).

السابع: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى- عليه السلام- التوراة، فإن الله- عز وجل- ألقى الكتاب عليه، يعنى: التوراة حقا. قاله مقاتل(٣).

قال أبو علي:" وفي ذلك مدح له على امتثاله ما أمر به، وتنبيه على الأخذ بمثل هذا الفعل كقوله: {اتَّبِعْ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٠٦]، {وفَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة: ١٨]"(٤).

الثامن: فلا تكن في شك من لقاء موسى ربه. حكاه النقاش(٥).

التاسع: أن معناه على التقديم والتأخير، كأنه قال: ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل. وقوله: {فلا تكن في مرية من لقائه} راجع إلى ما سبق من قوله تعالى: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر} ومعناه: فلا تكن في مرية من لقاء يوم العذاب. حكاه السمعاني(٦).

العاشر: فلا تكن يا محمد في شكٍ من تلقي القرآن كما تلقَّى موسى التوراة، والمقصود تقرير رسالته عليه السلام، وتحقيق أن ما معه من الكتاب وحيٌ سماويٌ وكتابٌ إلهي. ذكره الزمخشري(٧).

قال الزمخشري:" الكتاب للجنس والضمير في {لقائه} له. ومعناه: إنا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب، ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي، فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} [يونس : ٩٤] ونحو قوله: {من لقائه}، قوله: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} [النمل : ٦]، وقوله: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا} [الإسراء : ١٣]"(٨).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ} [السجدة : ٢٣]، أي:" وجعلنا التوراة هداية لبني إسرائيل، تدعوهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم"(٩).

قال مقاتل:" يعني: التوراة {هدى لبني إسرائيل} من الضلالة"(١٠).

قال الطبري: يقول:" وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يعنى: رشادا لهم يرشدون باتباعه، ويصيبون الحق بالاقتداء به، والائتمام بقوله"(١١).

قال الزمخشري:" وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام هدى لقومه"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : الكتاب الذي آتيناه {هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ } ، كما قال تعالى في سورة الإسراء:{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلا } [الإسراء : ٢]"(١٣).

---

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٩٣/٢.

(٢) حكاه عنه الواحدي في الوسيط: ١٥٧/١٨، وقد أورد الطبرسي في "مجمع البيان" ٨/ ٥٢٠ عن الزجاج، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٦/ ٣٤٣ عن السدي والزجاج. ولم أقف عليه منسوبًا لابن عباس.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.

(٤) الحجة للقراء السبعة: ٢٩/٢.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٤.

(٦) انظر: تفسير السمعاني: ٢٥٣/٤.

(٧) انظر: صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.

(٨) الكشاف: ٥١٦/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤١٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.

(١١) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.

(١٢) الكشاف: ٥١٦/٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٧١/٦.

قال قتادة:" جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل"[١].

القرآن
{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)} [السجدة : ٢٤]
التفسير:
وجعلنا من بني إسرائيل هداة ودعاة إلى الخير، يأتمُّ بهم الناس، ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده وطاعته، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية حين صبروا على أوامر الله، وترك زواجره، والدعوة إليه، وتحمُّل الأذى في سبيله، وكانوا بآيات الله وحججه مصدقين على وجه اليقين.
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً} [السجدة : ٢٤]، أي:" وجعلنا من بني إسرائيل قادةً وقدوة يقتدى بهم في الخير"[٢].
قال مقاتل:" يعني: قادة إلى الخير"[٣].
قال الطبري: يقول:" وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، والإمام الذي يؤتم به في خير أو شر، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتم بهم، ويهتدى بهديهم"[٤].
قال البغوي:" يعني: من بني إسرائيل، قادة في الخير يقتدى بهم، يعني: الأنبياء الذين كانوا فيهم"[٥].
قال القرطبي:" أي: قادة وقدوة يقتدى بهم في دينهم"[٦].
عن قتادة: "{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا}، قال: رؤساء في الخير"[٧].
قوله تعالى:{يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [السجدة : ٢٤]، أي:" يدعون الخلق إلى طاعتنا ويرشدونهم إلى الدين بأمرنا وتكليفنا"[٨].
قال مقاتل:" يعني: يدعون الناس إلى أمر الله- عز وجل-"[٩].
قال الطبري: يقول:" يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك، وتقويتنا إياهم عليه"[١٠].
قال الزمخشري:" يهدون الناس ويدعونهم إلى ما في التوراة من دين الله وشرائعه"[١١].
قال القرطبي:" أي: يدعون الخلق إلى طاعتنا.{بأمرنا}، أي: أمرناهم بذلك. وقيل:{بأمرنا}، أي: لأمرنا، أي: يهدون الناس لديننا"[١٢].
قوله تعالى:{لَمَّا صَبَرُوا} [السجدة : ٢٤]، أي:" حين صبروا على تحمل المشاق في سبيل الله"[١٣].
قال الزمخشري:أي:" لصبرهم"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٠.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.
(٤) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.
(٥) تفسير البغوي: ٣٠٩/٦.
(٦) تفسير القرطبي: ١٠٩/١٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٠.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.
(١١) الكشاف: ٥١٦/٣.
(١٢) تفسير القرطبي: ١٠٩/١٤.
(١٣) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.
(١٤) الكشاف: ٥١٦/٣.

قال القرطبي:"أي: حين صبروا، وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلاء. وقيل: صبروا عن الدنيا"[١].

قال مقاتل:" يعني: لما صبروا على البلاء حين كلفوا بمصر ما لم يطيقوا من العمل فعل ذلك بهم باتباعهم موسى على دين الله- عز وجل-"[٢].

قال ابن كثير:" أي : لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به ، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله ، ويدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر. ثم لما بدلوا وحَرَّفوا وأوَّلوا ، سلبوا ذلك المقام ، وصارت قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، فلا عمل صالحًا ، ولا اعتقاد صحيحًا"[٣].

عن ابن وكيع، قال: "قال أبي، سمعنا في :{وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا} قال: عن الدنيا"[٤].

قال سفيان : "هكذا كان هؤلاء ، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماما يُقتَدى به حتى يتحامى عن الدنيا"[٥].

قال سفيان : "لا بد للدين من العلم ، كما لا بد للجسد من الخبز"[٦].

وقال ابن بنت الشافعي : قرأ أبي على عمي - أو : عمي على أبي - سئل سفيان عن قول علي، رضي الله عنه : "الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ألم تسمع قوله : {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} ، قال : لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسًا"[٧]. رؤوسًا"[٧].

قال بعض العلماء : "بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين"[٨].

وقرئ: «لما» بكسر اللام وتخفيف الميم بمعنى: لصبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا، والعمل بأمرنا[٩].

وفي قراءة ابن مسعود:«بما صبروا»[١٠].

قوله تعالى:{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة : ٢٤]، أي:" وكانوا يصدقون بآياتنا أشد التصديق وأبلغه"[١١].

قال الزمخشري:" وإيقانهم بالآيات"[١٢].

قال الطبري: "يقول: وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق، وإيمان برسلنا، وآيات كتابنا وتنزيلنا"[١٣].

قال مقاتل:" يعني: بالآيات التسع يوقنون بأنها من الله- عز وجل-"[١٤].

قال الزمخشري في الآية:" وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل إليك هدى ونورا، ولنجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين"[١].

---

(١) تفسير القرطبي: ١٠٩/١٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٧١/٦.
(٤) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢٠.
(٥) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٣٧١/٦.
(٦) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٣٧١/٦.
(٧) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٦.
(٨) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٠.
(١١) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.
(١٢) الكشاف: ٥١٦/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٠.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٢/٣-٤٥٣.

القرآن
{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)} [السجدة : ٢٥]
التفسير:
إن ربك -أيها الرسول- يقضي بين المؤمنين والكافرين من بني إسرائيل وغيرهم يوم القيامة بالعدل فيما اختلفوا فيه من أمور الدين، ويجازي كل إنسان بعمله بإدخال أهلِ الجنةِ الجنةَ وأهلِ النارِ النارَ.
قال الطبري: يقول: " إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب، وغير ذلك من أسباب دينهم، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحق الجنة، ولأهل الباطل النار"[٢].
قال يحيى:" يفصل بين المؤمنين والمشركين فيما اختلفوا فيه من الإيمان والكفر، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار"[٣].
قال النسفي:" يقضي {بينهم يوم القيامة} بين الأنبياء وأممهم أو بين المؤمنين والمشركين {فيما كانوا فيه يختلفون} فيظهر المحق من المبطل"[٤].
قال القرطبي:" يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار، فيجازي كلا بما يستحق. وقيل: يقضي بين الأنبياء وبين قومهم، حكاه النقاش"[٥].
قال ابن كثير:" {فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}، أي : من الاعتقادات والأعمال"[٦].

القرآن
{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)} [السجدة : ٢٦]
التفسير:
أو لم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عِيانًا كقوم هود وصالح ولوط؟ إن في ذلك لآيات وعظات يُستدَلُّ بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون بالرسل مواعظ الله وحججه، فينتفعون بها؟
قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} [السجدة : ٢٦]، أي:" أو لم يتبين لهؤلاء المكذبين للرسول: كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة يمشون في مساكنهم، فيشاهدونها عِيانًا كقوم هود وصالح ولوط؟"[٧].
قال الطبري: يقول:" أولم يبين لهن كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم، كعاد وثمود.. فيتعظوا وينزجروا"[٨].
قال يحيى:" يعني: ما قص مما أهلك به الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم، {يمشون في مساكنهم}، يعني: يمرون فيها كقوله: {وإنكم لتمرون عليهم مصبحين} [الصافات: ١٣٧] نهارا

---

(١) الكشاف: ٥١٦/٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٠.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٦٩٤/٢.
(٤) تفسير النسفي: ١١/٣.
(٥) تفسير القرطبي: ١٠٩/١٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٨) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٠-١٩٦.

وليلا، يعني: في مساكنهم التي كانوا فيها، منها ما يرى ومنها ما لا يرى، كقوله: {منها قائم} [هود: ١٠٠] تراه {وحصيد} [هود: ١٠٠] لا تراه"[١].

قال القرطبي:" يحتمل الضمير في: {يمشون} أن يعود على الماشين في مساكن المهلكين، أي: وهؤلاء يمشون ولا يعتبرون. ويحتمل أن يعود على المهلكين فيكون حالا، والمعنى: أهلكناهم ماشين في مساكنهم"[٢].

عن ابن عباس: {أولم يهد لهم}، يقول: أولم يبين لهم"[٣].

عن قتادة: "{أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون}: عاد وثمود، وأنهم إليهم لا يرجعون"[٤].

وقرئ: «يمشون»: بالتشديد[٥].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} [السجدة : ٢٦]، أي:" إن في ذلك لآيات وعظات يُستدَلُّ بها على صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك"[٦].

قال الطبري: يقول:" إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمارها بإهلاكنا إياهم لما كذبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا، وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يمرون بها فيعاينونها، لآيات لهم وعظات يتعظون بها، لو كانوا أولي حجا وعقول"[٧].

قوله تعالى:{أَفَلَا يَسْمَعُونَ} [السجدة : ٢٦]، أي:" أفلا يسمع هؤلاء المكذبون بالرسل مواعظ الله وحججه، فينتفعون بها؟"[٨].

قال الطبري: "يقول الله: {أفلا يسمعون} عظات الله وتذكيره إياهم آياته، وتعريفهم مواضع حججه؟"[٩].

قال السمعاني:" أي: سماع قبول"[١٠].

قال القرطبي:" آيات الله وعظاته فيتعظون"[١١].

قال يحيى:" يعني: المشركين"[١٢].

فوائد الآيات: [٢٣-٢٦]:

١- تقرير النبوة المحمدية وتأكيد قصة الإسراء والمعراج.

٢- الكتاب والسنة كلاهما هاد للعباد إن طلبوا الهداية فيهما.

٣- بيان ما تنال به الإمامة في الدين. وهو الصبر وصحة اليقين.

٤- كل خلاف كان في هذه الحياة سينتهي بحكم الله تعالى فيه يوم القيامة.

٥- في إهلاك الله تعالى للقرون السابقة أكبر واعظ لمن له قلب وسمع وبصيرة.

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)} [السجدة : ٢٧]

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٦٩٤/٢-٦٩٥.
(٢) تفسير القرطبي: ١١٠/١٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٠.
(٥) انظر: الكشاف: ٥١٦/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٧) تفسير الطبري: ١٩٦/٢٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٩) تفسير الطبري: ١٩٦/٢٠.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢٥٤/٤.
(١١) تفسير القرطبي: ١١٠/١٤.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٦٩٥/٢.

التفسير:
أو لم ير المكذبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أبدانهم فيعيشون به؟ أفلا يرون هذه النعم بأعينهم، فيعلموا أن الله الذي فعل ذلك قادر على إحياء الأموات ونَشْرهم من قبورهم؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ} [السجدة : ٢٧]، أي:" أو لم ير المكذبون بالبعث بعد الموت أننا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها"[١].

قال الطبري: يقول:" أولم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت، والنشر بعد الفناء، أنا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها، وأصله من قولهم: ناقة جرز: إذا كانت تأكل كل شيء، وكذلك الأرض الجروز: التي لا يبقى على ظهرها شيء إلا أفسدته، نظير أكل الناقة الجراز كل ما وجدته، ومنه قولهم للأنسان الأكول: جروز، كما قال الراجز[٢]:
خَبٌّ جروزٌ وإذا....
ومنه قيل للسيف -إذا كان لا يبقي شيئا إلا قطعه-: سيف جراز"[٣].

قال ابن كثير:" يبين تعالى لطفه بخلقه ، وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السيح ، وهو : ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته ؛ ولهذا قال : { إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ } ، وهي الأرض التي لا نبات فيها ، كما قال تعالى : { وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا } [الكهف : ٨] ، أي : يَبَسًا لا تنبت شيئًا وليس المراد من قوله : { إِلَى الأرْضِ الْجُرُزِ } أرض مصر فقط ، بل هي بعض المقصود ، وإن مثل بها كثير من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها ، ولكنها مرادة قطعًا من هذه الآية ، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها ، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة ، وفيه طين أحمر ، فيغشى أرض مصر ، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء ، وذلك الطين أيضًا لينبُتَ الزرع فيه ، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم ، وطين جديد من غير أرضهم ، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء"[٤].

قال مقاتل:{ الْأَرْضِ الْجُرُزِ}" يعني: الملساء ليس فيها نبت"[٥].

قال الفراء:" الجرز: التي لا نبات فيها: ويقال للناقة: إنها لجراز إذا كانت تأكل كل شيء، وللإنسان: إنه لجروز إذا كان أكولا، وسيف جراز إذا كان لا يبقي شيئا إلا قطعه"[٦].

قال أبو عبيدة:" {الْأَرْضِ الْجُرُزِ}، أي: الغليظة اليابسة التي لم يصبها مطر"[٧].

قال ابن قتيبة: أي:" الغليظة اليابسة التي لا نبت فيها. وجمعها: «أجراز». ويقال: سنون أجراز؛ إذا كانت سني جدب"[٨].

قال الزجاج:" «الجرز» -عند أهل اللغة-: الأرض التي لا تنبت. وكان أصلها أنها تأكل نباتها، يقال امرأة جزوز إذا كانت أكولا، ويقال: سيف جراز إذا كان مستأصل"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٢) هذا جزء من بيت من مشطور الرجز للشماخ، كما في اللسان: «حطب»، وتمامه:
خَبٌّ جَرُوزٌ، وَإِذَا جاعَ بَكَى، ... لَا حَطَّبَ القَوْمَ، وَلَا القومَ سَقَى
البيت للشماخ، وصدره:
الخب: اللئيم، والجروز: الأكول.
(٣) تفسير الطبري: ١٩٦/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٢/٦-٣٧٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٣/٣.
(٦) معاني القرآن: ٣٣٣/٢.
(٧) مجاز القرآن: ١٣٣/٢.
(٨) غريب القرآن: ٣٤٧.

قال الزمخشري:" الجرز: الأرض التي جرز نباتها أى قطع، إما لعدم الماء، وإما لأنه رعى وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ: جرز. ويدل عليه قوله: {فنخرج به زرعا}"[٢].

عن الضحاك: "{إلى الأرض الجرز}: ليس فيها نبت"[٣].

عن السدى: "{إلى الأرض الجرز}، قال: إلى الأرض الميتة"[٤].

وقال عكرمة:"السمطاء"[٥].

وقال قتادة:" المغبرة"[٦].

قال مجاهد:" هي التي لا تنبت هن أبين ونحوها من الأرض"[٧].

قال ابن عباس:" الجرز: التي لا تمطر إلا مطرا لا يغني عنها شيئا، إلا ما يأتيها من السيول"[٨].

عن ابن عباس: "{الأرض الجرز}، أرض باليمن"[٩].

وقال الحسن:" قرى فيما بين اليمن والشام"[١٠].

قال ابن زيد:" الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات، وفي قوله: {صعيدا جرزا}، قال: ليس عليها شيء، وليس فيها نبات ولا شيء"[١١].

قال السمعاني:" يقال: الأرض الجرز هو الذي أكل زرعها ولم يبق فيها شيء"[١٢].

قوله تعالى:{فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ} [السجدة : ٢٧]، أي:" فنخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه تأكل منه أنعامهم، وتتغذى به أبدانهم فيعيشون به؟"[١٣].

قال الطبري: يقول:" فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعا خضرا، تأكل منه مواشيهم، وتغذى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به"[١٤].

قال السمعاني:" {فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم} يعني: من العشب والتبن، {وأنفسهم} من الحنطة والشعير وسائر الأقوات"[١٥].

وقرئ: «يأكل»، بالياء[١٦].

قوله تعالى:{أَفَلَا يُبْصِرُونَ} [السجدة : ٢٧]، أي:" أفلا يبصرون ذلك فيستدلون به على كمال قدرته تعالى وفضله، ويعلمون أن الذي أحيا الأرض الميتة قادر على إعادتهم بعد وفاتهم؟"[١٧].

قال الطبري: يقول: "أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذر علي أن أحيي بها الأموات، وأنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم"[١٨].

---

(١) معاني القرآن: ٢١١/٤.
(٢) الكشاف: ٥١٦/٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٤):ص٣١١١/٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٣):ص٣١١١/٩.
(٦) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٠.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٢):ص٣١١١/٩.
(٨) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٥):ص٣١١١/٩.
(١١) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٠.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢٥٤/٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٤١٧.
(١٤) تفسير الطبري: ١٩٧/٢٠-١٩٨.
(١٥) تفسير السمعاني: ٢٥٤/٤.
(١٦) انظر: الكشاف: ٥١٧/٣.
(١٧) صفوة التفاسير: ٤٦٥/٢.
(١٨) تفسير الطبري: ١٩٨/٢٠.

قال مقاتل:" {أفلا يبصرون} هذه الأعاجيب فيوحدون ربهم- عز وجل-"[١].

روي عن قيس بن حجاج ، عمن حدثه قال : "لما فُتِحَت مصر ، أتى أهلها عمرو بن العاص - وكان أميرًا بها- حين دخل بؤونة من أشهر العجم ، فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا سُنَّة لا يجري إلا بها. قال : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عَمَدنا إلى جارية بِكْر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله. فأقاموا بؤونة والنيل لا يجري ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا ، فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد... فإنك إن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله أن يجريك. قال : فألقى البطاقة في النيل ، وأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السُنَّة عن أهل مصر إلى اليوم"[٢].

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨)} [السجدة : ٢٨]

التفسير:

يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضي بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم إن كنتم صادقين في دعواكم؟

سبب نزول الآيات:[٢٨-٣٠]:

قال مقاتل:" وذلك أن المؤمنين قالوا إن لنا يوما نتنعم فيه ونستريح فقال كفار مكة: {مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}؟ يعنون النبي- ﷺ- وحده، تكذيبا بالبعث بأنه «ليس بكائن فإن كان البعث حقا صدقنا يومئذ فأنزل الله- تبارك وتعالى- {قُلْ} يامحمد، {يَوْمَ الْفَتْحِ}، يعني: القضاء، {لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ} بالبعث، لقولهم للنبي- ﷺ-: «إن كان البعث الذي تقول حقا صدقنا يومئذ»، فذلك قوله - عز وجل- {يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالبعث، لقولهم: «إن كان ذلك اليوم حقا صدقنا»، {وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ}، يقول: لا يناظر بهم العذاب حتى يقولوا، فلما نزلت هذه الآية أراد النبي- ﷺ- أن يرسل إليهم فيجزيهم وينبؤهم فأنزل الله- تبارك وتعالى- يعزي نبيه- ﷺ- إلى مدة:{ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ} بهم العذاب، يعني: القتل ببدر { إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} العذاب، يعني: القتل ببدر"[٣].

وروي عن قتادة، قال:" قال الصحابة: إن لنا يوم يوشك أن نستريح فيه ونتنعم فيه. فقال المشركون: «متى هذا الفتح إن كنتم صادقين». فنزلت"[٤].

قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ} [السجدة : ٢٨]، أي:" يستعجل هؤلاء المشركون بالله العذاب، فيقولون: متى هذا الحكم الذي يقضي بيننا وبينكم بتعذيبنا على زعمكم"[٥].

قال الطبري: "معناه: ويقولون: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب"[٦].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن استعجال الكفار وقوعَ بأس الله بهم ، وحلول غضبه ونقمته عليهم ، استبعادًا وتكذيبًا وعنادا : { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ } ؟ أي : متى تنصر

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٣/٣.

(٢)رواه الحافظ أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة برقم (٦٦) "قسم كرامات الأولياء" حدثنا محمد بن أبي بكر ، ، حدثنا محمد بن مخلد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن ابن لهيعة به ، وهو مرسل.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٣/٣-٤٥٤.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٦):ص٣١١١/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤١٧.

(٦) تفسير الطبري: ١٩٨/٢٠.

علينا يا محمد ؟ كما تزعم أن لك وقتًا تُدَال علينا ، ويُنْتَقم لك منا ، فمتى يكون هذا ؟ ما نراك أنت وأصحابك إلا مختفين خائفين ذليلين!"[1].

قال الزمخشري:" الفتح: النصر، أو الفصل بالحكومة، من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين. ويفتح بيننا وبينهم، فإذا سمع المشركون قالوا :«متى هذا الفتح»، أى: في أيّ وقت يكون.. ويوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم، ويوم نصرهم عليهم. وقيل: هو يوم بدر.. وكان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح، استعجالا منهم عن وجه التكذيب والاستهزاء، فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم: لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا، فكأنى بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم، وآمنتم فلم ينفعكم الإيمان، واستنظرتم في إدراك العذاب فلم تنظروا"[2].

قال أبو عبيدة: {متى هذا الفتح}، معناه:" هذا الحكم والثواب والعقاب"[3].

قال ابن قتيبة:" {متى هذا الفتح}؟ يعني: فتح مكة"[4].

قال قتادة:" قال أصحاب نبي الله ﷺ: إن لنا يوما أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه. فقال المشركون: {متى هذا الفتح إن كنتم صادقين}"[5].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن أصحاب النبي عليه السلام قالوا: يوشك أن يكون لنا يوم نستريح فيه، فقال المشركون: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين، فأعلم الله عز وجل أن الراحة في الجنة في الآخرة. وجاء أيضا في الفتح متى هذا الحكم إن كنتم صادقين، ومتى هذا الفصل"[6].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [السجدة : ٢٨]، أي:" إن كنتم صادقين في دعواكم"[7].

قال الزمخشري:أي:" في أن الفتح كائن"[8].

قال الطبري: " يعنى: إن كنتم صادقين في الذي تقولون، من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا ﷺ، وعبادتنا الآلهة والأوثان"[9].

القرآن

{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٢٩)} [السجدة : ٢٩]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم، ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة.

قوله تعالى:{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ} [السجدة : ٢٩]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: يوم القضاء الذي يقع فيه عقابكم، وتعاينون فيه الموت لا ينفع الكفار إيمانهم"[10].

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم يوم الحكم، ومجيء العذاب: لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت"[11].

قال ابن كثير:" أي : إذا حَلَّ بكم بأس الله وسَخَطه وغضبه في الدنيا وفي الأخرى ، { لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ..}"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٦.
(٢) الكشاف: ٥١٧/٣.
(٣) مجاز القرآن: ١٣٣/٢.
(٤) غريب القرآن: ٣٤٧.
(٥) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٠.
(٦) معاني القرآن: ٢١٢/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٨) الكشاف: ٥١٧/٣.
(٩) تفسير الطبري: ١٩٨/٢٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٧.
(١١) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٠.

قال ابن زيد:" يوم الفتح إذا جاء العذاب"(٢).
عن مجاهد: "{يوم الفتح}: يوم القيامة"(٣).
وقال قتادة:" يوم القضاء"(٤).
قال الفراء:" {قل يوم الفتح}، يعني: فتح مكة، {لا ينفع الذين كفروا إيمانهم}، فذكر ذلك لمن قتله خالد بن الوليد من بني كنانة يومئذ، قالوا: قد أسلمنا، فقال خالد: إن كنتم أسلمتم فضعوا السلاح ففعلوا، فلما وضعوه أثخن(٥) فيهم لأنهم كانوا قتلوا عوفا أبا عبد الرحمن بن عوف وجدا لخالد قبل ذلك: المغيرة"(٦).
قال ابن قتيبة:" يقال: أراد قتل خالد بن الوليد -يوم فتح مكة- من قتل. والله أعلم"(٧).
قال الزمخشري:" فإن قلت: فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره أن لا ينفعهم الإيمان، وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر. قلت: المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل، كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم"(٨).
قال ابن كثير:" مَنْ زعم أن المراد من هذا الفتح فتحُ مكة فقد أبعد النَّجْعة ، وأخطأ فأفحش ، فإن يوم الفتح قد قَبِل رسولُ الله ﷺ إسلام الطلقاء ، وقد كانوا قريبًا من ألفين ، ولو كان المراد فتح مكة لما قبل إسلامهم ؛ لقوله : { قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ } ، وإنما المراد الفتح الذي هو القضاء والفصل ، كقوله تعالى : { فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [الشعراء : ١١٨] ، وكقوله : { قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } [سبأ : ٢٦] ، وقال تعالى : { وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } [إبراهيم : ١٥] ، وقال : { وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } [البقرة : ٨٩] ، وقال : { إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ } [الأنفال : ١٩]"(٩).
قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [السجدة : ٢٩]، أي:" ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة"(١٠).
قال الطبري:" يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة"(١١).
قال السمعاني:" أي: يمهلون ليتوبوا أو يعتذروا، وقد كانوا يمهلون في الدنيا ليتوبوا أو يعتذروا"(١٢).
قال الزجاج:" أي: أنهم ما داموا في الدنيا فالتوبة معروضة لهم ولا توبة في الآخرة"(١٣).

القرآن
{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ (٣٠)} [السجدة : ٣٠]
التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٦.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٧):ص٣١١١/٩.
(٥)يقال: أثخن فى العدو: بالغ فى إضعافه ونهكه.
(٦) معاني القرآن: ٣٣٣/٢.
(٧) غريب القرآن: ٣٤٧.
(٨) الكشاف: ٥١٧/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٧.
(١١) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٠.
(١٢) تفسير السمعاني: ٢٥٤-٢٥٥.
(١٣) معاني القرآن: ٢١٢/٤.

فأعرض -أيها الرسول- عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء، فسيخزيهم الله ويذلهم، وينصرك عليهم. وقد فعل فله الحمد والمنة.

قوله تعالى:{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} [السجدة : ٣٠]، أي:" فأعرض -أيها الرسول- عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم"(١).

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد ﷺ: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله، القائلين لك: متى هذا الفتح المستعجليك بالعذاب، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجيء الساعة"(٢).

قال القرطبي:" قيل: معناه: فأعرض عن سفههم ولا تجبهم إلا بما أمرت به"(٣).

قال ابن كثير:" أي : أعرض عن هؤلاء المشركين وبلغ ما أنزل إليك من ربك ، كقوله : { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام : ١٠٦]"(٤).

قال القشيري:" أعرض عنهم باشتغالك بنا، وإقبالك علينا، وانقطاعك إلينا"(٥).

قوله تعالى:{وَانْتَظِرْ} [السجدة : ٣٠]، أي:" وانتظر ما يحل بهم من عذاب الله"(٦).

قال السمعاني:" أي: وانتظر عذابهم ووعيدنا فيهم"(٧).

قال القرطبي:" أي: انتظر يوم الفتح، يوم يحكم الله لك عليهم"(٨).

قال ابن كثير:أي: " وانتظر فإن الله سينجز لك ما وعدك ، وسينصرك على من خالفك ، إنه لا يخلف الميعاد"(٩).

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} [السجدة : ٣٠]، أي:" إنهم منتظرون ومتربصون بكم دوائر السوء"(١٠).

قال مقاتل:" {إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} العذاب، يعني: القتل ببدر فقتلهم الله وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجل الله أرواحهم إلى النار ثم إن آية السيف نسخت الإعراض"(١١).

قال القرطبي:" أي: ينتظرون بكم حوادث الزمان"(١٢).

قال الزمخشري:" {إنهم منتظرون} الغلبة عليكم وهلاككم، كقوله تعالى: {فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُون} [التوبة : ٥٢]"(١٣).

قال ابن كثير: " أي : أنت منتظر ، وهم منتظرون ، ويتربصون بكم الدوائر ، { أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ } [الطور : ٣٠] ، وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء رسالة الله ، في نصرتك وتأييدك ، وسيجدون غب ما ينتظرونه فيك وفي أصحابك ، من وبيل عقاب الله لهم ، وحلول عذابه بهم"(١٤).

وقال القشيري: {إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ}:" هواجم مقتنا وخفايا مكرنا"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٧.
(٢) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٠.
(٣) تفسير القرطبي: ١١٢/١٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٦.
(٥) لطائف الإشارات: ١٤٨/٣.
(٦) صفوة التفاسير: ٤٦٦/٢.
(٧) تفسير السمعاني: ٢٥٥/٤.
(٨) تفسير القرطبي: ١١٢/١٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٧.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٥٤/٣.
(١٢) تفسير القرطبي: ١١٢/١٤.
(١٣) الكشاف: ٥١٧/٣.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٤/٦.
(١٥) لطائف الإشارات: ١٤٨/٣.

عن قتادة :"{فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون}، يعني: يوم القيامة"[١].

عن قتادة:" أنها نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم، فنسخها القتال في سورة براءة في قوله: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} [التوبة: ٥]"[٢].

قال أبو عبيدة:" {وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ} هى مكية وكل آية أمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالمكث والانتظار والصّفح والعفو فهى مكية إلى أن أمر بالهجرة فلما قدم المدينة أمر بالبسط والحرب فكل آية أمر فيها بالبسط فهى مدنيّة ومدنية أيضا أو غير ذلك وليست بمكية"[٣].
بمكية"[٣].

وقرأ ابن السميقع: «منتظرون»، بفتح الظاء. ومعناه: وانتظر هلاكهم فإنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم، يعنى أنهم هالكون لا محالة. أو وانتظر ذلك، فإن الملائكة في السماء ينتظرونه[٤].

فوائد الآيات: [٢٧-٣٠]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة المقررة لها.

٢- استعجال الكافرين العذاب دال على جهلهم وطيشهم.

٣- بيان أن التوبة لا تقبل عند معاينة العذاب أو مشاهدة ملك الموت ساعة الاحتضار.

«آخر تفسير سورة (السجدة)، والحمد لله وحده»

---

(١) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٠.
(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٦٩٦/٢.
(٣) مجاز القرآن: ١٣٣/٢.
(٤) انظر: الكشاف: ٥١٧/٣.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «الأحزاب»

سورة «الاحزاب»: هي السورة «الثالثة والثلاثون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة « آل عمران»[1]. آياتها ثلاث وسبعون. كلماتها ألف ومائتان وثمانون. حروفها خمسة آلاف وسبعمائة وست وتسعون، فواصل آياتها «لا» على اللام منها آية واحدة : {يَهْدِي السَّبِيل} [الأحزاب : ٤][2].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة الأحزاب»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة الأحزاب»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، و سميت سورة الأحزاب، لاشتمالها على قصة حرب الأحزاب فى قوله : {يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} [الأحزاب : ٢٠]"[3].

قال المهايمني:" وسميت بها، لأن قصتها معجزة لرسول الله ﷺ. متضمنة لنصره بالريح والملائكة. بحيث كفى الله المؤمنين المنافقين، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[4].

قال وهبة الزحيلي:" سميت سورة الأحزاب لاشتمال الكلام فيها على وقعة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين ومحاولة استئصالهم"[5].

ولا يعرف لهذه السورة اسم غير اسمها المشهور.

وقال الزحيلي:" كما سميت «الفاضحة»، لأنها افتضحت المنافقين، وأبانت شدة إيذائهم لرسول الله ﷺ في أزواجه وتألبهم عليه في تلك الموقعة"[6].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدها: أنها نزلت بالمدينة. قاله ابن عباس[7]، وابن الزبير[8].

قال ابن الجوزي:" هي مدنية بإجماعهم"[9].

قال القرطبي:" سورة الأحزاب مدنية في قول جميعهم. نزلت في المنافقين وإيذائهم رسول الله ﷺ، وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها"[10].

الثاني: أنها مدنية إلا قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٣٦]، نزلت في تزويج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة في مكة. وهذا قول ابن عباس أيضا[11].

---

(١) انظر: الكشاف:٥١٨/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٧.

(٣)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٧٠.

(٤) تفسير المهايمي: ١٥٢/٢.

(٥) التفسير المنير: ٢٢٥/٢١.

(٦) التفسير المنير: ٢٢٥/٢١.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٥٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٥٥٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٩) زاد المسير: ٤٤٦/٣.

(١٠) تفسير القرطبي: ١١٣/١٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠، أخرج بسنده عن ابن عباس: "قوله: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا....} إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة....} إلى قوله {ضلالا مبينا}، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته

- **مناسبة سورة«الأحزاب» مع سورة «السجدة»:**

ووجه اتصالها بما قبلها تشابه مطلع هذه وخاتمة السالفة، فإن تلك ختمت بأمر النبي ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عذابهم، وهذه بدئت بأمره عليه الصلاة والسلام بالتقوى، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين واتباع ما أوحى إليه من ربه مع التوكل عليه(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

اشتملت سورة الأحزاب -كغيرها من سور القرآن- على مقاصد مهمة، وغايات جليلة، نذكر منها:

١- بدأت السورة بتقرير أصل مهم في حياة المؤمن، وهو استشعار القلب لجلال الله، والاستسلام المطلق لإرادته، واتباع المنهج الذي اختاره، والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته وتأييده.

٢- توجيه المؤمنين إلى عدم طاعة الكافرين والمنافقين، وتحمل ما ينالهم منهم من أذى، والتوكل على الله؛ فهو سبحانه نعم الوكيل، وخير النصير.

٣- قررت السورة أصلاً مهماً، وهو أن الإنسان لا يملك أن يتجه إلى أكثر من اتجاه واحد، ولا أن يتبع أكثر من منهج واحد، وإلا نافق، واضطربت خطاه، وأضل السبيل. وما دام لا يملك إلا قلباً واحداً، فلا بد أن يتجه إلى إله واحد، وأن يتبع نهجاً واحداً، وأن يدع ما عداه من مألوفات، وتقاليد، وأوضاع، وعادات.

٤- كون الحق فيما شرع سبحانه من أحكام؛ لا ما اتخذه الناس من عادات وأعراف؛ لأنه سبحانه الخبير بما فيه صلاح العباد عاجلاً وأجلاً، فهو سبحانه الذي يقول الحق ويهدي السبيل .

٥- تضمنت السورة إبطال عادة الظهار، وإبطال عادة التبني، وإبطال آثار المؤاخاة التي تمت في أول الهجرة، وردت الأمر إلى القرابة الطبيعية في الإرث والدين وما إليها.

٦- قررت السورة أن ولاية النبي ﷺ للمؤمنين أقوى ولاية، ولأزواجه حرمة الأمهات لهم، وتلك الولاية من جَعْل الله، فهي أقوى وأشد من ولاية الأرحام.

٧- تحريض المؤمنين على التمسك بما شرع الله لهم؛ لأنه أخذ العهد بذلك على جميع النبيين .

٨- من أهم المقاصد التي تضمنتها السورة التمييز بين المؤمنين والمنافقين. وقد اعتبر المهايمي هذا المقصد من أعظم مقاصد القرآن.

٩- الرد على المنافقين أقوالاً شنيعة، قصدوا بها أذى النبي ﷺ .

١٠- بيان ما أظهره الله من عنايته بنصر المؤمنين على أحزاب أعدائهم من الكفرة والمنافقين في وقعة الأحزاب ودفع كيد المنافقين.

١١- الثناء على صدق المؤمنين وثباتهم في الدفاع عن الدين، ونعمة الله عليهم بأن أعطاهم بلاد أهل الكتاب الذين ظاهروا الأحزاب، ورد عنهم كيد الأحزاب والمهاجمين.

١٢- تخيير أزواج النبي ﷺ بين طلب الدنيا، أو طلب الآخرة، وفي ذلك توجيه للمؤمنين إلى إيثار الله ورسوله والدار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها وزخرفها .

١٣- ألمحت السورة إلى فضل أزواج النبي ﷺ، وفضل آل النبي ﷺ، وفضائل أهل الخير من المسلمين والمسلمات.

نفسي".

(١) انظر: تفسير المراغي:١٢٣/٢١.

١٤- بينت السورة أن أمر المؤمنين والمؤمنات مرده إلى الله، فليس لهم منه شيء، وليس لهم في أنفسهم خيرة، إنما هي إرادة الله وقدره، الذي يسير كل شيء، ويستسلم له المؤمن الاستسلام الكامل الصريح.
١٥- تعرضت السورة لبعض الأحكام المتعلقة بالعلاقات الزوجية (الطلاق قبل المساس.(
١٦- تنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي وزوجاته، في حياته وبعد وفاته.
١٧- تقرير فرضية الحجاب والجلباب على المرأة المسلمة.
١٨- تهديد المنافقين جراء بثهم الدعايات المغرضة، والأخبار الكاذبة.
١٩- الأمر بالاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به. وتحريض المؤمنين على ذكر الله، وتنزيهه؛ شكراً له على هديه.
٢٠- تعظيم قدر النبي ﷺ عند الله وفي الملأ الأعلى، والأمر بالصلاة عليه والسلام.
٢١- وعيد المنافقين الذين يأتون بما يؤذي الله ورسوله والمؤمنين. وتحذير المؤمنين من التورط في ذلك؛ كيلا يقعوا فيما وقع فيه الذين آذوا موسى عليه السلام.
٢٢- أوضحت السورة أن علم الساعة شأن من شؤونه سبحانه، لا علم لأحد بها، والتلويح بأنها قد تكون قريباً.
٢٣- بيان المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان عموماً، وعلى عاتق المسلم بصفة خاصة، وهي التي تنهض وحدها بعبء هذه الأمانة الكبرى. أمانة العقيدة والاستقامة عليها. والدعوة والصبر على تكاليفها، والشريعة والقيام على تنفيذها في أنفسهم وفي الأرض من حولهم(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر»(٢).

تنبيه:
روى الإمام أحمد عن زِرّ بن حُبيش، قال: قال لي أُبي بن كعب : كَأين تقرأ سورة الأحزاب ؟ أو كَأين تعدها ؟ قال : قلت : ثلاثا وسبعين آية : فقال : قَط! لقد رأيتها وإنها لتعادل "سورة البقرة" ، ولقد قرأنا فيها : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، نكالا من الله ، والله عليم حكيم"(٣).

قال محققو المسند: " إسناده ضعيف، عاصم بن بهدلة -وإن كان صدوقا- له أوهام بسبب سوء حفظه، فلا يحتمل تفرده بمثل هذا المتن. وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير خلف بن هشام، فمن رجال مسلم"(٤).

---

(١) موقع: [إسلام ويب].

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٥/٨، والواحدي في التفسير الوسيط: ٤٥٧/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت.

(٣)المسند (٢١٢٠٧):ص١٣٤/٣٥.

قال ابن كثير:" ورواه النسائي[في السنن الكبرى برقم (٧١٥٠)] من وجه آخر ، عن عاصم - وهو ابن أبي النجود ، وهو ابن بَهْدَلَة - به. وهذا إسناد حسن ، وهو يقتضي أنه كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه أيضا ، والله أعلم". تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

(٤) مسند أحمد، ط الرسالة: ١٣٤/٣٥. تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون .

قال المحققون:" وأخرجه الضياء في "المختارة" (١١٦٦) من طريق عبد الله بن أحمد، بهذا الإسناد!

وأخرجه الحاكم ٣٥٩/٤ من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل، والبيهقي ٢١١/٨ من طريق سعيد بن منصور، كلاهما عن حماد بن زيد به، وأخرجه الطيالسي (٥٤٠) ، وعبد الرزاق (٥٩٩٠) و (١٣٣٦٣) ، وأبو عبيد في

قال ابن كثير: "وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآن، ثم نسخ لفظه وحكمه أيضاً"(١).

وقد تعقب القاسمي قول ابن كثير، فقال: " كان يصح هذا الاقتضاء، لو كان هذا الأثر صحيحا. أما ولم يخرجه أرباب الصحاح، فهو من الضعف بمكان"(٢).

وفي رواية مصنف عبد الرزاق: «كأين تقرءون سورة الأحزاب؟» قال: قلت: بضعا وثمانين آية قال: " لقد كنا نقرأها مع رسول الله ﷺ نحو سورة البقرة أو هي أكثر، ولقد كنا نقرأ فيها آية الرجم: «الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»"(٣).

وروى عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمان النبي ﷺ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف، لم يقدر منها إلا على ما هو الآن"(٤).

قال ابن عاشور تعليقاً على هذين الخبرين: "وكلا الخبرين ضعيف السند. ومحمل الخبر الأول عند أهل العلم أن أُبيًّا حدَّث عن سورة الأحزاب قبل أن يُنسخ منها ما نُسخ. فمنه ما نُسخت تلاوته وحكمه، ومنه ما نُسخت تلاوته خاصة مثل آية الرجم...وإن صح عن أُبيِّ ما نُسب إليه، فما هو إلا أن شيئاً كثيراً من القرآن كان أُبيٌّ يُلْحِقه بسورة الأحزاب، وهو من سور أخرى من القرآن، مثل كثير من سورة النساء الشبيه ببعض ما في سورة الأحزاب، أغراضاً ولهجة مما فيه ذكر المنافقين واليهود، فإن أصحاب رسول الله لم يكونوا على طريقة واحدة في ترتيب آي القرآن، ولا في عدِّ سوره، وتقسيم سوره، ولا في ضبط المنسوخ لفظه. كيف وقد أجمع حفاظ القرآن والخلفاء الأربعة وكافة أصحاب رسول الله ﷺ -إلا الذين شذوا- على أن القرآن هو الذي في المصحف، وأجمعوا في عدد آيات القرآن على عدد قريب بعضه من بعض.

وأما خبر عائشة فهو أضعف سنداً، وأقرب تأويلاً؛ فإن صح عنها -ولا أخاله- فقد تحدثت عن شيء نُسخ من القرآن، كان في سورة الأحزاب. وليس بعد إجماع أصحاب رسول الله ﷺ على مصحف عثمان مطلب لطالب.

وبعدُ، فخبر أُبيِّ بن كعب خبر غريب، لم يؤثر عن أحد من أصحاب رسول الله، فنوقن بأنه دخله وَهْمٌ من بعض رواته. وهو أيضاً خبر آحاد لا ينتقض به إجماع الأمة على المقدار الموجود من هذه السورة متواتراً". ثم نقل ابن عاشور كلام الزمخشري في هذا الخصوص،

قال: "وأما ما يُحكى أن تلك الزيادة التي رويت عن عائشة كانت مكتوبة في صحيفة في بيت عائشة، فأكلتها الداجن -أي الشاة- فمن تأليفات الملاحدة والروافض"(٥).

ثم ختم ابن عاشور تعقيبه على هذين الخبرين بالقول: "ووضع هذا الخبر ظاهر مكشوف؛ فإنه لو صدق هذا لكانت هذه الصحيفة قد هلكت في زمن النبي ﷺ أو بعده، والصحابة متوافرون، وحفاظ القرآن كثيرون، فلو تلفت هذه الصحيفة، لم يُتلف ما فيها من صدور الحفاظ. وكون القرآن قد تلاشى منه كثير هو أصل من أصول الروافض؛ ليطعنوا به في الخلفاء الثلاثة، والرافضة يزعمون أن القرآن مستودع عند الإمام المنتظر، فهو الذي يأتي بالقرآن وقر بعير. وقد استوعب قولهم واستوفى إبطاله أبو بكر بن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»"(٦).

"فضائل القرآن" ص٣٢٠، وأحمد بن منيع كما في "إتحاف الخيرة" ١٤١/٨، والنسائي في "الكبرى" (٧١٥٠)، وابن حبان (٤٤٢٨) و (٤٤٢٩)، والحاكم ٤١٥/٢ و٣٥٩/٤ والضياء المقدسي في "المختارة" (١١٦٤) و (١١٦٥) من طرق عن عاصم، به. وزاد عند ابن حبان (٤٤٢٩) قصة حك المعوذتين من مصحف ابن مسعود، وقد سلف في "المسند" برقم (٢١١٨١).

(١) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

(٢) محاسن التأويل: ٤٦/٨.

(٣) مصنف عبدالرزاق(٥٩٩٠):ص٣٦٥/٣.

(٤)فضائل القرآن للقاسم بن سلام:٣٢٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٥٦٠/٦، وزاد نسبته إلى ابن الأنباري وابن مردويه.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٤٦/٢١-٢٤٧.

(٦) المصدر نفسه: ٢٤٧/٢١.

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب : ١]

التفسير:

يا أيها النبي دُم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتناب محارمه، وليقتد بك المؤمنون؛ لأنهم أحوج إلى ذلك منك، ولا تطع الكافرين وأهل النفاق. إن الله كان عليمًا بكل شيء، حكيمًا في خلقه وأمره وتدبيره.

سبب نزول الآيات:[١-٣]:

قال مقاتل:" وذلك أن عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، وهم المنافقون كتبوا مع غلام لطعمة إلى مشركي مكة من قريش إلى أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور رأس الأحزاب أن أقدموا علينا فسنكون لكم أعوانا فيما تريدون، وإن شئتم مكرنا بمحمد- ﷺ- حتى يتبع دينكم الذي أنتم عليه فكتبوا إليهم: إنا لن نأتيكم حتى تأخذوا العهد والميثاق من محمد فإنا نخشى أن يغدر بنا، ثم نأتيكم فنقول وتقولون لعله يتبع ديننا فلما جاءهم الكتاب، انطلق هؤلاء المنافقون حتى أتوا النبي- ﷺ- فقالوا أتيناك في أمر أبي سفيان بن حرب، وأبي الأعور، وعكرمة بن أبي جهل أن تعطيهم العهد والميثاق على دمائهم وأموالهم فيأتون وتكلمهم لعل إلهك يهدي قلوبهم فلما رأى رسول الله- ﷺ- ذلك وكان حريصا على أن يؤمنوا أعطاهم الأمان من نفسه فكتب المنافقون إلى الكافرين من قريش أنا قد استمكنا من محمد- ﷺ- ولقد أعطانا وإياكم الذي تريدون فأقبلوا على اسم اللات والعزى لعلنا نزيله إلى ما نهواه، ففرحوا بذلك ثم ركب كل رجل منهم راحلة حتى أتوا المدينة فلما دخلوا على عبد الله بن أبي أنزلهم وأكرمهم ورحب بهم وقال أنا عند الذي يسركم محمد أذن ولو قد سمع كلامنا وكلامكم لعله لا يعصينا فيما نأمره فأبشروا واستعينوا آلهتكم عليه فإنها نعم العون لنا ولكم فلما رأوا ذلك منه قالوا أرسل إلى إخواننا فأرسل عبد الله بن أبي إلى طعمة وسعد أن إخواننا من أهل مكة قدموا علينا فلما أتاهم الرسول جاءوا فرحبوا بهم ولزم بعضهم بعضا من الفرح وهم قيام، ثم جلسوا يرون أن يستنزلوا محمدا- ﷺ- عن دينه. فقال عبد الله بن أبي: أما أنا فأقول له ما تسمعون لا أعدوا ذلك ولا أزيد. أقول إنا- معشر الأنصار- لم نزل وإلهنا محمود بخير ونحن اليوم أفضل منذ أرسل إلينا محمد، ونحن كل يوم منه في مزيد، ونحن نرجو بعد اليوم من إله محمد «٤» كل خير ولكن لو شاء محمد قبل أمرا كان يكون ما عاش لنا وله ذكر في الأولين الذين مضوا ويذهب ذكره في الآخرين على أن يقول إن اللات والعزى لهما شفاعة يوم القيامة ولهما ذكر ومنفعة على طاعتهما. هذا قولي له ... قال أبو سفيان: نخشى علينا وعليكم الغدر والقتل، فإن محمدا «٧» زعموا أنه لن يبقى بها أحدا منا من شدة بغضه إيانا وإنا نخشى أن يكون يضمر لنا في نفسه ما كان لقي أصحابه يوم أحد. قال عبد الله بن أبي: إنه إذا أعطى الأمان فإنه لن يغدر، هو أكرم من ذلك وأو فى بالعهد منا فلما أصبحوا أتوه فسلموا عليه فقال النبي- ﷺ-: مرحبا بأبي سفيان اللهم اهد قلبه. فقال أبو سفيان: اللهم يسر الذي هو خير فجلسوا فتكلموا وعبد الله بن أبي، فقالوا للنبي- ﷺ-: ارفض ذكر اللات والعزة ومناة حجر يعبد بأرض هذيل وقل: إن لهما شفاعة ومنفعة في الآخرة لمن عبدهما فنظر إليه النبي- ﷺ- وشق عليه قولهم فقال عمر بن الخطاب- رضوان الله عليه - ائذن لي يا رسول الله في قتلهم. فقال النبي- ﷺ-: إني قد أعطيتهم العهد والميثاق. وقال النبي- ﷺ-: لو شعرت أنكم تأتون لهذا من الحديث لما أعطيتهم الأمان. فقال أبو سفيان: ما بأس بهذا أن قوما استأنسوا إليك يا محمد ورجوا منك أمرا فأما إذا قطعت رجاءهم فإنه لا ينبغي لك أن تؤذيهم، وعليك باللين والتؤدة لإخوانك وأصحابك. فإن هذا من قوم أكرموك ونصروك وأعانوك ولولاهم لكنت مطلوبا مقتولا وكنت في الأرض خائفا لا يقبلك أحد. فزجرهم عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- فقال: اخرجوا في لعنة الله وغضبه فعليكم رجس الله وغضبه وعذابه ما أكثر شركم وأقل خيركم وأبعدكم من الخير وأقربكم من الشر فخرجوا من عنده، فأمر النبي- ﷺ- أن يخرجهم من المدينة، فقال بعضهم لبعض لا نخرج حتى يعطينا العهد إلى أن نرجع إلى بلادنا فأعطاهم النبي- ﷺ- ذلك فنزلت فيهم : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ

اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِين} [الأحزاب : ١]، يعني- تبارك وتعالى- أبا سفيان، وعكرمة، وأبا الأعور اسمه عمرو بن سفيان، ثم قال: {وَالْمُنَافِقِينَ } [الأحزاب : ١]، يعني: عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب : ١].

فلما خرجوا من عنده قال النبي- ﷺ-: ما لهؤلاء؟ عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك} [الأحزاب : ٢]، يعني: ما في القرآن، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الأحزاب : ٢]، {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه} [الأحزاب : ٣]، وثق بالله فيما تسمع من الأذى، {وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيل} [الأحزاب : ٣]، ناصرا ووليا ومانعا فلا أحد أمنع من الله- تعالى-.

وإنما نزلت فيها: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِين} [الأحزاب : ١] من أهل مكة، {وَالْمُنَافِقِينَ } [الأحزاب : ١] من أهل المدينة، يعنى: هؤلاء النفر الستة المسلمين {وَدَعْ أَذَاهُم} [الأحزاب : ٤٨] إياك، لقولهم للنبي- ﷺ-: قل للآلهة شفاعة ومنفعة لمن عبدها"[١].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ} [الأحزاب : ١]، أي:" يا أيها النبي دُم على تقوى الله بالعمل بأوامره واجتناب محارمه"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {يا أيها النبي اتق الله} بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه، وانتهاك حدوده"[٣].

قال الزجاج:" معناه: اثبت على تقوى الله ودم عليها"[٤].

قال الزمخشري:أي:" واظب على ما أنت عليه من التقوى، واثبت عليه، وازدد منه، وذلك لأن التقوى باب لا يبلغ آخره، جعل نداءه بالنبى والرسول في قوله يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحرم. يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وترك نداءه باسمه كما قال: {يا آدم}. {يا موسى}، {يا عيسى}. {يا داود}: كرامة له وتشريفا، وربئا بمحله وتنويها بفضله.

فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّ} [الفتح : ٢٩]، {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول} [آل عمران : ١٤٤].

قلت: ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار، ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الأخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم} [التوبة : ١٢٨]، {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ} [الفرقان : ٣٠]، {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة} [الأحزاب : ٢١]، {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوه} [التوبة : ٦٢]، {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم} [الأحزاب : ٦]، {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب : ٥٦]، {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِي} [المائدة : ٨١]"[٥].

قال ابن قتيبة:" الخطاب للنبي، ﷺ، والمراد بالوصية والعظة المؤمنون، يدلك على ذلك أنه قال: {وَاتَّبِعْ ما يُوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرا}[الأحزاب: ٢] . ولم يقل: بما تعمل خبيرا"[٦].

قال أبو السعود:" في ندائه ﷺ بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه، والمراد بالتقوى المأمور به: الثبات عليه والازدياد منه، فإن له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه"[٧].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٨/٣-٤٧١.
(٢) التفسير: الميسر: ٤١٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٠.
(٤) معاني القرآن: ٢١٣/٤.
(٥) الكشاف: ٥١٨/٣-٥١٩.
(٦) تأويل مشكل القرآن: ١٦٧.
(٧) تفسير أبي السعود: ٨٩/٧.

قال الصابوني:" النداء على سبيل التشريف والتكرمة لأن لفظ النبوة مُشعر بالتعظيم والتكريم، أي: اثبتْ على تقوى الله ودُمْ عليها"(١).

قال ابن كثير:" هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى ، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا ، فَلأن يأتمر من دونه بذلك بطريق الأولى والأحرى. وقد قال طَلْق بن حبيب : التقوى : أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله ، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله ، على نور من الله ، مخافة عذاب الله"(٢).

وقال الفراء:" يقول القائل فيم أمر النبي ﷺ بالتقوى؟ فالسبب في ذلك أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمى قدموا إلى «١» المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول ونظرائه من المنافقين، فسألوا رسول الله أشياء يكرهها، فهم بهم المسلمون فنزل: {يا أيها النبي اتق الله} في نقض العهد لأنه كانت بينهم موادعة فأمر بألا ينقض العهد، {ولا تطع الكافرين} من أهل مكة {والمنافقين} من أهل المدينة فيما سألوك"(٣).

قوله تعالى:{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ١]، أي:" ولا تطع الكافرين وأهل النفاق"(٤).

قال الطبري:يقول:" {ولا تطع الكافرين} الذين يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك {والمنافقين} الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحا بهم، فإنهم لك أعداء"(٥).

قال الزجاج:" أي: كان عليماً بما يكون قبل كونه، حكيما فيما يخلقه قبل خلقه إياه"(٦).

قال النحاس:" أي: لا تطعهم فيما نهيت عنه ولا تمل إليهم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لا تسمع منهم ولا تستشرهم "(٨).

قال الزمخشري:أي:" لا تساعدهم على شيء. ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة، وجانبهم واحترس منهم، فإنهم أعداء الله وأعداء المؤمنين، لا يريدون إلا المضارة والمضادة"(٩).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الأحزاب : ١]، أي:" إن الله كان عليمًا بكل شيء، حكيمًا في خلقه وأمره وتدبيره"(١٠).

قال الطبري:" يقول: إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه"(١١).

قال ابن كثير:" أي : فهو أحق أن تتبع أوامره وتطيعه ، فإنه عليم بعواقب الأمور ، حكيم في أقواله وأفعاله "(١٢).

قال النحاس:" دل بقوله جل وعز: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} على أنه إنما كان يميل إليهم استدعاء لهم إلى الإسلام، أي: لو علم الله جل وعز أن ميلك إليهم فيه منفعة لما نهاك عنه لأنه حكيم"(١).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٦٩/٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.
(٣) معاني القرآن: ٣٣٣/٢-٣٣٤.
(٤) التفسير: الميسر: ٤١٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٠.
(٦) معاني القرآن: ٢١٣/٤.
(٧) إعراب القرآن: ٢٠٦/٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.
(٩) الكشاف: ٥١٩/٣.
(١٠) التفسير: الميسر: ٤١٨.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٠.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

قال الإمام الشافعي في الآية:" فأبان الله أنه قد فرض على نبيه اتباع أمره، وشهد له بالبلاغ عنه، وشهد به لنفسه، ونحن نشهد له به، تقربا إلى الله بالإيمان به، وتوسلا إليه بتصديق كلماته"[٢].

القرآن

{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢)} [الأحزاب : ٢]

التفسير:

واتبع ما يوحى إليك من ربك من القرآن والسنة، إن الله مطَّلِع على كل ما تعملون ومجازيكم به، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى:{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [الأحزاب : ٢]، أي:" واتبع ما يوحى إليك من ربك من القرآن والسنة"[٣].

قال الطبري:" يقول: واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه، وآي كتابه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : من قرآن وسنة "[٥].

قال الزجاج:" يعني به: القرآن"[٦].

عن قتادة: "{واتبع ما يوحى إليك من ربك}، أي: هذا القرآن"[٧].

قال النحاس:" {واتبع ما يوحى إليك}، أي: من اجتنابهم"[٨].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [الأحزاب : ٢]، أي:" إن الله مطَّلِع على كل ما تعملون ومجازيكم به، لا يخفى عليه شيء من ذلك"[٩].

قال الطبري:" يقول: إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده {خبيرا}، أي: ذا خبرة، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : فلا تخفى عليه خافية"[١١].

القرآن

{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)} [الأحزاب : ٣]

التفسير:

واعتمد على ربك، وفَوِّضْ جميع أمورك إليه، وحسبك به حافظًا لمن توكل عليه وأناب إليه.

قوله تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأحزاب : ٣]، أي:" واعتمد على ربك، وفَوِّضْ جميع أمورك إليه"[١٢].

قال الطبري:يقول:" وفوض إلى الله أمرك يا محمد، وثق به"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : في جميع أمورك وأحوالك"[١٤].

---

(١) إعراب القرآن: ٢٠٦/٣.
(٢) تفسير الإمام الشافعي: ١١٨٠/٣.
(٣) التفسير: الميسر: ٤١٨.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.
(٦) معاني القرآن: ٢١٣/٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٠.
(٨) إعراب القرآن: ٢٠٦/٣.
(٩) التفسير: الميسر: ٤١٨.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠٢/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.
(١٢) التفسير: الميسر: ٤١٨.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٠.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٥/٦.

قال النحاس:" {وتوكل على الله}، أي: في الخوف من ضررهم"[١].
قوله تعالى:{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب : ٣]، أي:" وحسبك بالله حافظًا لمن توكل عليه وأناب إليه"[٢].
قال مقاتل:" يعني: مانعا فلا أحد أمنع من الله- عز وجل-"[٣].
قال الطبري: "يقول: وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلا وحفيظا بك"[٤].
قال الزجاج:" المعنى: اكتف بالله وكيلا"[٥].
قال ابن كثير:" أي : وكفى به وكيلا لمن توكل عليه وأناب إليه "[٦].
قال النحاس:" {وكفى بالله وكيلا}، أي: كافيا لك مما تخافه منهم"[٧].
فوائد الآيات:[١-٣]:
١- وجوب تقوى الله بفعل المأمور به وترك المنهي عنه.
٢- حرمة طاعة الكافرين والمنافقين فيما تقترحون أو يهددون من أجله.
٣- وجوب اتباع الكتاب والسنة والتوكل على الله والمضي في ذلك بلا خوف ولا وجل.

القرآن
{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)} [الأحزاب : ٤]
التفسير:
ما جعل الله لأحد من البشر من قلبين في صدره، وما جعل زوجاتكم اللاتي تظاهرون منهن -في الحرمة- كحرمة أمهاتكم (والظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، وقد كان هذا طلاقًا في الجاهلية، فبيَّن الله أن الزوجة لا تصير أُمًّا بحال) وما جعل الله الأولاد المتَبَنَّيْنَ أبناء في الشرع، بل إن الظهار والتبني لا حقيقة لهما في التحريم الأبدي، فلا تكون الزوجة المظاهَر منها كالأم في الحرمة، ولا يثبت النسب بالتبني من قول الشخص للدَّعِيِّ: هذا ابني، فهو كلام بالفم لا حقيقة له، ولا يُعتَدُّ به، والله سبحانه يقول الحق ويبيِّن لعباده سبيله، ويرشدهم إلى طريق الرشاد.
سبب النزول:
أولا:- في سبب نزول قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } [الأحزاب : ٤]، ثلاثة أقوال:
أحدها: أخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما:" كان رجل من قريش يسمى من دهيه[٨] ذا القلبين، فأنزل الله هذا في شأنه"[٩].[ضعيف]
وقال قتادة:" كان رجل على عهد رسول الله -ﷺ- يسمى ذا القلبين، فأنزل الله فيه ما تسمعون"[١٠].

(١) إعراب القرآن: ٢٠٦/٣.
(٢) التفسير: الميسر: ٤١٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٨/٣-٤٧١.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٠.
(٥) معاني القرآن: ٢١٣/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٦.
(٧) إعراب القرآن: ٢٠٦/٣.
(٨)الدهو والدهى والدهاء: العقل.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.

قال مجاهد:" إن رجلا من بني فهر، قال: إن في جوفي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، وكذب"(١).

وقال الحسن:" كان رجل يقول لي: نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه ما تسمعون"(٢).

وقال عكرمة:" كان رجل يسمى ذا القلبين، فنزلت: {ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه}"(٣).

قال الواحدي : "نزلت في جميل بن معمر الفهري، وكان رجلا لبيبا حافظا لما سمع، فقالت قريش: ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد. فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم يومئذ جميل بن معمر، تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: قد انهزموا، قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، وعرفوا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده"(٤).

الثاني: أنها نزلت في قوم من أهل النفاق، وصفوا نبي الله ﷺ بأنه ذو قلبين، فنفى الله ذلك عن نبيه وكذبهم. وهذا القول مروي عن ابن عباس(٥).

عن قابوس - يعني ابن أبي ظِبْيَان - :"أن أباه حدثه قال : قلت لابن عباس : أرأيت قول الله:{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}، ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوما فصلى، فخطر خطرة(٦)، فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلبا معكم، وقلبا معهم، فأنزل الله: { ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِه}"(٧).

الثالث: أنها نزلت في زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله ﷺ كان تبناه، فضرب الله بذلك مثلا. قاله الزهري(٨).

قال الزهري:" بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة، ضرب له مثلا يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك"(٩).

ثانيا:- سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُم} [الأحزاب : ٤]:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أن زيد بن حارثة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن»، {ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله} [الأحزاب: ٥]"(١٠).

وقال مجاهد:" نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه"(١١).

قال الواحدي:" نزلت في زيد بن حارثة، كان عبدا لرسول الله ﷺ، فأعتقه وتبناه قبل الوحي فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، وكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها! فأنزل الله تعالى هذه الآيات"(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠-٢٠٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.
(٤) أسباب النزول: ٣٥١-٣٥٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٠.
(٦)خطر خطرة: سها سهوة.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠.
(١٠) اخرجه البخاري في التفسير(٤٧٨٢):ص١١٦/٦، ومسلم في فضائل الصحابة (٦٢/ ٢٤٢٥) ص ١٨٨٤ والترمذي في التفسير (٣٢٠٩) وفي المناقب (٣٨١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائي في التفسير (٤١٦).
وزاد السيوطي نسبته في الدر (٥/ ١٨١) لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن.
(١١) أورده اليوطي في الدر المنثور: ٥٦٢/٦، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي شيبة وابن المنذر.

قوله تعالى:{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب : ٤]، أي:" ما جعل الله لأحد من البشر من قلبين في صدره"[٢].

قال الطبري: "ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي روي عن ابن عباس[٣]، وجائز أن يكون ذلك تكذيبا من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيبا لمن سمى القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه، وأي الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة"[٤].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ} [الأحزاب : ٤]، أي:" وما جعل زوجاتكم اللاتي تظاهرون منهن -في الحرمة- كحرمة أمهاتكم"[٥].

قال الطبري: يقول:" ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهن: أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم، بل جعل ذلك من قبلكم كذبا، وألزمكم عقوبة لكم كفارة"[٦].

قال قتادة:" أي ما جعلها أمك؛ فإذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفارة"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ} [الأحزاب : ٤]، أي:" وما جعل الله الأولاد المتَبَنَّيْنَ أبناء في الشرع"[٨].

قال الطبري: "يقول: ولم يجعل الله من ادعيت أنه ابنك، وهو ابن غيرك ابنك بدعواك"[٩].

قال ابن كثير:" نزلت في شأن زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ ، كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة ، وكان يقال له : "زيد بن محمد" فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله : { وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ } كما قال في أثناء السورة : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الأحزاب : ٤٠]"[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{أدعياءكم أبناءكم}، قال: نزلت هذه الآية في زيد بن حارثة"[١١].

قال ابن زيد:" كان زيد بن حارثة حين من الله ورسوله عليه، يقال له: زيد بن محمد، كان تبناه، فقال الله: {ما كان محمد أبا أحد من رجالكم}، قال: وهو يذكر الأزواج والأخت، فأخبره أن الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم، ولا أدعياءكم أبناءكم"[١٢].

قال قتادة:" وما جعل دعيك ابنك، يقول: إذا ادعى رجل رجلا وليس بابنه {ذلكم قولكم بأفواهكم ... } الآية، وذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: «من ادعى إلى غير أبيه متعمدا حرم الله عليه الجنة»"[١٣].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ} [الأحزاب : ٤]، أي:" دعاؤهم أبناء مجرد قول بالفم لا حقيقة له من الواقع ولا يُعتَدُّ به"[١٤].

---

(١) أسباب النزول: ٣٦٥.[بدون سند]
(٢) التفسير الميسر: ٤١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٠.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.
(٧)أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٠-٢٠٦ .
(٨) التفسير الميسر: ٤١٨.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٦.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٠.
(١٤) انظر: صفوة التفاسير: ٤٧٠/٢، والتفسير الميسر: ٤١٨.

قال الطبري: يقول:" هذا القول وهو قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه، إنما هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له، لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته، ولا تصير الزوجة أما بقول الرجل لها: أنت علي كظهر أمي"(١).

قال ابن كثير:" يعني : تبنيكم لهم قول لا يقتضي أن يكون ابنا حقيقيا ، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر ، فما يمكن أن يكون له أبوان ، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان"(٢).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ} [الأحزاب : ٤]، أي:" والله تعالى يقول الحقَّ الموافق للواقع، والمطابق له من كل الوجوه"(٣).

قال الطبري: " يقول: والله هو الصادق الذي يقول الحق، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه، وبه تكون المرأة للمولود"(٤).

قال سعيد بن جبير:" { يَقُولُ الْحَقَّ } أي : العدل"(٥).

قوله تعالى:{وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} [الأحزاب : ٤]، أي:" وهو سبحانه يبيِّن لعباده سبيله، ويرشدهم إلى طريق الرشاد""(٦).

قال الطبري: يقول: " والله يبين لعباده سبيل الحق، ويرشدهم لطريق الرشاد"(٧).

قال قتادة : "{ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ } أي : الصراط المستقيم"(٨).

القرآن

{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)} [الأحزاب : ٥]

التفسير:

انسبوا أدعياءكم لآبائهم، هو أعدل وأقوم عند الله، فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فادعوهم -إذًا- بأخوَّة الدين التي تجمعكم بهم، فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ لم تتعمدوه، وإنما يؤاخذكم الله إذا تعمدتم ذلك. وكان الله غفورًا لمن أخطأ، رحيمًا لمن تاب من ذنبه.

قوله تعالى:{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب : ٥]، أي:" انسبوا أدعياءكم لآبائهم، هو أعدل وأقوم عند الله"(٩).

قال الطبري يقول:" انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم، يقول لنبيه محمد ﷺ: ألحق نسب زيد بأبيه حارثة، ولا تدعه زيدا بن محمد، فإن دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبنكموهم إلى من تبناهم وادعاهم وليسوا له بنين"(١٠).

عن قتادة، قوله: "{ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله}، أي: أعدل عند الله"(١١).

قال ابن كثير:" هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب ، وهم الأدعياء ، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة ، وأن هذا هو العدل والقسط، وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه ، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك ؛ ولهذا قالت

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٦.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٧٠/٢.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٠.
(٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٨.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٠.
(٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٧٦/٦.
(٩) التفسير الميسر: ٤١٨.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٠.[بتصرف بسيط]
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٠.

سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة : يا رسول الله ، كنا ندعو سالما ابنا ، وإن الله قد أنزل ما أنزل ، وإنه كان يدخل عَلَيّ ، وإني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا ، فقال ﷺ : «أرضعيه تحرمي عليه»[١]، الحديث.

ولهذا لما نسخ هذا الحكم ، أباح تعالى زوجة الدعي ، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة ، وقال : { لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا } [الأحزاب : ٣٧] ، وقال في آية التحريم : { وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ } [النساء : ٢٣] ، احترازا عن زوجة الدعيّ ، فإنه ليس من الصلب ، فأما الابن من الرضاعة ، فمنزل منزلة ابن الصلب شرعا ، بقوله عليه السلام في الصحيحين : "حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب»[٢].

فأما دعوة الغير ابنا على سبيل التكريم والتحبيب ، فليس مما نهى عنه في هذه الآية، بدليل ما رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي ، من حديث سفيان الثوري... عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : «قدمنا على رسول الله ﷺ أغيلمة بني عبد المطلب على حُمُرَات لنا من جَمْع ، فجعل يَلْطَخ أفخاذنا ويقول : "أُبَيْنيّ لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس»[٣]. قال أبو عبيد وغيره : "أُبَيْنِيّ" تصغير بني.

وهذا ظاهر الدلالة ، فإن هذا كان في حجة الوداع سنة عشر ، وقوله : { ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ } في شأن زيد بن حارثة ، وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان ، وأيضا ففي صحيح مسلم ، من حديث أبي عَوَانة الوضاح بن عبد الله اليَشْكُري ، عن الجَعْد أبي عثمان البصري ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : "يا بُني»[٤]"[٥].

قوله تعالى:{فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} [الأحزاب : ٥]، أي:" فإن لم تعلموا آباءهم الحقيقيين فادعوهم -إذًا- بأخوَّة الدين التي تجمعكم بهم فإنهم إخوانكم في الدين ومواليكم فيه"[٦].

قال الطبري: يقول:" فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم إليهم، ولم تعرفوهم، فتلحقوهم بهم، فهم إخوانكم في الدين، إن كانوا من أهل ملتكم، ومواليكم إن كانوا محرريكم وليسوا ببنيكم"[٧].

قال قتادة:" فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك"[٨].

قال الزجاج:" أي: فإن لم تعلموا أن المدعو ابن فلان فهو أخوك في الدين إذا كان مؤمنا، أي فقل يا أخي. {ومواليكم}، أي: بنو عمكم، ويجوز أن يكون: {ومواليكم}، أي: أولياؤكم في الدين"[٩].

قال ابن كثير:هذا" أمر الله تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم ، إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا آباءهم ، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم ، أي : عوضًا عما فاتهم من النسب. ولهذا قال رسول الله ﷺ يوم خرج من مكة عام عُمرة القضاء ، وتبعتهم ابنة حمزة تنادي : «يا عم ، يا عم. فأخذها علي وقال لفاطمة : دونَك ابنة عَمّك فاحتمليها. فاختصم فيها علي ، وزيد ، وجعفر في أيّهم يكفلها ، فكل أدلى بحجة ؛ فقال علي : أنا أحق بها وهي ابنة عمي - وقال زيد : ابنة أخي. وقال جعفر بن أبي طالب : ابنة عمي ، وخالتها تحتي - يعني أسماء بنت عميس. فقضى

---

(١)الحديث في صحيح مسلم برقم (١٤٥٣) عن عائشة ، رضي الله عنها.

(٢)صحيح البخاري برقم (٤٧٩٦) وصحيح مسلم برقم (١٤٤٥) من حديث عائشة ، رضي الله عنها.

(٣)المسند (٣١١/١) وسنن أبي داود برقم (١٩٤٠) وسنن النسائي (٢٧٠/٥) وسنن ابن ماجه برقم (٣٠٢٥).

(٤)صحيح مسلم برقم (٢١٥١) وسنن أبي داود برقم (٤٩٦٤) وسنن الترمذي برقم (٤٨٣١).

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٧٧/٦-٣٧٨.

(٦) التفسير الميسر: ٤١٨.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٠.

(٩) معاني القرآن: ٢١٥/٤.

النبي ﷺ لخالتها ، وقال : "الخالة بمنزلة الأم". وقال لعلي : "أنت مني ، وأنا منك". وقال لجعفر : "أشبهت خَلْقي وخُلُقي". وقال لزيد : "أنت أخونا ومولانا»[١].

ثم قال ابن كثير: ففي هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها : أنه ، عليه الصلاة والسلام حكم بالحق ، وأرضى كلا من المتنازعين ، وقال لزيد : "أنت أخونا ومولانا" ، كما قال تعالى : { فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ }.. وقد جاء في الحديث: «من ادعى لغير أبيه ، وهو يعلمه ، كفر»[٢].

قال ابن كثير:"وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد ، في التبري من النسب المعلوم ؛ ولهذا قال : { ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ}"[٣].
وَمَوَالِيكُمْ}"[٣].

عن عيينة بن عبدالرحمن، عن ابيه، قال: "قال أبو بكرة: قال الله: {ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم}، فأنا ممن لا يعرف أبوه، وأنا من إخوانكم في الدين، قال: قال أبي: والله إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمارا لانتمى إليه"[٤].

قوله تعالى:{وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} [الأحزاب : ٥]، أي:" وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ لم تتعمدوه"[٥].

قال الطبري:" يقول: ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه، وهو ابن لغيره"[٦].

قال قتادة:" يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه، وأنت ترى أنه كذلك"[٧].

قال يحيى:" إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى الذي تبناه ناسيا، فليس عليه في ذلك إثم"[٨].

قال ابن كثير:" أي : إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع ؛ فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه ، كما أرشد إليه في قوله آمرًا عباده أن يقولوا : { رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة : ٢٨٦]. وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «قال الله : قد فعلت»[٩].

وفي صحيح البخاري ، عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا اجتهد الحاكم فأصاب ، فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ ، فله أجر»[١٠].

وفي الحديث الآخر:«إن الله رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما يُكرَهُون عليه»[١١]"[١٢].

وقال الزجاج: " في هذا وجهان:

أحدهما: وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به مما قد فعلتموه قبل أن تنهوا عن هذا، المعنى: وليس عليكم جناح في الذي أخطاتم به.

---

(١)رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٦٩٩) من حديث البراء ، رضي الله عنه.
(٢)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٠٨) من حديث أبي ذر ، رضي الله عنه ، بلفظ مقارب.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٧٨/٦-٣٧٩.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٠.
(٨) تفسير يحيى بن سلام :٦٩٩/٣.
(٩)صحيح مسلم برقم (١٢٦) من حديث ابن عباس.
(١٠)صحيح البخاري برقم (٧٣٥٢).
(١١) الحدديث: "رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".
أخرجه الطبرانى (٩٧/٢، رقم ١٤٣٠) قال الهيثمى (٢٥٠/٦) : فيه يزيد بن ربيعة الرحبى وهو ضعيف.
وأخرجه أيضا: الطبرانى فى الشاميين (١٥٢/٢، رقم ١٠٩٠).
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٩/٦.

ويجوز أن يكون: ولا جناح عليكم في أن تقولوا له يا بني على غير أن تتعمد أن تجريه مجرى الولد في الإرث"[1].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} [الأحزاب : ٥]، أي:" ولكنَّ الإثم فيما تقصدتم وتعمدتم نسبته إلى غير أبيه"[2].

قال الطبري:" يقول: ولكن الإثم والحرج عليكم في نسبتكموه إلى غير أبيه، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه"[3].

قال ابن كثير:" أي : وإنما الإثم على مَنْ تعمد الباطل كما قال تعالى: { لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُم }"[4].

قال قتادة:" يقول الله: لا تدعه لغير أبيه متعمدا. أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به {ولكن يؤاخذكم بما تعمدت قلوبكم}"[5].

قال مجاهد:" فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره"[6].

عن ابن عباس ، عن عمر أنه قال : "بعث الله محمدا ﷺ بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا بعده. ثم قال : قد كنا نقرأ : ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم - أو : إن كفرًا بكم - أن ترغبوا عن آبائكم ، وإن رسول الله ﷺ قال : لا تطروني كما أطري عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبده ورسوله". وربما قال مَعْمَر : "كما أطرت النصارى ابن مريم"[7].

وفي الحديث: " أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة "[8].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٥]، أي:" وكان الله غفورًا لمن أخطأ، رحيمًا لمن تاب من ذنبه"[9].

قال الطبري: يقول:" وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر زوجته فقال الباطل والزور من القول، وذم من ادعى ولد غيره ابنا له، إذا تابا وراجعا أمر الله، وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه، ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما"[10].

فوائد الآيتين:[٤-٥]:

١- إبطال التحريم بالظهار الذي كان في الجاهلية.

٢- إبطال عادة التبني، وما يترتب عليها من حرمة نكاح امرأة المتبنىّ.

٣- وجوب دعاء الدعي المتبنّى بأبيه إن عرف ولو كان حماراً.

٤- إن لم يعرف للمدعى أب دعي بعنوان الأخوة الإسلامية، أو العمومة أو المولوية.

٥- رفع الحرج والإثم في الخطأ عموما وفيما نزلت فيه الآية الكريمة خصوصاً وهو دعاء الدعي باسم مدعيه سبق لسان بدون قصد، أو بقصد لأنه يرى أنه ابنه وهو ليس ابنه.

القرآن

---

(١) معاني القرآن: ٢١٥/٤.

(٢) صفوة التفاسير: ٤٧٠/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٧٩/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٠.

(٧)المسند (٤٧/١).

(٨)أخرجه أحمد (٣٤٢/٥، رقم ٢٢٩٥٤) ، ومسلم (٦٤٤/٢، رقم ٩٣٤) ، وابن حبان (٤١٢/٧، رقم ٣١٤٣) ٣١٤٣) ، والحاكم (٥٣٩/١، رقم ١٤١٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أيضا: أبو يعلى (١٤٨/٣، رقم ١٥٧٧).

(٩) التفسير الميسر: ٤١٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٠.

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)} [الأحزاب : ٦]

التفسير:

النبي محمد ﷺ أولى بالمؤمنين، وأقرب لهم من أنفسهم في أمور الدين والدنيا، وحرمة أزواج النبي ﷺ على أُمَّته كحرمة أمهاتهم، فلا يجوز نكاح زوجات الرسول ﷺ من بعده. وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة (وكان المسلمون في أول الإسلام يتوارثون بالهجرة والإيمان دون الرحم، ثم نُسخ ذلك بآية المواريث) إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفًا بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية، كان هذا الحكم المذكور مقدَّرًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به. وفي الآية وجوب كون النبي ﷺ أحبَّ إلى العبد من نفسه، ووجوب كمال الانقياد له، وفيها وجوب احترام أمهات المؤمنين، زوجاته ﷺ، وأن من سبَّهن فقد باء بالخسران.

قوله تعالى:{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب : ٦]، أي:" النبي محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين، وأقرب لهم من أنفسهم في أمور الدين والدنيا"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {النَّبِيُّ} محمد أحق بالمؤمنين به {مِنْ أَنْفُسِهِمْ}، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم"[٢].

قال ابن زيد:" كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلما قضيت على عبدك جاز"[٣].

عن مجاهد: "{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}، قال: هو أب لهم"[٤].

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: {النَّبِيُّ أَوْلَى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسهِم}، وأيما مؤمن ترك مالا فلورثته وعصبته من كانوا، وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتني وأنا مولاه"[٥].

عن أبي موسى إسرائيل بن موسى، قال: "قرأ الحسن هذه الآية: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم}، قال: قال الحسن: قال النبي ﷺ: "أنا أولى بكل مؤمن من نفسه" قال الحسن: وفي القراءة الأولى: «أوْلَى بالمُؤْمنين مِنْ أنْفُسِهِمْ وَهُوَ أبٌ لَهُم»"[٦].

عن قتادة، قال:" في بعض القراءة: «النَّبِيُّ أوْلَى بالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ وَهُوَ أبٌ لَهُمْ»، وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: أيما رجل ترك ضياعا فأنا أولى به، وإن ترك مالا فهو لورثته""[٧].

قال الزجاج:" وفي بعض القراءة: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم»، ولا يجوز أن تقرأ بها لأنها ليست في المصحف المجمع عليه، والنبي عليه السلام أبو الأمة في الحقيقة"[٨].

قال سهل التستري:" من لم ير نفسه في ملك الرسول ﷺ، ولم ير ولاية الرسول ﷺ في جميع الأحوال لم يذق حلاوة سنته بحال، لأن النبي ﷺ هو أولى بالمؤمنين، والنبي ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»[٩]"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٨.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٠-٢٠٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.
(٨) معاني القرىن: ٢١٥/٤-٢١٦.
(٩)صحيح البخاري: الإيمان، رقم ١٤- ١٥ وصحيح مسلم: الإيمان، رقم ٤٤.

قوله تعالى:{وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب : ٦]، أي:" وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين في وجوب تعظيمهن واحترامهن، وتحريم نكاحهن"[٢].

قال الطبري:" يقول: وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم، في أنهن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم"[٣].

قال مقاتل:" لا يحل لمسلم أن يتزوج من نساء النبي- ﷺ- شيئا أبدا"[٤].

قال الزجاج:" أي: لا تحل زوجة النبي - ﷺ - لأحد بعده إذ هي بمنزلة الأم"[٥].

قال أبو السعود:" أي: منزلات منزلة الأمهات في التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنبيات"[٦].

قال الزمخشري:" {وأزواجه أمهاتهم}: تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام، وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن، وتحريم نكاحهن: قال الله تعالى: {وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} [الأحزاب : ٥٣]، وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها: «لسنا أمهات النساء»[٧]. تعنى: أنهن إنما كن أمهات الرجال، لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم. والدليل على ذلك: أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن، وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات"[٨].

قال الشافعي:" قوله: {أمهاتهم}، يعني: في معنى دون معنى؛ وذلك أنه لا يحل لهم نكاحهن بحال، ولا يحرم عليهم نكاح بنات، لو كن لهن، كما يحرم عليهم نكاح بنات أمهاتهم اللاتي ولدنهم أو أرضعنهم"[٩].

قال قتادة:" يقول: أمهاتهم في الحرمة، لا يحل لمؤمن أن ينكح امرأة من نساء النبي ﷺ في حياته إن طلق. ولا بعد موته هي حرام على كل مؤمن مثل حرمة أمه"[١٠].

وعن قتادة: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُم} يعظم بذلك حقهن، وفي بعض القراءة: «وهو أب لهم»[١١].

عن ابن زيد، قوله: "{وأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}: محرّمات عليهم[١٢].

قوله تعالى:{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} [الأحزاب : ٦]، أي:" وذوو القرابة من المسلمين بعضهم أحق بميراث بعض في حكم الله وشرعه من الإرث بالإيمان والهجرة"[١٣].

قال الطبري: يقول:" وأولوا الأرحام الذين ورّثت بعضهم من بعض، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا، بالهجرة والإيمان دون الرحم"[١٤].

---

(١) تفسير التستري: ١٢٦.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٧٠/٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٠.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٤/٣.
(٥) معاني القرآن: ٢١٦/٤.
(٦) تفسير أبي السعود: ٩١/٧.
(٧)أخرجه الدارقطني من رواية مضر الأعتق حدثني حرفاء قالت: قلت لعائشة «يا أم. فقالت: لست أم النساء، إنما أنا أم الرجال» وفي الطبقات من طريق مسروق قال «قالت امرأة لعائشة: يا أم. فقالت عائشة إنى لست بأمك إنما أنا أم الرجال».
(٨) الكشاف: ٥٢٣/٣-٥٢٤.
(٩) تفسير الإمام الشافعي: ١١٨٥/٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٨٦):ص٣١١٥/٩.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٠.
(١٣) التفسير الميسر: ٤١٨.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٠.

قال الزجاج:" أي: ذو الرحم بذي رحمه أولى من المهاجر إذا لم يكن من ذوي رحمه"(١).

قال الزمخشري:" كان المسلمون في صدر الإسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة، كما كانت تتألف قلوب قوم بإسهام لهم في الصدقات، ثم نسخ ذلك لما دجا الإسلام(٢) وعز أهله، وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح. أو فيما أوحى الله إلى إلى نبيه وهو هذه الآية. أو في آية المواريث. أو فيما فرض الله كقوله: {كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُم} [النساء : ٢٤]، قوله: {من المؤمنين والمهاجرين}، يجوز أن يكون بيانا لـ«أولى الأرحام»، أى: الأقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الأجانب. ويجوز أن يكون لابتداء الغاية، أى: أولو الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين، ومن المهاجرين بحق الهجرة"(٣).

عن هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير بن العوام قال: "أنزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والأنصار :{وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض}، وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان، فواخيناهم ووارثناهم، فواخى أبو بكر خارجة بن زيد، وآخى عمر فلانا، وآخى عثمان بن عفان رجلا من بني زريق سعد الزرقي، ويقول بعض الناس غيره، قال الزبير: وواخيت أسنا كعب بن فجئته فابتعلته فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى، فوالله يا بني، لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة، فرجعنا إلى مواريثنا"(٤).

قال قتادة:" لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة، والأعرابيّ المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا، فأنزل الله هذه الآية، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض، فصارت المواريث بالملل"(٥).

قال ابن زيد:" كان النبيّ ﷺ قد آخَى بين المهاجرين والأنصار أوّل ما كانت الهجرة، وكانوا يتوارثون على ذلك، وقال الله: {وَلِكُلٍّ جَعَلْنا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الوالِدان والأقْرَبُونَ والَّذِينَ عَقَدَتْ أيمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ}، قال: إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم، قال: فكان هذا أوّلا فقال الله: {إلا أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفا} يقول: إلا أن توصوا لهم {كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورًا} أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، قال: وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولي رحم، حتى يهاجروا إلى المدينة، وقرأ قال الله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا ... } إلى قوله: {وَفَسادٌ كَبِيرٌ} فكانوا لا يتوارثون، حتى إذا كان عام الفتح، انقطعت الهجرة، وكثر الإسلام، وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبيّ ومن معه إلا أن يهاجر؛ قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث: اغدوا على اسم الله لا تغلوا ولا تولوا، ادعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوكم فاقبلوا وادعوهم إلى الهجرة، فإن هاجروا معكم، فلهم ما لكم، وعليهم ما عليكم، فإن أبوا ولم يهاجروا واختاروا دارهم فأقروهم فيها، فهم كالأعراب تجري عليهم أحكام الإسلام، وليس لهم في هذا الفيء نصيب". قال: فلما جاء الفتح، وانقطعت الهجرة، قال رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح" وكثر الإسلام، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين، وكان لهم في الفيء نصيب، وإن أقاموا وأبوا، وكان حقهم في الإسلام واحدا، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكل أحد، حين جاء الفتح"(٦).

---

(١) معاني القرآن: ٢١٦/٤.
(٢)دجا الإسلام، أى: قوى وألبس كل شيء.
(٣) الكشاف: ٥٢٤/٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥٨٣):ص٣١١٤/٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٠.

قال الطبري:" فمعنى الكلام على هذا التأويل: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين، أولى بالميراث، ممن لم يؤمن، ولم يهاجر"[١].

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا} [الأحزاب : ٦]، أي:" إلا أن تفعلوا -أيها المسلمون- إلى غير الورثة معروفًا بالنصر والبر والصلة والإحسان والوصية"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ذهب الميراث ، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية"[٣].

قال الزجاج:" {إلا أن} استثناء ليست من الأول، المعنى: لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز، وهو أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه، إذا لم يكن وارثا، لأنه لا وصية لوارث"[٤].

قال الزمخشري:" استثنى: {أن تفعلوا} من أعم العام في معنى النفع والإحسان، كما تقول: القريب أولى من الأجنبى إلا في الوصية، تريد: أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك، إلا في الوصية. والمراد بفعل المعروف: التوصية لأنه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بإلى، لأنه في معنى: تسدوا وتزلوا، والمراد بالأولياء: المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين ذلك إشارة إلى ما ذكر في الآيتين جميعا. وتفسير الكتاب: ما مر آنفا، والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام"[٥].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا} [الأحزاب : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه أراد الوصية للمشرك من ذوي الأرحام ، قاله قتادة[٦]، وعطاء[٧]، وابن الحنفية[٨].

الحنفية[٨].

قال قتادة:" للقرابة من أهل الشرك وصية، ولا ميراث لهم"[٩].

عن ابن جريج، قال: "قلت لعطاء: ما قوله: {إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا}؟ فقال: العطاء، فقلت له: المؤمن للكافر بينهما قرابة؟ قال: نعم عطاؤه إياه حباء ووصية له"[١٠].

قال محمد بن علي بن الحنفية:" نزلت هذه الآية في جواز وصية المسلم لليهودي والنصراني"[١١].

وقال مقاتل:" يعني: إلى أقربائكم أن توصوا لهم من الميراث للذين لم يهاجروا من المسلمين، كانوا بمكة أو بغيرها"[١٢].

الثاني : أنه عنَى الوصية للحلفاء الذي آخى بينهم رسول الله -ﷺ- من المهاجرين والأنصار ، قاله مجاهد[١٣].

قال مجاهد:" حلفاؤكم الذين والى بينهم النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، إمساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢١١/٢٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٦.
(٤) معاني القرآن: ٢١٦/٤.
(٥) الكشاف: ٥٢٤/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠، وابن ابي حاتم(١٧٥٩١):ص٣١١٥/٩.
(٩) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٠.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٥٩١):ص٣١١٥/٩.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٥/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٠، وتفسير ابن ابي حاتم(١٧٥٩٠):ص٣١١٥/٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٠.

وروي عن ابن زيد، "{إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا}، يقول: إلا أن توصوا لهم"(١). لهم"(١). أي:" أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية"(٢).

الثالث : أنه أراد الذين آخيتم تأتون إليهم معروفاً ، قاله مقاتل بن حيان(٣).

الرابع : أنه عنى وصية الرجل لإخوانه في الدين ، قاله السدي(٤).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفا من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث الله عليه عباده.

قال الطبري: "وإنما اخترت هذا القول، وقلت: هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك، لأن القريب من المشرك، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله: {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء، ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء. وموضع "أن" من قوله: {إلا أن تفعلوا} نصب على الاستثناء ومعنى الكلام: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولي أرحام منكم معروفا(٥).

قوله تعالى:{كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الأحزاب : ٦]، أي:" كان هذا الحكم المذكور مقدَّرًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به"(٦).

قال الطبري:" يقول: كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مكتوبا، وقيل: كان ذلك في الكتاب مسطورا: لا يرث المشرك المؤمن"(٧).

قال الزجاج:" أي: كان ذلك في الكتاب الذي فرض فيه الفرض مكتوبا"(٨).

قال ابن كثير:" أي : هذا الحكم ، وهو أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض ، حكم من الله مقدر مكتوب في الكتاب الأول ، الذي لا يبدل ، ولا يغير. قاله مجاهد وغير واحد. وإن كان قد يقال: قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة ، وهو يعلم أنه سينسخه إلى ما هو جار في قدره الأزلي، وقضائه القدري الشرعي"(٩).

عن ابن زيد، قوله: {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}،" أي: أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله"(١٠).

قال يحيى:" يقول: مكتوبا ألا يرث كافر مسلما"(١١).

قال مقاتل:" يعني: مكتوبا في اللوح المحفوظ أن المؤمنين أولى ببعض في الميراث من الكفار"(١٢).

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١٢/٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢١١/٢٠.
(٣) انظر: النكت والعيون:٣٧٦/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون:٣٧٦/٤.
(٥) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٠.
(٦) الكشاف: ٥٢٤/٣.
(٧) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٠.
(٨) معاني القرآن: ٢١٦/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٢/٢٠.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٠١/٢.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٥/٣.

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧)} [الأحزاب : ٧]

التفسير:

واذكر -أيها النبي- حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة، وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم (وهم أولو العزم من الرسل على المشهور) ، وأخذنا منهم عهدًا مؤكدًا بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يُصَدِّق بعضهم بعضًا.

قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ} [الأحزاب : ٧]، أي:" واذكر -أيها النبي- حين أخذنا من النبيين العهد المؤكد بتبليغ الرسالة"[١].

قال الطبري: يقول:" كان ذلك في الكتاب مسطورا، إذ كتبنا كل ما هو كائن في الكتاب {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم} كان ذلك أيضا في الكتاب مسطورا، ويعني بالميثاق: العهد"[٢].

قال ابن عباس: "ميثاقهم عهدهم". "إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن أولي العزم الخمسة ، وبقية الأنبياء : أنه أخذ عليهم العهد والميثاق في إقامة دين الله ، وإبلاغ رسالته ، والتعاون والتناصر والاتفاق ، كما قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران : ٨١]، فهذا العهد والميثاق أخذ عليهم بعد إرسالهم ، وكذلك هذا"[٤].

قوله تعالى:{وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [الأحزاب : ٧]، أي:" وأخذنا الميثاق منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم"[٥].

قال الطبري: يقول:" {ومنك} يا محمد {ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم}"[٦].

قال ابن كثير:" نص من بينهم على هؤلاء الخمسة ، وهم أولو العزم ، وهو من باب عطف الخاص على العام ، وقد صرَّح بذكرهم أيضا في هذه الآية ، وفي قوله : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } [الشورى : ١٣] ، فذكر الطرفين والوسط ، الفاتح والخاتم ، ومن بينهما على هذا الترتيب. فهذه هي الوصية التي أخذ عليهم الميثاق بها ، كما قال : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}، فبدأ في هذه الآية بالخاتم ؛ لشرفه - صلوات الله وسلامه عليه - ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم"[٧].

قال الزجاج:" المعنى: اذكر إذ أخذنا، فذكره الله - ﷺ - في أخذ الميثاق قبل نوح. وجاء في التفسير: إني خلقت قبل الأنبياء، وبعثت بعدهم. فعلى هذا القول لا تقديم في هذا الكلام ولا تأخير. هو على نسقه، وأخذ الميثاق حيث أخرجوا من صلب آدم - صلى الله عليه - كالذر. ومذهب أهل اللغة أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن المذكور أولا لا يستقيم أن يكون معناه التأخير. فالمعنى على مذهب أهل اللغة، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومنك، ومثله قوله: {وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} [آل عمران : ٤٣]"[٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٢) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٠.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٥٩٦)،(١٧٥٩٧):ص٣١١٦/٩.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٨٣/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٦) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٨٢/٦.
(٨) معاني القرآن: ٢١٦/٤-٢١٧.

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، في قول الله تعالى : "{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ } الآية : قال النبي ﷺ : «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، فَبُدئ بي قبلهم»"(١).

وعن أبى هريرة قال : "خيار ولد آدم خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وخيرهم محمد ﷺ أجمعين"(٢).

عن قتادة، قوله: "{وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح}، قال: وذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «كنت أول الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث»، {وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا}، ميثاق أخذه الله على النبيين، خصوصا أن يصدق بعضهم بعضا، وأن يتبع بعضهم بعضا"(٣).

قال أبو هلال، قال: كان قتادة إذا تلا هذه الآية: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح}، قال: كان نبي الله ﷺ في أول النبيين في الخلق"(٤).

عن مجاهد، قوله: "{من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح}، قال: في ظهر آدم"(٥).

وقال الكلبي: "في صلب آدم أن يبلغوا الرسالة"(٦).

وعن أبي بن كعب قال : "ورفع أباهم آدم ، فنظر إليهم - يعني : ذريته - وأن فيهم الغني والفقير ، وحسن الصورة ، ودون ذلك ، فقال : رب ، لو سويتَ بين عبادك ؟ فقال : إني أحببت أن أشكر. وأرى فيهم الأنبياء مثل السرج ، عليهم كالنور ، وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة ، فهو الذي يقول الله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الآية"(٧).

قوله تعالى:{وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} [الأحزاب : ٧]، أي:" وأخذنا منهم عهدًا مؤكدًا بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، وأن يُصَدِّق بعضهم بعضًا"(٨).

قال الطبري: "يقول: وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكدا أن يصدق بعضهم بعضا"(٩).

قال ابن عباس:" الميثاق الغليظ: العهد"(١٠).

القرآن

{لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)} [الأحزاب : ٨]

التفسير:

أخذ الله ذلك العهد من أولئك الرسل؛ ليسأل المرسلين عمَّا أجابتهم به أممهم، فيجزي الله المؤمنين الجنة، وأعد للكافرين يوم القيامة عذابًا شديدًا في جهنم.

قوله تعالى:{لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ} [الأحزاب : ٨]، أي:" أخذ الله ذلك العهد من أولئك الرسل؛ ليسأل المرسلين عمَّا أجابتهم به أممهم، فيجزي الله المؤمنين الجنة"(١).

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٨٣/٦-٣٨٤، وقال:" سعيد بن بشير فيه ضعف".
ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة ص (٦) وابن عدي في الكامل (٣٧٣/٣) وتمام في الفوائد برقم (١٠٠٣) من طرق عن سعيد بن بشير عن قتادة به ، وفي إسناده علتان : الأولى : الحسن البصري مدلس وقد عنعن. الثانية : سعيد بن بشير ضعيف وقد خولف ، خالفه أبو هلال وسعيد بن أبي عروبة فقالا : عن قتادة مرسلا ، ا.هـ انظر: [من السلسلة الضعيفة رقم (٦٦١) للشيخ ناصر الألباني].

(٢)) مسند البزار برقم (٢٣٦٨) "كشف الأستار". قال ابن كثير:٣٨٣/٦:" موقوف ، وحمزة فيه ضعف".

(٣) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٠.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٠١/٢.

(٧) رواه جعفر الرازي كما في تفسير ابن كثير: ٣٨٣/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٩) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٠.

قال مجاهد:" يعني: المبلغين المؤدين من الرسل"(٢).
وفي رواية:" الرسل المؤدّين المبلغين"(٣).
قال يحيى:" يعني: النبيين، أنهم بلغوا الرسالة إلى قومهم من الله"(٤).
قال الطبري: يقول:" أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة"(٥).
قال الزجاج:" معناه: ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم في تبليغهم. وتأويل مسألة الرسل - والله يعلم - أنهم صادقون - التبكيت للذين كفروا بهم، كما قال الله - عز وجل - {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة : ١١٦]، فأجاب فقال: {سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَه} [المائدة : ١١٦]، ثم قال : {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} [المائدة : ١١٧]، فتأويله: التبكيت للمكذبين"(٦).
قال الواحدي:" يقول: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين، يعني النبيين، هل بلغوا الرسالة، والمعنى: ليسأل المبلغين من الرسل عن صدقهم في تبليغهم يوم القيامة، وتأويل مسألة الرسل، والله يعلم إنهم لصادقون، التبكيت للذين كفروا بهم، وتم الكلام"(٧).
قال السمعاني:" أي: ليسأل النبيين عن تبليغهم الرسالة، فإن قال قائل: وأي حكمة في سؤالهم عن تبليغ الرسالة؟ والجواب عنه: الحكمة في ذلك تبكيت الذين أرسلوا إليهم، وعلى هذا المعنى قوله تعالى: {وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله} . ويقال: ليسأل الصادقين عن عملهم لله، وقيل: ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم"(٨).
قال ابن كثير:" فنحن نشهد أن الرسل قد بَلَّغُوا رسالات ربهم ، ونصحوا الأمم وأفصحوا لهم عن الحق المبين ، الواضح الجلي ، الذي لا لبس فيه ، ولا شك ، ولا امتراء ، وإن كذبهم مَنْ كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين ، فما جاءت به الرسل هو الحق ، ومَنْ خالفهم فهو على الضلال"(٩).
قوله تعالى:{وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا} [الأحزاب : ٨]، أي:" وأعد للكافرين يوم القيامة عذابًا شديدًا في جهنم"(١٠).
قال الطبري: " يقول: وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا"(١١).
قال الزجاج:" أي: للكافرين بالرسل "(١٢).
قال ابن كثير:" {وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ }، أي : من أممهم { عَذَابًا أَلِيمًا } أي : موجعا"(١٣).
فوائد الآيات:[٦-٨]:
١- وفي الآية وجوب كون النبي ﷺ أحبَّ إلى العبد من نفسه، ووجوب كمال الانقياد له.
٢- حرمة نكاح أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنهن أمهات المؤمنين وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالأب لهم.

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٢) تفسير مجاهد: ٥٤٧. وأخرجه الطبري: ٢١٤/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٠.
(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٣/٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٠.
(٦) معاني القرآن: ٢١٧/٤.
(٧) التفسير الوسيط: ٤٦٠/٣.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٦٢/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٨٣/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤١٩.
(١١) تفسير الطبري: ٢١٤/٢٠.
(١٢) معاني القرآن: ٢١٧/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٨٣/٦.

٣- وجوب احترام أمهات المؤمنين، زوجاته ﷺ، وأن من سبَّهن فقد باء بالخسران.
٣- بطلان التوارث بالمؤاخاة والهجرة والتحالف الذي كان في صدر الإسلام.
٤- جواز الوصية لغير الوارث بالثلث فأقل.
٥- وجوب توحيد الله تعالى في عبادته ودعوة الناس إلى ذلك.
٦- تقرير التوحيد بأخذ الميثاق به على كافة الأنبياء والمرسلين.

القرآن

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)} [الأحزاب : ٩]

التفسير:

يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم في «المدينة» أيام غزوة الأحزاب -وهي غزوة الخندق-، حين اجتمع عليكم المشركون من خارج «المدينة» ، واليهود والمنافقون من «المدينة» وما حولها، فأحاطوا بكم، فأرسلنا على الأحزاب ريحًا شديدة اقتلعت خيامهم ورمت قدورهم، وأرسلنا ملائكة من السماء لم تروها، فوقع الرعب في قلوبهم. وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفى عليه من ذلك شيء.

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ} [الأحزاب : ٩]، أي:" يا معشر المؤمنين اذكروا نعمة الله تعالى التي أنعمها عليكم وقت مجيء جنود الأحزاب وتألبهم عليكم"(١).

قال مقاتل:أي:" فى الدفع عنكم {إذ جاءتكم جنود} من المشركين، يعني: أبا سفيان بن حرب ومن اتبعه"(٢).

قال الطبري:يقول:" {ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم} التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق {إذ جاءتكم جنود}: جنود الأحزاب: قريش، وغطفان، ويهود بني النضير"(٣).

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} [الأحزاب : ٩]، أي:" فأرسلنا على الأحزاب ريحاً شديدة وجنوداً من الملائكة لم تروهم"(٤).

قال مقاتل:" {فأرسلنا عليهم ريحا} شديدة {وجنودا لم تروها} من الملائكة، ألف ملك فيهم جبريل- عليه السلام- ...لما رأى الله- عز وجل- ما فيه المؤمنون من الجهد والضعف «بعث عليهم ريحا وجنودا من الملائكة، فأطفأت الريح نيرانهم، وألقت أبنيتهم، وأكفأت قدورهم ونزعت أوتادهم، ونسفت التراب في وجوههم، وجالت الدواب بعضها في بعض، وسمعوا تكبير الملائكة في نواحي عسكرهم فرعبوا، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: إن محمدا قد بدأكم بالشر فالنجاة النجاة، فنادى رئيس كل قوم بالرحيل فانهزموا ليلا بما استخفوا من أمتعتهم، ورفضوا بعضها لا يبصرون شيئا من شدة الريح والظلمة، فانهزموا"(٥).

قال ابن عباس:"كان يوم أبي سفيان يوم الأحزاب"(٦).

قال رومان:" الجنود: قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح: الملائكة"(٧).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٧١/٢، والتفسير الميسر: ٤١٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٦/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢١٤/٢٠.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٧٢/٢.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٦/٣-٤٧٧.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١٧/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢١٧/٢٠.

قال قتادة:" نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله ﷺ شهرا فخندق رسول الله ﷺ، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس، حتى نزلوا بعقوة[1] رسول الله ﷺ، وأقبل عيينة بن حصن، أحد بني بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله ﷺ، وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه، فقال حيث يقول الله تعالى: {إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم} فبعث الله عليهم الرعب والريح، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم إلي، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال: النجاء النجاء، أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب"[2].

عن مجاهد، قوله: "{إذ جاءتكم جنود}، قال: الأحزاب: عيينة بن بدر، وأبو سفيان، وقريظة، وقوله: {فأرسلنا عليهم ريحا}، قال: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم. وقوله: {وجنودا لم تروها}، قال: الملائكة ولم تقاتل يومئذ"[3].

قال عكرمة:" قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الشمال: إن الحرة لا تسري بالليل، قال: فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا"[4].

عن أبي سعيد، قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر، فهل من شيء تقوله؟ قال: «نعم قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا»، فضرب الله وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم الله بالريح"[5].

قال عبدالله :" أرسلني خالي عثمان بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح، إلى المدينة، فقال: ائتنا بطعام ولحاف قال: فاستأذنت رسول الله ﷺ، فأذن لي وقال: "من لقيت من أصحابي فمرهم يرجعوا". قال: فذهبت والريح تسفي كل شيء، فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي ﷺ، قال: فما يلوي أحد منهم عنقه؛ قال: وكان معي ترس لي، فكانت الريح تضربه علي، وكان فيه حديد، قال: فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي، فأنفذها إلى الأرض"[6].

قال محمد بن كعب القرظي: "قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، لحملناه على أعناقنا. قال حذيفة: يا بن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ يشرط له رسول الله ﷺ إن يرجع أدخله الله الجنة"، فما قام أحد، ثم صلى رسول الله ﷺ هويا من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هويا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: "من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع، يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة، أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة" فما قام رجل من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد؛ فلما لم يقم أحد، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: "يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا". قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء؛ فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان؛ ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع

---

(١)العقوة: الساحة وما حول الدار. (عن اللسان: عقا).
(٢) أخرجه الطبري: ٢١٦/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢١٦/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٠.

والخف، واختلفت بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما يطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني، لو شئت لقتلته بسهم؛ قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه؛ فلما رآني أدخلني بين رجليه، وطرح علي طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه؛ فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم"(١).

قال محمد بن إسحاق، "عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، وعمن لا أتهم، عن عبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزهري، وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القرظي، وعن غيرهم من علمائنا أنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ... }، إلى قوله: {وكفى بجهنم سعيرا} فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا فيه، فأجابوهم فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع؛ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة؛ فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب احد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذراري والنساء، فرفعوا في الآطام، وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشئوم، إني قد عاهدت محمدا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا؛ قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت دوني إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: يا كعب جئتك بعز الدهر، وببحر طم، جئتك بقريش على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه، فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، فدعني ومحمدا وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صدقا

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١٥/٢٠-٢١٦.

ووفاء؛ فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان عليه، فيما بينه وبين رسول الله ﷺ؛ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر، وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أحد بني الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن ديلم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: "انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس" فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة: أي كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدو، وذلك عن ملإٍ من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا، وإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار"[(١)].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} [الأحزاب : ٩]، أي:" وكان الله بما تعملون بصيرًا، لا يخفى عليه من ذلك شيء"[(٢)].

قال السمعاني:" أي: عليما"[(٣)].

قال الطبري: يقول:" وكان الله بأعمالكم يومئذ- وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة، وثباتهم لعدوهم، وغير ذلك من أعمالهم- بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء، يحصيه عليهم، ليجزيهم عليه"[(٤)].

القرآن

{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠)} [الأحزاب : ١٠]

التفسير:

اذكروا إذ جاؤوكم مِن فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب، وإذ شخصت الأبصار من شدة الحَيْرة والدهشة، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب، وغلب اليأس المنافقين، وكثرت الأقاويل، وتظنون بالله الظنون السيئة أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته.

قوله تعالى:{إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} [الأحزاب : ١٠]، أي:" اذكروا إذ جاؤوكم مِن فوقكم من أعلى الوادي من جهة المشرق، ومن أسفل منكم من بطن الوادي من جهة المغرب"[(١)].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١٧/٢٠-٢١٨.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٠٤/٥.
(٤) تفسير الطبري:٢١٧/٢٠.

قال الطبري: يقول:" وكان الله بما تعملون بصيرا، إذ جاءتكم جنود الأحزاب من فوقكم، ومن أسفل منكم. وقيل: إن الذين أتوهم من أسفل منهم، أبو سفيان في قريش ومن معه"[٢].

قال مقاتل:" {إذ جاؤكم من فوقكم}: من فوق الوادي من قبل المشرق عليهم مالك ابن عوف البصري، وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان معهم طليحة ابن خويلد الأسدي، وحيي بن أخطب اليهودي في اليهود يهود قريظة، وعامر ابن الطفيل فى هوزان، ثم قال- جل ثناؤه-: {ومن أسفل منكم}، يعني: من بطن الوادي من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب على أهل مكة معه يزيد بن خليس على قريش والأعور السلمي من قبل الخندق"[٣].

عن مجاهد: "{إذ جاءوكم من فوقكم}، قال: عيينة بن بدر في أهل نجد، {ومن أسفل منكم}، قال: أبو سفيان، قال: وواجهتهم قريظة"[٤].

قال يزيد بن رومان:" فالذين جاءوهم من فوقهم: قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم: قريش وغطفان"[٥].

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، "ذكرت يوم الخندق وقرأت: {إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر}، قالت: هو يوم الخندق"[٦].

قوله تعالى:{وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ} [الأحزاب : ١٠]، أي:" وإذ شخصت الأبصار من شدة الحَيْرة والدهشة"[٧].

قال الطبري:" يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرها، وشخصت طامحة"[٨].

قال مقاتل:" يعني: شخصت الأبصار فرقا"[٩].

عن قتادة :"{وإذ زاغت الأبصار}: شخصت"[١٠].

قوله تعالى:{وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ} [الأحزاب : ١٠]، أي:" وبلغت القلوب الحناجر من شدة الرعب"[١١].

قال الطبري:" يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر"[١٢].

عن عكرمة: "{وبلغت القلوب الحناجر}، قال: من الفزع"[١٣].

قوله تعالى:{وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب : ١٠]، أي:" وكنتم في تلك الحالة الشديدة تظنون الظنون المختلفة"[١٤].

قال مقاتل:" يعني: الإياس من النصر، وإخلاف الأمر"[١٥].

قال الطبري:" يقول: وتظنون بالله الظنون الكاذبة، وذلك كظن من ظن منهم أن رسول الله ﷺ يغلب، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظن ممن كان مع رسول الله ﷺ في عسكره"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٢) تفسير الطبري:٢١٧/٢٠.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٦/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢١٧/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١٧/٢٠.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٨) تفسير الطبري: ٢١٨/٢٠.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٦/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤١٩.
(١٢) تفسير الطبري: ٢١٨/٢٠-٢١٩.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٠.
(١٤) صفوة التفاسير: ٤٧٢/٢.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٦/٣.

قال مجاهد:" هم المنافقون ظنوا بالله ظنونا مختلفة"[٢].

عن الحسن: "{وتظنون بالله الظنونا}، قال: ظنونا مختلفة: ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق، أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون"[٣].

قرأ بعضهم: «الظنون»، بغير ألف في الوصل، وبألف في الوقف، وقرأ أبو عمرو: «الظنون»، بغير ألف، في الوصل والوقف[٤].

قال الزجاج:" والذي عليه حذاق النحويين والمتبعون السنة من حذاقهم أن يقرأوا: «الظنونا»، ويقفون على الألف ولا يصلون، وإنما فعلوا ذلك لأن أواخر الآيات عندهم فواصل، ويثبتون في آخرها في الوقف ما قد يحذف مثله في الوصل"[٥].

القرآن

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)} [الأحزاب : ١١]

التفسير:

في ذلك الموقف العصيب اختُبر إيمان المؤمنين ومُحِّص القوم، وعُرف المؤمن من المنافق، واضطربوا اضطرابًا شديدًا بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم.

قوله تعالى:{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} [الأحزاب : ١١]، أي:" في ذلك الموقف العصيب اختُبر إيمان المؤمنين ومُحِّص القوم، وعُرف المؤمن من المنافق"[٦].

قال مقاتل:" يعنى: عند ذلك ابتلي المؤمنون بالقتال والحصر"[٧].

قال الزجاج:" أي: في تلك الحال اختبر المؤمنون"[٨].

قال الطبري: " يقول: عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين، ومحص القوم وعرف المؤمن من المنافق"[٩].

عن مجاهد قوله: "{هنالك ابتلي المؤمنون}، قال: محصوا"[١٠].

قوله تعالى:{وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب : ١١]، أي:" واضطربوا اضطرابًا شديدًا بالخوف والقلق؛ ليتبين إيمانهم ويزيد يقينهم"[١١].

قال الطبري: " يقول: وحركوا بالفتنة تحريكا شديدا، وابتلوا وفتنوا"[١٢].

قال الفراء:" يقول: حركوا تحريكا إلى الفتنة فعصموا"[١٣].

قال الزجاج:" أزعجوا إزعاجا شديدا وحركوا"[١٤].

القرآن

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٠٩):ص٣١١٩/٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٠.
(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢١٨/٤.
(٥) معاني القرآن: ٢١٨/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧٧/٣.
(٨) معاني القرآن:٢١٩/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢٠.
(١١) التفسير الميسر: ٤١٩.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٠.
(١٣) معاني القرآن: ٣٣٦/٢.
(١٤) معاني القرآن:٢١٩/٤.

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)} [الأحزاب : ١٢]

التفسير:

وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلا من القول وغرورًا، فلا تصدقوه.

سبب النزول:

قال قتادة:" قال المنافقون يوم الأحزاب حين رأوا الأحزاب قد اكتنفوهم من كل جانب فكانوا في شك وريبة من أمر الله قالوا: إن محمدا كان يعدنا فتح فارس والروم وقد حصرنا هاهنا حتى ما يستطيع يبرز أحدنا لحاجته، فأنزل الله: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا}"[١].

قوله تعالى:{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [الأحزاب : ١٢]، أي:" وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك، وهم ضعفاء الإيمان: "[٢].

قال الطبري: "{وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض} شك في الإيمان وضعف في اعتقادهم إياه"[٣].

عن مجاهد:" {وإذ يقول المنافقون}: تكلموا بما في أنفسهم من النفاق"[٤].

قوله تعالى:{مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب : ١٢]، أي:" ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتمكين إلا باطلا من القول وغرورًا، فلا تصدقوه"[٥].

قال الطبري: أي:" ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا، وذلك فيما ذكر قول معتب بن قشير"[٦].

قال الزجاج:" معنى الآية أن المنافقين قالوا: وعدنا محمد - ﷺ - أن فارس والروم تفتحان علينا، ونحن بمكاننا هذا ما يقدر أحدنا أن يبرز لحاجته، فهذا وعد غرور"[٧].

قال مجاهد:" وتكلم المؤمنون بالحق والإيمان، قالوا: {هذا ما وعدنا الله ورسوله}"[٨].

قال جابر بن عبد الله: "لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق، وأصاب النبي ﷺ والمسلمين جهد شديد، فمكثوا ثلاثا لا يجدون طعاما حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجرا من الجوع"[٩].

قال السدي:" حفر رسول الله ﷺ الخندق واجتمعت قريش، وكنانه وغطفان فاستأجرهم أبو سفيان بلطيمة قريش، فأقبلوا حتى نزلوا بفنائه فنزلت قريش أسفل الوادي، ونزلت غطفان عن يمين ذلك وطليحة الأسدي في بني أسد يسار ذلك وظاهرهم بنو قريظة من اليهود على قتال النبي ﷺ فلما نزلوا بالنبي ﷺ تحصن بالمدينة، وحفر النبي ﷺ الخندق، فبينما هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول في صفا، فطارت منه كهيئة الشهاب من النار في السماء وضرب الثاني فخرج مثل ذلك، فرأى ذلك سلمان رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، قد رأيت خرج من كل ضربة كهيئة الشهاب، فسطع الى السماء"[١٠].

القرآن

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٢):ص٣١٢٠/٩.
(٢) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٣) تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٠٩):ص٣١١٩/٩.
(٥) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٦) تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٠.
(٧) معاني القرآن:٢١٩/٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٠٩):ص٣١١٩/٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٠):ص٣١١٩/٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١١):ص٣١١٩/٩.

{وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣)} [الأحزاب : ١٣]

التفسير:

واذكر -أيها النبي- قول طائفة من المنافقين منادين المؤمنين من أهل «المدينة» : يا أهل «يثرب» (وهو الاسم القديم «للمدينة») لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل «المدينة» ، ويستأذن فريق آخر من المنافقين الرسول ﷺ بالعودة إلى منازلهم بحجة أنها غير محصنة، فيخشون عليها، والحق أنها ليست كذلك، وما قصدوا بذلك إلا الفرار من القتال.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ} [الأحزاب : ١٣]، أي:" واذكر -أيها النبي- قول طائفة من المنافقين منادين المؤمنين من أهل «المدينة»"(١).

عن مجاهد، قوله: "{وإذ قالت طائفة منهم}، قال: من المنافقين"(٢).

قوله تعالى:{يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا} [الأحزاب : ١٣]، أي:" يا أهل «يثرب» (وهو الاسم القديم «للمدينة») لا إقامة لكم في معركة خاسرة، فارجعوا إلى منازلكم داخل «المدينة»"(٣).

عن قتادة، قوله: "{لا مقام لكم}، قال: لا مقاتل لكم هاهنا، ففروا ودعوا هذا الرجل"(٤).

قال الطبري:" وإذ قال بعضهم: يا أهل يثرب، لا مكان لكم، تقومون فيه، فارجعوا إلى منازلكم، أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: إن ذلك من قيل أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه"(٥).

قال ابن كثير:" { لا مُقَامَ لَكُمْ } أي : هاهنا ، يعنون عند النبي ﷺ في مقام المرابطة ، { فَارْجِعُوا } أي : إلى بيوتكم ومنازلكم"(٦).

قال الزجاج:" هؤلاء كانوا يثبطون المؤمنين عن النبي - ﷺ -"(٧).

عن يزيد بن رومان: "{وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب ... } إلى {فرارا}، يقول: أوس بن قيظي ومن كان على ذلك من رأيه من قومه"(٨).

قال هارون بن موسى: "أمرت رجلا فسأل الحسن رضي الله عنه: {لا مقام لكم} أو {لا مقام لكم}، قال: كلتاهما: الإقامة"(٩).

ويقرأ :«لا مقام لكم»، بفتح الميم، فمن ضم الميم فالمعنى: لا إقامة لكم، تقول: أقمت في البلد إقامة ومقاما. ومن قرأ: «لا مقام لكم»، - بفتح الميم- فالمعنى: لا مكان لكم تقيمون فيه(١٠).

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة هي طابة، هي طابة»(١١).

قوله تعالى:{وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} [الأحزاب : ١٣]، أي:" ويستأذن فريق آخر من المنافقين الرسول ﷺ بالعودة إلى منازلهم بحجة أنها غير محصنة، فيخشون عليها"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٣):ص٣١٢٠/٩.
(٣) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٤):ص٣١٢٠/٩.
(٥) تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٨٩/٦.
(٧) معاني القرآن: ٢١٩/٤.
(٨) أخرجه الطبر]: ٢٢٤/٢٠.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم: ٣١٢٠/٩. الخبر غير مرقم.
(١٠) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢١٩/٤.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٥):ص٣١٢٠/٩.
(١٢) التفسير الميسر: ٤١٩.

قال الطبري: يقول:" ويستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله"(١).

قال السعدي:" وطائفة أخرى دونهم، أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخزلوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة، وهم الذين قال الله فيهم: {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ}، أي: عليها الخطر، ونخاف عليها أن يهجم عليها الأعداء، ونحن غُيَّبٌ عنها، فَأْذَنْ لنا نرجع إليها، فنحرسها، وهم كذبة في ذلك"(٢).

قال الزجاج: {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ}، "أي: معورة، وذلك أنهم قالوا إن بيوتنا مما يلي العدو، ونحن نسرق منها"(٣).

عن مجاهد، قوله: "{إن بيوتنا عورة}، نخاف عليها السرقة"(٤).

قال ابن عباس:" هم بنو حارثة، قالوا: بيوتنا مخلية نخشى عليها السرق"(٥).

قال قتادة:" وإنها مما يلي العدو، وإنا نخاف عليها السراق، فبعث النبي ﷺ، فلا يجد بها عدوا، قال الله: {إن يريدون إلا فرارا} يقول: إنما كان قولهم ذلك {إن بيوتنا عورة} إنما كان يريدون بذلك الفرار"(٦).

عن عبد السلام بن شداد أبو طالوت عن أبيه في هذه الآية :"{إن بيوتنا عورة وما هي بعورة}، قال: ضائعة"(٧).

قوله تعالى:{وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا} [الأحزاب : ١٣]، أي:" ليس الأمر كما يزعمون، ما يريدون بما طلبوا من الرسول صلى الله عليهوسلم إلا الهرب من القتال، والفرار من الجهاد"(٨).

قال الطبري: يقول:" ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٩).

قال ابن كثير:" أي : ليست كما يزعمون ، { إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا } أي : هَرَبًا من الزحف"(١٠).

قال الزجاج:" فكذبهم الله تعالى وأعلم أن قصدهم الهرب والفرار، فقال: {وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا}، أي: ما يريدون تحرزا من سرق، ولكن المنافقين يريدون الفرار عن نصرة النبي عليه السلام"(١١).

ويقرأ: «وَمَا هِيَ بِعَوِرَةٍ»(١٢).

القرآن

{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤)} [الأحزاب : ١٤]

التفسير:

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٠.
(٢) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٣) معاني القرآن: ٢١٩/٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٦)ص:٣١٢٠/٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٠.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٧٣/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٨٩/٦.
(١١) معاني القرآن: ٢١٩/٤-٢٢٠.
(١٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢١٩/٤.

ولو دخل جيش الأحزاب «المدينة» من جوانبها، ثم سئل هؤلاء المنافقون الشرك بالله والرجوع عن الإسلام، لأجابوا إلى ذلك مبادرين، وما تأخروا عن الشرك إلا يسيرًا.

قوله تعالى:{وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا} [الأحزاب : ١٤]، أي:" ولو دخل جيش الأحزاب «المدينة» من جوانبها، "[١].

قال الطبري:" يقول: ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين {إن بيوتنا عورة} من أقطارها، يعني: من جوانبها ونواحيها، ومنه قول الراجز[٢]:

إن شئت أن تدهن أو تمرا ... فولهن قترك الأشرا"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن هؤلاء الذين { يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا } : أنهم لو دَخل عليهم الأعداء من كل جانب من جوانب المدينة ، وقُطر من أقطارها"[٤].

قال السعدي:" لو دخل الكفار إليها من نواحيها، واستولوا عليها -لا كان ذلك-"[٥]

عن الحسن، قوله: "{ولو دخلت عليهم من أقطارها}، قال: من نواحيها"[٦].

عن مجاهد، قوله: "{ولو دخلت عليهم من أقطارها}، قال: من أطرافها"[٧].

عن قتادة:"{ولو دخلت عليهم من أقطارها}، أي: لو دخل عليهم من نواحي المدينة"[٨].

قال ابن زيد:" يقول: لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها"[٩].

قوله تعالى:{ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا} [الأحزاب : ١٤]، أي:" ثم سئل هؤلاء المنافقون الشرك بالله والرجوع عن الإسلام، لأجابوا إلى ذلك مبادرين"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك، لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا"[١١].

قال ابن كثير:" ثم سئلوا الفتنة ، وهي الدخول في الكفر، لكفروا سريعًا"[١٢].

قال الزجاج: " أي: لو قيل: لهم كونوا على المسلمين مظهرين الفتنة لفعلوا ذلك"[١٣].

قال الصابوني:"أي: ثم طلب إليهم أن يكفروا وأن يقاتلوا المسلمين لأعطوها من أنفسهم"[١٤].

قال السعدي:" {ثُمَّ} سئل هؤلاء {الْفِتْنَةَ} أي: الانقلاب عن دينهم، والرجوع إلى دين المستولين المتغلبين {لَآتَوْهَا} أي: لأعطوها مبادرين"[١٥]

عن الحسن، قوله: "{ثم سئلوا الفتنة لآتوها}، قال: لو دعوا إلى الشرك لأجابوا"[١٦].

عن مجاهد، قوله: "{ثم سئلوا الفتنة}، يعني: الشرك"[١٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.

(٢)البيتان من مشطور الرجز. ولم أقف على قائلهما.

(٣) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٨٩/٦-٣٩٠.

(٥) تفسير السعدي: ٦٦٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٧):ص٣١٢٠/٩.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٨):ص٣١٢٠/٩.

(٨) أخرجه الطبر]: ٢٢٧/٢٠.

(٩) أخرجه الطبر]: ٢٢٧/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤١٩.

(١١) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.

(١٣) معاني القرآن: ٢٢٠/٤.

(١٤) صفوة التفاسير: ٤٧٣/٢.

(١٥) تفسير السعدي: ٦٦٠.

(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٧):ص٣١٢٠/٩.

(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦١٨):ص٣١٢٠/٩.

عن قتادة:" {ثم سئلوا الفتنة}: أي: الشرك، {لآتوها}، يقول: لأعطوها"[1].
قال ابن زيد:" {ثم سئلوا الفتنة لآتوها} سئلوا أن يكفروا لكفروا. قال: وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش، والذين يريدون قتالهم، ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا. قال: والفتنة: الكفر، وهي التي يقول الله: {الفتنة أشد من القتل}، أي: الكفر. يقول: يحملهم الخوف منهم، وخبث الفتنة التي هم عليها من النفاق على أن يكفروا به"[2].
ويقرأ بالقصر :«لأتوها»، بمعنى: لقصدوها[3].
قوله تعالى:{وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا} [الأحزاب : ١٤]، أي:" وما تأخروا عن الشرك إلا يسيرًا"[4].
قال الطبري:" يقول: وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا قليلا ولأسرعوا إلى ذلك"[5].
قال ابن كثير:" وهم لا يحافظون على الإيمان ، ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع "[6].
قال السعدي:" أي: ليس لهم منعة ولا تَصلُّبٌ على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم"[7]
قال الصابوني:أي:" لفعلوا ذلك مسرعين، ولم يتأخروا عنه لشدة فسادهم، وذهاب الحق من نفوسهم، فهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع، وهذا ذمٌ لهم في غاية الذم"[8].
فوائد الآيات:[٩-١٤]:
١- مشروعية التذكير بالنعم ليشكرها المذكَّرون بها فتزداد طاعتهم لله ورسوله.
٢- عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضاً صادقاً لا أمثل منه في عرض الأحداث للعبرة.
٣- بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألماً وتعباً على المسلمين.
٤- بيان أن حسن الظن بالله ممدوح، وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق.
٥- بيان مواقف المنافقين الداعية إلى الهزيمة ليكون ذلك درساً للمؤمنين.
٦- تقرير النبوة المحمدية بإخبار الغيب التي أخبر بها رسول الله فكانت كما أخبر من فتح فارس والروم واليمن.

القرآن
{وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)} [الأحزاب : ١٥]
التفسير:
ولقد كان هؤلاء المنافقون عاهدوا الله على يد رسوله من قبل غزوة الخندق، لا يفرُّون إن شهدوا الحرب، ولا يتأخرون إذا دعوا إلى الجهاد، ولكنهم خانوا عهدهم، وسيحاسبهم الله على ذلك، ويسألهم عن ذلك العهد، وكان عهد الله مسؤولا عنه، محاسَبًا عليه.

---
(١) أخرجه الطبر]: ٢٢٧/٢٠.
(٢) أخرجه الطبر]: ٢٢٧/٢٠.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢٠/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٥) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(٧) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٧٣/٢.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ} [الأحزاب : ١٥]، أي:" ولقد كان هؤلاء المنافقون أعطوا ربهم العهود والمواثيق من قبل غزوة الخندق وبعد بدر ألاَّ يفروا من القتال"(١).

قال الطبري: يقول:" ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه، ويقولون: {إن بيوتنا عورة}، عاهدوا الله من قبل ذلك، ألا يولوا عدوهم الأدبار، إن لقولهم في مشهد لرسول الله ﷺ معهم، فما أوفوا بعهدهم"(٢).

قال ابن كثير:" يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ، ألا يولوا الأدبار ولا يفروا من الزحف"(٣).

قال يزيد بن رومان:" وهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هما بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم"(٤).

قال قتادة:" كان ناس غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة"(٥).

عن ابن عباس: "عاهدوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم"(٦).

قوله تعالى:{وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا} [الأحزاب : ١٥]، أي:" وكان عهد الله مسؤولا عنه، محاسَبًا عليه"(٧).

قال السمعاني:" أي: مسئولا عنه"(٨).

قال الزمخشري:" {مسؤلا}: مطلوبا مقتضى حتى يوفى به"(٩).

قال الطبري:" يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : وإن الله تعالى سيسألهم عن ذلك العهد ، لا بد من ذلك"(١١).

القرآن

{قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦)} [الأحزاب : ١٦]

التفسير:

قل -أيها النبي- لهؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار من المعركة خوفًا من الموت أو القتل؛ فإن ذلك لا يؤخر آجالكم، وإن فررتم فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم المحدودة، وهو زمن يسير جدًا بالنسبة إلى الآخرة.

قوله تعالى:{قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ} [الأحزاب : ١٦]، أي:" قل -أيها النبي- لهؤلاء المنافقين: لن ينفعكم الفرار من المعركة خوفًا من الموت أو القتل؛ فإن ذلك لا يؤخر آجالكم"(١).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٧٣/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٠-٢٢٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٠.
(٦) نقلا عن: الكشاف: ٥٢٨/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٦٧/٤.
(٩) الكشاف: ٥٢٨/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {قل} يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون: إن بيوتنا عورة {لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل}، يقول: لأن ذلك، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال، كرهتم أو أحببتم"(٢).

قال ابن كثير:" أخبرهم أن فرَارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ، ولا يطول أعمارهم ، بل ربما كان ذلك سببًا في تعجيل أخذهم غرّة "(٣).

قال الزمخشري:" {لن ينفعكم الفرار} مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل"(٤).

قال مقاتل:أي: "لن تزدادوا على آجالكم"(٥).

قال ابن عباس: "لأن من حضر أجله مات أو قتل"(٦).

قوله تعالى:{وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب : ١٦]، أي:" وإن فررتم فلن تتمتعوا في هذه الدنيا إلا بقدر أعماركم المحدودة، وهو زمن يسير جدًا بالنسبة إلى الآخرة"(٧).

قال الطبري:" يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم"(٨).

قال ابن كثير:" أي : بعد هَرَبكم وفراركم ، { قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى } [النساء : ٧٧]"(٩).

قال مقاتل: يعني: إلى آجالكم القليل، لا تزدادوا عليها شيئا"(١٠).

قال السمعاني:" معناه: إلى منتهى آجالكم"(١١).

قال الزمخشري:" وإن نفعكم الفرار مثلا فمنعتم بالتأخير: لم يكن ذلك التمتيع إلا زمانا قليلا"(١٢).

عن الربيع بن خثيم، قوله: "{وإذا لا تمتعون إلا قليلا}، قال: ما بينهم وبين الأجل"(١٣).

قال قتادة:" وإنما الدنيا كلها قليل"(١٤).

وفي بعض الحكايات: "أن رجلا انهزم في بعض الحروب، فكان يلام على ذلك، ويقرأ عليه هذه الآية: {قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل إذا لا تمتعون إلا قليلا} فقال: ذلك القليل أطلب"(١٥).

وعن بعض المروانية: "أنه مر بحائط مائل فأسرع، فتليت له هذه الآية، فقال: ذلك القليل نطلب"(١٦).

---

(١) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(٤) الكشاف: ٥٢٨/٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٠/٣.
(٦) حكاه عنه الواحدي في الوسيط: ٤٦٣/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤١٩.
(٨) تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٠.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٠/٣.
(١١) تفسير السمعاني: ٢٦٧/٤.
(١٢) الكشاف: ٥٢٨/٣-٥٢٩.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦١٩):ص٣١٢١/٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٠.
(١٥) تفسير السمعاني: ٢٦٧/٤.
(١٦) نقلا عن الكشاف: ٥٢٩/٣.

القرآن

{قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)} [الأحزاب : ١٧]

التفسير:

قل -أيها النبي- لهم: مَن ذا الذي يمنعكم من الله، أو يجيركم مِن عذابه، إن أراد بكم سوءًا، أو أراد بكم رحمة، فإنه المعطي المانع الضارُّ النافع؟ ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله وليًّا يواليهم، ولا نصيرًا ينصرهم.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} [الأحزاب : ١٧]، أي:" قل -أيها النبي- لهم: مَن ذا الذي يمنعكم من الله، أو يجيركم مِن عذابه، إن أراد بكم سوءًا، أو أراد بكم رحمة"(١).

قال الطبري:يقول تعالى:" قل يا محمد، لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون: {إن بيوتنا عورة} هربا من القتل: من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءا في أنفسكم، من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قبله؟"(٢).

قال ابن كثير:" { قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ } أي : يمنعكم"(٣).

قال الصابوني: أي:" إن قدَّر هلاككم ودماركم، أو قدَّر بقاءكم ونصركم؟"(٤).

قال يحيى: { قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ }، أي: "يمنعكم من الله، {إن أراد بكم سوءا}: عذابا، {أو أراد بكم رحمة}: توبة، يعني: المنافقين، كقوله: {ويعذب المنافقين إن شاء} [الأحزاب: ٢٤] يموتون على نفاقهم فيعذبهم {أو يتوب عليهم} [الأحزاب: ٢٤] فيرجعون عن نفاقه"(٥).

وقال السدي: "{اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا} يعني: القتل والهزيمة، { أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً}، يعني: النصر والفتح"(٦).

قال يزيد بن رومان:" أي: أنه ليس الأمر إلا ما قضيت"(٧).

قوله تعالى:{وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب : ١٧]، أي:" ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دون الله وليًّا يواليهم، ولا نصيرًا ينصرهم"(٨).

قال الطبري: يقول:" ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءا في أنفسهم وأموالهم {من دون الله وليا} يليهم بالكفاية، {ولا نصيرا} ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء ذلك"(٩).

قال ابن كثير:" أي : ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا مغيث"(١٠).

القرآن

{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨)} [الأحزاب : ١٨]

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٧٣/٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٧/٢-٧٠٨.
(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٠٧/٢-٧٠٨.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٩) تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.

التفسير:
إن الله يعلم المثبطين عن الجهاد في سبيل الله، والقائلين لإخوانهم: تعالوا وانضموا إلينا، واتركوا محمدًا، فلا تشهدوا معه قتالا؛ فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه، وهم مع تخذيلهم هذا لا يأتون القتال إلا نادرًا؛ رياء وسمعة وخوف الفضيحة.
قوله تعالى:{قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ} [الأحزاب : ١٨]، أي:" إن الله يعلم المثبطين عن الجهاد في سبيل الله"(١).
قال الطبري: يقول:" قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله ﷺ فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقا منهم، وتخذيلا عن الإسلام وأهله"(٢).
قال ابن أبي زمنين:" يأمر بعضهم بعضا بالفرار، وهو التعويق"(٣).
عن يزيد بن رومان: "{قد يعلم الله المعوقين منكم}، أي: أهل النفاق"(٤).
قال مقاتل:" يعنى: عبد الله بن أبى وأصحابه ، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين يوم الخندق فقالوا: ماذا الذي حملكم أن تقتلوا أنفسكم بأيدي أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا، وأنا نشفق عليكم، إنما أنتم إخواننا، ونحن جيرانكم"(٥).
قوله تعالى:{وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} [الأحزاب : ١٨]، أي:" والقائلين لإخوانهم: تعالوا وانضموا إلينا، واتركوا محمدًا، فلا تشهدوا معه قتالا؛ فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه"(٦).
قال الطبري: يقول: {وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ} تعالوا إلينا، ودعوا محمدا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه"(٧).
قال ابن كثير:أي:" والقائلين لإخوانهم ، أي : أصحابهم وعُشَرائهم وخلطائهم { هَلُمَّ إِلَيْنَا} أي : إلى ما نحن فيه من الإقامة في الظلال والثمار"(٨).
قال قتادة:" هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك"(٩).
قال ابن زيد:" هذا يوم الأحزاب، انصرف رجل من عند رسول الله ﷺ، فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا في الشواء والرغيف والنبيذ، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلم إلى هذا، فقد بلغ بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا، فقال: كذبت والذي يحلف به؛ قال -وكان أخاه من أبيه وأمه-: أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم أمرك؛ قال: وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره؛ قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره {قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا}"(١٠).
قال مقاتل:" فأقبل رجلان من المنافقين عبد الله بن أبي، ورجل من أصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، قالوا: لئن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحدا. ما ترجون من محمد، فو الله ما يرفدنا بخير، ولا عنده خير ما هو إلا «أن»

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٢٣٠.
(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣/٣٩٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٨١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/٢٣٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٣٩٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣٠-٢٣١.

«٧» يقتلنا هاهنا وما لكم في صحبته خير، هلم ننطلق إلى إخواننا وأصحابنا -يعنون اليهود-، فلم يزد قول المنافقين للمؤمنين إلا إيمانا وتسليما واحتسابا"[١].

قوله تعالى:{وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب : ١٨]، أي:" وهم مع تخذيلهم هذا لا يأتون القتال إلا نادرًا؛ رياء وسمعة وخوف الفضيحة"[٢].

قال يزيد بن رومان: " أي: إلا دفعا وتعذيرا"[٣].

قال الفراء:" يقول: جبناء عند البأس"[٤].

قال الطبري: " يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيرا، ودفعا عن أنفسهم المؤمنين"[٥].

قال السدي:" يعني: رياء وَسُمْعَةً"[٦].

وقال يحيى:" {ولا يأتون البأس} القتال. {إلا قليلا} بغير حسبة ولا إخلاص"[٧].

قال ابن أبي زمنين:" {ولا يأتون البأس} يعني: القتال {إلا قليلا} أي: بغير حسبة، وإنما قل؛ لأنه كان لغير الله"[٨].

قال مقاتل:" يعني بـ«القليل»: إلا رياء وسمعة من غير احتساب"[٩].

قال النسفي:" أي: يحضرون ساعة رياء يقفون قليلا مقدار ما يرى شهودهم ثم ينصرفون"[١٠].

قال ابن عطية:" {إلا قليلا}، معناه: إلا إتيانا قليلا، وقلّته يحتمل أن يكون لقصر مدته وقلة أزمنته، ويحتمل أن يكون لخساسته وقلة غنائه وأنه رياء وتلميع لا تحقيق"[١١].

عن الحس، في قوله: {ولا يذكرون الله إلا قليلا} [النساء: ١٤٢]، قال: إنما قل إنه كان لغير الله"[١٢].

القرآن

{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩)} [الأحزاب : ١٩]

التفسير:

بُخَلاء عليكم -أيها المؤمنون- بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد؛ حبًا في الحياة وكراهة للموت، فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفًا من القتل وفرارًا منه كدوران عين مَن حضره الموت، فإذا انتهت الحرب وذهب الرعب رموكم بألسنة حداد مؤذية، وتراهم عند قسمة الغنائم بخلاء وحسدة، أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم، فأذهب الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك على الله يسيرًا.

قوله تعالى:{أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} [الأحزاب : ١٩]، أي:" بُخَلاء عليكم -أيها المؤمنون- بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد"[١٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨١/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٠.
(٤) معاني القرآن: ٣٣٨/٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٠.
(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٠٨/٢.
(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٨/٢.
(٨) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٩٣/٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٢/٣.
(١٠) تفسير النسفي: ٢٣/٣.
(١١) المحرر الوجيز: ٣٧٥/٤.
(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٠٨/٢.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٠.

قال الفراء:"أشحة عند الإنفاق على فقراء المسلمين"(١).
قال ابن أبي زمنين:" يقول: لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئا"(٢).
قال ابن كثير:" أي : بخلاء بالمودة ، والشفقة عليكم"(٣).
قال النسفي:" {أشحة}: جمع شحيح، وهو البخيل، نصب على الحال من الضمير في {يأتون}، أي: يأتون الحرب بخلاء {عليكم} بالظفر والغنيمة"(٤).
عن قتادة: "{أشحة عليكم}، في الغنيمة"(٥).
عن مجاهد: "{أشحة عليكم}، قال: بالخير المنافقون"(٦).
عن يزيد بن رومان: "{أشحة عليكم}، أي: للضغن الذي في أنفسهم"(٧).
قال الطبري:" وصف الله هؤلاء المنافقين بالجبن والشح، ولم يخصص وصفهم من معاني الشح، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به: أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله: {أشحة عليكم} على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله: {ولا يأتون البأس}، كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قسم الغنيمة بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قطعا من قوله: {قد يعلم الله المعوقين منكم}، فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس على القتال، ويشحون عند الفتح بالغنيمة، ويجوز أن يكون أيضا قطعا من قوله: هلم إلينا أشحة، وهم هكذا أشحة. ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشح على المؤمنين لما في أنفسهم لهم من العداوة والضغن"(٨).
قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} [الأحزاب : ١٩]، أي:" فإذا حضر القتال خافوا الهلاك ورأيتهم ينظرون إليك، تدور أعينهم لذهاب عقولهم؛ خوفًا من القتل وفرارًا منه كدوران عين مَن حضره الموت"(٩).
قال الطبري: يقول:" فإذا حضر البأس، وجاء القتال خافوا الهلاك والقتل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لواذا بك، تدور أعينهم خوفا من القتل، وفرارا منه كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به"(١٠).
قال النسفي:" {فإذا جاء الخوف} من قبل العدو أو منه عليه السلام {رأيتهم ينظرون إليك} فى تلك الجملة {تدور أعينهم} يمينا وشمالا {كالذى يغشى عليه من الموت} كما ينظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك"(١١).
قال ابن كثير:" أي : من شدة خوفه وجزعه ، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال"(١٢).
عن قتادة: "{فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم}، من الخوف"(١٣).
عن يزيد بن رومان :"{فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت}، أي: إعظاما وفرقا منه"(١٤).

---

(١) معاني القرآن: ٣٣٨/٢.
(٢) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٩٣/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(٤) تفسير النسفي: ٢٣/٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(٨) تفسير الطبري: ٢٣١/٢٠-٢٣٢.
(٩) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(١١) تفسير النسفي: ٢٣/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.

قوله تعالى:{فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} [الأحزاب : ١٩]، أي:" فإذا انتهت الحرب وذهب الرعب رموكم بألسنة حداد مؤذية"[١].

قال الطبري: "يقول: فإذا انقطعت الحرب واطمأنوا عضوكم بألسنة ذربة، يعني: سلقوكم بالأذى، لأن فعلهم ذلك لا شك أنه للمؤمنين أذى"[٢].

قال ابن أبي زمنين:" أي: صاحوا عليكم {بألسنة حداد}، قيل: المعنى: خاطبوكم أشد مخاطبة وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب مسلاق وسلاق إذا كان بليغا"[٣].

قال النسفي:أي: {فإذا} "زال ذلك الخوف وأمنوا وحيزت الغنائم {سلقوكم بألسنة حداد} خاطبوكم مخاطبة شديدة وآذوكم بالكلام خطيب مسلق فصيح ورجل مسلاق مبالغ في الكلام أي يقولون وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : فإذا كان الأمن ، تكلموا كلامًا بليغًا فصيحًا عاليًا ، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة ، وهم يكذبون في ذلك "[٥].

عن قتادة: "{فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد}، أما عند الغنيمة، فأشح قوم وأسوأ مقاسمة، أعطونا أعطونا فإنا قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق"[٦].

وعن ابن عباس، قوله:"{سلقوكم بألسنة حداد}، قال: استقبلوكم"[٧].

عن ابن زيد: "{سلقوكم بألسنة حداد}، قال: كلموكم"[٨].

وعن يزيد بن رومان: "{فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد}، في القول بما تحبون لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده"[٩].

قال مقاتل:" يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه، يقول: {بألسنة حداد}، يعني: ألسنة سليطة باسطة بالشر يقولون أعطونا الغنيمة فقد كنا معكم فلستم بأحق بها منا"[١٠].

قوله تعالى:{أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} [الأحزاب : ١٩]، أي:" وتراهم عند قسمة الغنائم بخلاء وحسدة"[١١].

قال مقاتل:" يعنى: الغنيمة"[١٢].

قال الطبري: " يقول: أشحة على الغنيمة إذا ظفر المؤمنون"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : ليس فيهم خير ، قد جَمَعُوا الجبن والكذب وقلة الخير ، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر [١٤]:

أفي السّلم أعْيَارًا جَفَاءً وغلظَةً... وَفي الحَربْ أمْثَالَ النِّسَاء العَوَارِكِ...

أي : في حال المسالمة كأنهم الحمير. والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار ، وفي الحرب كأنهم النساء الحُيَّض"[١٥].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا} [الأحزاب : ١٩]، أي:" أولئك لم يؤمنوا بقلوبهم"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٩٣/٣-٣٩٤.
(٤) تفسير النسفي: ٢٣/٣-٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩٠/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٠-٢٣٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٠.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٢/٣.
(١١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٢/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(١٤)البيت لهند بنت عتبة ، وهو في السيرة النبوية لابن هشام :٦٥٦/١.
(١٥)تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦ .

قال النسفي:أي:" في الحقيقة بل بالألسنة"[٢].
قال الطبري:يقول: " هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات لم يصدقوا الله ورسوله. ولكنهم أهل كفر ونفاق"[٣].
قوله تعالى:{فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ} [الأحزاب : ١٩]، أي:" فأذهب الله ثواب أعمالهم"[٤].
قال الطبري:" يقول: فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها. وذكر أن الذي وصف بهذه الصفة كان بدريا، فأحبط الله عمله"[٥].
قال النسفي:" أبطل بإضمارهم الكفر ما أظهروه من الأعمال"[٦].
قال مقاتل:" يقول: أبطل جهادهم، لأن أعمالهم خبيثة وجهادهم لم يكن فى إيمان"[٧].
قال ابن زيد:" حدثني أبي أنه كان بدريا، وأن قوله: {فأحبط الله أعمالهم} أحبط الله عمله يوم بدر"[٨].
قوله تعالى:{وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب : ١٩]، أي:" وكان ذلك الإحباط سهلاً هيناً على الله"[٩].
قال مقاتل:" يعنى: حبط أعمالهم {على الله يسيرا}، يعني: هينا"[١٠].
قال الطبري: يقول: "وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيرا"[١١].
قال النسفي:" {وكان ذلك} إحباط أعمالهم {على الله يسيرا} هينا"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : سهلا هينا عنده"[١٣].
فوائد الآيات:[١٥-١٩]:
١- وجوب الوفاء بالعهد إذ نقض العهد من علامات النفاق.
٢- ترك الجهاد خوفاً من القتل عمل غير صالح إذ القتال لا ينقص العمر وتركه لا يزيد فيه.
٣- الشح والجبن من صفات المنافقين وهما شر الصفات في الإنسان.
٤- الثرثرة وكثرة الكلام والتبجح بالأقوال من صفات أهل الجبن والنفاق.
٥- الكفر محبط للأعمال.

القرآن
{يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)} [الأحزاب : ٢٠]
التفسير:
يظن المنافقون أن الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والجبن، ولو عاد الأحزاب إلى «المدينة» لتمنَّى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٢) تفسير النسفي: ٢٤/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٥) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(٦) تفسير النسفي: ٢٤/٣.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٢/٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٠.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٧٤/٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٢/٣.
(١١) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٠.
(١٢) تفسير النسفي: ٢٤/٣.
(١٣)تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦ .

«المدينة» بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.

قوله تعالى:{يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} [الأحزاب : ٢٠]، أي:" يحسب المنافقون -من شدة خوفهم وجبنهم- أن الأحزاب -وهم كفار قريش ومن تحزب معهم- بعد انهزامهم لم ينصرفوا عن المدينة وهم قد انصرفوا"(١).

قال الطبري:" يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب، وهم قريش وغطفان لم ينصرفوا، وإن كانوا قد انصرفوا جبنا وهلعا منهم"(٢).

قال السمعاني:" أي: من الجبن والخوف"(٣).

قال السعدي:" يظنون أن هؤلاء الأحزاب، الذين تحزبوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، لم يذهبوا حتى يستأصلوهم، فخاب ظنهم، وبطل حسبانهم"(٤).

قال ابن كثير:" وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور ، { يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا } بل هم قريب منهم ، وإن لهم عودة إليهم"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{يحسبون الأحزاب لم يذهبوا}، قال: يحسبونهم قريبا"(٦).

عن يزيد بن رومان:"{يحسبون الأحزاب لم يذهبوا}: قريش وغطفان"(٧).

في قراءة عبد الله :« يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا فإذَا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا وَدُّوا لَوْ أنَّهُمْ بادُونَ فِي الأعْرَابِ»(٨).

قوله تعالى:{وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ} [الأحزاب : ٢٠]، أي:" وإن يرجع إليهم الأحزاب كرة ثانية للقتال، لتمنَّى أولئك المنافقون -لشدة جزعهم- أن يكونوا في البادية من الأعراب لا في المدينة معكم حذراً من القتل وتربصاً للدوائر"(٩).

قال الطبري: يقول:" وإن يأت المؤمنين الأحزاب -وهم الجماعة: واحدهم حزب-، يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفا من القتل"(١٠).

قال يحيى:" يود المنافقون.{لو أنهم بادون في الأعراب}، يعني: في البادية مع الأعراب، يودون من الخوف لو أنهم في البدو"(١١).

قال ابن كثير:" أي : ويَوَدّون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية"(١٢).

قال السعدي:" أي: لو أتى الأحزاب مرة ثانية مثل هذه المرة، ودَّ هؤلاء المنافقون، أنهم ليسوا في المدينة، ولا في القرب منها، وأنهم مع الأعراب في البادية"(١٣).

قال السمعاني:" البادون: خلاف الحاضرين، وهم الذين يسكنون البادية، وقولة: {في الأعراب} أي: مع الأعراب"(١٤).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٧٤/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٠.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٦٩/٤.
(٤) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٠.
(٨) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٠.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٧٤/٢.[بتصرف]
(١٠) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٠.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٩/٢.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦.
(١٣) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(١٤) تفسير السمعاني: ٢٦٩/٤.

قوله تعالى:{يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ} [الأحزاب : ٢٠]، أي:" يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم وما وقع لكم"(١).

قال الطبري: "يقول: يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أخباركم بالبادية، هل هلك محمد وأصحابه؟ نقول: يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم، ألا يشهدوا معكم مشاهدكم"(٢).

قال ابن كثير:" يسألون عن أخباركم ، وما كان من أمركم مع عدوكم"(٣).

قال السمعاني:" معنى سؤالهم عن الأخبار هو أن الظفر كان للمشركين، أو لمحمد وأصحابه"(٤).

قال يحيى:" وليس بهم في ذلك إلا الخوف على أنفسهم وعيالهم وأموالهم، لأنهم مع المسلمين قد أظهروا أنهم على الإسلام وهم يتمنون أن يظهر المشركون على المسلمين من غير أن يدخل عليهم في ذلك مضرة"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{يسألون عن أنبائكم}، قال: أخباركم"(٦).

وقرأ عاصم الجحدري :«يساءلون» بتشديد السين، بمعنى: يتساءلون: أي يسأل بعضهم بعضا عن ذلك(٧).

قوله تعالى:{وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب : ٢٠]، أي:" ولو أنهم كانوا بينكم وقت القتال واحتدام المعركة ما قاتلوا معكم إلا قتالاً قليلاً، لجبنهم وذلتهم وحرصهم على الحياة"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا يقول: إلا تعذيرا، لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب"(٩).

قال ابن كثير:" أي : ولو كانوا بين أظهركم ، لما قاتلوا معكم إلا قليلا ؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم"(١٠).

قال السمعاني:" أي: تعذيرا، ومعنى «تعذيرا»، أي: يقاتلون شيئا يسيرا يقيمون به عذرهم، فيقولون قد قاتلنا"(١١).

القرآن

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)} [الأحزاب : ٢١]

التفسير:

لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٠.[بتصرف]
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦.
(٤) تفسير السمعاني: ٢٦٩/٤.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٩/٢.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٠.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٧٤/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦.
(١١) تفسير السمعاني: ٢٦٩/٤-٢٧٠.

قوله تعالى:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب : ٢١]، أي:" لقد كان لكم -أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته"[١].

قال الطبري:" وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله ﷺ وعسكره بالمدينة، من المؤمنين به، يقول لهم جل ثناؤه: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة}: أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلفوا عنه"[٢].

قال السمعاني:" أي: قدوة حسنة، والتأسي: هو الإقتداء، وإنما ذكر الأسوة ها هنا حتى ينصروا ويصبروا على ما يصيبهم، كما فعل رسول الله فإنه كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في جبهته، وكسرت البيضة على رأسه، وقتل عمه فلم يفتر في أمر الله، وصبر على جميع ذلك"[٣].
ذلك"[٣].

قال السعدي:" حيث حضر الهيجاء بنفسه الكريمة، وباشر موقف الحرب، وهو الشريف الكامل، والبطل الباسل، فكيف تشحون بأنفسكم، عن أمر جاد رسول الله ﷺ، بنفسه فيه؟ فَتَأَسَّوْا به في هذا الأمر وغيره"[٤].

قال ابن كثير:" هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه ، عز وجل ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } أي : هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ؟"[٥].

قال يزيد بن رومان: "ثم أقبل على المؤمنين، فقال: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر} ألا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به"[٦].

وقرئ: «إسوة» بكسر الألف[٧].

قوله تعالى:{لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب : ٢١]، أي:" فإنما يسلكها ويتأسى بها مَن كان يرجو الله واليوم الآخر"[٨].

قال الطبري:يقول: " فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو"[٩].

قال السمعاني: أي: يرجو ثواب الله، وقيل: لمن كان يخشى الله واليوم الآخر، والرجاء يكون بمعنى الخشية، وقد يكون بمعنى الطمع"[١٠].

قوله تعالى:{وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب : ٢١]، أي:" وأكثرَ مِن ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال"[١١].

قال الطبري: "يقول: وأكثر ذكر الله في الخوف والشدة والرخاء"[١٢].

قال السمعاني:" أي: في جميع المواطن على السراء والضراء"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٠.
(٣) تفسير السمعاني: ٢٧٠/٤.
(٤) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩١/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٩) تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٠.
(١٠) تفسير السمعاني: ٢٧٠/٤.
(١١) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٠.
(١٣) تفسير السمعاني: ٢٧٠/٤.

قال يحيى:" وهذا الذكر تطوع، ليس فيه وقت"[١].

القرآن

{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)} [الأحزاب : ٢٢]

التفسير:

ولمَّا شاهد المؤمنون الأحزاب الذين تحزَّبوا حول «المدينة» وأحاطوا بها، تذكروا أن موعد النصر قد قرب، فقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، من الابتلاء والمحنة والنصر، فأنجز الله وعده، وصدق رسوله فيما بشَّر به، وما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لقضائه وانقيادًا لأمره.

قوله تعالى:{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} [الأحزاب : ٢٢]، أي:" ولمَّا شاهد المؤمنون الأحزاب الذين تحزَّبوا حول «المدينة» وأحاطوا بها، تذكروا أن موعد النصر قد قرب، فقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، من الابتلاء والمحنة والنصر، فأنجز الله وعده، وصدق رسوله فيما بشَّر به"[٢].

قال الطبري: " يقول: ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا -تسليما منهم لأمر الله، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ... } إلى قوله: {قريب} – {هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله}"[٣].

قال ابن كثير:" أي: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب"[٤].

قال ابن عباس:" ذلك أن الله قال لهم في سورة البقرة: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ... } إلى قوله: {إن نصر الله قريب}، قال: فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب في الخندق، تأول المؤمنون ذلك، ولم يزدهم ذلك إلا إيمانا وتسليما"[٥].

قال قتادة:" وكان الله قد وعدهم في سورة البقرة فقال: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه} خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله {متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}، هذا والله البلاء والنقص الشديد، وإن أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء {قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما}.."[٦].

قوله تعالى:{وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب : ٢٢]، أي:" وما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانًا بالله وتسليمًا لقضائه وانقيادًا لأمره"[٧].

قال الطبري: " فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله وتسليما لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء"[٨].

قال قتادة:" وتصديقا بما وعدهم الله، وتسليما لقضاء الله"[٩].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٩/٢.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٣) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٩٢/٦.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠-٢٣٧.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٠.
(٨) تفسير الطبري: ٢٣٦/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠-٢٣٧.

قال يزيد بن رومان: "ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به: {قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما}: أي صبرا على البلاء، وتسليما للقضاء، وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله"(١).

قال ابن كثير:" { وَمَا زَادَهُمْ } أي : ذلك الحال والضيق والشدة ما زادهم { إِلا إِيمَانًا } بالله ، { وَتَسْلِيمًا } أي : انقيادا لأوامره ، وطاعة لرسوله ، وقوله :{وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} : دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم ، كما قاله جمهور الأئمة : إنه يزيد وينقص"(٢).

القرآن

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣)} [الأحزاب : ٢٣]

التفسير:

من المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس: فمنهم من وَفَّى بنذره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء، ومنهم مَن ينتظر إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وما غيَّروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدَّلوه، كما غيَّر المنافقون.

سبب النزول:

عن أنس، "أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر، فقال: تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ، لئن رأيت قتالا ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد، وهزم الناس، لقي سعد بن معاذ فقال: والله إني لأجد ريح الجنة، فتقدم فقاتل حتى قتل، فنزلت فيه هذه الآية: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ}"(٣).

عن حميد، قال: "زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالا ليرين الله ما أصنع؛ فلما كان يوم أحد، انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، فمشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، إني لأجد ريح الجنة دون أحد، فقال سعد: يا رسول الله، فما استطعت أن أصنع ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع ثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، قال أنس: فكنا نتحدث أن هذه الآية : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ}، نزلت فيه، وفي أصحابه"(٤).

قوله تعالى:{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب : ٢٣]، أي:" من المؤمنين رجال أوفوا بعهودهم مع الله تعالى، وصبروا على البأساء والضراء وحين البأس"(٥).

قال الطبري: يقول:" {من المؤمنين} بالله ورسوله {رجال} أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء، وحين البأس"(٦).

قال الصابوني:"أي: ولقد كان من أولئك المؤمنين رجالٌ صاقدون، نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا"(٧).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٣٦/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٢/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٠-٢٤٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٦) تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٠.
(٧) صفوة التفاسير: ٤٧٨/٢.

قال ابن كثير:" لمَّا ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار ، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق"(١).

قال يزيد بن رومان: " أي: وفوا الله بما عاهدوه عليه"(٢).

قوله تعالى:{فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ} [الأحزاب : ٢٣]، أي:" فمنهم من وَفَّى بنذره، فاستشهد في سبيل الله، أو مات على الصدق والوفاء"(٣).

قال الطبري: يقول: "فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أحد، وبعض في غير ذلك من المواطن"(٤).

قال السعدي:" أي: إرادته ومطلوبه، وما عليه من الحق، فقتل في سبيل الله، أو مات مؤديًا لحقه، لم ينقصه شيئًا"(٥).

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- :"{فمنهم من قضى نحبه}، قال: الموت على ما عاهدوا الله عليه"(٦).

عن السدي:{فمنهم من قضى نحبه}، يعني: أتم أجله"(٧).

قال يزيد بن رومان:" أي: فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد"(٨).

عن مجاهد: "{فمنهم من قضى نحبه}، قال: عهده فقتل أو عاش"(٩).

عن الحسن، قوله: {فمنهم من قضى نحبه}، قال: موته على الصدق والوفاء"(١٠).

عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قوله: "{فمنهم من قضى نحبه}، قال: مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان"(١١).

قال يحيى:" وبعضهم يقول:{فمنهم من قضى نحبه}: أجله، يعني: من قتل يومئذ: حمزة وأصحابه"(١٢).

عن عيسى بن طلحة: "أن أعرابيا أتى النبي ﷺ، فسأله: من الذين قضوا نحبهم؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران، فقال: "هذا من الذين قضوا نحبهم"(١٣).

عن موسى بن طلحة، قال: "قام معاوية بن أبي سفيان، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طلحة ممن قضى نحبه»"(١٤).

موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة قال: لما قدمنا من أحد وصرنا بالمدينة، صعد النبي ﷺ المنبر، فخطب الناس وعزاهم، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر، ثم قرأ: {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... } الآية، قال: فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، من هؤلاء؟ فالتفت وعلي ثوبان أخضران، فقال: "أيها السائل هذا منهم"."(١٥).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٩٣/٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٤) تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٠.
(٥) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٤٣):ص٣١٢٥/٩.
(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٠/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٠.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٤٥):ص٣١٢٥/٩.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧١٠/٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠-٢٣٩.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٠.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٠-٢٤١.

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} [الأحزاب : ٢٣]، أي:" ومنهم مَن ينتظر إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة"(١).
قال يزيد بن رومان:" {ومنهم من ينتظر} ما وعد الله من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه"(٢).
عن مجاهد:"{ومنهم من ينتظر} يوما فيه جهاد، فيقضي {نحبه}عهده، فيقتل أو يصدق في لقائه"(٣).
عن الحسن، قوله:{ومنهم من ينتظر} الموت على مثل ذلك"(٤).
قال ابن عباس -رضي الله عنهما- :"{ومنهم من ينتظر} على ذلك"(٥). وروي عن ابن عمر نحوه(٦).
قال الطبري: يقول: "{ومنهم من ينتظر} قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوه"(٧).
قال السعدي:" {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} تكميل ما عليه، فهو شارع في قضاء ما عليه، ووفاء نحبه ولما يكمله، وهو في رجاء تكميله، ساع في ذلك، مجد"(٨).
قوله تعالى:{وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب : ٢٣]، أي:" وما غيَّروا عهدهم الذي عاهدوا عليه ربهم أبداً"(٩).
قال الطبري: يقول:" وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييرا، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم: هلم إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة"(١٠).
قال ابن كثير:" أي : وما غيروا عهد الله ، ولا نقضوه ولا بدلوه"(١١).
قال السعدي:" {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا} كما بدل غيرهم، بل لم يزالوا على العهد، لا يلوون، ولا يتغيرون، فهؤلاء، الرجال على الحقيقة، ومن عداهم، فصورهم صور رجال، وأما الصفات، فقد قصرت عن صفات الرجال"(١٢).
قال قتادة:" يقول: ما شكوا وما ترددوا في دينهم، ولا استبدلوا به غيره"(١٣).
عن ابن عمر -رضي الله عنهما-:"ولم يغيروا كما غير المنافقون"(١٤).
قال ابن زيد:" لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون"(١٥).
قال السدي:"{وما بدلوا تبديلا} كما بدل المنافقون"(١٦).
خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبيه، قال :" لما نسخنا الصُحُف، فَقَدْتُ آيةً من "سورة الأحزاب" كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة بن ثابت

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٤٣):ص٣١٢٥/٩.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٦٤٥):ص٣١٢٥/٩.
(٧) تفسير الطبري: ٢٣٧/٢٠.
(٨) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٧٩/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٩٣/٦.
(١٢) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٢٤١.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٤٥):ص٣١٢٥/٩.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٢٤١.
(١٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٠/٢.

الأنصاري - الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين - : { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}"[1].

القرآن

{لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)} [الأحزاب : ٢٤]

التفسير:

ليثيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم وبلائهم وهم المؤمنون، ويعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، بأن لا يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت، فيموتوا على الكفر، فيستوجبوا النار، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، إن الله كان غفورًا لذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا، رحيمًا بهم؛ حيث وفقهم للتوبة النصوح.

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ} [الأحزاب : ٢٤]، أي:" ليثيب الله أهل الصدق بسبب صدقهم وبلائهم وهم المؤمنون"[2].

قال الطبري:" يقول: ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه، ووفائهم له به"[3].

قال السعدي:" أي: بسبب صدقهم، في أقوالهم، وأحوالهم، ومعاملتهم مع الله، واستواء ظاهرهم وباطنهم، قال الله تعالى: {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ [ص:٦٦٢] صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} الآية، أي: قدرنا ما قدرنا، من هذه الفتن والمحن، والزلازل، ليتبين الصادق من الكاذب، فيجزي الصادقين بصدقهم"[4].

قال ابن كثير:" يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب ، فيظهر أمر هذا بالفعل ، وأمر هذا بالفعل ، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم ، حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، كما قال تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } [محمد : ٣١] ، فهذا علم بالشيء بعد كونه ، وإن كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده. وكذا قال تعالى : { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ } [آل عمران : ١٧٩]. ولهذا قال هاهنا : { لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ } أي : بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه ، وقيامهم به ، ومحافظتهم عليه"[5].

قوله تعالى:{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} [الأحزاب : ٢٤]، أي:" ويعذب المنافقين إن شاء تعذيبهم، بأن لا يوفقهم للتوبة النصوح قبل الموت، فيموتوا على الكفر، فيستوجبوا النار، أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة والإنابة"[6].

قال الطبري:معناه:" ويعذب المنافقين- بكفرهم بالله ونفاقهم- بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء، فيستوجبوا بذلك العذاب، {أو يتوب عليهم} من نفاقهم، فيهديهم للإيمان"[7].

قال ابن كثير:" { وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ }:وهم الناقضون لعهد الله ، المخالفون لأوامره ، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا ، إن شاء استمر بهم على ما

---

(١)صحيح البخاري برقم (٤٧٨٤) والمسند (١٨٨/٥) وسنن الترمذي برقم (٣١٠٤)، وقال: "حسن صحيح". وأخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٠١).

(٢) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٠.

(٤) تفسير السعدي: ٦٦٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٤١/٢٠.[بتصرف]

فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه ، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان ، وعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان. ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه "[١].

قال السعدي:" {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ} الذين تغيرت قلوبهم وأعمالهم، عند حلول الفتن، ولم يفوا بما عاهدوا الله عليه. {إِنْ شَاءَ} تعذيبهم، بأن لم يشأ هدايتهم، بل علم أنهم لا خير فيهم، فلم يوفقهم، {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} بأن يوفقهم للتوبة والإنابة، وهذا هو الغالب، على كرم الكريم"[٢].

قال قتادة:" يقول: إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٢٤]، أي:" إن الله كان غفورًا لذنوب المسرفين على أنفسهم إذا تابوا، رحيمًا بهم؛ حيث وفقهم للتوبة النصوح"[٤].

قال الطبري:" يقول: إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين، رحيما بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة"[٥].

قال السعدي:" ولهذا ختم الآية باسمين دالين على المغفرة، والفضل، والإحسان فقال: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رحيمًا} غفورًا لذنوب المسرفين على أنفسهم، ولو أكثروا من العصيان، إذا أتوا بالمتاب. {رَحِيمًا} بهم، حيث وفقهم للتوبة، ثم قبلها منهم، وستر عليهم ما اجترحوه"[٦].

القرآن

{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)} [الأحزاب : ٢٥]

التفسير:

وردَّ الله أحزاب الكفر عن «المدينة» خائبين خاسرين مغتاظين، لم ينالوا خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة، وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب. وكان الله قويًا لا يُغالَب ولا يُقْهَر، عزيزًا في ملكه وسلطانه.

قوله تعالى:{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا} [الأحزاب : ٢٥]، أي:" وردَّ الله أحزاب الكفر عن «المدينة» خائبين خاسرين مغتاظين، لم ينالوا خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة"[٧].

قال الطبري: يقول:" ورد الله الذين كفروا} به وبرسوله من قريش وغطفان بكربهم وغمهم، بفوتهم ما أملوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا طمعوا فيه من الغلبة لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارا"[٨].

قال السعدي:" أي: ردهم خائبين، لم يحصل لهم الأمر الذي كانوا حنقين عليه، مغتاظين قادرين عليه جازمين، بأن لهم الدائرة، قد غرتهم جموعهم، وأعجبوا بتحزبهم، وفرحوا بِعَدَدِهِمْ وعُدَدِهِمْ، فأرسل الله عليهم، ريحًا عظيمة، وهي ريح الصبا، فزعزعت مراكزهم، وقوَّضت خيامهم، وكفأت قدورهم وأزعجتهم، وضربهم الله بالرعب، فانصرفوا بغيظهم، وهذا من نصر الله لعباده المؤمنين"[٩].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٩٥/٦.
(٢) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٥) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٠.
(٦) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٨) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٠.
(٩) تفسير السعدي: ٦٦٠.

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن الأحزاب لما أجلاهم عن المدينة ، بما أرسل عليهم من الريح والجنود الإلهية ، ولولا أن جعل الله رسوله رحمة للعالمين ، لكانت هذه الريح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد ، ولكن قال الله تعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال : ٣٣] ، فسلط عليهم هواء فرق شملهم ، كما كان سبب اجتماعهم من الهَوَى ، وهم أخلاط من قبائل شتى ، أحزاب وآراء ، فناسب أن يرسل عليهم الهواء الذي فرق جماعتهم ، وردهم خائبين خاسرين بغيظهم وحَنَقهم ، لم ينالوا خيرًا لا في الدنيا ، مما كان في أنفسهم من الظفر والمغنم ، ولا في الآخرة بما تحملوه من الآثام في مبارزة الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، بالعداوة ، وهمهم بقتله ، واستئصال جيشه ، ومَنْ هَمّ بشيء وصَدق هَمَّه بفعله ، فهو في الحقيقة كفاعله"[١].

عن مجاهد، قوله :"{ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا}: الأحزاب"[٢].

قال يزيد بن رومان: "أي: قريش وغطفان"[٣].

قال قتادة:" وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب، رد الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيرا"[٤].

عن السدي:" {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا}:، قال: أبو سفيان وأصحابه، {لم ينالوا خيرا}، قال: لم يصيبوا من محمد ﷺ وأصحابه ظفرا"[٥].

قوله تعالى:{وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} [الأحزاب : ٢٥]، أي:" وكفى الله المؤمنين القتال بما أيدهم به من الأسباب"[٦].

قال الطبري: يقول:" {وكفى الله المؤمنين القتال} بجنود من الملائكة والريح التي بعثها عليهم"[٧].

قال السعدي: أي: " بما صنع لهم من الأسباب العادية والقدرية"[٨].

قال ابن كثير:" أي : لم يحتاجوا إلى منازلتهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم ، بل كفى الله وحده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ :«لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده»[٩]"[١٠].

وعن سليمان بن صُرَد، قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : "الآن نغزوهم ولا يغزونا"[١١].

قال قتادة:" {وكفى الله المؤمنين القتال} بالجنود من عنده، والريح التي بعث عليهم"[١٢].

قال السدي:" انهزموا بالريح من غير قتال"[١٣].

وعن عبد الله بن أبي أَوْفى قال : دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال : "اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب. اللهم ، اهزمهم وزلزلهم"[١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/٣٩٥-٣٩٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٤٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٤٢.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٤٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٤٧):ص٩/٣١٢٥-٣١٢٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/٢٤٢.
(٨) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٩)صحيح البخاري برقم (٤١١٤) وصحيح مسلم برقم (٢٧٢٤) باختلاف في اللفظ.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٣٩٥-٣٩٦.
(١١)المسند (٤/٢٦٢) وصحيح البخاري برقم (٤١٠٩).
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٤٢.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٤٧):ص٩/٣١٢٥-٣١٢٦.
(١٤)صحيح البخاري برقم (٢٩٣٣) وصحيح مسلم برقم (١٧٤٢).

قال العز بن عبدالسلام:" {وَكَفَى اللَّهُ المؤمنين القتال} بالريح والملائكة، أو بعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه"[١].

حكى سفيان الثوري عن زيد عن مرة قال:" أقرأنا ابن مسعود هذا الحرف: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}، بعلي بن أبي طالب"[٢].

قال أبو سعيد الخدري: "حبسنا يوم الخندق عن الصلاة، فلم نصل الظهر، ولا العصر، ولا المغرب، ولا العشاء، حتى كان بعد العشاء بهوي كفينا، وأنزل الله: {وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا}، فأمر رسول الله ﷺ بلالا فأقام الصلاة، وصلى الظهر، فأحسن صلاتها، كما كان يصليها في وقتها، ثم صلى العصر كذلك، ثم صلى المغرب كذلك، ثم صلى العشاء كذلك، جعل لكل صلاة إقامة، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف: {فإن خفتم فرجالا أو ركبانا}"[٣].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب : ٢٥]، أي:" وكان الله قويًا لا يُغالَب ولا يُقْهَر، عزيزًا في ملكه وسلطانه"[٤].

قال الطبري:" يقول: وكان الله قويا على فعل ما يشاء فعله بخلقه، فينصر من شاء منهم على من شاء أن يخذله، لا يغلبه غالب؛ {عزيزا}: يقول: هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : بحوله وقوته ، ردهم خائبين ، لم ينالوا خيرًا ، وأعز الله الإسلام وأهله وصدق وعده ، ونصر رسوله وعبده ، فله الحمد والمنة"[٦].

قال السعدي: أي: " لا يغالبه أحد إلا غُلِبَ، ولا يستنصره أحد إلا غَلَبَ، ولا يعجزه أمر أراده، ولا ينفع أهل القوة والعزة، قوتهم وعزتهم، إن لم يعنهم بقوته وعزته"[٧].

قال قتادة:" قويا في أمره، عزيزا في نقمته"[٨].

فوائد الآيات:[٢٠-٢٥]:

١- تقرير أن الكفر والنفاق صاحبهما لا يفارقه الجبن والخور والشح والبخل.

٢- وجوب الائتساء برسول الله في كل ما يطيقه العبد المسلم ويقدر عليه.

قال السعدي:" واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به. فالأسوة نوعان:

- أسوة حسنة.
- وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، كقول الكفار حين دعتهم الرسل للتأسِّي بهم {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ}"[٩].

٣- ثناء الله تعالى على المؤمنين الصادقين لمواقفهم المشرفة ووفائهم بعهودهم.

---

(١) تفسير العز بن عبدالسلام: ٥٦٨/٢.
(٢) النكت والعيون: ٣٩١/٤. والدر المنثور:٥٩٠/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر، وانظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٦٤٩):ص٣١٢٦/٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٠-٢٤٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٥) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٩٦/٦.
(٧) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.
(٩) تفسير السعدي: ٦٦٠.

٤- ذم الانهزاميين الناكثين لعهودهم الجبناء من المنافقين وضعاف الإيمان.
٥- بيان الحكمة في غزوة الأحزاب، {ليجزي الله الصادقين.....}الآية.

القرآن

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)} [الأحزاب : ٢٦]

التفسير:

وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين، وألقى في قلوبهم الخوف فهُزموا، تقتلون منهم فريقًا، وتأسرون فريقًا آخر.

قوله تعالى:{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ} [الأحزاب : ٢٦]، أي:" وأنزل الله يهود بني قريظة من حصونهم؛ لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين"(١).

قال الطبري: يقول:" وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه-وهم بني قريظة-، من حصونهم"(٢).

قال السعدي:" أي: أنزلهم من حصونهم، نزولا مظفورًا بهم، مجعولين تحت حكم الإسلام، وكانت هذه الطائفة من أهل الكتاب، هم بنو قريظة من اليهود، في قرية خارج المدينة، غير بعيدة، وكان النبي ﷺ، حين هاجر إلى المدينة، وادعهم، وهادنهم، فلم يقاتلهم ولم يقاتلوه، وهم باقون على دينهم، لم يغير عليهم شيئًا. فلما رأوا يوم الخندق، الأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله وكثرتهم، وقلة المسلمين، وظنوا أنهم سيستأصلون الرسول والمؤمنين، وساعد على ذلك، تدجيل بعض رؤسائهم عليهم، فنقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، ومالؤوا المشركين على قتاله، فلما خذل الله المشركين، تفرغ رسول الله ﷺ، لقتالهم، فحاصرهم في حصنهم، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتغنم أموالهم، فأتم الله لرسوله والمؤمنين، المنة، وأسبغ عليهم النعمة، وأَقَرَّ أعينهم، بخذلان من انخذل من أعدائهم، وقتل من قتلوا، وأسر من أسروا، ولم يزل لطف الله بعباده المؤمنين مستمرًا"(٣).

عن مجاهد: "{وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب}، قال: قريظة، يقول: أنزلهم من صياصيهم"(٤)، "قال: قصورهم"(٥).

عن عكرمة: "{من صياصيهم}، قال: من حصونهم"(٦).

قال قتادة:" أي من حصونهم وآطامهم"(٧).

قال يزيد بن رومان:" الصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها"(٨).

قال ابن زيد:" الصياصي: حصونهم التي ظنوا أنها مانعتهم من الله تبارك وتعالى"(٩).

قال القاسم بن سلام:" {من صياصيهم}، يعني: من حصونهم بلغة قيس عيلان"(١٠).

قال الفراء:" {من صياصيهم}: من حصونهم. وواحدتها: صيصية، وهي طرف القرن والجبل"(١١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٤٣/٢٠.[بتصرف]
(٣) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٠.
(١٠) لغات القبائل الرواردة في القرآن الكريم: ٩.
(١١) معاني القرآن: ٣٤٠/٢.

قال أبوعبيدة:" {الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ}، أي: عاونوهم وهو من التظاهر، {مِنْ صَيَاصِيهِمْ}، أي: من حصونهم وأصولهم، يقال: جذّ الله صيصة فلان، أي: أصله، وهى أيضا: شوك الحاكة، قال[١]:

وما راعنى إلّا الرماح تنوشه ... كوَقْعِ الصَّياصِيْ في النسيجِ المُمَدَّدِ

وهى: شوكتا الديك، وهى: قرن البقرة أيضا"[٢].

قال ابن قتيبة:" {من صياصيهم} أي من حصونهم. وأصل «الصياصي»: قرون البقر؛ لأنها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها. فقيل للحصون: صياصي، لأنها تمنع"[٣].

قال الزجاج:" يعنى به بنو قريظة، ومعنى {ظاهروهم}: عاونوهم على النبي - صلى الله عليه وسلم –.. ومعنى الصياصى كل ما يمتنع به، والصياصي ههنا الحصون، وقيل القصور، والقصور قد يتحصن فيها، والصياصي: قرون البقر والظباء وكل قرن صيصية، لأن ذوات القرون يتحصن بقرونها وتمتنع بها، وصيصة الديك شوكته لأنه يتحصن بها أيضا"[٤].

قال قتادة:" وهم: بنو قريظة، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه، فنكثوا العهد الذي بينهم وبين نبي الله، قال: فبينا رسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش يغسل رأسه، وقد غسلت شقه، إذ أتاه جبرائيل ﷺ، فقال: عفا الله عنك؛ ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة، فانهض إلى بني قريظة، فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبلبال؛ قال: فاستلأم رسول الله ﷺ، ثم سلك سكة بني غنم، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب؛ قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصروهم وناداهم: «يا إخوان القردة»، فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنت فحاشا، فنزلوا على حكم ابن معاذ، وكان بينهم وبين قومه حلف، فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة، وأومأ إليهم أبو لبابة إنه الذبح، فأنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون}، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى ذراريهم، وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال قومه وعشيرته: آثرت المهاجرين بالعقار علينا قال: فإنكم كنتم ذوي عقار، وإن المهاجرين كانوا لا عقار لهم. وذكر لنا أن رسول الله ﷺ كبر وقال: «قضى فيكم بحكم الله»"[٥].
الله»"[٥].

قال ابن كثير:" قد تقدم أن بني قريظة لما قدمت جنود الأحزاب ، ونزلوا على المدينة ، نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد ، وكان ذلك بسفارة حُيَيّ بن أخطب النَّضَري - لعنه الله - دخل حصنهم ، ولم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد ، وقال له فيما قال : ويحك ، قد جئتك بعز الدهر ، أتيتك بقريش وأحابيشها ، وغطفان وأتباعها ، ولا يزالون هاهنا حتى يستأصلوا محمدا وأصحابه. فقال له كعب : بل والله أتيتني بذُلِّ الدهر. ويحك يا حيي ، إنك مشؤوم ، فدعنا منك. فلم يزل يفتل في الذِّروة والغَارب حتى أجابه ، واشترط له حُيي إن ذهب الأحزاب ، ولم يكن من أمرهم شيء ، أن يدخل معهم في الحصن ، فيكون له أسوتهم. فلما نَقَضت قريظةُ ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، ساءه ، وَشَقَّ عليه وعلى المسلمين جدًّا ، فلما أيد الله ونَصَر ، وكبت الأعداء وردَّهم خائبين بأخسر صفقة ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيدا منصورا ، ووضع الناس السلاح. فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة إذ تبدى له جبريل معتجرا بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوضَعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : "نعم". قال : لكن الملائكة لم تضع أسلحتها ، وهذا الآن

---

(١)لدريد بن الصمة في "ديوانه" ص ٦٣، "تهذيب اللغة" ١٢/ ٢٦٦، (صيص)، "لسان العرب" ٦/ ٣٦١ (نوش)، ٧/ ٥٢ (صيص)، ١٠/ ١٩٣ (شيق)، ١٤/ ٤٧٣ (صيا)، كتاب "العين" ٧/ ١٧٦.

ورواية الصدر في تلك المصادر:" فجئت إليه والرماح تنوشه".

وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٤٢، والمخصص ١٢/ ٢٦٠.

(٢) مجاز القرآن: ١٣٦/٢.

(٣) غريب القرآن: ٣٤٩.

(٤) معاني القربن: ٢٢٣/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠-٢٤٤.

رجوعي من طلب القوم. ثم قال : إن الله يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة. وفي رواية فقال له : عذيرَك من مقاتل ، أوضعتم السلاح ؟ قال : "نعم". قال : لكنا لم نضع أسلحتنا بعد ، انهض إلى هؤلاء. قال : "أين ؟". قال : بني قريظة ، فإن الله أمرني أن أزلزل عليهم. فنهض رسول الله ﷺ من فوره ، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة ، وكانت على أميال من المدينة ، وذلك بعد صلاة الظهر ، وقال : "لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة". فسار الناس ، فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فصلى بعضهم في الطريق وقالوا : لم يرد منا رسول الله ﷺ إلا تعجيل السير ، وقال آخرون : لا نصليها إلا في بني قريظة. فلم يُعَنِّف واحدا من الفريقين. وتبعهم رسول الله ﷺ ، وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب. ثم نازلهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحال ، نزلوا على حكم سعد بن معاذ - سيد الأوس - لأنهم كانوا حلفاءهم في الجاهلية ، واعتقدوا أنه يحسن إليهم في ذلك ، كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول في مواليه بني قينقاع ، حين استطلقهم من رسول الله ﷺ ، فظن هؤلاء أن سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن أبي في أولئك ، ولم يعلموا أن سعدا ، رضي الله عنه ، كان قد أصابه سهم في أكحَله أيام الخندق ، فكواه رسول الله ﷺ في أكحله ، وأنزله في قبة في المسجد ليعوده من قريب. وقال سعد فيما دعا به : اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها. وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها ولا تمتني حتى تُقرّ عيني من بني قريظة. فاستجاب الله دعاءه ، وقَدّر عليهم أن نزلوا على حكمه باختيارهم طلبا من تلقاء أنفسهم ، فعند ذلك استدعاه رسول الله ﷺ من المدينة ليحكم فيهم ، فلما أقبل وهو راكب على حمار قد وطَّؤوا له عليه ، جعل الأوس يلوذون به ويقولون : يا سعد ، إنهم مواليك ، فأحسن فيهم. ويرققونه عليهم ويعطفونه ، وهو ساكت لا يرد عليهم. فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فعرفوا أنه غير مستبقيهم ، فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : "قوموا إلى سيدكم". فقام إليه المسلمون ، فأنزلوه إعظاما وإكراما واحتراما له في محل ولايته ، ليكون أنفذ لحكمه فيهم. فلما جلس قال له رسول الله ﷺ : "إن هؤلاء - وأشار إليهم - قد نزلوا على حكمك ، فاحكم فيهم بما شئت". قال : وحكمي نافذ عليهم ؟ قال : "نعم". قال : وعلى مَنْ في هذه الخيمة ؟ قال : "نعم". قال : وعلى مَنْ هاهنا. - وأشار إلى الجانب الذي فيه رسول الله ﷺ - وهو معرض بوجهه عن رسول الله ﷺ إجلالا وإكرامًا وإعظامًا - فقال له رسول الله ﷺ : "نعم". فقال : إني أحكم أن تقتل مُقَاتلتهم ، وتُسبْى ذريتهم وأموالهم. فقال له رسول الله ﷺ : "لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"[(١)]. وفي رواية : "لقد حكمتَ بحكم المَلك". ثم أمر رسول الله ﷺ بالأخاديد فَخُدّت في الأرض ، وجيء بهم مكتفين ، فضرب أعناقهم ، وكانوا ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة ، وسبى مَنْ لم يُنبت منهم مع النساء وأموالهم[(٢)]، وهذا كله مقرر مفصل بأدلته وأحاديثه وبسطه في كتاب السيرة، الذي أفردناه موجزا ومقتصًا. ولله الحمد والمنة"[(٣)].

أخرج الطبري بسنده عن ابن إسحاق، قال: "لما انصرف رسول الله ﷺ عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري: "معتجرا بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج؛ فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، ما رجعت

---

(١)رواه ابن إسحاق في السيرة كما في البداية والنهاية (١٢٣/٤) من طريق عاصم بن عمر ، عن عبد الرحمن بن عمر ، عن علقمة بن وقاص قال : قال رسول الله ﷺ فذكره ، وأظن في السند خطأ. ورواه ابن سعد في الطبقات (٤٢٦/٣) من طريق محمد بن صالح التمار ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه سعد بن أبي وقاص مرفوعا بلفظ : "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات" ، وأصله في صحيح البخاري من دون قوله : "فوق سبع سموات" برقم (٣٠٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام :٢٣٩/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٩٧/٦-٣٩٨.

الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إلى بني قريظة"، فأمر رسول الله ﷺ مناديا، فأذن في الناس: "إن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة"، وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ منهم فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخباث، قال: "لم؟ أظنك سمعت لي منهم أذى" قال: نعم يا رسول الله، قال: "لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا" فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: "يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ " قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا؛ ومر رسول الله ﷺ على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: "هل مر بكم أحد؟ "فقالوا: يا رسول الله، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: "ذاك جبرائيل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم"؛ فلما أتى رسول الله ﷺ قريظة، نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله.

والحديث عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري، قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد كان حيي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم؛ قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيها؛ قالوا: وما هن؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه الذي كنتم تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف، ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؛ قال: فإذا أبيتم هذه علي، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك؟ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما، قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، -وكانوا من حلفاء الأوس- نستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح؛ قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله؛ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه. ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا، فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: "أما إنه لو كان جاءني لاستغفرت له، أما إذ فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه"؛ ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمر بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: عمرو بن سعدى؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول

الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبدا، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب، فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا؛ فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: "ذاك رجل نجاه الله بوفائه". قال: وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته ملقاة، ولا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ تلك المقالة، فالله أعلم.

فلما أصبحوا، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أبي بن سلول، فوهبهم له؛ فلما كلمته الأوس، قال رسول الله ﷺ: "ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ "قالوا: بلى، قال: "فذاك إلى سعد بن معاذ"، وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق "اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب" فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلا جسيما، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ؛ من كلمته التي سمع منه؛ فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال: "قوموا إلى سيدكم" فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم كما حكمت؟ قال: نعم، قال: وعلى من هاهنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ؛ إجلالا له. فقال رسول الله ﷺ: "نعم"، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله ﷺ: "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة"، ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار ابنة الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالا وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ست مئة أو سبعمائة، والمكثر منهم يقول: كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا يا كعب، ما ترى ما يصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وإنه من يذهب به منكم فما يرجع، هو والله، القتل، فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ، وأتي بحيي بن أخطب عدو الله، وعليه حلة له فقاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة، أنملة أنملة؛ لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله، ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمة قد كتبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه، فقال جبل بن جوال الثعلبي[١]:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل

---

(١)البيتان لجبل بن جوال الثعلبي، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وكان يهوديا فأسلم، وكانت له صحبة (عن الروض الأنف للسهيلي، والاستيعاب لابن عبد البر. وانظر سيرة بن هشام طبعة الحلبي: ٣/ ٢٥٢) ومعنى قلقل: أي تحرك. وقد قال البيتين عند مقتل حيي بن أخطب رأس بني قريظة.

لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل؟ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته، قال: فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: ما أنسى عجبي منها، طيب نفس، وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل"[(١)].

قوله تعالى:{وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الأحزاب : ٢٦]، أي:" وألقى في قلوبهم الخوف فهُزموا"[(٢)].

قال الطبري:" يقول: وألقى في قلوبهم الخوف منكم"[(٣)].

قال السعدي:" فلم يقووا على القتال، بل استسلموا وخضعوا وذلوا"[(٤)].

قال الزجاج:" فقذف الله في قلوبهم الرعب وأنزلهم على حكم سعد، وكان سعد حكم فيهم بأن يقتل مقاتلهم، وتسبى ذراريهم"[(٥)].

قال ابن كثير:" لأنهم كانوا مالؤوا المشركين على حرب رسول الله ﷺ ، وليس مَنْ يعلم كمن لا يعلم ، فأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليَعزّوا في الدنيا ، فانعكس عليهم الحال ، وانقلب الفال، انشمر المشركون ففازوا بصفقة المغبون ، فكما راموا العز ذلوا، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا ، وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة ، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة"[(٦)].

قوله تعالى:{فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} [الأحزاب : ٢٦]، أي:" تقتلون منهم فريقًا، وتأسرون فريقًا آخر"[(٧)].

قال الطبري:" يقول: تقتلون منهم جماعة، وهم الذين قتل رسول الله ﷺ منهم حين ظهر عليهم، وتأسرون منهم جماعة، وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا"[(٨)].

قال ابن كثير:" فالذين قتلوا هم المقاتلة ، والأسراء هم الأصاغر والنساء"[(٩)].

عن قتادة: "{فريقا تقتلون}: الذين ضربت أعناقهم، {وتأسرون فريقا}، الذين سبوا"[(١٠)].

قال يزيد بن رومان: "أي" قتل الرجال وسبي الذراري والنساء"[(١١)].

قال مقاتل:" فقتل منهم أربعمائة وخمسين رجلا {وتأسرون فريقا}، يعنى: وتسبون طائفة: سبعمائة وخمسين"[(١٢)].

قال عطية القرظي: "عُرضتُ على النبي ﷺ يوم قريظة فشكوا فيَّ ، فأمر بي النبي ﷺ أن ينظروا : هل أنبت بعد ؟ فنظروا فلم يجدوني أنبت ، فخلى عني وألحقني بالسبي"[(١٣)].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٤٤-٢٤٩.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(٤) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٥) معاني القرىن: ٤/٢٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٣٩٨-٣٩٩.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٣٩٩.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٨٥.
(١٣)المسند (٥/٣١١) وسنن أبي داود برقم (٤٤٠٤) وسنن الترمذي برقم (١٥٨٤) وسنن النسائي (٨/٩٢) وسنن ابن ماجه برقم (٢٥٤٢).

القرآن
{وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)} [الأحزاب : ٢٧]
التفسير:
وملَّككم الله -أيها المؤمنون- أرضهم ومساكنهم وأموالهم المنقولة كالحليّ والسلاح والمواشي، وغير المنقولة كالمزارع والبيوت والحصون المنيعة، وأورثكم أرضًا لم تتمكنوا مِن وطئها من قبل؛ لمنعتها وعزتها عند أهلها. وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء.
قوله تعالى:{وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} [الأحزاب : ٢٧]، أي:" وملَّككم الله -أيها المؤمنون- أرضهم ومساكنهم وأموالهم المنقولة كالحليّ والسلاح والمواشي، وغير المنقولة كالمزارع والبيوت والحصون المنيعة"[١].
قال الطبري:" يقول: وملككم بعد مهلكهم أرضهم، يعني مزارعهم ومغارسهم وديارهم، يقول: ومساكنهم وأموالهم، يعني سائر الأموال غير الأرض والدور"[٢].
قال السعدي:" أي: غنَّمكم أرضا كانت من قبل، من شرفها وعزتها عند أهلها، لا تتمكنون من وطئها، فمكنكم الله وخذلهم، وغنمتم أموالهم، وقتلتموهم، وأسرتموهم"[٣].
قال الزجاج:" جعل النبي - ﷺ - أرضهم وديارهم وأموالهم للمهاجرين لأنهم لم يكونوا ذوي عقار"[٤].
قوله تعالى:{وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا} [الأحزاب : ٢٧]، أي:" وأورثكم أرضًا لم تتمكنوا مِن وطئها من قبل؛ لمنعتها وعزتها عند أهلها"[٥].
وفي قوله تعالى:{وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا} [الأحزاب : ٢٧]، أقوال:
أحدها : أنها مكة ، قاله قتادة[٦].
الثاني : خيبر ، قاله السدي[٧]، وابن زيد[٨]، ويزيد بن رومان[٩]، ويحيى بن سلام[١٠]، ومقاتل[١١].
قال السمعاني:" أظهر الأقاويل: أنها خيبر"[١٢].
الثالث : هي الروم وفارس، وما فتح الله عليهم. قاله الحسن[١٣].
الرابع : ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة ، قاله عكرمة[١٤].
قال عكرمة:" يزعمون أنها خيبر، ولا أحسبها إلا كل أرض فتحها الله على المسلمين، أو هو فاتحها إلى يوم القيامة"[١٥].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم، وأرضا لم يطئوها

---
(١) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(٣) تفسير السعدي: ٦٦٠.
(٤) معاني القرىن: ٤/٢٢٣.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٦٥٠):ص٩/٣١٢٦.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤/٣٩٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧١٢.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٨٥.
(١٢) تفسير السمعاني: ٤/٢٧٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٥٠.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٦٥١):ص٩/٣١٢٦.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥١):ص٩/٣١٢٦.

يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن، مما كان وطئوه يومئذ، ثم وطئوا ذلك بعد، وأورثهموه الله، وذلك كله داخل في قوله {وأرضا لم تطئوها}، لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض"(١).

عن أنس بن مالك قال: "كنت رديف أبي طلحة يوم فتحنا خيبر، إن ساقي لتصيب ساق النبي ﷺ، وفخذي فخذه فلما أشرفنا عليها قال النبي ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، فأخذناها عنوة"(٢).

عن أنس بن مالك قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ غداة صبحنا خيبر، فقرأ بأقصر سورتين في القرآن ثم ركب، فلما أشرفنا عليها قالت اليهود: محمد والله والخميس قال: والخميس الجيش، فأخذناها عنوة"(٣).

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب : ٢٧]، أي:" وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء"(٤).

قال الطبري:يقول:" وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك، وعلى نصره إياهم، وغير ذلك من الأمور ذا قدرة، لا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله"(٥).

قال السعدي:أي: " لا يعجزه شيء، ومن قدرته، قدَّر لكم ما قدر"(٦).

عن علقمة بن وقاص، قال: "أخبرتني عائشة، قالت: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس. قالت: فسمعت وئيد الأرض ورائي، - يعني حس الأرض، - قالت: فالتفت، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس، يحمل مجنه. قالت: فجلست إلى الأرض، فمر سعد وعليه درع من حديد، قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد. قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم. قالت: فمر وهو يرتجز ويقول: [البحر الرجز]:

لبث قليلا يدرك الهيجا حمل ... ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: فقمت، فاقتحمت حديقة، فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تسبغة له، - يعني مغفرا، - فقال عمر: ما جاء بك؟ لعمري والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء، أو يكون تحوز؟ قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ، فدخلت فيها. قالت: فرفع الرجل التسبغة عن وجهه، فإذا طلحة بن عبيد الله، فقال: يا عمر، ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل؟ قالت: ويرمي سعدا رجل من المشركين من قريش، يقال له [ص:٢٨] ابن العرقة، بسهم له، فقال له: خذها وأنا ابن العرقة، فأصاب أكحله، فقطعه، فدعا الله عز وجل سعد، فقال: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة. قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية. قالت: فرقأ كلمه، وبعث الله عز وجل الريح على المشركين، فكفى الله عز وجل المؤمنين القتال، وكان الله قويا عزيزا، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة، فتحصنوا في صياصيهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فوضع السلاح، وأمر بقبة من أدم، فضربت على سعد في المسجد. قالت: فجاءه جبريل عليه السلام، وإن على ثناياه لنقع الغبار، فقال: أقد وضعت السلاح؟ والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح، اخرج إلى بني قريظة، فقاتلهم. قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته، وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا، فخرج رسول الله ﷺ، فمر على بني غنم، وهم جيران المسجد حوله، فقال: «من مر بكم؟» فقالوا: مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنة وجهه جبريل عليه السلام. فقالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/٢٥٠-٢٥١.
(٢) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧١٢-٧١٣.
(٣) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧١٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/٢٥١.
(٦) تفسير السعدي: ٦٦٠.

ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم أنه الذبح. قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فقال رسول الله ﷺ: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ» فنزلوا، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف، قد حمل عليه، وحف به قومه، فقالوا: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت. قالت: لا يرجع إليهم شيئا، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم، التفت إلى قومه، فقال: قد أنى لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قال: قال أبو سعيد فلما طلع على رسول الله ﷺ قال: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه» فقال عمر: سيدنا الله عز وجل. قال: أنزلوه، فأنزلوه. قال رسول الله ﷺ: «احكم فيهم» قال سعد: فإني أحكم فيهم، أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم - وقال يزيد ببغداد: ويقسم - فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله» قالت: ثم دعا سعد، قال: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئا، فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم، فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كلمه، وكان قد برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر، وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل: {رحماء بينهم} [الفتح: ٢٩] . قال علقمة: قلت: أي أمه، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وجد، فإنما هو آخذ بلحيته"[١].

فوائد الآيتين:[٢٦-٢٧]:

١- بيان عاقبة الغدر فإن بني قريظة لما غدرت برسول الله انتقم منها فسلط عليها رسوله والمؤمنين فأبادوهم عن

آخرهم ولم يبق إلا الذين لا ذنب لهم وهم النساء والأطفال.

٢- بيان صادق وعد الله إذ أورث المسلمين أرضاً لم يكونوا قد وطئوها وهي خيبر والشام والعراق وفارس وبلاد أخرى كبيرة وكثيرة.

٣- تقرير أن قدرة الله لا تحد أبداً فهو تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

القرآن

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨)} [الأحزاب : ٢٨]

التفسير:

يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة: إن كنتنَّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فأقبِلْنَ أمتعكنَّ شيئًا مما عندي من الدنيا، وأفارقكنَّ دون ضرر أو إيذاء.

سبب نزول الآيات:[٢٨-٢٩]:

عن أبي الزبير، "أن رسول الله ﷺ لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمن لكم شأنه، فأتى النبي ﷺ، فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أذن له، قال: فجعلت أقول في نفسي أي شيء أكلم به رسول الله ﷺ لعله يضحك، أو كلمة نحوها، فقلت: يا رسول الله، لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة، فقال: ذلك حبسني عنكم. قال: فأتى حفصة، فقال: لا تسألي رسول الله ﷺ شيئا ما كانت لك من حاجة فإلي، ثم تتبع نساء النبي ﷺ، فجعل يكلمهن، فقال لعائشة: أيغرك أنك امرأة حسناء، وأن زوجك يحبك؟ لتنتهين، أو لينزلن فيك القرآن، قال: فقالت أم سلمة: يا ابن الخطاب، أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله ﷺ وبين نسائه، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها؟ قال: ونزل القرآن {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ... } إلى قوله {أجرا عظيما} قال: فبدأ بعائشة فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فقالت: هل بدأت بأحد من نسائك قبلي؟ قال: "لا". قالت: فإني أختار الله ورسوله، والدار

(١)المسند(٢٥٠٩٧):ص٢٦/٤٢.

الآخرة، ولا تخبرهن بذلك. قال: ثم تتبعهن. فجعل يخيرهن ويقرأ عليهن القرآن، ويخبرهن بما صنعت عائشة، فتتابعن على ذلك"(١).

وعن جابر، قال : "أقبل أبو بكر ، رضي الله عنه ، يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس ، والنبي ﷺ جالس : فلم يؤذن له. ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له. ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه ، وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك ، فقال عمر : يا رسول الله ، لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آنفا ، فوجأت عنقها. فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال : "هن حولي يسألنني النفقة". فقام أبو بكر ، رضي الله عنه ، إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر ، رضي الله عنه ، إلى حفصة ، كلاهما يقولان : تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله ﷺ فقلن نساؤه : والله لا نسأل رسول الله بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال : وأنزل الله ، عز وجل ، الخيار ، فبدأ بعائشة فقال : "إني أذكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك". قالت : وما هو ؟ قال : فتلا عليها : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ } الآية ، قالت عائشة ، رضي الله عنها : أفيك أستأمر أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله ، وأسألك ألا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت. فقال : "إن الله تعالى لم يبعثني معنفًا ، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا، لا تسألني امرأة منهن عما اخترتِ إلا أخبرتُها"(٢).

وقال ابن زيد: "كان أزواجه قد تغايرن على النبي ﷺ، فهجرهن شهرا، نزل التخيير من الله له فيهن: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها}، فقرأ حتى بلغ {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى}، فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين، لا ينكحن أبدا، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن، لمن وهبت نفسه له؛ حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل، فلا جناح عليه، {ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين} إذا علمن أنه من قضائي عليهن، إيثار بعضهن على بعض، {أدنى أن يرضين} قال: {ومن ابتغيت ممن عزلت} من ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه، فخيرهن، بين أن يرضين بهذا، أو يفارقهن، فاخترن الله ورسوله، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت، وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط، ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله"(٣).

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} [الأحزاب : ٢٨] ، أي:" يا أيها النبي قل لأزواجك اللاتي اجتمعن عليك، يطلبن منك زيادة النفقة"(٤).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا} [الأحزاب : ٢٨] ، أي:" إن كنتنَّ تردن الحياة الدنيا وزينتها"(٥).

قوله تعالى:{فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ} [الأحزاب : ٢٨] ، أي:" فأقبِلْنَ أمتعكنَّ شيئًا مما عندي من الدنيا"(٦).

قال الطبري:" يقول: فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله {ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين}"(٧).

قال مقاتل:" يقول: كما يمتع الرجل امرأته إذا طلقها سوى المهر"(٨).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٥١-٢٥٢.
(٢)المسند (٣/٣٢٨) وصحيح مسلم برقم (١٤٧٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٩٢٠٨).
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٥٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/٢٥١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٨٦.

قوله تعالى:{وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} [الأحزاب : ٢٨] ، أي:" وأفارقكنَّ دون ضرر أو إيذاء"(١).

قال الطبري:" يقول: وأطلقكن على ما أذن الله به، وأدب به عباده بقوله {إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن}"(٢).

وروي عن علي ، رضي الله عنه : "أن رسول الله ﷺ خَيَّر نساءه الدنيا والآخرة ، ولم يخيرهن الطلاق"(٣).

قال ابن كثير:" وهذا منقطع ، وقد رُوِي عن الحسن وقتادة وغيرهما نحو ذلك، وهو خلاف الظاهر من الآية ، فإنه قال : { فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلا } أي : أعطيكن حقوقكن وأطلق سراحكن، وقد اختلف العلماء في جواز تزويج غيره لهن لو طلقهن ، على قولين ، وأصحهما نعم لو وقع ، ليحصل المقصود من السراح ، والله أعلم"(٤).

قال الزجاج:" وكن أردن شيئا من أمر الدنيا، فأمر الله رسوله - ﷺ - أن يخير نساءه بين الإقامة معة على طلب ما عند الله، أو التسريح إن أردن الحياة الدنيا وزينتها"(٥).

القرآن

{وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)} [الأحزاب : ٢٩]

التفسير:

وإن كنتن تردْنَ رضا الله ورضا رسوله وما أعدَّ الله لكُنَّ في الدار الآخرة، فاصبرْنَ على ما أنتُنَّ عليه، وأطعن الله ورسوله، فإن الله أعد للمحسنات منكنَّ ثوابًا عظيمًا.

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ} [الأحزاب : ٢٩]، أي:" وإن كنتن تردْنَ رضا الله ورضا رسوله وما أعدَّ الله لكُنَّ في الدار الآخرة"(٦).

قال الطبري:" يقول: وإن كنتن تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما"(٧).

قال الزجاج:" فاخترن الآخرة على الدنيا والجنة على الزينة"(٨).

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب : ٢٩]، أي:" فإن الله تعالى قد هيأ للمحسنات منكنَّ بمقابلة إحسانهن ثواباً كبيراً لا يوصف، وهو الجنة"(٩).

قال الطبري:" {فإن الله أعد للمحسنات منكن} وهن العاملات منهن بأمر الله وأمر رسوله {أجرا عظيما}"(١٠).

قال الزجاج:" أي: من آثر منكن الآخرة فأجره أجر عظيم"(١١).

قال ابن كثير:" هذا أمر من الله لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه، بأن يخَيّر نساءه بين أن يفارقهن ، فيذهبن إلى غيره ممن يَحصُل لهن عنده الحياةُ الدنيا وزينتها ، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ، ولهن عند الله في ذلك الثواب الجزيل ، فاخترن ، رضي الله

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢١.
(٢) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٠.
(٣)زوائد المسند (٧٨/١).[منقطع]
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٠٣/٦.
(٥) معاني القرآن: ٢٢٤/٤.
(٦) صفوة التفاسير: ٤٨٠/٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٠.
(٨) معاني القرآن: ٢٢٤/٤.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٨٠/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٥١/٢٠.
(١١) معاني القرآن: ٢٢٤/٤.

عنهن وأرضاهن ، الله ورسوله والدار الآخرة ، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة"(١).

قال الشافعي:" فخيرهن رسول الله - ﷺ - فاخترنه، فلم يكن الخيار إذا اخترنه طلاقا، ولم يجب عليه أن يحدث لهن طلاقا إذا اخترنه، وكان تخيير رسول الله - ﷺ - إن شاء الله - كما أمره الله - عز وجل - إن أردن الحياة الدنيا وزينتها ولم يخترنه، وأحدث لهن طلاقا لا ليجعل الطلاق إليهن، لقول الله - عز وجل -: {فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا} حدث لكن إذا اخترتن الحياة الدنيا وزينتها متاعا وسراحا، فلما اخترنه، لم يوجب ذلك عليه أن يحدث لهن طلاقا ولا متاعا"(٢).

قال سعيد بن جبير:" أمر الله تعالى نبيه صلى الله ﷺ أن يخبر نساءه في هذه الآية، فلم تختر واحدة منهن نفسها غير الحميرية"(٣).

قال الحسن وقتادة: "خيرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار، في شيء كن أردنه من الدنيا، وقال عكرمة: في غيرة كانت غارتها عائشة، وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، وبدأ بعائشة، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، رئي الفرح في وجه رسول الله ﷺ، فتتابعن كلهن على ذلك، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة"(٤).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «حلف رسول الله ﷺ ليهجرنا شهرا، فدخل علي صبيحة تسعة وعشرين، فقلت يا رسول الله، ألم تكن حلفت لتهجرنا شهرا؟ قال: إن الشهر هكذا وهكذا وهكذا وضرب بيده جميعا، وخنس يقبض إصبعا في الثالثة، ثم قال: يا عائشة، إني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن تعجلي حتى تستشيري أبويك، وخشي رسول الله ﷺ حداثه سنى، قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: إني أمرت أن أخيركن، ثم تلا هذه الآية: {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها} إلى قوله: {أجرا عظيما}، قالت: فيم أستشير أبوي يا رسول الله؟ بل أختار الله ورسوله، فسر رسول الله ﷺ بذلك، وسمع نساؤه فتواترن عليه"(٥).

عن أبي سلمة، قال: "قالت عائشة: لما نزل الخيار، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أريد أن أذكر لك أمرا فلا تقضي فيه شيئا حتى تستأمري أبويك". قالت: قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: فرده عليها. فقالت: ما هو يا رسول الله؟ قال: فقرأ عليهن {يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ... }، إلى آخر الآية، قالت: قلت: بل نختار الله ورسوله، قالت: ففرح بذلك النبي ﷺ"(٦).

وفي رواية:" فقلت: إني أريد الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا أؤامر في ذلك أبوي أبا بكر وأم رومان، فضحك رسول الله ﷺ، ثم استقرأ الحجر فقال: "إن عائشة قالت كذا"، فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت عائشة"(٧).

القرآن

{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)} [الأحزاب : ٣٠]

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٠١/٦.
(٢) تفسير الغمام الشافعي: ١١٩٠/٣-١١٩١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٦٥٧):ص٣١٢٨/٩.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٥):ص٣١٢٧/٩-٣١٢٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٥٣/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٥٤/٢٠.

التفسير:

يا نساء النبي مَن يأت منكن بمعصية ظاهرة يُضاعَف لها العذاب مرتين. فلما كانت مكانتهن رفيعة ناسب أن يجعل الله الذنب الواقع منهن عقوبته مغلظة؛ صيانة لجنابهن وجناب رسول الله ﷺ. وكان ذلك العقاب على الله يسيرًا.

قوله تعالى:{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} [الأحزاب : ٣٠]، أي:" يا نساء النبي مَن يأت منكن بمعصية ظاهرة"(١).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لأزواج النبي ﷺ: {يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة} يقول: من يزن منكن الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحد"(٢).

عن مقاتل بن سليمان، قوله: "{يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة}، يعني: العصيان للنبي ﷺ"(٣).

وقال السدي:" يعني: الزنا"(٤).

وقال ابن عباس:" النشوز وسوء الخلق"(٥).

قال ابن كثير : أن قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ} "هو شرط ، والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى : { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } [الزمر : ٦٥] ، وكقوله : { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام : ٨٨] ، { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } [الزخرف : ٨١] ، { لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [الزمر : ٤] ، فلما كانت محلَّتهن رفيعة ، ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظا ، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع ؛ ولهذا قال : { مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ }"(٦).

قوله تعالى:{يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} [الأحزاب : ٣٠]، أي:" يُضاعَف لها العذاب مرتين"(٧).

قال الطبري: يقول:" {يضاعف لها العذاب} على فجورها في الآخرة {ضعفين} على فجور أزواج الناس غيرهم"(٨).

قال ابن أبي زمنين:" أي: يجعل مثلين؛ الضعف في اللغة: المثل، يقال: هذا ضعف هذا؛ أي: مثله"(٩).

قال أبو عبيدة:" «يُضاعَفْ «٥» لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ» (٢٩) أي يجعل لها العذاب ثلاثة أعذبة لأن ضعف الشيء مثله، وضعفى الشيء مثلا الشيء ومجاز «يُضاعَفْ» أي يجعل الشيء، شيئين حتى يكون ثلاثة فأما قوله ويضعّف أي يجعل الشيء شيئين"(١٠).

قال الزجاج:" وقال أبو عبيدة: يعذب ثلاثة أعذبة، قال: كان عليها أن يعذب مرة واحدة، فإذا ضوعفت المرة ضعفين، صار العذاب ثلاثة أعذبة. وهذا القول ليس بشيء، لأن معنى يضاعف لها العذاب ضعفين يجعل عذاب جرمها - كعذابي جرمين، والدليل عليه {نؤتها أجرها مرتين}، فلا يكون أن تعطى على الطاعة أجرين وعلى المعصية ثلاثة أعذبة، ومعنى: «ضعف الشيء»: مثله، لأن ضعف الشيء الذي يضعفه بمنزلة مثقال الشيء"(١١).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٠/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٨):ص٣١٢٨/٩، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٧/٣.
(٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧١٥/٢.
(٥) نقلا عن النكت والعيون: ٣٩٧/٤، وتفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.
(٧) صفوة التفاسير: ٤٨٠/٢.
(٨) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٠.
(٩) تفسير ابن ابي زمنين: ٣٩٦/٣.
(١٠) مجاز القرآن: ١٣٦/٢-١٣٧.
(١١) معاني القرآن: ٢٢٦/٤.

عن مقاتل بن سليمان، قوله: "{يضاعف لها العذاب ضعفين}، في الآخرة"(١).
عن ابن عباس: "{يضاعف لها العذاب ضعفين}، قال: يعني: عذاب الآخرة"(٢).
وقال قتادة:" عذاب الدنيا وعذاب الآخرة"(٣).
قال سعيد بن جبير:" يجعل عذابهن ضعفين، ويجعل على من قذفهن الحد ضعفين"(٤).
قال الجصاص:" قيل في تضعيف عذابهن وجهان:
أحدهما: أنه لما كانت نعم الله عليهن أكثر منها على غيرهن بكونهن أزواجا للنبي ﷺ ونزول الوحي في بيوتهن وتشريفهن بذلك، كان كفرانها منهن أعظم وأجدر بعظم العقاب؛ لأن النعمة كلما عظمت كان كفرانها أعظم فيما يستحق به من العقاب؛ إذ كان استحقاق العقاب على حسب كفران النعمة، ألا ترى أن من لطم أباه استحق من العقوبة أكثر مما يستحقه من لطم أجنبيا لعظم نعمة أبيه عليه وكفرانه لها بلطمته؟ ويدل على هذا التأويل قوله تعالى في نسق التلاوة: {واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة} فدل على أن تضعيف العذاب عليهن بالمعصية لأجل عظم النعمة عليهن بتلاوة آيات الله في بيوتهن، ومن أجل ذلك عظمت طاعاتهن أيضا بقوله: {ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين} لأن الطاعة في استحقاق الثواب بها بإزاء المعصية في استحقاق العقاب بها.
والوجه الآخر: أن في إتيانهن المعاصي أذى للنبي ﷺ لما يلحق من العار والغم، ومعلوم أن من آذى النبي ﷺ فهو أعظم جرما ممن آذى غيره، وقال تعالى: {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة} ثم قال: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا} . ولما عظم الله تعالى طاعات أزواج النبي ﷺ وأوجب بها الأجر مرتين دل بذلك على أن أجر العامل العالم أفضل وثوابه أعظم من العامل غير العالم، وقوله تعالى: {واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة} قد دل على ذلك"(٥).
قال الربيع بن أنس:" إن الحجة على الأنبياء أشد منها على الأتباع في الخطيئة، وإن الحجة على العلماء أشد منها على غيرهم، فإن الحجة على نساء النبي ﷺ أشد منها على غيرهن، فقال: إنه من عصى منكن فإنه يكون عليها العذاب الضعف منه على سائر نساء المؤمنين، ومن عمل صالحا فإن الأجر لها الضعف على سائر نساء المسلمين"(٦).
وقرئ:«يضعف»، بتشديد العين(٧).
قوله تعالى:{وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب : ٣٠]، أي:" وكان ذلك العقاب على الله يسيرًا"(٨).
قال الطبري: يقول:" وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن {على الله يسيرا}"(٩).
قال الصابوني:" أي: كان ذلك العقاب سهلاً يسيراً على الله، لا يمنعه منه كونهنَّ أوزاج ونساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الآية تلوين للخطاب، فبعد أن كانت المخاطبة لهن على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجَّه الخطاب إليهنَّ هنا مباشرةً لإظهار الاعتناء بأمرهن ونصحهن"(١٠).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٨):ص٣١٢٨/٩.
(٢) أخرجه الطبري :٢٥٥/٢٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٩):ص٣١٢٩/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٦٠):ص٣١٢٩/٩.
(٥) أحكام القرآن: ٤٧٠/٣.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٦١):ص٣١٢٩/٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٠.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٨٠/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٢٥٥/٢٠.
(١٠) صفوة التفاسير: ٤٨٠/٢.

قال مقاتل بن سليمان: "يقول: وكان عذابها عند الله هينا"(١).

قال عكرمة:" وكان تحته يومئذ تسع نسوة، خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته صفية ابنة حيي الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق"(٢).

قال ابن كثير:" ولم يتزوج واحدة منهن ، إلا بعد أن توفيت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته ، وكانت له وزير صدق ، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ، رضي الله عنها ، في الأصح ، ولها خصائص منها : أنه لم يتزوج عليها غيرها ، ومنها أن أولاده كلهم منها ، إلا إبراهيم ، فإنه من سريته مارية ، ومنها أنها خير نساء الأمة.

واختلف في تفضيلها على عائشة على ثلاثة أقوال ، ثالثها الوقف.

وسئل شيخنا أبو العباس بن تيمية عنهما فقال : اختصت كل واحدة منهما بخاصية ، فخديجة كان تأثيرها في أول الإسلام ، وكانت تُسلِّي رسول الله ﷺ وتثبته ، وتسكنه ، وتبذل دونه مالها ، فأدركت غُرة الإسلام ، واحتملت الأذى في الله وفي رسوله وكان نصرتها للرسول في أعظم أوقات الحاجة ، فلها من النصرة والبذل ما ليس لغيرها. وعائشة تأثيرها في آخر الإسلام ، فلها من التفقه في الدين وتبليغه إلى الأمة ، وانتفاع بنيها بما أدَّت إليهم من العلم ، ما ليس لغيرها. هذا معنى كلامه ، رضي الله عنه.

ومن خصائصها : أن الله ، سبحانه ، بعث إليها السلام مع جبريل ، فبلغها رسول الله ﷺ ذلك. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : أتى جبريل ، عليه السلام ، النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذه خديجة ، قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فأقرأها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة ، من قَصَب ، لا صَخَب فيه ولا نَصَب(٣) وهذه لعَمْر الله خاصة ، لم تكن لسواها.

وأما عائشة ، رضي الله عنها ، فإن جبريل سلَّم عليها على لسان النبي ﷺ ، فروى البخاري بإسناده أن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ يومًا : "يا عائشة ، هذا جبريل يقرئك السلام". فقلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى ما لا أرى ، تريد رسول الله ﷺ(٤).

ومن خواص خديجة ، رضي الله عنها : أنه لم تسوءه قط ، ولم تغاضبه ، ولم ينلها منه إيلاءً ، ولا عتب قط ، ولا هجر ، وكفى بهذه منقبة وفضيلة.

ومن خواصها : أنها أول امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه الأمة.

فلمَّا توفاها الله تزوج بعدها سودة بنت زمعة ، رضي الله عنها ، وهي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن جبل بن عامر بن لؤي ، وكبرت عنده ، وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة ، فأمسكها. وهذا من خواصها : أنها آثرت بيومها حب النبي ﷺ تقربًا إلى رسول الله ﷺ ، وحبا له ، وإيثارا لمقامها معه ، فكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة ، ويقسم لنسائه ، ولا يقسم لها وهي راضية بذلك مؤثرة ، لترضي رسول الله ﷺ.

وتزوج الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر ، رضي الله عنهما ، وهي بنت ست سنين قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : بثلاث ، وبنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى ، وهي بنت تسع ، ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة ، وتوفيت بالمدينة ، ودفنت بالبقيع ، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة سنة ثمان وخمسين ، ومن خصائصها : أنها كانت أحب أزواج رسول

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٨):ص٣١٢٨/٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٥٢/٢٠.

(٣)صحيح البخاري برقم (٣٨٢٠).

(٤)صحيح البخاري برقم (٣٧٦٨).

الله ﷺ إليه ، كما ثبت ذلك عنه في البخاري وغيره ، أنه سئل أي الناس أحب إليك ؟ قال : "عائشة". قيل : فمن الرجال ؟ قال : "أبوها" [1].

ومن خصائصها أيضا : أنه لم يتزوج بكرا غيرها ، ومن خصائصها : أنه كان ينزل عليه الوحي وهو في لحافها دون غيرها.

ومن خصائصها : أن الله ، عز وجل ، لما أنزل عليه آية التخيير بدأ بها فخيرها ، فقال : "ولا عليك ألا تعجلي حتى تستأمري أبويك". فقالت : أفي هذا أستأمر أبويَّ ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. فاستن بها بقية أزواجه ﷺ ، وقلن كما قالت.

ومن خصائصها : أن الله ، سبحانه ، برأها مما رماها به أهل الإفك ، وأنزل في عذرها ، وبراءتها ، وحيا يتلى في محاريب المسلمين ، وصلواتهم إلى يوم القيامة ، وشهد لها أنها من الطيبات ، ووعدها المغفرة والرزق الكريم ، وأخبر سبحانه ، أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا لها ، ولم يكن بذلك الذي قيل فيها شر لها ، ولا عيب لها ، ولا خافض من شأنها ، بل رفعها الله بذلك ، وأعلى قدرها وعظم شأنها ، وأصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء ، فيا لها من منقبة ما أجلها. وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها ، حيث قالت : ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحي يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها ، فهذه صديقة الأمة ، وأم المؤمنين ، وحب رسول الله ﷺ ، وهي تعلم أنها بريئة مظلومة ، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها ، قد بلغ أذاهم إلى أبويها ، وإلى رسول الله ﷺ ، وهذا كان احتقارها لنفسها وتصغيرها لشأنها ، فما ظنك بمن قد صام يوما أو يومين ، أو شهرا أو شهرين ، قد قام ليلة أو ليلتين ، فظهر عليه شيء من الأحوال ، ولاحظوا أنفسهم بعين استحقاق الكرامات ، وأنهم ممن يتبرك بلقائهم ، ويُغتنم بصالح دعائهم ، وأنهم يجب على الناس احترامهم وتعظيمهم وتعزيزهم وتوقيرهم ، فيتمسح بأثوابهم ، ويقبل ثرى أعتابهم ، وأنهم من الله بالمكانة التي تنتقم لهم لأجلها من تنقصهم في الحال ، وأن يؤخذ من أساء الأدب عليهم من غير إمهال ، وإن إساءة الأدب عليهم ذنب لا يكفره شيء إلا رضاهم.

ولو كان هذا من وراء كفاية لهان ، ولكن من وراء تخلف ، وهذه الحماقات والرعونات نتاج الجهل الصميم ، والعقل غير المستقيم ، فإن ذلك إنما يصدر من جاهل معجب بنفسه ، غافل عن جرمه وعيوبه وذنوبه ، مغتر بإمهال الله له عن أخذه بما هو فيه من الكبر والازدراء على من لعله عند الله خير منه. نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة. وينبغي للعبد أن يستعيذ بالله أن يكون عند نفسه عظيما ، وهو عند الله حقير ، ومن خصائص عائشة ، رضي الله عنها : أن الأكابر من الصحابة ، رضي الله عنهم ، كان إذا أشكل الأمر عليهم من الدين ، استفتوها فيجدون علمه عندها.

ومن خصائصها : أن رسول الله ﷺ توفي في بيتها. ومن خصائصها : أن الملك أرى صورتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في خرقة حرير ، فقال النبي ﷺ : "إن يكن هذا من عند الله يمضه" [2].

ومن خصائصها : أن الناس كانوا يتحرون هداياهم يومها من رسول الله ﷺ تقربًا إلى الرسول ﷺ ، فيتحفونه بما يحب في منزل أحب نسائه إليه ، رضي الله عنهم أجمعين ، وتكنى أم عبد الله ، وروي أنها أسقطت من النبي ﷺ سقطًا ، ولا يثبت ذلك.

وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت قبله عند حبيش بن حذافة ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ وممن شهد بدرا ، توفيت سنة سبع ، وقيل : ثمان وعشرين ، ومن خواصها : ما ذكره الحافظ أبو محمد المقدسي في مختصره في السيرة : أن النبي ﷺ طلقها ،

---

(١)لم أقف عليه في صحيح البخاري. وهو في سنن الترمذي برقم (٣٨٧٩) من حديث عمرو بن العاص ، رضي الله عنه.

(٢)رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٧٨) من حديث عائشة ، رضي الله عنها.

فأتاه جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة ، فإنها صوامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة.

عن عقبة بن عامر ، أن النبي ﷺ طلق حفصة ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فوضع التراب على رأسه ، وقال : ما يعبأ الله بابن الخطاب بعد هذا. فنزل جبريل ، عليه السلام ، على النبي ﷺ فقال : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر"[١].

وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان ، واسمها رملة بنت صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة ، فتنصر بالحبشة ، وأتم الله لها الإسلام ، وتزوجها رسول الله ﷺ وهي بأرض الحبشة ، وأصدقها عند النجاشي أربعمائة دينار ، وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري بها إلى أرض الحبشة ، وولى نكاحها عثمان بن عفان ، وقيل : خالد بن سعيد بن العاص ، وهي التي أكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلس عليه أبوها لما قدم أبو سفيان المدينة ، وقالت له : إنك مشرك ، ومنعته الجلوس عليه.

وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، توفيت سنة اثنتين وستين ، ودفنت بالبقيع ، وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتًا ، وقيل : بل ميمونة ، ومن خصائصها : أن جبريل دخل على النبي ﷺ ، وهي عنده فرأته في صورة دحية الكلبي. ففي صحيح مسلم عن أبي عثمان قال : أنبئت أن جبريل أتى النبي ﷺ ، وعنده أم سلمة ، فقال : فجعل يتحدث ، ثم قام فقال نبي الله ﷺ لأم سلمة : "من هذا ؟" أو كما قال. قالت : هذا دحية الكلبي. قالت : وايم الله ، ما حسبته إلا إياه ، حتى سمعت خطبة النبي ﷺ ، يخبر أنه جبريل ، أو كما قال ، قال سليمان التيمي : فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا الحديث ؟ قال : من أسامة بن زيد[٢] وزوَّجها ابنها - عمر - من رسول الله ﷺ ، وردت طائفة ذلك بأن ابنها لم يكن له من السن حينئذ ما يعقد التزويج ، ورد الإمام أحمد ذلك ، وأنكر على من قاله ، ويدل على صحة قول أحمد ما رواه مسلم في صحيحه أن عمر بن أبي سلمة - ابنها - سأل النبي ﷺ عن القبلة للصائم ؟ فقال : "سل هذه" يعني : أم سلمة فأخبرته أن رسول الله ﷺ يفعله ، فقال : لسنا كرسول الله ﷺ ، يحل الله لرسوله ما شاء. فقال رسول الله ﷺ : "إني أتقاكم لله وأعلمكم به" [٣] أو كما قال. ومثل هذا لا يقال لصغير جدا ، وعمر ولد بأرض الحبشة قبل الهجرة. وقال البيهقي : وقول من زعم أنه كان صغيرا ، دعوى ولم يثبت صغره بإسناد صحيح.

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش من بني خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة ، فطلقها فزوجه الله إياها من فوق سبع سموات ، وأنزل عليه : { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا } فقام فدخل عليها بلا استئذان ، وكانت تفخر بذلك على سائر أزواج النبي ﷺ ، وتقول : زوَّجكن أهاليكن وزوَّجني الله من فوق سبع سمواته ، وهذا من خصائصها. توفيت بالمدينة سنة عشرين ، ودفنت بالبقيع.

وتزوج النبي ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية ، وكانت تحت عبد الله بن جحش ، تزوجها سنة ثلاث من الهجرة ، وكانت تسمى أم المساكين ، ولم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيرا ، شهرين أو ثلاثة ، وتوفيت ، رضي الله عنها.

وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث من بني المصطلق ، وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، فكاتبها ، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها ،

---

(١)المعجم الكبير (٢٩١/١٧) وقال الهيثمي في المجمع (٣٣٤/٤) : "فيه عمرو بن صالح الحضرمي ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات".

(٢)صحيح مسلم برقم (٢٤٥١).

(٣)) صحيح مسلم برقم (١١٠٨).

وتزوجها سنة ست من الهجرة ، وتوفيت سنة ست وخمسين ، وهي التي أعتق المسلمون بسببها مائة أهل بيت من الرقيق ، وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ ، وكان ذلك من بركتها على قومها.

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيي ، من ولد هارون بن عمران أخي موسى ، سنة سبع ، فإنها سبيت من خيبر ، وكانت قبله تحت كنانة بن أبي الحقيق ، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفيت سنة ست وثلاثين ، وقيل : سنة خمسين. ومن خصائصها : أن رسول الله ﷺ أعتقها وجعل عتقها صداقها. قال أنس : أمهرها نفسها ، وصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة ، ويجوز للرجل أن يجعل عتق جاريته صداقها ، وتصير زوجته على منصوص الإمام أحمد ، رحمه الله. قال الترمذي : حدثنا إسحاق بن منصور ، وعبد بن حميد ، قالا حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن ثابت ، عن أنس قال : بلغ صفية أن حفصة قالت : صفية بنت يهودي ، فبكت ، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال : "ما يبكيك ؟" قالت : قالت لي حفصة : إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ : "إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي ، وإنك لتحت نبي ، فبما تفخر عليك ؟" ثم قال : "اتق الله يا حفصة"[(1)].

قال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. وهذا من خصائصها ، رضي الله عنها.

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية ، تزوجها بسَرَف وهو على تسعة أميال من مكة ، وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين ، توفيت سنه ثلاث وستين ، وهي خالة خالد بن الوليد ، وخالة ابن عباس ، فإن أمه أم الفضل بنت الحارث وهي التي اختلف في نكاح النبي ﷺ لها. هل نكحها حلالا أو مُحرمًا ؟ والصحيح إنما تزوجها حلالا كما قال أبو رافع الشفير في نكاحها.

قال الحافظ أبو محمد المقدسي وغيره : وعقد على سبع ولم يدخل بهن ، فالصلاة على أزواجه تابعة لاحترامهن وتحريمهن على الأمة ، وأنهن نساؤه ﷺ في الدنيا والآخرة ، فمن فارقها في حياتها ولم يدخل ، لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن صلى الله عليه وعلى أزواجه وآله وذريته وسلم تسليما"[(2)].

فوائد الآيات:[٢٨-٣٠]:

١- مشروعية تخيير الزوجات فإن اخترن الطلاق تطلّقن وإن لم تخترنه فلا يقع الطلاق.

٢- كمال أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الدنيا وزينتها.

٣- مشروعية المتعة بعد الطلاق وهي أن تعطى المرأة شيئا من المال بحسب غنى المطلق وفقره لقوله تعالى {عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المْ ُقْتِرِ قَدَرُهُ}.

٤- وجوب الإحسان العام والخاص، الخاص بالزوج والزوجة والعام في طاعة الله ورسوله.

٥- بيان أن سيئة العالم الشريف أسوأ من سيئة الجاهل الوضيع. ولذا قالوا سيئات الأبرار حسنات المقربين كمثل من الأمثال السائرة للعظة والاعتبار.

القرآن

{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)} [الأحزاب : ٣١]

التفسير:

ومن تطع منكن الله ورسوله، وتعمل بما أمر الله به، نُعْطها ثواب عملها مثلَي ثواب عمل غيرها من سائر النساء، وأعددنا لها رزقًا كريمًا، وهو الجنة.

---

(١)سنن الترمذي برقم (٣٨٩٤) وقال : "هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٠٣-٤٠٧.

قال تعالى:{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا} [الأحزاب : ٣١]، أي:" ومن تطع منكن الله ورسوله، وتعمل بما أمر الله به"[١].

قال مقاتل بن سليمان: " يعني: من يطع منكن لله ورسوله وتعمل صالحا"[٢].

قال ابن كثير:" ثم ذكر عدله وفضله في قوله : { وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ } أي : يطع الله ورسوله ويستجب"[٣].

قال الزجاج:" معنى {يقنت}: يقيم على الطاعة"[٤].

قال تعالى:{نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ} [الأحزاب : ٣١]، أي:" نُعْطها ثواب عملها مثلَي ثواب عمل غيرها من سائر النساء"[٥].

قال مقاتل بن سليمان: " {نؤتها أجرها مرتين} في الآخرة بكل صلاة أو صيام أو صدقة أو تكبيرة أو تسبيحة باللسان مكان كل حسنة تكتب عشرين حسنة وأعتدنا لها رزقا كريما يعني حسنا وهي الجنة"[٦].

قال تعالى:{وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا} [الأحزاب : ٣١]، أي:" وأعددنا لها رزقًا كريمًا، وهو الجنة"[٧].

قال مقاتل بن سليمان: " يعني: حسنا، وهي الجنة"[٨].

قال ابن كثير:" أي : في الجنة ، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ ، في أعلى عليين ، فوق منازل جميع الخلائق ، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش"[٩].

القرآن

{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢)} [الأحزاب : ٣٢]

التفسير:

يا نساء النبيِّ -محمد- لستنَّ في الفضل والمنزلة كغيركنَّ من النساء، إن عملتن بطاعة الله وابتعدتن عن معاصيه، فلا تتحدثن مع الأجانب بصوت لَيِّن يُطمع الذي في قلبه فجور ومرض في الشهوة الحرام، وقُلن قولا بعيدًا عن الريبة، لا تنكره الشريعة.

قوله تعالى:{يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ} [الأحزاب : ٣٢]، أي:" يا نساء النبيِّ -محمد- لستنَّ في الفضل والمنزلة كغيركنَّ من النساء، إن عملتن بطاعة الله وابتعدتن عن معاصيه"[١٠].

قال ابن كثير:" هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي ﷺ ، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك ، فقال مخاطبا لنساء النبي ﷺ بأنهن إذا اتقين الله كما أمرهن ، فإنه لا يشبههن أحد من النساء ، ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة"[١١].

قوله تعالى:{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} [الأحزاب : ٣٢]، أي:" فلا تتحدثن مع الأجانب بصوت لَيِّن يُطمع الذي في قلبه فجور ومرض في الشهوة الحرام"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٨):ص٣١٢٨/٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٠٨/٦.
(٤) معاني القرآن: ٢٢٦/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٨):ص٣١٢٨/٩.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٥٨):ص٣١٢٨/٩.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٠٨/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٠٨/٦-٤٠٩.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٢.

قال ابن كثير:" معنى هذا : أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ، أي : لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها"[1].

قوله تعالى:{وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} [الأحزاب : ٣٢]، أي:" وقُلن قولا بعيدًا عن الريبة، لا تنكره الشريعة"[2].

القرآن

{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)} [الأحزاب : ٣٣]

التفسير:

والْزَمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة، ولا تُظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام، وأدِّين -يا نساء النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله، وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما، إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكنَّ، ويبعد عنكنَّ الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-، ويطهّر نفوسكم غاية الطهارة.

سبب النزول:

عن ابن عباس، قوله : "{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ}، قال : نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة"[3].

وقال عكرمة: "من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ"[4].

قوله تعالى:{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} [الأحزاب : ٣٣]، أي:" والْزَمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن منها إلا لحاجة"[5].

قال ابن كثير:" أي : الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة. ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه ، كما قال رسول الله ﷺ : «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن وهن تَفِلات»، وفي رواية : «وبيوتهن خير لهن»[6]"[7].

عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : جئن النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن : يا رسول الله ، ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى ، فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : "من قعد - أو كلمة نحوها - منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله"[8].

عن عبد الله ، عن النبي ﷺ قال : "إن المرأة عورة ، فإذا خرجت استشرفها الشيطان ، وأقرب ما تكون بروْحَة ربها وهي في قَعْر بيتها"[9].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٧٥):ص٣١٣٢/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٧٥):ص٣١٣٢/٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٦)رواه بهذا اللفظ أبو داود في السنن برقم (٥٦٥) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، وبالرواية الثانية برقم (٥٦٧) من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما ، وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.

(٨) رواه البزاز في مسنده برقم (١٤٧٥) "كشف الأستار" ورواه أبو يعلى في المسند (١٤٠/٦) وابن حبان في في المجروحين (٢٩٩/١) من طريق أبي رجاء الكلبي بنحوه. قال ابن حبان : "وكان روح ممن يروي عن الثقات الموضوعات ، ويقلب الأسانيد ، ويرفع الموقوفات" ثم قال : "لا تحل الرواية عنه ولا كتابة حديثه إلا للاختبار". وقال ابن عدي في الكامل : "أحاديثه غير محفوظة".

(٩)سنن الترمذي برقم (١١٧٣) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب". ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٦٨٥) ومن طريقه ابن حبان في صحيحه برقم (٣٢٩) "موارد" عن عمرو بن عاصم ، به ، وشك ابن

وعن النبي ﷺ قال : "صلاة المرأة في مَخْدعِها أفضل من صلاتها في بيتها ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها"(١).

قوله تعالى:{وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب : ٣٣]، أي:" ولا تُظهرن محاسنكن، كما كان يفعل نساء الجاهلية الأولى في الأزمنة السابقة على الإسلام"(٢).

قوله تعالى:{وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ} [الأحزاب : ٣٣]، أي:" وأدِّين -يا نساء النبي- الصلاة كاملة في أوقاتها، وأعطين الزكاة كما شرع الله"(٣).

قال الزمخشري:" أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة، ثم جاء به عاما في جميع الطاعات، لأن هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات: من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه إلى ما وراءهما"(٤).

قال ابن كثير:" نهاهن أولا عن الشر ثم أمرهن بالخير ، من إقامة الصلاة - وهي : عبادة الله ، وحده لا شريك له - وإيتاء الزكاة ، وهي : الإحسان إلى المخلوقين"(٥).

قوله تعالى:{وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأحزاب : ٣٣]، أي:" وأطعن الله ورسوله في أمرهما ونهيهما"(٦).

قال ابن كثير:" وهذا من باب عطف العام على الخاص"(٧).

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} [الأحزاب : ٣٣]، أي:" إنما أوصاكن الله بهذا؛ ليزكيكنَّ، ويبعد عنكنَّ الأذى والسوء والشر يا أهل بيت النبي -ومنهم زوجاته وذريته عليه الصلاة والسلام-"(٨).

قال الطبري:" يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد"(٩).

وقال مقاتل:" من الإثم الذي ذكر فى هذه الآيات"(١٠).

قال ابن زيد:" «الرجس» هاهنا: الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك"(١١).

قال الجصاص:" يحتمل: التطهير من الذنوب ويحتمل التطهير من الأحداث والجنابة والنجاسة كقوله تعالى {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} [المائدة : ٦]"(١٢).

قال الزجاج:" «الرجس» -في اللغة-: كل مستنكر مستقذر من مأكول أو عمل أو فاحشة"(١٣).

قال السمعاني:" الرجس: ما يدعو إلى المعصية"(١٤).

قال ابن كثير:" وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت هاهنا ؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا ، إما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح"(١٥).

خزيمة في سماع قتادة هذا الحديث من مورق.

(١)سنن أبي داود برقم (٥٧٠). قال ابن كثير:٤٠٩/٦:" وهذا إسناد جيد؟.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٤) الكشاف: ٥٣٨/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٩) تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٩/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٠.

(١٢) أحكام القرآن: ٣٣/٤.

(١٣) معاني القرآن: ٢٢٦/٤.

(١٤) تفسير السمعاني: ٢٨٢/٤.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٤٠٩/٦.

وفي قوله تعالى :{أَهْلَ الْبَيْتِ} [الأحزاب : ٣٣]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه عنى علياً وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، قاله أبو سعيد الخدري[١]، وعائشة[٢]، وأم سلمة[٣]، رضي الله عنهم، وبه قال جماعة كثيرة من التابعين منهم مجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والكلبي[٦].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي وفاطمة وحسن وحسين: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}"[٧].

الثاني : أنه عنى أزواج النبي -ﷺ -خاصة ، قاله ابن عباس[٨]، وعكرمة[٩]، وابن السائب[١٠]، ومقاتل[١١].

عن علقمة، قال:" كان عكرمة ينادي في السوق {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}، قال: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة"[١٢].

قال مقاتل:" يعني: نساء النبي- ﷺ- لأنهن في بيته"[١٣].

قال ابن الجوزي:" ويؤكد هذا القول أن ما قبله وبعده متعلق بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى أرباب هذا القول اعتراض، وهو أن جمع المؤنث بالنون، فكيف قيل: «عنكم» «ويطهركم» ؟

فالجواب أن رسول الله ﷺ فيهن، فغلب المذكر"[١٤].

الثالث : أن الآية عامة في الكل: الأهل والأزواج ، قاله الضحاك[١٥].

قال السمعاني:" وهذا أحسن الأقاويل، فآله قد دخلوا في الآية، ونساؤه قد دخلن في الآية. واستدل من قال: إن نساءه قد دخلن في الآية؛ أنه قال: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت} وأهل بيت الرسول هن نساءه؛ ولأنه تقدم ذكر نسائه، والأحسن ما بينا من التعميم"[١٦].

قال القرطبي:" والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم، وإنما قال ويطهركم لأن رسول الله ﷺ وعليا وحسنا وحسينا فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فاقتضت الآية أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن، يدل عليه سياق الكلام اه ملخصا"[١٧].

قال الزجاج:" اللغة تدل على أنه للنساء والرجال جميعا لقوله: {عنكم} بالميم، {ويطهركم}، ولو كان للنساء لم يجز إلا «عنكن» و«يطهركن»، والدليل على هذا قوله: {واذكرن ما يتلى في بيوتكن}، حيث أفرد النساء بالخطاب"[١٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٣/٢٠.
(٢) انظر: صحيح مسلم برقم (٢٠٨١).
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٣/٢٠، ٢٦٥، ٢٦٧.
(٤) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨١/٤.
(٥) انظر: تفسير السمعاني: ٢٨١/٤.
(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١٨٢/١٤.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٧٣):ص٣١٣١/٩.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٦٧٥):ص٣١٣٢/٩.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٦٧٥):ص٣١٣٢/٩.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٤٦٢/٣.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٩/٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٠.
(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٩/٣.
(١٤) زاد المسير: ٤٦٢/٣.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٠١/٤، وزاد المسير: ٤٦٣/٣.
(١٦) تفسير السمعاني: ٢٨١/٤.
(١٧) تفسير القرطبي: ١٨٣/١٤.
(١٨) معاني القرآن: ٢٢٦/٤-٢٢٧.

قال ابن كثير:" فإن كان المراد أنهن كُنّ سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ، ففي هذا نظر ؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك:"[١].

- الحديث الأول : عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : "الصلاة يا أهل البيت ، { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}"[٢]. حديث آخر: عن أبي الحمراء قال : "رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد رسول الله ﷺ ، قال : رأيت رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر ، جاء إلى باب علي وفاطمة فقال : "الصلاة الصلاة { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }"[٣]. }"[٣].
- حديث آخر : عن شداد أبو عمار قال :" دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم ، فذكروا عليًّا ، رضي الله عنه ، فلما قاموا قال لي : ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله الله عليه وسلم ؟ قلت : بلى. قال : أتيت فاطمة أسألها عن علي فقالت : تَوَجه إلى رسول الله ﷺ ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ، ومعه علي وحسن وحسين ، آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل ، فأدنى عليًّا وفاطمة وأجلسهما بين يديه ، وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما على فخذه ، ثم لفَّ عليهم ثوبه - أو قال : كساءه - ثم تلا هذه الآية : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } ، اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وأهل بيتي أحق". وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير، عن الوليد بن مسلم ، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه - زاد في آخره : قال واثلة : فقلت : وأنا يا رسول الله - صلى الله عليك - من أهلك ؟ قال : "وأنت من أهلي"قال واثلة : إنها من أرجى ما أرتجي "[٤]. ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن واصل ، عن الفضل بن دُكَيْن ، عن عبد السلام بن حرب ، عن كلثوم المحاربي ، عن شداد أبي عمار قال : إني لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا عليا فشتموه ، فلما قاموا قال : اجلس حتى أخبرك عن الذي شتموه ، إني عند رسول الله ﷺ إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى ﷺ عليهم كساء له ، ثم قال : "اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". قلت : يا رسول الله ، وأنا ؟ قال : "وأنت" قال : فوالله إنها لأوثق عملي عندي"[٥].
- حديث آخر : عن عطاء بن أبي رباح ،" حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها ، فأتته فاطمة ، رضي الله عنها ، ببرمة فيها خَزيرة ، فدخلت بها عليه فقال لها : "ادعي زوجك وابنيك". قالت : فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه ، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة ، وهو على منامةٍ له على دكان تحته كساء خيبري ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله ، عز وجل ، هذه الآية : {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }. قالت : فأخذ فضل الكساء فغطاهم به ، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ، ثم قال : "اللهم هؤلاء أهل

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤١١/٦.

(٢)المسند (٢٥٩/٣) وسنن الترمذي برقم (٣٢٠٦)، قال الترمذي:" حسن غريب".

(٣)تفسير الطبري:٢٦٤/٢٠، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠٠/٢٢) من طريق منصور بن الأسود ، عن أبي داود بنحوه.

قال ابن كثير٤١١/٦:" أبو داود الأعمى هو : نفيع بن الحارث ، كذاب".

(٤)المسند (١٠٧/٤) وتفسير الطبري ٢٦٤/٢٠.

(٥)تفسير الطبري٢٦٤/٢٠، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٦٥/٢٢) من طريق علي بن عبد العزيز عن الفضل بن دكين ، أبو نعيم به.

بيتي وخاصتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" ، قالت : فأدخلت رأسي البيت ، فقلت : وأنا معكم يا رسول الله ؟ فقال : "إنك إلى خير ، إنك إلى خير"(١).

ولهذا الحديث طرق أخرى:

- عن عطية الطُّفَاوِيِّ ، عن أبيه ؛ أن أم سلمة حدثته قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي يومًا إذ قال الخادم : إن فاطمة وعليا بالسدّة قالت : فقال لي : "قومي فَتَنَحي عن أهل بيتي". قالت : فقمت فتنحيت في البيت قريبًا ، فدخل علي وفاطمة ، ومعهما الحسن والحسين ، وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبَّلهما ، واعتنق عليا بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى ، وقَبَّل فاطمة وقَبَّل عليا ، وأغدق عليهم خَميصَة سوداء وقال : "اللهم ، إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي". قالت : فقلت : وأنا يا رسول الله ؟ صلى الله عليك. قال : "وأنت"(٢).
- عن أبي سعيد ، عن أم سلمة ؛ أن هذه الآية نزلت في بيتها : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } قالت : وأنا جالسة على باب البيت فقلت : يا رسول الله ، ألستُ من أهل البيت ؟ فقال : "إنك إلى خير ، أنت من أزواج النبي ﷺ" قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، رضي الله عنهم "(٣).
- عن أبي هريرة، عن أم سلمة قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: "أين ابن عمك وابناك؟" فقالت: في البيت، فقال: "ادعيهم ". فجاءت إلى علي فقالت: أجب النبي ﷺ أنت وابناك، قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: "هؤلاء أهل البيت، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"(٤).
- عن حكيم بن سعد قال : ذكرنا علي بن أبي طالب عند أم سلمة ، فقالت : في بيتي نزلت : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }. قالت أم سلمة : جاء رسول الله ﷺ إلى بيتي فقال : "لا تأذني لأحد". فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها. ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أحجبه عن أمه وجده ، ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه ، ثم جاء علي فلم أستطع أن أحجبه ، فاجتمعوا فَجَلّلهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ، ثم قال : "هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت : فقلت : يا رسول الله ، وأنا ؟ قالت : فوالله ما أنعم ، وقال : "إنك إلى خير" (٥).
- حديث آخر : عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة ، رضي الله عنها : خرج رسول الله ﷺ ذات غداة ، وعليه مِرْط مُرَحَّل من شَعْر أسود ، فجاء الحسن فأدخله معه ، ثم جاء الحسين فأدخله معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معه ، ثم جاء علي فأدخله معه ، ثم قال : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}"(٦).

---

(١)المسند (٢٩٢/٦) وقد سمى شيخ عطاء في رواية الطبراني في المعجم الكبير (١١/٩) فقال عن عطاء بن أبي رباح ، عن عمر بن أبي سلمة بنحوه.

قال ابن كثير: ٤١٢/٦:" في إسناده من لم يسم، وهو شيخ عطاء ، وبقية رجاله ثقات".

(٢)المسند (٢٩٦/٦).

(٣)تفسير الطبري ٢٦٥/٢٠، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٢٣) من طريق فضيل بن مرزوق به مختصرا.

(٤)تفسير الطبري٢٦٥/٢٠.

(٥)تفسير الطبري :٢٦٧/٢٠، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار برقم (٧٦٢) من طريق جرير بن عبد الحميد ، ، عن الأعمش بنحوه.

(٦) صحيح مسلم برقم (٢٠٨١)، تفسير الطبري ٢٦٣/٢، وفيه:" فجاء الحسن، فأدخله معه ثم قال:..".

- حديث آخر : عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : "نزلت هذه الآية في خمسة : فيّ ، وفي علي ، وحسن ، وحسين ، وفاطمة : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }"(١).
- حديث آخر : عن عامر بن سعد، قال : قال سعد : قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي ، فأخذ عليا وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ، ثم قال : "رب ، هؤلاء أهلي وأهل بيتي" (٢).
- حديث آخر : عن يزيد بن حَيَّان قال : "انطلقت أنا وحُصَين بن سَبْرَةَ وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيتَ يا زيدُ خيرًا كثيرًا رأيتَ رسول الله ﷺ وسمعتَ حديثه ، وغزوتَ معه ، وصليتَ خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا؛ حَدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال : يا بن أخي ، والله لقد كَبرَت سِنِّي ، وقدم عهدي ، ونسيتُ بعض الذي كنتُ أعي من رسول الله ﷺ ، فما حَدّثتكُم فاقبلوا ، وما لا فلا تُكَلّفونيه. ثم قال : قام فينا رسول الله ﷺ يوما خطيبا بماء يدعى خُمًّا - بين مكة والمدينة - فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وَذَكّر ، ثم قال : "أما بعد ، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، وأولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به". فَحَثّ على كتاب الله وَرَغَّب فيه ، ثم قال : "وأهل بيتي ، أذَكِّركم الله في أهل بيتي ، أذكِّركم الله في أهل بيتي" ثلاثا. فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصّدَقة بعده. قال : ومَنْ هم ؟ قال هم آل علي ، وآل عَقِيل ، وآل جعفر ، وآل عباس. قال : كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة ؟ قال : نعم"(٣).
  وفي رواية:" فقلنا له : مَنْ أهل بيته ؟ نساؤه ؟ قال : لا وايم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعَصبَته الذين حُرموا الصدقة بعده"(٤).

قال ابن كثير:"هكذا وقع في هذه الرواية ، والأولى أولى ، والأخذ بها أحرى. وهذه الثانية تحتمل أنه أراد تفسير الأهل المذكورين في الحديث الذي رواه ، إنما المراد بهم آله الذين حُرموا الصدقة ، أو أنه ليس المراد بالأهل الأزواج فقط ، بل هم مع آله ، وهذا الاحتمال أرجح ؛ جمعا بينها وبين الرواية التي قبلها ، وجمعا أيضا بين القرآن والأحاديث المتقدمة إن صحت ، فإن في بعض أسانيدها نظرًا ، والله أعلم. ثم الذي لا يشك فيه من تَدَبَّر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى:{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } ، فإن سياق الكلام معهن"(٥).

قوله تعالى:{وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب : ٣٣]، أي:" ويطهِّر نفوسكم غاية الطهارة"(٦).

قال الطبري:يقول:"ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا"(٧).

قال السمعاني:" أي: من المعاصي بتقوى الله تعالى"(٨).

قال قتادة:" فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه"(٩).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٦٦/٢٠.
(٣)صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨).
(٤)صحيح مسلم برقم (٢٤٠٨).
(٥) تفسير ابن كثير: ٤١٥/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٦٢/٢٠.
(٨) تفسير السمعاني: ٢٨٢/٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٠.

قال الزمخشري:" استعار للذنوب: الرجس، وللتقوى: الطهر، لأن عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس، كما يتلوث بدنه بالأرجاس. وأما المحسنات، فالعرض معها نقى مصون كالثوب الطاهر. وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولى الألباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه، ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به"[^١].

عن أبي جميلة، قال : إن الحسن بن علي استُخلفَ حين قُتِل علي ، رضي الله عنهما، قال : فبينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وزعم حصين أنه بلغه أن الذي طعنه رجل من بني أسد ، وحسن ساجد قال : فيزعمون أن الطعنة وقعت في وركه ، فمرض منها أشهرا ، ثم بَرَأ فقعد على المنبر ، فقال : يا أهل العراق ، اتقوا الله فينا ، فإنا أمراؤكم وضيفانكم ، ونحن أهل البيت الذي قال الله : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } قال : فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يَحِنّ بكاء"[^٢].

عن أبي الديلم قال :" قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام : أما قرأت في الأحزاب : { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } ؟ قال : نعم ، ولأنتم هم ؟ قال : نعم"[^٣].

الضحاك بن مزاحم :"أن نبي الله ﷺ كان يقول: «نحن أهل بيت طهرهم الله من شجرة النبوة، وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وبيت الرحمة ومعدن العلم»"[^٤].

القرآن

{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)} [الأحزاب : ٣٤]

التفسير:

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من القرآن وحديث الرسول ﷺ، واعملن به، واقدُرْنه حقَّ قَدْره، فهو من نِعَم الله عليكن، إن الله كان لطيفًا بكنَّ؛ إذ جعلكنَّ في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والسنة، خبيرًا بكنَّ إذ اختاركنَّ لرسوله أزواجًا.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} [الأحزاب : ٣٤]، أي:" واذكرن ما يتلى في بيوتكن من القرآن وحديث الرسول ﷺ"[^٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد ﷺ: واذكرن نعمة الله عليكن؛ بأن جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه وعني بقوله: {واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله}: واذكرن ما يقرأ في بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة، ويعني بالحكمة: ما أوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة"[^٦].

قال الزمخشري:" ثم ذكرهن أن بيوتهن مهابط الوحى، وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين: هو آيات بينات تدل على صدق النبوة، لأنه معجزة بنظمه. وهو حكمة وعلوم وشرائع"[^٧].

قال ابن كثير:" أي : اعملن بما ينزل الله على رسوله في بيوتكن من الكتاب والسنة. قاله قتادة[^١]، وغير واحد ، واذكرن هذه النعمة التي خصصتن بها من بين الناس ، أن الوحي

---

(١) الكشاف: ٥٣٨/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٧٦):ص٣١٣٢/٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٦/٢٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤١٦/٦.
(٤) أخجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٠):ص٣١٣٣/٩.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٦) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٠.
(٧) الكشاف: ٥٣٨/٣.

ينزل في بيوتكن دون سائر الناس ، وعائشة الصديقة بنت الصديق أَوْلاهُنَّ بهذه النعمة ، وأحظاهن بهذه الغنيمة ، وأخصهن من هذه الرحمة العميمة ، فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحيُ في فراش امرأة سواها ، كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه.

قال بعض العلماء ، رحمه الله : لأنه لم يتزوج بكرا سواها ، ولم ينم معها رجل في فراشها سواه ، فناسب أن تخصص بهذه المزية ، وأن تفرد بهذه الرتبة العلية. ولكن إذا كان أزواجه من أهل ، فقرابته أحق بهذه التسمية ، كما تقدم في الحديث : "وأهل بيتي أحق". وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال : "هو مسجدي هذا"(٢).

فهذا من هذا القبيل ؛ فإن الآية إنما نزلت في مسجد قُباء ، كما ورد في الأحاديث الأخر. ولكن إذا كان ذاك أسّسَ على التقوى من أول يوم ، فمسجد رسول الله ﷺ أولى بِتَسمِيَته بذلك ، والله أعلم "(٣).

عن قتادة:"{واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة}، قال: القرآن، والسنة، عتب عليهن بذلك"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} [الأحزاب : ٣٤]، أي:" إن الله كان عالماً بما يصلح لأمر العباد، خبيراً بمصالحهم"(٥).

قال الطبري: يقول:" إن الله كان ذا لطف بكن؛ إذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيرا بكن إذ اختاركن لرسوله أزواجا"(٦).

قال ابن كثير:" أي : بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة ، وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك ، أعطاكن ذلك وخصكن بذلك"(٧).

قال الزمخشري:" {إن الله كان لطيفا خبيرا} حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم. أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لأن يكونوا أهل بيته. أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين"(٨).

فوائد الآيات:[٣١-٣٤]:

١- حرمة ترقيق المرأة صوتها وتليين عباراتها إذا تكلمت مع أجنبي.
٢- وجوب بقاء النساء في منازلهن ولا يخرجن إلا من حاجة لا بد منها.
٣- حرمة التبرج وهي أن تتزين المرأة وتخرج بادية المحاسن متبخترة في مشيتها.
٤- على المسلم أن يذكر ما شرفه الله به من الإيمان والإسلام ليترفع عن الدنايا والرذائل.
٥- بيان أن الحكمة هي السنة النبوية الصحيحة.
٦- الإشارة إلى وجود جاهلية ثانية وقد ظهرت منذ نصف قرن وهي تبرج النساء بالكشف عن الرأس والصدور والسيقان وحتى الأفخاذ.

القرآن

---

(١) أخرج الطبري عن عن قتادة في قوله: "{واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة}،: أي: السنة، قال: يمتن عليهم بذلك".[تفسير الطبري: ٢٠/٢٦٨]
(٢)صحيح مسلم برقم (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه.
(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٤١٥-٤١٦.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨١):ص٩/٣١٣٣.
(٥) صفوة التفاسير: ٢/٤٨١.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/٢٦٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٤١٦.
(٨) الكشاف: ٣/٥٣٨.

{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)} [الأحزاب : ٣٥]

التفسير:

إن المنقادين لأوامر الله والمنقادات، والمصَدِّقين والمصدِّقات والمطيعين لله ورسوله والمطيعات، والصادقين في أقوالهم والصادقات، والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكاره والصابرات، والخائفين من الله والخائفات، والمتصدقين بالفرض والنَّفْل والمتصدقات، والصائمين في الفرض والنَّفْل والصائمات، والحافظين فروجهم عن الزنى ومقدماته، وعن كشف العورات والحافظات، والذاكرين الله كثيرًا بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات، أعدَّ الله لهؤلاء مغفرة لذنوبهم وثوابًا عظيمًا، وهو الجنة.

في سبب نزول الآية أقوال:

احدها: عن أبي سلمة، عن أم سلمة، أنها قالت: للنبي ﷺ: «يا نبي الله، ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن؟» ، فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ}"[١].

عن مجاهد، عن أم سلمة، أنها قالت: "يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث. فأنزل الله {ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض} قال مجاهد: وأنزل فيها {إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ} وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة"[٢].

وقال مقاتل:" وذلك أن أم سلمة بنت أبي أمية أم المؤمنين ونسيبة بنت كعب الأنصاري قلن ما شأن ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ألا يكون فيهن خير، ولا لله فيهن حاجة، وقد تخلى عنهن فأنزل الله- تعالى- في قول أم سلمة ونسيبة بنت كعب: {إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ}"[٣].

الثاني: عن عكرمة، عن أم عمارة الأنصارية، "أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت هذه الآية: {إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ} الآية"[٤].

الثالث: قال مقاتل بن حيان: "بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا، فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار، قال: ومم ذلك؟ قالت:

---

(١) السنن الكبرى للنسائي(١١٣٤٠):ص٢١٩/١٠. وأخرجه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٣٨/١٨ - ح: ٣٨٤) والحاكم (المستدرك: ٤١٦/٢) وابن جرير ٢٧٠/٢٠، والطبراني (المعجم الكبير: ٢٩٤/٢٣ - ح: ٦٥٥) وابن المنذر وابن مردويه (فتح القدير: ٢٨٣/٤) من طريق عبد الرحمن بن شيبة عن أم سلمة رضي الله عنها ذلك، وصححه الحاكم، وهو كما قال، وحسنه الحافظ ابن حجر في "الأمالي" (حاشية معجم الطبراني الكبير: ٢٩٣/٢٣).

(٢) سنن الترمذي(٣٠٢٢):ص٢٣٧/٥. وقال: "هذا حديث مرسل، ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مرسلا، أن أم سلمة، قالت: كذا وكذا ".

وأخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٠.

[حكم الألباني] : صحيح الإسناد

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٩/٣.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٤/٥ - ح: ٣٢١١) والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن نصور وعبد بن حميد وابن وابن مردويه (فتح القدير: ٢٨٣/٤) والطبراني (المعجم الكبير: ٣١/٢٥، ٣٢ - ح: ٥١ - ٥٣) من طريق عكرمة عن أم عمارة ذلك، وحسنه الترمذي، والحافظ ابن حجر في "الأمالي" (حاشية المعجم الكبير للطبراني: ٣١/٢٥) وهو كما قالا: (انظر حاشية جامع الأصول: ٣٥٧/٢).

لأنهن لا يذكرن بالخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ} إلى آخرها"[١].

وروي عن ابن عباس قال: " قلن النساء: يا رسول الله ، ما باله يذكر المؤمنين، ولا يذكر المؤمنات؟ " فنزلت {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات} [الأحزاب: ٣٥]"[٢].

وقال قتادة: "دخل نساء على نساء النبي ﷺ، فقلن: قد ذكركن الله في القرآن، ولم نذكر بشيء، أما فينا ما يذكر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى:{إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَات}"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" إن المنقادين لأوامر الله والمنقادات"[٤].

قال الطبري: يقول: "إن المتذللين لله بالطاعة والمتذللات"[٥].

قال مقاتل:" يعنى: المخلصين بالتوحيد والمخلصات"[٦].

قال سعيد بن جبير:" يعني المخلصين لله من الرجال، والمخلصات من النساء"[٧].

قوله تعالى:{وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والمصَدِّقين والمصدِّقات"[٨].

قال الطبري: يقول: " والمصدقين والمصدقات رسول الله ﷺ فيما أتاهم به من عند الله"[٩].

قال مقاتل:" يعنى: المصدقين بالتوحيد والمصدقات"[١٠].

قال سعيد بن جبير:" يعني: المصدقين والمصدقات "[١١].

قال ابن كثير:" فقوله : { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } دليل على أن الإيمان غير الإسلام ، وهو أخص منه ، لقوله تعالى : { قَالَتِ الأعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات : ١٤]. وفي الصحيحين : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[١٢]. فيسلبه الإيمان ، ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين ، فدل على أنه أخص منه"[١٣].

قوله تعالى:{وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والمطيعين لله ورسوله والمطيعات"[١٤].

قال الطبري: يقول: والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم"[١٥].

قال مقاتل:" يعنى: المطيعين والمطيعات"[١].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٣٧٠.[مرسل]

(٢) المعجم الكبير للطبراني(١٢٦١٥):ص١٠٨/١٢، وبرقم(٥٥٤):ص٢٦٣/٢٣، واخرجه الطبري: ٢٧٠/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٠، وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٧٠-٣٧١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٩/٣.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٣/٩.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٩) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٣.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٣/٩.

(١٢)حديث أبى هريرة: أخرجه عبد الرزاق (٤١٦/٧، رقم ١٣٦٨٦) ، ومسلم (٧٧/١، رقم ٥٧) ، وأبو داود (٢٢١/٤، رقم ٤٦٨٩) ، والترمذى (١٥/٥، رقم ٢٦٢٥) وقال: حسن صحيح غريب. وأخرجه أيضا: أحمد (٤٧٩/٢، رقم ١٠٢٢٠) ، والبخارى (٢٤٩٧/٦، رقم ٦٤٢٥) ، وابن حبان (٢٦٠/١٠، رقم ٤٤١٢).

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤١٨/٦.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(١٥) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٠.

قال سعيد بن جبير:" يعني: المطيعين والمطيعات"[٢].

قال ابن كثير:" القنوت : هو الطاعة في سكون ، { أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } [الزمر : ٩] ، وقال تعالى : { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ } [الروم : ٢٦] ، { يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } [آل عمران : ٤٣] ، { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } [البقرة : ٢٣٨]. فالإسلام بعده مرتبة يرتقي إليها ، ثم القنوت ناشئ عنهما"[٣].

قوله تعالى:{وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والصادقين في أقوالهم والصادقات"[٤].

قال الطبري: يقول:" والصادقين لله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه"[٥].

قال مقاتل:" والصادقين في إيمانهم والصادقات في إيمانهن"[٦].

قال سعيد بن جبير:" يعني: الصادقين في إيمانهم"[٧].

قال ابن كثير:" هذا في الأقوال ، فإن الصدق خصلة محمودة ؛ ولهذا كان بعض الصحابة لم تُجَرّب عليه كِذْبة لا في الجاهلية ولا في الإسلام، وهو علامة على الإيمان ، كما أن الكذب أمارة على النفاق ، ومَنْ صدق نجا ، «عليكم بالصدق ؛ فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة. وإياكم والكذب ؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، ولا يزال الرجل يكذب ويتَحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا»[٨]. والأحاديث فيه كثيرة جدا"[٩].

قوله تعالى:{وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات وعلى المكاره والصابرات"[١٠].

قال الطبري: يقول:" والصابرين لله في البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات"[١١].

قال مقاتل:" والصابرين على أمر الله- عز وجل- والصابرات عليه"[١٢].

قال سعيد بن جبير:" يعني: على أمر الله"[١٣].

قال ابن كثير:" هذه سَجِيّة الأثبات ، وهي الصبر على المصائب ، والعلم بأن المقدور كائن لا محالة ، وَتَلَقّي ذلك بالصبر والثبات ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى ، أي : أصعبه في أول وهلة ، ثم ما بعده أسهل منه ، وهو صدق السجية وثباتها"[١٤].

قوله تعالى:{وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والخائفين من الله والخائفات"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٣.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٣/٩.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤١٨/٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٠.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٤/٩.
(٨)أخرجه أحمد (٣٨٤/١، رقم ٣٦٣٨) ، ومسلم (٢٠١٣/٤، رقم ٢٦٠٧) ، والترمذى (٣٤٧/٤، رقم ١٩٧١) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (٥٠٨/١، رقم ٢٧٤) . وأخرجه أيضا: البخارى فى الأدب المفرد (١٤٠/١، رقم ٣٨٦) ، والشاشى (٣٩/٢، رقم ٥١٣).
(٩) تفسير ابن كثير: ٤١٨/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(١١) تفسير الطبري: ٢٦٨/٢٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٣.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٤/٩.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٤١٨/٦.

قال الطبري: يقول:" والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات"[٢].

قال مقاتل:" يعني: المتواضعين والمتواضعات، قال مقاتل: من لا يعرف في الصلاة من عن يمينه ومن عن يساره من الخشوع لله- عز وجل- فهو منهم"[٣].

قال سعيد بن جبير:" {والخاشعين}: يعني المتواضعين لله في الصلاة من لا يعرف من عن يمينه ولا من عن يساره ولا يلتفت من الخشوع لله، {والخاشعات}، يعني: المتواضعات من النساء"[٤].

قال ابن كثير:" الخشوع: السكون والطمأنينة ، والتؤدة والوقار والتواضع. والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته ،كما في الحديث: «اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٥]"[٦].

قوله تعالى:{وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والمتصدقين بالفرض والنَّفْل والمتصدقات"[٧].

قال الطبري: يقول:" والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات"[٨].

قال مقاتل:" والمتصدقين بالمال والمتصدقات به"[٩].

قال ابن كثير:" الصدقة : هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء ، الذين لا كَسْبَ لهم ولا كاسب ، يعطون من فضول الأموال طاعة لله ، وإحسانا إلى خلقه"[١٠].

وفي الحديث: " سبعة يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق فى المساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"[١١].

وفي الحديث :" إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة فى ظل صدقته"[١٢].

عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : " إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء"[١٣].

عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : " ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٢٦٨-٢٦٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٩٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٩/٣١٣٤.
(٥)أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٨/٢٠٢) . وأخرجه أيضا: نعيم بن حماد فى زوائده على الزهد لابن المبارك (١/٦٣، رقم ٢٢٢).
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٤١٨.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/٢٦٩.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٤٩٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٤١٨.
(١١)حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٢/٤٣٩، رقم ٩٦٦٣) ، والبخارى (١/٢٣٤، رقم ٦٢٩) ، ومسلم (٢/٧١٥، رقم ١٠٣١) ، والنسائى فى الكبرى (٣/٤٦١، رقم ٥٩٢١) ، وابن حبان (١٠/٣٣٨، رقم ٤٤٨٦) . وأخرجه أيضا: ابن خزيمة (١/١٨٥، رقم ٣٥٨).
(١٢)أخرجه الطبرانى (١٧/٢٨٦، رقم ٧٨٨) قال الهيثمى (٣/١١٠) : فيه ابن لهيعة، وفيه كلام. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/٢١٢، رقم ٣٣٤٧) . وأخرجه أيضا: ابن عدى (٢/٢١٠ ترجمة ٣٩٦ الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربى).
(١٣)أخرجه الترمذى (٣/٥٢، رقم ٦٦٤) وقال: حسن غريب. وابن حبان (٨/١٠٣، رقم ٣٣٠٩) ، والضياء (٥/٢١٨ رقم ١٨٤٧).

ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة"(١).

وفي الحديث خطب النبي ﷺ يوم العيد قال في خطبته : "يا معشر النساء تصدَّقْنَ ولو من حليكن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار"(٢).

قال ابن كثير:"وكأنه حثهن ورغبهن على ما يفدين به أنفسهن من النار"(٣).

وقال عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : ذكر لي أن الأعمال تتباهى ، فتقول الصدقة : أنا أفضلكم"(٤).

عن أبي هريرة قال : ضرب رسول الله ﷺ ، مثل البخيل والمتصدق ، كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع"(٥).

عن أبى ذر قال: "قلت يا رسول الله ماذا ينجى العبد من النار قال الإيمان بالله قلت إن مع الإيمان عملا قال يرضخ مما رزقه الله، قلت: أرأيت إن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ به، قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قلت: أرأيت إن كان عييا لا يستطيع أن يصنع شيئا، قال: يعين مغلوبا، قلت: أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مغلوبا، قال: ما تريد أن تترك فى صاحبك شيئا من الخير يمسك الأذى عن الناس، قلت: يا رسول الله إذا فعل ذلك دخل الجنة، قال والذى نفسى بيده ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء يريد بها وجه الله إلا أخذت بيده يوم القيامة حتى تدخله الجنة"(٦).

قوله تعالى:{وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والصائمين في الفرض والنَّفْل والصائمات"(٧).

قال الطبري: يقول:" والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك"(٨).

قال مقاتل:" من صام شهر رمضان وثلاثة أيام من كل شهر فهو من {الصائمين}، فهو من أهل هذه الآية"(٩).

قال سعيد بن جبير:" من صام شهر رمضان، ثلاثه أيام من كل شهر، فهو من أهل هذه الآية"(١).

---

(١)أخرجه أحمد (٢٥٦/٤، رقم ١٨٢٧٢) ، والبخارى (٢٧٠٩/٦، رقم ٧٠٠٥) ، ومسلم (٧٠٣/٢، رقم ١٠١٦) ، والترمذى (٦١١/٤، رقم ٢٤١٥) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضا: ابن ماجه (٦٦/١، رقم ١٨٥) ، والطبرانى

(٩٥/١٧، رقم ٢٢٥) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٧٦/٤، رقم ٧٥٣٣) ، وفى شعب الإيمان (٢٤٥/١، رقم ٢٥٩) ، وابن منده (٧٧٥/٢، رقم ٧٨٧) وقال: إسناده صحيح. والرافعي (١٠٤/٤).

(٢)حديث ابن عمر: أخرجه مسلم (٨٦/١، رقم ٧٩) . وأخرجه أيضا: أحمد (٦٦/٢، رقم ٥٣٤٣) ، وابن ماجه ماجه (١٣٢٦/٢، رقم ٤٠٠٣) .

حديث أبى هريرة: أخرجه مسلم (٨٦/١، رقم ٨٠) ، والترمذى (١٠/٥، رقم ٢٦١٣) وقال: صحيح غريب.

(٣) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٤١٩/٦.

(٤) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٤١٩/٦.

(٥)أخرجه أحمد (٣٨٩/٢، رقم ٩٠٤٥) ، والبخارى (٥٢٣/٢، رقم ١٣٧٥) ، ومسلم (٧٠٨/٢، رقم ١٠٢١) ، ، والنسائى (٧٢/٥، رقم ٢٥٤٨) ، وابن حبان (١٢٣/٨، رقم ٣٣٣٢) .

ومن غريب الحديث: "سبغت": أى اتسعت. "تخفى بنانه": أى تستر أصابعه. "تعفو أثره": أى تمحو أثر مشيه.

(٦)أخرجه ابن حبان (٩٦/٢، رقم ٣٧٣) ، والطبرانى (١٥٦/٢، رقم ١٦٥٠) قال الهيثمى (١٣٥/٣) : رجاله ثقات. والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٠٤/٣، رقم ٣٣٢٨).

ومن غريب الحديث: "يرضخ": أى يعطى. "عييا": أى غير قادر أو عاجز عن فعل شىء من ذلك.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٨) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٠.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٣.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم»[٢].
قال ابن كثير:" أي : تزكيه وتطهره وتنقيه من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعا"[٣].
قال ابن كثير:" ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة - كما قال رسول الله ﷺ : «يا معشر الشباب ، مَنْ استطاع منكم الباء فليتزوج ، فإنه أغَضُّ للبصر ، وأحْصَنَ للفرج ، ومَنْ لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء»[٤] - ناسب أن يذكر بعده:{ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ }"[٥].
قوله تعالى:{وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والحافظين فروجهم عن الزنى ومقدماته، وعن كشف العورات والحافظات"[٦].
قال الطبري: يقول:" والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والحافظات ذلك إلا على أزواجهن إن كن حرائر أو من ملكهن إن كن إماء"[٧].
قال مقاتل:" والحافظين فروجهم عن الفواحش والحافظات من الفواحش"[٨].
قال سعيد بن جبير:" يعني: فروجهم عن الفواحش"[٩].
قوله تعالى:{وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" والذاكرين الله كثيرًا بقلوبهم وألسنتهم والذاكرات"[١٠].
قال الطبري: يقول:" والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات، كذلك"[١١].
قال مقاتل:" والذاكرين الله كثيرا باللسان والذاكرات الله كثيرا باللسان"[١٢].
قال مجاهد:" لا يكتب الرجل من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما، وقاعدا، ومضطجعا"[١٣].
عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : "إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ، كتبا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات"[١٤].
عن أبي سعيد الخُدْري ، رضي الله عنه ، أنه قال : قلت : يا رسول الله ، أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : "الذاكرون الله كثيرا والذاكرات، قال : قلت : يا رسول الله ، ومن الغازي في سبيل الله ؟ قال : "لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه "[١٥].
عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : كان النبي ﷺ يسير في طريق مكة ، فأتى على جُمْدان فقال : "هذا جُمْدان ، سيروا فقد سبق المُفَرّدون". قالوا : وما المُفَرّدون ؟ قال :

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٤/٩.
(٢) سنن ابن ماجة(١٧٤٥):ص٥٥٥/١.
في الزوائد إسناد الحديث من الطريقين معا ضعيف. فيه موسى بن عبيدة الزيري. ومدار الطريقين عليه وهو متفق على تضعيفه.
[حكم الألباني]: ضعيف
(٣) تفسير ابن كثير: ٤١٩/٦.
(٤)صحيح البخاري برقم (٥٠٦٦) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٢٠/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٣.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٤/٩.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٢.
(١١) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٣.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٥):ص٣١٣٤/٩.
(١٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٢٠/٦.
(١٥)المسند (٧٥/٣) ودراج عن أبي الهيثم ضعيف.

"الذاكرون الله كثيرا ". ثم قال : "اللهم اغفر للمحلقين". قالوا : والمقصرين ؟ قال : "اللهم ، اغفر للمحلقين". قالوا : والمقصرين ؟ قال : "والمقصرين"(١).

عن معاذ بن جبل ، رضي الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله ﷺ : "ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله". وقال معاذ : قال رسول الله ﷺ : "ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم" ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال : "ذكر الله عز وجل"(٢).

عن سهل بن معاذ بن أنس الجُهَنيّ ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ : أن رجلا سأله فقال : أي المجاهدين أعظم أجرًا يا رسول الله ؟ فقال : "أكثرهم لله ذكرًا". قال : فأي الصائمين أكثر أجرًا ؟ قال : "أكثرهم لله ذكرا". ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كل ذلك يقول رسول الله ﷺ : "أكثرهم لله ذكرا". فقال أبو بكر لعمر ، رضي الله عنهما : ذهب الذاكرون بكل خير. فقال رسول الله ﷺ : "أجل"(٣).

قوله تعالى:{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب : ٣٥]، أي:" أعدَّ الله لهؤلاء مغفرة لذنوبهم وثوابًا عظيمًا، وهو الجنة"(٤).

قال الطبري: يقول:" أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم، وأجرا عظيما: يعني ثوابا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما، وذلك الجنة"(٥).

قال ابن كثير:" أي : هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرا عظيما وهو الجنة"(٦).

قال سعيد بن جبير:" ثم أخبر بثوابهم فقال: {أعد الله لهم مغفرة}، يعني: لذنوبهم، {وأجرا عظيما}، يعني: جزاء وافر في الجنة "(٧).

فوائد الآية[٣٥]:

١- بشرى المسلمين والمسلمات بمغفرة ذنوبهم ودخول الجنة إن اتصفوا بتلك الصفات المذكورة في هذه الآية وهي عشر صفات أولها الإسلام وآخرها ذكر الله تعالى.

٢- فضل الصفات المذكورة إذ كانت سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب.

٣- تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء في العمل الذي كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً وأما ما خص به الرجال أو النساء فهو على خصوصيته للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن والله يقول الحق ويهدي السبيل.

القرآن

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)} [الأحزاب : ٣٦]

التفسير:

ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حُكمًا أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم. ومن يعص الله ورسوله فقد بَعُدَ عن طريق الصواب بُعْدًا ظاهرًا.

في سبب نزول الآية قولان:

---

(١)المسند (٤١١/٢) وصحيح مسلم برقم (١٣٠٢) ورواه مسلم دون أوله.

(٢)المسند (٢٣٩/٥).

(٣)المسند (٤٣٨/٣) وقال الهيثمي في المجمع (٧٤/١٠) : "وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف ، وقد وثق ، وكذلك ابن لهيعة ، وبقية رجاله ثقات".

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٢١/٦.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٨٣):ص٣١٣٤/٩.

أحدهما: أنها نزلت في زينب بنت جحش خطبها رسول الله (ﷺ) لزيد بن حارثة فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله بن جحش وأنهما ولدا عمة رسول الله (ﷺ) أمهما أميمة بنت عبد المطلب وأن زيداً كان بالأمس عبداً فنزلت هذه الآية فقالت : أمري بيدك يا رسول الله فزوجها به ، قاله ابن عباس(١)، ومجاهد(٢)، وقتادة(٣).

قال مقاتل:" وساق إليهم عشرة دنانير وستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وعشرة أمداد من تمر أعطاه النبي- ﷺ- ذلك كله"(٤).

عن أنس بن مالك قال : "إن هذه الآية : { وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ } نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة ، رضي الله عنهما"(٥).

قال ابن عباس:" وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: فانكحيه، فقالت: يا رسول الله أؤمر في نفسي، فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة....} إلى قوله {ضلالا مبينا}، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله منكحا؟ قال: "نعم" قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي"(٦).

وعن ابن عباس، قال: "خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة؛ فأنزل الله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا....}، الآية كلها"(٧).

قال قتادة: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخطبها رسول الله ﷺ فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم}، قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت"(٨).

عن زينب بنت جحش؛ قالت: "خطبني عدة من قريش، فأرسلت أُختي حَمَنة إلى رسول الله - ﷺ - أستشيره، فقال لها رسول الله: "أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسُنة نبيها؟ "، قالت: ومن هو يا رسول الله؟! قال: "زيد بن حارثة"، قال: فغضبت حمنة غضباً شديداً، وقالت: يا رسول الله! أَتُزَوّجُ بنت عمتك لمولاك؟ قالت: وجاءتني، فأعلمتني فغضبت أشد من غضبها، وقلتُ أَشدَّ من قولها؛ فأنزل الله: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}، قالت: فأَرْسَلْتُ إلى رسول الله - ﷺ -، وقلت: إني أَسْتَغْفِرُ الله، وأطيعُ اللهَ ورسولَه، أفعل ما رأيت، فزوجني زيداً، وكنت أرثى عليه؛ فشكاني إلى رسول الله - ﷺ -،

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠-٢٧٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٣/٣. ثم قال مقاتل:" فدخل النبي- ﷺ- فوعظها فلما كلمها أعجبه حسنها وجمالها وظرفها".

هذا كلام مرفوض لا يقبله العقل ولا يوافقه النقل:

إن إعجاب النبي- ﷺ- بجمالها وظرفها كان يتأتى لو لم يكن رآها قبل ذلك. أما والحال أنها كانت بنت عمته وقد ربيت قريبا منه وراها صغيرة وناشئة. ولو شاء لتزوجها بكرا لم تمس، ولكنه خطبها لزيد مولاه. ثم أعلم الله نبيه أنها ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد- رضى الله عنه- ليشكوها إليه قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» فقال له الله:

قد أخبرتك أنى مزوجكها « ... وتخفي في نفسك ما الله مبديه ... » سورة الأحزاب: ٣٧.

هذا ما روى عن ابن أبى حاتم وروى مثله عن السدى.

(٥)صحيح البخاري برقم (٤٧٨٧).

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠-٢٧٢، وعبد الرزاق في "تفسيره" (٢/ ١١٧)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤/ ٣٦، ٣٧ رقم ١٢٣، ١٢٤) من طرق عن قتادة. وهذا مرسل صحيح الإسناد.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٩٢): "رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح".

فعاتبني رسول الله - ﷺ -، ثم عدت فأخذته بلساني؛ فشكاني إلى رسول الله - ﷺ -، فقال رسول الله - ﷺ -: "أمسك عليك زوجك واتق الله"، فقال: يا رسول الله! أنا أُطلقها، قالت: فَطَلَّقَني، فلما انقضت عدتي؛ لم أعلم إلا رسول الله - ﷺ - قد دخل عليَّ ببيتي وأنا مكشوفة الشعر، فقلت: إنه أمر من السماء، فقلت: يا رسول الله! بلا خطبة ولا إشهاد؟! فقال: "الله المزوج، وجبريل الشاهد"(١). [ضعيف جداً]

قال ابن كثير:" ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم هاهنا آثارًا عن بعض السلف ، رضي الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفَحا لعدم صحتها فلا نوردها"(٢).

الثاني: وقال ابن زيد:" نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من أول من هاجر من النساء، فوهبت نفسها للنبي ﷺ، فزوجها زيد بن حارثة، فسخطت هي وأخوها، وقالا إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده. قال: فنزل القرآن: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ....}، إلى آخر الآية. قال: وجاء أمر أجمع من هذا: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم}، قال: فذاك خاص، وهذا إجماع"(٣).[ضعيف جداً]

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب : ٣٦]، أي:" ولا ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة إذا حكم الله ورسوله فيهم حُكمًا أن يخالفوه، بأن يختاروا غير الذي قضى فيهم"(٤).

قال الطبري: يقول:" لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما"(٥).

عن مجاهد، قوله: "{أن تكون لهم الخيرة من أمرهم}، قال: زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله ﷺ"(٦).

عن أنس قال : "خطب النبي ﷺ على جُلَيْبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها ، فقال : حتى أستأمر أمها. فقال النبي ﷺ : فنعم إذًا. قال : فانطلق الرجل إلى امرأته ، فذكر ذلك لها، فقالت : لاها الله ذا، ما وجد رسول الله ﷺ إلا جلَيبيبا ، وقد منعناها من فلان وفلان ؟ قال : والجارية في سترها تسمع. قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي ﷺ بذلك. فقالت الجارية : أتريدون أن تَرُدّوا على رسول الله ﷺ أمره ؟ إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه. قال : فكأنها جَلَّت عن أبويها ، وقالا صدقت. فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال : إن كنت رضيته فقد رضيناه. قال : "فإني قد رضيته". قال : فزوجها، ثم فزع أهل المدينة ، فركب جُلَيْبيب فوجدوه قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس : فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق بيت بالمدينة"(٧).

---

(١)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٢٤/ ٣٢ رقم ١٠٩)، والدارقطني في "سننه" (٣/ ٣٠١)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٧/ ١٣٦، ١٣٧)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢١/ ٢٥١) من طريق الحسين بن أبي السري العسقلاني ثني الحسن بن محمد بن أعين الحراني ثنا حفص بن سليمان عن الكميت بن زيد الأسدي حدثني مذكور مولى زينب بنت جحش عن زينب بنت جحش به.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٢٤٧): "فيه حفص بن سليمان وهو متروك، وفيه توثيق لين".

وقال الزيلعي في "تخريج الكشاف" (٣/ ١١٠): "والحسين بن أبي السري ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدي؛ قال البخاري: تركوه". اهـ.

وقال الحافظ في "الكاف الشاف": "إسناده ضعيف".

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ كما نقل الزيلعي آنفاً عن حال حفص والحسين.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٢٤/٦-٤٢٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "لباب النقول" (ص ١٧٤)، و"الدر المنثور" (٦/ ٦١٠)، وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم متروك الحديث.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٥) تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٠.

(٧)المسند (١٣٦/٣).

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر :" فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ من ذلك فتلت: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }، وقالت: رضيت وسلمت لما يرضي لي به رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدعا لها رسول الله ﷺ: اللَّهمّ اصبب عليها الخير صبًا ولا تجعل عيشها كدًا، ثم قتل عنها جليبيب، فلم يكن في الأنصار أيم(١) أنفق منها"(٢).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٣٦]، أي:" ومن يعص الله ورسوله فقد بَعُدَ عن طريق الصواب بُعْدًا ظاهرًا"(٣).

قال الطبري: يقول:" ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد. وذكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله ﷺ على فتاه زيد بن حارثة، فامتنعت من إنكاحه نفسها"(٤).

القرآن

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)} [الأحزاب : ٣٧]

التفسير:

وإذ تقول -أيها النبي- للذي أنعم الله عليه بالإسلام -وهو زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبنَّاه النبيُّ ﷺ- وأنعمت عليه بالعتق: أَبْقِ زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد، وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، زوجناكها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنَّوْنهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم. وكان أمر الله مفعولا لا عائق له ولا مانع.

سبب النزول:

عن السدى، قوله: "{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ}، قال: بلغنا أن هذه الآية أنزلت في زينب بنت جحش رضي الله، عنها وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، فأراد أن يزوجها زيد بن حارثه رضي الله، عنه فكرهت ذلك ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ، فزوجها إياه ثم أعلم الله نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر زيد بن حارثة بطلاقها وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب بعض ما يكون بين الناس فيأمره رسول الله ﷺ إن يمسك عليه زوجه، وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه أن يقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان رسول الله ﷺ قد تبنى زيدا"(٥).

عن أبي حمزة قال: "نزلت هذه الآية:{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} في زينب بنت جحش"(٦).

---

(١)في أسد الغابة: فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالا.
(٢)الاستيعاب: ٢٧٢/١.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٧١/٢٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٦):ص٣١٣٧/٩، وانظر: الدر المنثور: ٦١٦/٦.
(٦) .

قوله تعالى:{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} [الأحزاب : ٣٧]، أي:" اذكر أيها الرسول وقت قولك للذي أنعم الله عليه بالهداية للإسلام وأنعمت عليه بالتحرير من العبودية والإعتاق"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ عتابا من الله له {و} اذكر يا محمد {إذ تقول للذي أنعم الله عليه} بالهداية {وأنعمت عليه} بالعتق، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ"(٢).

عن قتادة:"{وإذ تقول للذي أنعم الله عليه} وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام {وأنعمت عليه} أعتقه رسول الله ﷺ"(٣).

قوله تعالى:{أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ} [الأحزاب : ٣٧]، أي:" أَبْقِ زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها، واتق الله يا زيد"(٤).

قال الطبري:" وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله ﷺ فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألقي في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ زيد، فقال له رسول الله ﷺ: {أمسك عليك زوجك} وهو ﷺ يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها، {واتق الله} وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك"(٥).

قال ابن زيد:" كان النبي ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله ﷺ يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما ذاك، أرابك منها شيء؟ "قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرا، فقال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك واتق الله"(٦).

قال علي بن حسين:"كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها، قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه}"(٧).

قوله تعالى:{وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ} [الأحزاب : ٣٧]، أي:" وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت"(٨).

قال الطبري:" يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك"(٩).

قال قتادة:"وكان يخفي في نفسه ود أنه طلقها"(١٠).

قال ابن زيد:" تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها"(١١).

عن علي بن زيد بن جدعان، قال:" : سألني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله : { وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ}؟ فذكرت له فقال : لا ولكن

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٤/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٥) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٩) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.

الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك. فقال : قد أخبرتك أني مُزَوِّجكها ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه"[١].

قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها؛ قوله {وتخفي في نفسك ما الله مبديه} ولو كان نبي الله ﷺ كاتما شيئا من الوحي لكتمها"[٢].

عن عائشة، قالت: "لو كتم رسول الله ﷺ شيئا مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه}"[٣].

قوله تعالى:{وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب : ٣٧]، أي:" وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه"[٤].

قال الطبري: يقول: " وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها، والله أحق أن تخشاه من الناس"[٥].

قال قتادة:" خشي نبي الله ﷺ مقالة الناس"[٦].

قوله تعالى:{فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا} [الأحزاب : ٣٧]، أي:" فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، زوجناكها"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته، وهي الوطر، ومنه قول الشاعر[٨]:

ودعني قبل أن أودعه ... لما قضى من شبابنا وطرا

{زوجناكها} يقول: زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه"[٩].

قال قتادة:" فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: أما أنتن زوجكن آباؤكن، وأما أنا فزوجني ذو العرش"[١٠].

عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : "تفاخرت عائشة وزينب، قال: فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء قال: وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطّل على الراحلة، فقالت لها زينب: يا عائشة، ما قلت حين ركبتيها، قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين"[١١].

عن الشعبي، قال : كانت زينب زوج النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم تقول للنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن؛ إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل عليه السلام"[١٢].

قوله تعالى:{لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا} [الأحزاب : ٣٧]، أي:" لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ضيق ومشقة وتأثم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبني، إذا لم يبق لأزواجهن حاجة فيهن"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٥):ص٣١٣٧/٩، وكما في تفسير ابن كثير: ٤٢٥/٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٧٣/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٥) تفسير الطبري: ٢٧٣/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٧٤/٢٠.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٨)في (اللسان: وطر).
(٩) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٠.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٤):ص٣١٣٦/٩.
(١١) .
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٠.
(١٣) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٢.

قال الطبري:" يعني: في نكاح نساء من تبنوا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة إذا هم طلقوهن وبن منهم، إذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم، وفارقوهن وحللن لغيرهم، ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن"[1].

قال ابن كثير:" أي : إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك ؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء ، وذلك أن رسول الله ﷺ كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة ، فكان يقال له : "زيد بن محمد" ، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى : { وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ } ، ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة ؛ ولهذا قال في آية التحريم : { وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُم } [النساء : ٢٣] ليحترز من الابن الدَّعِي ؛ فإن ذلك كان كثيرًا فيهم"[2].

قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} [الأحزاب : ٣٧]، أي:" وكان أمر الله مفعولا لا عائق له ولا مانع"[3].

قال الطبري:" يقول: وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أي: كائنا كان لا محالة. وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ كان ماضيا مفعولا كائنا"[4].

قال ابن كثير:" أي : وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحَتَّمه ، وهو كائن لا محالة ، كانت زينب في علم الله ستصير من أزواج النبي ﷺ"[5].

قال الصابوني: أي:" وكان أمر الله لك، ووحيه إليك بتزوج زينب مقَّدراً محتماً كائناً لا محالة"[6].

القرآن

{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)} [الأحزاب : ٣٨]

التفسير:

ما كان على النبيِّ محمد ﷺ من ذنب فيما أحلَّ الله له من زواج امرأة مَن تبنَّاه بعد طلاقها، كما أباحه للأنبياء قبله، سنة الله في الذين خَلَوا من قبل، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا لا بد من وقوعه.

قوله تعالى:{مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ} [الأحزاب : ٣٨]، أي:" ما كان على النبيِّ محمد ﷺ من ذنب فيما أحلَّ الله له من زواج امرأة مَن تبنَّاه بعد طلاقها"[7].

قال الطبري: يقول:" ما كان على النبي من حرج: من إثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه إياها"[8].

قال ابن كثير:" أي : فيما أحل له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها دَعِيُّه زيد بن حارثة"[9].

قال قتادة:" أي: أحل الله له"[10].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٠.
(٢) تفسيرابن كثير: ٤٢٦/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٧٥/٢٠.
(٥) تفسيرابن كثير: ٤٢٦/٦.
(٦) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٢.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٨) تفسير الطبري: ٢٧٦/٢٠.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢٠.

قوله تعالى:{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} [الأحزاب : ٣٨]، أي:" هذه سنة الله في جميع الأنبياء السابقين حيث وسَّع عليهم فيما أباحلهم"(١).

قال الطبري: " يقول: لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحل لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له، ونصب قوله {سنة الله} على معنى: حقا من الله، كأنه قال: فعلنا ذلك سنة منا"(٢).

قال ابن كثير:" هذا حكم الله في الأنبياء قبله ، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حَرج ، وهذا رَدٌّ على مَنْ تَوَهَّم مِن المنافقين نقصًا في تزويجه امرأة زيد مولاه ودَعيه ، الذي كان قد تبناه "(٣).

قال قتادة:" يقول: كما هوى داود النبي عليه السلام المرأة التي نظر إليها فهويها فتزوجها، فكذلك قضى الله لمحمد ﷺ فتزوج زينب، كما كان سنة الله في داود أن يزوجه تلك المرأة"(٤).

قوله تعالى:{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب : ٣٨]، أي:" وكان أمر الله قضاءً مقضياً، وحكماً مقطوعاً به من الأزل، لا يتغيَّر ولا يتبدَّل"(٥).

قال الطبري:" يقول: وكان أمر الله قضاء مقضيا"(٦).

قال ابن كثير:" أي : وكان أمره الذي يقدِّره كائنًا لا محالة ، وواقعًا لا محيد عنه ولا معدل ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن "(٧).

قال قتادة:" {وكان أمر الله قدرا مقدورا}، في أمر زينب"(٨).

عن ابن زيد، قوله: {وكان أمر الله قدرا مقدورا}" إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمه في علمه أن يخلق خلقا، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثوابا لأهل طاعته، وعقابا لأهل معصيته؛ فلما ائتمر ذلك الأمر قدره، فلما قدره كتب وغاب عليه، فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق، على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم؛ وقرأ: {أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم} [الأعراف: ٣٧] وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدر، فلا يكون إلا ما في ذلك، وما في ذلك الكتاب، وفي ذلك التقدير، ائتمر أمرا ثم قدره، ثم خلق عليه، فقال: كان أمر الله الذي مضى وفرغ منه، وخلق عليه الخلق {قدرا مقدورا} [الأحزاب: ٣٨] شاء أمرا ليمضي به أمره وقدره، وشاء أمرا يرضاه من عباده في طاعته؛ فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضيه لهم، ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره، وقرأ: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس} [الأعراف: ١٧٩] فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار، وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار، فقال: {كذلك زينا لكل أمة عملهم} [الأنعام: ١٠٨] وقال: {وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم} [الأنعام: ١٣٧] هذه أعمال أهل النار {ولو شاء الله ما فعلوه} [الأنعام: ١٣٧] قال: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين} [الأنعام: ١١٢] إلى قوله: {ولو شاء ربك ما فعلوه} [الأنعام: ١١٢] وقرأ: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم} [الأنعام: ١٠٩] . . إلى {كل شيء قبلا ما

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٦/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٧٦/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٦.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٤):ص٣١٣٧/٩.
(٥) صفوة التفاسير: ٤٨٦/٢.[بتصرف]
(٦) تفسير الطبري: ٢٧٦/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٦.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٤):ص٣١٣٧/٩.

كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله} [الأنعام: ١١١] أن يؤمنوا بذلك، قال: فأخرجوه من اسمه الذي تسمى به، قال: هو الفعال لما يريد، فزعموا أنه ما أراد"(١).

القرآن

{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩)} [الأحزاب : ٣٩]

التفسير:

ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُبَلِّغون رسالاتِ الله إلى الناس، ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحدًا سواه. وكفى بالله محاسبًا عباده على جميع أعمالهم ومراقبًا لها.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ} [الأحزاب : ٣٩]، أي:" هؤلاء الذين أخبرتك عنهم يا محمد وجعلتُ لك قدوة بهم، هم الذين يبلّغون رسالات الله إلى امن أُرسلوا إليه"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل، الذي يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه"(٣).

قال ابن كثير:" يمدح تعالى:{ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ } أي : إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها "(٤).

قوله تعالى:{وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ} [الأحزاب : ٣٩]، أي:" ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحدًا سواه"(٥).

قال الطبري: يقول: ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحدا إلا الله، فإنهم إياه يرهبون إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أرسلوا إليه. يقول لنبيه محمد: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن، ولا تخش أحدا إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه، إن أراد بك سوءا"(٦).

قال ابن كثير:" أي : يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله "(٧).

قوله تعالى:{وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب : ٣٩]، أي:" وكفى بالله محاسبًا عباده على جميع أعمالهم ومراقبًا لها"(٨).

قال الطبري: يقول:" وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه، ومحاسبا لهم عليها"(٩).

قال ابن كثير:" أي : وكفى بالله ناصرًا ومعينًا"(١٠).

ثم قال ابن كثير:" وسيد الناس في هذا المقام - بل وفي كل مقام - محمد رسول الله ﷺ ؛ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب ، إلى جميع أنواع بني آدم ، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع ، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وأما هو ، صلوات الله عليه ، فإنه بُعث إلى جميع الخلق عَرَبهم وعجمهم ، { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف : ١٥٨] ، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده ، فكان

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧٧/٢٠.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٨٦/٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢٧٧/٢٠-٢٧٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٩) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٦.

أعلى مَنْ قام بها بعده أصحابه ، رضي الله عنهم ، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، في ليله ونهاره ، وحَضَره وسفره ، وسره وعلانيته ، فرضي الله عنهم وأرضاهم. ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا ، فبنورهم يقتدي المهتدون ، وعلى منهجهم يسلك الموفقون. فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم"(١).

عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله ، فيقول الله : ما يمنعك أن تقول فيه ؟ فيقول : رب ، خشيت الناس. فيقول : فأنا أحق أن يخشى"(٢).

القرآن

{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)} [الأحزاب : ٤٠]

التفسير:

ما كان محمد أبًا لأحد من رجالكم، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة. وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليمًا، لا يخفى عليه شيء.

سبب النزول:

قال علي بن الحسين:" نزلت في زيد بن حارثة"(٣).

قال قتادة:" نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور؛ إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر"(٤).

قوله تعالى:{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ} [الأحزاب : ٤٠]، أي:" ما كان محمد أبًا لأحد من رجالكم"(٥).

قال الطبري: يقول:" ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد؛ فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها"(٦).

قال الزمخشري:" أى: لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت به وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح، وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة، فكان حكمه حكمكم، والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير"(٧).

قال ابن كثير:" نهى تعالى أن يقال بعد هذا : "زيد بن محمد" أي : لم يكن أباه وإن كان قد تبناه ، فإنه ، صلوات الله عليه وسلامه ، لم يعش له ولد ذكر حتى بلغ الحلم ؛ فإنه ولد له القاسم ، والطيب ، والطاهر ، من خديجة فماتوا صغارا ، وولد له إبراهيم من مارية القبطية ، فمات أيضا رضيعا، وكان له من خديجة أربع بنات : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، رضي الله عنهم أجمعين ، فمات في حياته ثلاث وتأخرت فاطمة حتى أصيبت به ، صلوات الله وسلامه عليه ، ثم ماتت بعده لستة أشهر"(٨).

قال قتادة:" ولعمري لقد ولد له ذكور وإنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر"(٩).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٧/٦.

(٢)المسند (٣/ ٣٠ ، ٧٣)، وسنن ابن ماجه برقم (٤٠٠٨) وقال البوصيري في الزوائد (٢٤٢/٣) : "هذا إسناد إسناد صحيح".

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٧):ص٣١٣٧/٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٧٨/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٠.

(٧) الكشاف: ٥٤٤/٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٨):ص٣١٣٨/٩.

قوله تعالى:{وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب : ٤٠]، أي:" ولكنه-صلى الله عليه وسلم- رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة"(١).

قال الطبري: يقول:" ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة"(٢).

قال الزمخشري:" ولكن كان رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم. ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء، وكان {خاتم النبيين}، يعنى: أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الأنبياء، كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفى: «لو عاش لكان نبيا»(٣)"(٤).

عن قتادة:"{ولكن رسول الله وخاتم النبيين}، قال: آخر نبي"(٥).

عن جابر رضي الله، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابتنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها! إلا موضع اللبنة فأنا موضع اللبنة فختم بي الأنبياء»(٦).

أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ولا نبي." قال : فشَقّ ذلك على الناس، قال : قال: "ولكن المبشرات". قالوا : يا رسول الله ، وما المبشرات ؟ قال : "رؤيا الرجل المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة"(٧).

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : "فُضلت على الأنبياء بست : أعْطِيتُ جوامع الكلم ، ونُصِرْتُ بالرعب ، وأحِلَّت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون"(٨).

عن العِرْباض بن سارية قال : قال النبي ﷺ : "إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنْجَدِل في طينته"(٩).

محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي"(١٠).

عن عبد الرحمن بن جبير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودّع ، فقال : "أنا محمد النبي الأمي - ثلاثا - ولا نبي بعدي ، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه ، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش ، وتجوز بي ، وعُوفيتُ وعُوفيتْ أمتي ؛ فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب الله ، أحلّوا حلاله ، وحرّموا حرامه"(١١).

قال ابن كثير عند تفسير الآية:" فهذه الآية نص فيأنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينعكس. وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٠.
(٣) الحديث« إسماعيل: قلت لابن أبي أوفى: رأيت إبراهيم ابن النبي ﷺ؟ قال: «مات صغيرا، ولو قضي أن يكون بعد محمد ﷺ نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده».
أخرجه البخاري (٦١٩٤)، وأحمد في المسند (١٩١٠٩)، وابن ماجة في السنن(١٥١٠)، إسناده صحيح.
(٤) الكشاف: ٥٤٤/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٦٩٩):ص٣١٣٨/٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٠):ص٣١٣٨/٩.
(٧)المسند (٢٦٧/٣) وسنن الترمذي برقم (٢٢٧٢).
(٨)صحيح مسلم برقم (٥٢٣) وسنن الترمذي برقم (١٥٥٣) وسنن ابن ماجه برقم (٥٦٧).
(٩)المسند (١٢٧/٤).
(١٠)صحيح البخاري برقم (٣٥٣٢) وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٤).
(١١)المسند (١٢/٢) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

من الصحابة.. فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، إليهم ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له. وقد أخبر تعالى في كتابه ، ورسوله في السنة المتواترة عنه : أنه لا نبي بعده ؛ ليعلموا أن كل مَنِ ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك ، دجال ضال مضل ، ولو تخرق وشعبذ ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنَيرجيَّات ، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب ، كما أجرى الله ، سبحانه وتعالى ، على يد الأسود العَنْسي باليمن ، ومسيلمة الكذاب باليمامة ، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ، ما علم كل ذي لب وفهم وحِجى أنهما كاذبان ضالان ، لعنهما الله. وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب مَنْ جاء بها. وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه ، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى : { هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ } الآية [الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢]. وهذا بخلاف الأنبياء ، عليهم السلام ، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات ، والأدلة الواضحات ، والبراهين الباهرات ، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات"(١).

وفي قراءة ابن مسعود: «ولكن نبيا ختم النبيين»(٢).

وقرئ:«وخاتم النبيين»، بكسر التاء(٣).

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب : ٤٠]، أي:" وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليمًا، لا يخفى عليه شيء"(٤).

قال الطبري: يقول:" وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء"(٥).

فوائد الآيات:[٣٦-٤٠]:

١- بيان أن المؤمن الحق لا خيرة عنده في أمر يقضي فيه الله ورسوله بالجواز أو المنع.

٢- بيان أن من يعص الله ورسوله يخرج عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة.

٣- جواز عتاب الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- بيان شدة حياء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- بيان إكرام الله لزيد بأن جعل اسمه يقرأ على ألسنة المؤمنين إلى يوم الدين.

٦- بيان إفضال الله على زينب لما سلمت أمرها لله وتركت ما اختارته لما اختاره الله ورسوله فجعلها زوجة لرسول الله وتولى عقد نكاحها في السماء فكانت تفاخر نساءها بذلك.

٧- تقرير حديث ما ترك عبد شيئا لله إلا عوضه الله خيرا منه.

٨- إبطال أحكام التبني التي كانت في الجاهلية.

٩- تقرير نبوة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

القرآن

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)} [الأحزاب : ٤١-٤٢]

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٦، ٤٣١.[بتصرف]
(٢) انظر: الكشاف: ٥٤٤/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٥) تفسير الطبري: ٢٧٨/٢٠.

التفسير:
يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذِكْرًا كثيرًا، واشغلوا أوقاتكم بذكر الله تعالى عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضات، وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة مشروعة، تدعو إلى محبة الله، وكف اللسان عن الآثام، وتعين على كل خير.

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٤١]، أي:" يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[١].

قال الطبري:" يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"[٢].

قال ابن عثيمين:"إن تصدير الحكم بالنداء دليل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادَى؛ ثم النداء بوصف الإيمان دليل على أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ وعلى أن فواته نقص في الإيمان"[٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"[٢].

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"[٤].

قوله تعالى:{اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب : ٤١]، أي:" اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذِكْرًا كثيرًا"[٥].

قال الطبري: يقول:" اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك"[٦].

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى ، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن ، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب ، وجميل المآب"[٧].

قال السدي:" يعني: باللسان"[٨].

قال مقاتل:" باللسان، بالتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، وذكروه على كل حال"[٩].

قال يحيى: "وهذا ذكر ليس فيه وقت وهو تطوع"[١٠].

قال ابن عباس:" يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال: {فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم} بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال"[١١].

عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والوَرِق ، وخير لكم

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٢٧٩.
(٣) انظر: تفسير ابن عثيمين: ١/٣٣٧.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١/١٩٦، و(٥٠٢٧):ص٣/٩٠٢
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٣/٩٠٢.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/٢٧٩.
(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٤٣٢.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٢٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٢):ص٩/٣١٣٨.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٠.

من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟" قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : "ذكر الله عز وجل"(١).

عن أبي سعد الحِمْصي قال : سمعت أبا هريرة يقول : دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه : "اللهم ، اجعلني أعظم شكرك ، وأتبع نصيحتك ، وأكثر ذكرك ، وأحفظ وصيتك"(٢).

عن أبي سعيد الخدري ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون"(٣).

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : "اذكروا الله ذكرا كثيرا حتى يقول المنافقون : تراءون"(٤).

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله فيه ، إلا رأوه حسرة يوم القيامة"(٥).

قوله تعالى:{وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الأحزاب : ٤٢]، أي:" وسبحوا ربكم في الصباح والمساء"(٦).

قال الطبري: " يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيا صلاة العصر"(٧).

قال ابن كثير:" أي : عند الصباح والمساء ، كقوله : { فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ } [الروم : ١٧ ، ١٨]"(٨).

عن قتادة، قوله: "{وسبحوه بكرة وأصيلا}، صلاة الغداة، وصلاة العصر"(٩).

قال مقاتل:" يقول: صلوا لله بكرة بالغداة وأصيلا بالعشى"(١٠).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)} [الأحزاب : ٤٣]

التفسير:

هو الذي يرحمكم ويثني عليكم وتدعو لكم ملائكته؛ ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإسلام، وكان بالمؤمنين رحيمًا في الدنيا والآخرة، لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في الأنصار"(١١).

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} [الأحزاب : ٤٣]، أي:" هو الذي يرحمكم ويثني عليكم وتدعو لكم ملائكته"(١٢).

---

(١)المسند (١٩٥/٥) وسنن الترمذي برقم (٣٣٧٧) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٩٠).
(٢)المسند (٤٧٧/٢).
(٣)المسند (٦٨/٣) وفيه دراج ، عن أبي الهيثم ضعيف.
(٤)المعجم الكبير للطبراني (١٦٩/١٢) وقال الهيثمي في المجمع (٧٦/١٠) : "فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف".
(٥)المسند (٢٢٤/٢) وقال الهيثمي في المجمع (٨٠/١٠) : "رجاله رجال الصحيح".
(٦) صفوة التفاسير: ٤٨٦/٢.
(٧) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٦.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٢):ص٣١٣٨/٩.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٩/٣.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٣.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله: {يصلي عليكم وملائكته}: يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله"(١).

قال ابن عباس:" وقال: {وسبحوه بكرة وأصيلا} فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته"(٢).

قال مقاتل:" يقول هو الذي يغفر لكم ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم"(٣).

قال الزجاج:" صلاة الله على خلقه رحمته وهدايته إياهم"(٤).

قال أبو عبيدة:" أي يبارك عليكم قال الأعشى(٥):

عَلَيْكِ مثل الذي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضي ... نَومًا فإنَّ لِجَنْبِ المرءِ مُضْطَجعا

قال ابن قتيبة:" «الصلاة» من الله: الرحمة والمغفرة. قال الله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي} [الأحزاب: ٥٦] . وقال: {هو الذي يصلي عليكم وملائكته} [الأحزاب: ٤٣] وقال: {أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة} [البقرة: ١٥٧] أي: مغفرة. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «اللهم صل على آل أبي أوفى»(٦). يريد: ارحمهم واغفر لهم"(٧).

قال أبو العالية :"قال: صلاه الله:، ثناؤه وصلاة الملائكة عليهم: السلام الدعاء"(٨).

سعيد بن جبير، قوله: "{هو الذي يصلي عليكم وملائكته}، قال: يغفر لكم، وتستغفر لكم ملائكته"(٩).

قال ابن كثير:"قوله :{ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ }: هذا تهييج إلى الذكر ، أي : إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم ، كقوله تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ } [البقرة : ١٥١ ، ١٥٢]. وقال النبي ﷺ : «يقول الله : مَنْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومَنْ ذكرني في مَلأ ذكرته في ملأ خير منهم»(١٠).

والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة ، حكاه البخاري عن أبي العالية(١١).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢٠.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٩/٣.
(٤) معاني القرىن: ٢٣١/٤.
(٥)البيت في "ديوان الأعشى" ص ١٠٦، وهو من قصيدة يمدح بها (هوذة بن علي الحنفي) ويروى: (يوما) بدل (نوما)، وهو في "الخزانة" ١/ ٣٥٩، و"مراتب النحويين" ص ١٩٤.
(٦)أخرجه البخاري في الزكاة ٢/ ١٥٩، ومسلم في الزكاة حديث ١٧٦، والنسائي في الزكاة باب ٧، وابن ماجه ماجه حديث ١٧٩٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٣، ٣٥٥- ٣٨١، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٥٢، ٤/ ١٥٧، ٧/ ٥، والبغوي في شرح السنة ٣/ ١٤٥، وابن كثير في تفسيره ٤/ ١٤٦، والقرطبي في تفسيره ١/ ٣٨٢، ١٥/ ١١٨، والبخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٢٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤/ ١٦٢، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٧٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٩، ١٤/ ٢٣٥، والساعاتي في منحة المعبود ٨٣٣، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٤٨٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٩٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٨٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٥٦، والقاضي عياض في الشفاء ٢/ ١٨٩، وابن حجر في فتح الباري ٧/ ٤٤٨، ٥٣٤، ١١/ ١٣٦، ١٦٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ١٠، وابن حجر في الكافي والشافي في تخريج أحاديث الكشاف ٧٩، ١٣٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٥١٩، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٢٢.
(٧) تأويل مشكل القرآن: ٢٥٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٤):ص٣١٣٩/٩.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٥):ص٣١٣٩/٩.
(١٠)رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٠٥) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.
(١١) وأخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٤):ص٣١٣٩/٩.

وقال غيره : الصلاة من الله : الرحمة ورد بقوله : { أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ }.
وقد يقال : لا منافاة بين القولين والله أعلم.
وأما الصلاة من الملائكة ، فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، كقوله : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ } الآية. [غافر : ٧ - ٩]"[١].
عن سفيان، "أنه سئل، عن قوله :«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم قال: أكرم الله أمة محمد ﷺ فصلى عليهم كما صلى على الأنبياء فقال: هو الذي يصلي عليكم وملائكته"[٢].
عن الحسن:" إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام هل يصلي ربك؟ فكان ذلك كبر في صدر موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه: أخبرهم أني أصلي، وأن صلاتي رحمتي سبقت غضبي"[٣].
عن أبي هريرة رضي الله، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قلت لجبريل عليه السلام: هل يصلي ربك؟ قال نعم. قلت: وما صلاته؟ قال: سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي»[٤].
قوله تعالى:{لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الأحزاب : ٤٣]، أي:" ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإسلام"[٥].
قال ابن زيد:" من الضلالة إلى الهدى، قال: والضلالة الظلمات، والنور: الهدى"[٦].
قال الطبري: " يقول: تدعو ملائكة الله لكم؛ فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان"[٧].
قال مقاتل:" يعني: من الشرك إلى الإيمان"[٨].
قال ابن كثير:" أي : بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ، ودعاء ملائكته لكم ، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين. { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا : فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم ، وبَصّرهم الطريق الذي ضَلَّ عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام. وأما رحمته بهم في الآخرة : فآمنهم من الفزع الأكبر ، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار ، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم"[٩].
عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : مر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه وصبي في الطريق ، فلما رأت أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسعى وتقول : ابني ابني ، وَسَعَت فأخذته ، فقال القوم : يا رسول الله ، ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار. قال : فَخَفَّضهم رسول الله ﷺ وقال : "ولا الله ، لا يلقي حبيبه في النار"[١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٦.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٦):ص٣١٣٩/٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٧):ص٣١٣٩/٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٨):ص٣١٣٩/٩.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢٠.
(٧) تفسير الطبري: ٢٧٩/٢٠-٢٨٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٩/٣.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٦.
(١٠)المسند (١٠٤/٣).

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ رأى امرأة من السبي قد أخذت صبيا لها ، فألصقته إلى صدرها ، وأرضعته فقال : "أترون هذه تلقي ولدها في النار وهي تقدر على ذلك ؟" قالوا : لا. قال : "فوالله ، لله أرحم بعباده من هذه بولدها"(١).

قوله تعالى:{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب : ٤٣]، أي:" وكان بالمؤمنين رحيمًا في الدنيا والآخرة، لا يعذبهم ما داموا مطيعين مخلصين له"(٢).

قال الطبري:يقول:" وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون"(٣).

القرآن

{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤)} [الأحزاب : ٤٤]

التفسير:

تحية هؤلاء المؤمنين من الله في الجنة يوم يلقونه سلام، وأمان لهم من عذاب الله، وقد أعدَّ لهم ثوابًا حسنًا، وهو الجنة.

قوله تعالى:{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب : ٤٤]، أي:" تحية هؤلاء المؤمنين من الله في الجنة يوم يلقونه سلام، وأمان لهم من عذاب الله"(٤).

قال الطبري:يقول:" تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا"(٥).

قال قتادة:" تحية أهل الجنة السلام"(٦).

قال مقاتل:" يعني: تسليم الملائكة عليهم"(٧).

قال الحسن:" تحييهم الملائكة عن الله بالسلام"(٨).

قال البراء بن عازب:"يوم يلقون ملك الموت، ليس من مؤمن يقبض روحه إلا سلم عليه"(٩).

قال ابن كثير:" الظاهر أن المراد - والله أعلم - { تَحِيَّتُهُمْ } أي : من الله تعالى يوم يلقونه { سَلامٌ } أي : يوم يسلم عليهم كما قال تعالى : { سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ } [يس : ٥٨]"(١٠).

قوله تعالى:{وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} [الأحزاب : ٤٤]، أي:" وقد أعدَّ لهم ثوابًا حسنًا، وهو الجنة"(١١).

قال الطبري:" يقول: وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم إياه في الدنيا، كريما، وذلك هو الجنة"(١٢).

عن قتادة: "{وأعد لهم أجرا كريما}، أي: الجنة"(١٣).

قال ابن كثير:" وقد يستدل بقوله تعالى : { دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس : ١٠] ، وقوله : { وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا }

---

(١)صحيح البخاري برقم (٥٩٩٩).
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(٥) تفسير الطبري: ٢٨٠/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٩/٣.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٢٥/٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٠٨):ص٣١٣٩/٩.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٦.
(١١) التفسير الميسر: ٤٢٣.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٨١/٢٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٠.

يعني : الجنة وما فيها من المآكل والمشارب ، والملابس والمساكن ، والمناكح والملاذ والمناظر وما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر"(١).

فوائد الآيات:[٤١-٤٤]:

١- وجوب ذكر الله تعالى كثيراً ليل نهار ووجوب تسبيحه صباح مساء.

قال ابن كثير:" وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والمعمري وغيرهما، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي ، رحمه الله تعالى"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٣٣/٦.

وقد طبع كتاب الأذكار بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في دار الهدى وعليه تخريج لابن علان اسمه : "الفتوحات الربانية" طبع في الهند.

هذا وقد جاء في نسخة "ت" بعد هذه الفقرة ما يلي :

"فذكر الله أصل موالاة الله ، عز وجل ، ورأسها. والغفلة أصل معاداته ورأسها ، فإن العبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه ، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه ويعاديه. قال الله تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله ، فالذكر جلاب النعم دفاع النقم. قال تعالى : (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) وفي القراءة الأخرى : (يدافع عن الذين آمنوا) فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ومادة الإيمان وقوته بذكر الله ، فمن كان أكمل إيمانا وأكثر ذكرا كان دفاع الله عنه ، ودفعه أعظم. ومن نقص نقص ذكر بذكر ونسيان بنسيان ، وقال تعالى : (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) والذكر رأس الشكر ، والشكر جلاب النعم ، موجب للمزيد. قال بعض السلف : ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك. ومجالس الذكر رياض الجنة كما روى ابن أبي الدنيا من حديث جابر ، عن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال : "يأيها الناس ارتعوا في رياض الجنة" قلنا يا رسول الله : وما رياض الجنة ؟ قال : "مجالس الذكر" ، ثم قال : "اغدوا وروحوا فاذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله ، فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه". فمجالس الذكر مجالس الملائكة كما في الصحيحين عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إن لله ملائكة فَضْلا عن كتاب الناس يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلم إلى حاجتكم ، فتحف بأجنحتها إلى السماء الدنيا ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال : وهل رأوني ؟ قال : يقولون : لا والله يا ربنا ما رأوك ، فيقول : كيف لو أنهم رأوني ؟ قال : فيقولون : لو أنهم رأوك كانوا أشد عبادة وأشد تحميدا وتمجيدا ، وأكثر تسبيحا ، فيقول : ما يسألوني ؟ فيقولون : يسألونك الجنة ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا ربنا ما رأوها ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد حرصا عليها ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة ، فيقول : مم يتعوذون ؟ قال : فيقولون : من النار ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا والله يا ربنا ما رأوها ، فيقول : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة ، فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم ، فيقول ملك من الملائكة : إن فيهم فلانا ليس منهم ، إنما جاء لحاجة. قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم" ، فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم ، فلهم نصيب من قوله : (وجعلني مباركا أينما كنت) [مريم : ٣١] وإن الله ، عز وجل ، ليباهي بالذاكرين الملائكة ، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله. قال : ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذلك. قال : أما إني لم أسألكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه. قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومَنْ علينا بك. قال : "آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟" قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك ؟ قال : "أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة" فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى ، دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال.

والذكر نوعان : أحدهما : ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه ، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به وهذا أيضا نوعان : أحدهما : إنشاء الثناء بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور في الحديث نحو : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ونحو ذلك ، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو : سبحان الله عدد خلقه ، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله ، وقول : الحمد لله عدد ما خلق في السماء ، وعدد ما خلق في الأرض ، وعدد ما خلق بينهما ، وعدد ما هو خالق ، أفضل من مجرد قولك : الحمد لله ، وهذا في حديث جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم ، لوزنتهن :

سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته". رواه مسلم. وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح به ، فقال : "أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟" فقال : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك".
والنوع الثاني : الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك : إن الله ، عز وجل ، يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا يخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم من آبائهم وأمهاتهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد الواجد ونحو ذلك. وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى عليه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل كما قال : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، وهذا النوع أيضا ثلاثة أنواع : حمد ، وثناء ، ومجد. فالحمد : الإخبار عنه بصفات كماله مع محبته والرضا عنه ، ولا يكون المحب الساكت حامدا ، ولا المثنى بلا محبة حامدا ، حتى يجمع له المحبة والثناء ، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء ، كانت ثناء ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا. قد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة فى أول سورة فاتحة الكتاب ، فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) قال الله : حمدني عبدي ، وإذا قال : (الرحمن الرحيم) قال : أثنى عَلَيَّ عبدي. وإذا قال : (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي.
والنوع الثاني من الذكر : ذكر أمره ونهيه وأحكامه ، وهذا أيضا نوعان : أحدهما : ذكره بذلك إخبارا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب كذا وسخط كذا ، والثاني : ذكره عند أمره فيبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه ، فذكر أمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر ، فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه.
فائدة
:
فهذا ذكره هو الفقه الأكبر ، وما دونه من أفضل الذكر إذا صححت فيه النية ، ومن ذكره تعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده ، وهذا من أجل أنواع الذكر ، فهذه خمسة أنواع ، وهي تكون بالقلب واللسان ، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان ؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ، ويصح المحبة ، ويثير الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة ، ويردع عن التقصير في الطاعة والتهاون في المعاصي والسيئات ، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا ما من تلك الأثمار ، وإن أثمر شيئا ما ، فثمرته ضعيفة.
والذكر أفضل من الدعاء ؛ لأن الذكر ثناء على الله ، عز وجل ، بجميل صفاته وآلائه وأسمائه ، والدعاء سؤال العبد حاجته ، فأين هذا من هذا ؟ ولهذا جاء في الحديث : "مَنْ شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين". ولهذا كان مستحبا في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بين يدي حاجته ، ثم يسأل حاجته كما جاء في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : "لقد عجل هذا" ، ثم دعاه فقال له أو لغيره : "إذا صلى أحدكم ، فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ، ثم يدعو بما شاء ". رواه الإمام أحمد والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح. وهكذا دعا ذو النون الذي قال فيه النبي ﷺ : "دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" وفي الترمذي : دعوة أخي ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له". وهكذا عامة الأدعية النبوية ، ومنه قول النبي ﷺ في دعاء الكرب : "لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم". ومنه حديث بريدة الأسلمي ، رواه أهل السنن أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو وهو يقول : اللهم أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، فقال : "والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى".
وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي ﷺ جالسا ورجل يصلي ثم دعا : اللهم أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي : "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى" وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس ، فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر ، وأنه اسم الله الأعظم ، فكان ذكر الله والثناء عليه أنجح ما سأل به حوائجه ، فهذا من فوائد الذكر ، وهو أنه يجعل الدعاء مستجابا فلهذا قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد ، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه ، كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله ، وعرض ، بل صرح ، بشدة حالته وضرورته وفقره ومسكنته ، فهذا المقتضى منه وأوصاف المسؤول مقتضى منه ، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء ، فكان أبلغ وألطف موقعا وأتم معرفة وعبودية ، وأنت ترى في الشاهد ولله المثل

٢- بيان فضل الله على المؤمنين بصلاته عليهم وصلاة ملائكته ورحمته لهم.
٣- تقرير عقيدة البعث بذكر بعض ما يتم فيها من سلام الملائكة على أهل الجنة.
٤- بشرى المؤمنين الصادقين بالجنة.

القرآن

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦)} [الأحزاب : ٤٥-٤٦]

التفسير:

يا أيها النبي إنَّا أرسلناك شاهدًا على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشرًا المؤمنين منهم بالرحمة والجنة، ونذيرًا للعصاة والمكذبين من النار، وداعيًا إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمره إياك،

الأعلى أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره ، وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته ، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب إلى قضاء حاجته من أن يقول له ابتداء أعطني كذا وكذا ، فإذا عرف هذا فتأمل قول موسى ، عليه السلام : (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) وقول ذي النون في دعائه : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقول أبينا آدم : (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه ؛ قال يا رسول الله ، علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال : "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله ، والتوسل إلى ربه بفضله وجوده ، وأنه المتفرد بغفران الذنوب ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا فهكذا آداب الدعاء والعبودية.

وقراءة القرآن أفضل الأذكار وهي أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء ، وهذا من حيث النظر إلى كل واحد منهما مجردا ، وقد تعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل تعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود ، فإنه أفضل من قراءة القرآن ، وكذلك التشهد ، وكذلك رب اغفر لي بين السجدتين ، وقول رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدتين أفضل من القراءة. وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة ، ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة. وكذلك إجابة المؤذن ، والقول كما يقول ، أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله على خلقه ، لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره ، واختلت الحكمة ، وفقدت المصلحة المطلوبة منه ، وهكذا الأذكار المفيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن ، مثاله أن يحدث له من التفكر في ذنوبه فيحصل له توبة واستغفار أو يحصل له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن ، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه ، وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة القرآن ، لم يحضر قلبه فيها. وإذا أقبل على الذكر والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله ، وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهالا ، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع له ، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأكثر أجرا ، وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نص وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة ، فيعطي كل ذي حق حقه ويضع كل شيء موضعه ، فللعين موضع ، وللرجل موضع ، وللماء موضع ، وللحم موضع ، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي ، والله الموفق. وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت ، والتحمير وماء الورد أنفع له في وقت. وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله ، يوما : سئل بعض أهل العلم : أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال : إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد نافع له ، وإن كاد دنسا فالصابون والماء الجاري أنفع له فقال : كيف والثياب لا تزال دنسة ؟.

ومن هذا الباب أن سورة (قل هو الله أحد الله) تعدل ثلث القرآن ، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها ، بل هذه الآيات في وقتها ، وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص. ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء ، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه ، فكانت أفضل من كل القراءة والذكر والدعاء بمفرده بجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء فهذا أصل نافع جدا للعبد يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وينزلها منازلها لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح عليه إبليس الفضل الذي بينهما أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل عن مفضولها ، وإن كان ذلك وقته فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله به أكثر ثوابا وأعظم أجرا". اهـ.

وسراجًا منيرًا لمن استنار بك، فأمْرك ظاهر فيما جئتَ به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند.

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} [الأحزاب : ٤٥]، أي:" يا أيها النبي إنَّا أرسلناك شاهدًا على أمتك بإبلاغهم الرسالة، ومبشرًا المؤمنين منهم بالرحمة والجنة، ونذيرًا للعصاة والمكذبين من النار"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد {إنا أرسلناك شاهدا} على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة، ومبشرهم بالجنة إن صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك، {ونذيرا} من النار أن يدخلوها، فيعذبوا بها إن هم كذبوك، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله"(٢).

قال يحيى: "{شاهدا}على امتك تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلغتهم. {ومبشرا} في الدنيا بالجنة، {ونذيرا} من النار"(٣).

قال ابن كثير:" { شَاهِدًا } أي : لله بالوحدانية ، وأنه لا إله غيره ، وعلى الناس بأعمالهم يوم القيامة ، { وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا } ، كقوله : { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة : ١٤٣]، وقوله : { وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } أي : بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب ، ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب"(٤).

قال الزجاج:" هذا كله منصوب على الحال، أي: أرسلناك في حال الشهادة والبشارة والإنذار"(٥).

قال ابن عباس:" لما نزلت:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، وقد كان أمر عليا ومعاذ أن يسيرا إلى اليمن، فقال: انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فإنه قد أنزل علي: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، قال: شاهدا ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار، وداعيا إلى شهادة لا إله إلا الله: بإذنه {وَسِرَاجًا مُنِيرًا} بالقرآن"(٦).

عن قتادة، قوله: "{يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا}، قال: على أمتك بالبلاغ، {ومبشرا}: بالجنة، {ونذيرا}: من النار"(٧).

قال سهل:" شاهدا عليهم بالتوحيد، ومبشرا لهم بالمعونة والتأييد، ومحذرا عن البدع والضلالات"(٨).

قال عطاء بن يسار: "لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني، عن صفة رسول الله ﷺ فِي التوراة قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا ونذيرا} وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا صَخَّابٍ فِي الأسواق ولا تجزئ بالسيئة، السيئة ولكن تعفو وتصفح"(٩).

قوله تعالى:{وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ} [الأحزاب : ٤٦]، أي:" وداعيًا إلى توحيد الله وعبادته وحده بأمره إياك"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢٨١/٢٠.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٢٥/٢-٧٢٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.
(٥) معاني القرآن: ٢٣١/٤.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١١):ص٣١٤٠/٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٣):ص٣١٤٠/٩.
(٨) تفسير التستري: ١٤٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٢):ص٣١٤٠/٩.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٤.

قال الطبري:" يقول: وداعيا إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان، بأمره إياك بذلك"[١].

قال الزجاج:" أي: داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه، بأمره"[٢].

قال ابن كثير:" أي : داعيا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك"[٣].

قال يحيى: " بالقرآن، الوحي الذي جاء من عنده"[٤].

عن قتادة: "{وداعيا إلى الله}: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، {بإذنه}: قال: بأمره"[٥].

قوله تعالى:{وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب : ٤٦]، أي:" وسراجًا منيرًا لمن استنار بك"[٦].

قال الزجاج:" أي: وكتابا بينا، المعنى أرسلناك شاهدا وذا سراج منير وذا كتاب بين، وإن شئت كان {وسراجا} منصوبا على معنى داعيا إلى الله وتاليا كتابا بينا"[٧].

قال الطبري:" يقول: وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده، ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك: أنه يهدي به من اتبعه من أمته"[٨].

قال يحيى: " مضيئا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : وأمرُك ظاهر فيما جئت به من الحق ، كالشمس في إشراقها وإضاءتها ، لا يجحدها إلا معاند "[١٠].

عن قتادة: "{وسراجا منيرا}: قال: كتاب الله يدعوهم إليه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وهي الجنة"[١١].

وفي الحديث: «مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد فى تركه فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضية فإن لم يكن سنة منى ماضية فما قال أصحابى إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة"[١٢].

وفي رواية:« «مثلأصحابي مثل الملح لا يصلح الطعام إلا به، ومثل النجوم يهتدى بها فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم»[١٣].

وعن أبي مسلم الخولاني قال: "إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها الناس ما بدت فإذا خفيت تحيروا"[١٤].

قال وهب بن منبه: إن الله أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل- فإني منطق لسانك بوحي وأبعث أميا من الأميين، أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق لو يمر إلى جنب سراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنا، فاتح به أعينا كمها وآذانا صما وقلوبا غلفا، أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق

---

(١) تفسير الطبري: ٢٨١/٢٠-٢٨٢.
(٢) معاني القرآن: ٢٣١/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.
(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٢٦/٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٣):ص٣١٤٠/٩.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٣١/٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٠.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٢٦/٢.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٣):ص٣١٤٠/٩.
(١٢)أخرجه البيهقى فى المدخل إلى السنن الكبرى (١٦٢/١، رقم ١٥٢) ، والخطيب فى الكفاية فى علم الرواية (٤٨/١) ، وابن عساكر (٣٥٩/٢٢) ، والديلمى (١٦٠/٤، رقم ٦٤٩٧).
(١٣) رواه يحيى بن سلام في التفسير:٧٢٦/٢.
(١٤) رواه يحيى بن سلام في التفسير:٧٢٦/٢.

والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته والعدل سيرته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة وأعرف به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين أمم متفرقة، وقلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وسأنقذ به فئاما من الناس عظيمة من الهلكة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون، عن المنكر موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلي، ألهمهم التسبيح والتحميد والثناء والتكبير والتوحيد في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا ويقاتلون في سبيل الله صفوفا وزحوفا، ويخرجون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب في الأنصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار، وأجعل في أهل بيته وذريته السابقين والصديقين والشهداء والصالحين، أمته من بعده يهدون بالحق وبه يعدلون أعز من نصرهم وأؤيد من دعا لهم، وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم، أو أراد أن ينتزع شيئا مما في أيديهم أجعلهم ورثة لنبيهم والداعية إلى ربهم يأمرون بالمعروف وينهون، عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم، أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم"(١).

القرآن

{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)} [الأحزاب : ٤٧]

التفسير:

وبَشِّر -أيها النبي- أهل الإيمان بأن لهم من الله ثوابًا عظيمًا، وهو روضات الجنات.

سبب النزول:

عن عكرمة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا} [الفتح : ١]، الآية قال أصحاب رسول الله ﷺ: هنيئا لك ما أعطاك ربك، هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله: {لِيدْخل الْمُؤمنِينَ وَالْمُؤْمِنَات} إلى آخر الآية"(٢).

قوله تعالى:{وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب : ٤٧]، أي:" وبَشِّر -أيها النبي- أهل الإيمان"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وبشر أهل الإيمان بالله يا محمد"(٤).

قوله تعالى:{بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} [الأحزاب : ٤٧]، أي:" بأن لهم من الله ثوابًا عظيمًا، وهو روضات الجنات"(٥).

قال الطبري:يقول:" بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضعيفا كثيرا، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم"(٦).

قال يحيى:" يعني: الجنة"(٧).

قال الزمخشري:" الفضل: ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب، وإذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب. ويجوز أن يريد بالفضل: الثواب، من قولهم للعطايا: فضول وفواضل، وأن يريد أن لهم فضلا كبيرا على سائر الأمم، وذلك الفضل من جهة الله، وأنه آتاهم ما فضلوهم به"(٨).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧١٤):ص٣١٤٠/٩-٣١٤١/١٠.
(٢) الدر المنثور: ٥١٥/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٤) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٦) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٠.
(٧) تفسير يحيى تبت سلام:٧٢٦/٢.
(٨) الكشاف: ٥٤٧/٣.

القرآن

{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)} [الأحزاب : ٤٨]

التفسير:

ولا تطع -أيها الرسول- قول كافر أو منافق واترك أذاهم، ولا يمنعك ذلك من تبليغ الرسالة، وثق بالله في كل أمورك واعتمد عليه؛ فإنه يكفيك ما أهمَّك من كل أمور الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب : ٤٨]، أي:" ولا تطع -أيها الرسول- قول كافر أو منافق"(١).

قال الطبري:" يقول: ولا تطع لقول كافر ولا منافق؛ فتسمع منه دعاءه إياك إلى التقصير في تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : لا تطعهم ولا تسمع منهم في الذي يقولونه"(٣).

قال الصابوني: "أي: لا تطعهم فيما يطلبوه منك من المساهلة والملاينة في أمر الدين، بل اثبت على ما أُوحي إليك"(٤).

قال مقاتل:" {ولا تطع الكافرين} من أهل مكة: أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي. {والمنافقين}: عبد الله بن أبي، وعبد الله بن سعد، وطعمة بن أبيرق حين قال أبو سفيان ومن معه من هؤلاء النفر: يا محمد ارفض ذكر آلهتنا وقل: إن لهما شفاعة ومنفعة لمن عبدها"(٥).

قوله تعالى:{وَدَعْ أَذَاهُمْ} [الأحزاب : ٤٨]، أي:" واترك أذاهم"(٦).

قال الطبري:" يقول: وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده، والنفوذ لما كلفك"(٧).

قال الزجاج:" معناه: دع أذى المنافقين، وتأويل {ودع أذاهم} دعهم لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر"(٨).

قال ابن كثير:" أي : اصفح وتجاوز عنهم"(٩).

قال قتادة:"اصبر على أذاهم"(١٠).

قال مجاهد:" أعرض عنهم"(١١).

قال مقاتل:" {ودع أذاهم} إياك، يعني: الذين قالوا للنبي- ﷺ- قل إن لآلهتنا شفاعة"(١٢).

قال البغوي:" وهذا منسوخ بآية القتال"(١٣).

قوله تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأحزاب : ٤٨]، أي:" واعتمد في جميع أمورك وأحوالك على الله"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٧) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٠.
(٨) معاني القرآن: ٢٣١/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٣):ص٣١٤٠/٩.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٦):ص٣١٤١/١٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٣.
(١٣) تفسير البغوي: ٣٦١/٦.
(١٤) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.

قال الطبري:" يقول: وفوض إلى الله أمورك، وثق به؛ فإنه كافيك جميع من دونه، حتى يأتيك بأمره وقضاؤه"(١).

قال مقاتل:" يعنى: وثق بالله"(٢).

قال ابن كثير:" وكِلْ أمرهم إلى الله"(٣).

قوله تعالى:{وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب : ٤٨]، أي:" إن الله يكفي من توكل عليه في أمور الدنيا والآخرة"(٤).

قال ابن كثير:" فإن فيه كفايةً لهم"(٥).

قال الطبري:" يقول: وحسبك بالله قيما بأمورك، وحافظا لك وكالئا"(٦).

قال مقاتل:" يعنى: مانعا"(٧).

قال البغوي:أي:" حافظا"(٨).

فوائد الآيات:[٤٥-٤٨]:

١- بيان الكمال المحمدي الذي وهبه إياه ربه تبارك وتعالى.

٢- مشروعية الدعوة إلى الله إذا كان الداعي متأهلا بالعلم والحلم وهما الإذن.

٣- حرمة طاعة الكافرين والمنافقين والفجرة والظالمين فيما يتنافى مع مرضاة الله تعالى.

القرآن

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩)} [الأحزاب : ٤٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا عقدتم على النساء ولم تدخلوا بهن ثم طلقتموهن مِن قبل أن تجامعوهن، فما لكم عليهن مِن عدَّة تحصونها عليهن، فأعطوهن من أموالكم متعة يتمتعن بها بحسب الوسع جبرًا لخواطرهن، وخلُّوا سبيلهن مع الستر الجميل، دون أذى أو ضرر.

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٤٩]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٩).

قال الطبري: يقول:" يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"(١٠).

قوله تعالى:{إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب : ٤٩]، أي:" إذا عقدتم عقد الزواج على المؤمنات وتزوجتموهن"(١١).

قال ابن كثير:" قوله : { الْمُؤْمِنَاتِ } خرج مخرج الغالب ؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك بالاتفاق"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٠.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.
(٦) تفسير الطبري: ٢٨٢/٢٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٣.
(٨) تفسير البغوي: ٣٦١/٦.
(٩) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(١٠) تفسير الطبري:٢٨٣/٢٠.
(١١) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٤٠/٦.

قوله تعالى:{ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ} [الأحزاب : ٤٩]، أي:" ثم طلقتموهنَّ من قبل أن تجامعوهن"(١).

قال الطبري: " يعني: من قبل أن تجامعوهن"(٢).

قال الزجاج:" معنى :{تمسوهن}: تقربوهن"(٣).

قال ابن كثير:" هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة. منها : إطلاق النكاح على العقد وحده ، وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منها ، وقد اختلفوا في النكاح : هل هو حقيقة في العقد وحده ، أو في الوطء ، أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن إنما هو في العقد والوطء بعده ، إلا في هذه الآية فإنه استعمل في العقد وحده ؛ لقوله : {إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ }. وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها.. وفي الآية دليل على أن المسيس مطلق ، ويراد به الوطء"(٤).

عن ابن عباس، "أنه تلا: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ}، قال: فلا يكون طالق حتى يكون نكاح"(٥).

قال ابن عباس:" إذا قال: كل امرأة أزوجها فهي طالق، أو إن تزوجت فلانة فهي طالق فليس بشيء، إنما الطلاق لمن يملك من أجل أن الله يقول: { إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ}"(٦).

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : "لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك"(٧).

عن علي ، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة عن رسول الله ﷺ أنه قال : "لا طلاق قبل نكاح"(٨).

قال ابن كثير:" وقد استدل ابن عباس ، وسعيد بن المسَيَّب ، والحسن البصري ، وعلي بن الحسين ، زين العابدين ، وجماعة من السلف بهذه الآية على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح ؛ لأن الله تعالى قال : { إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ } ، فعقب النكاح بالطلاق ، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله. وهذا مذهب الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وطائفة كثيرة من السلف والخلف ، رحمهم الله تعالى.

وذهب مالك وأبو حنيفة ، رحمهما الله ، إلى صحة الطلاق قبل النكاح ؛ فيما إذا قال : "إن تزوجت فلانة فهي طالق". فعندهما متى تزوجها طلقت منه. واختلفا فيما إذا قال : "كل امرأة أتزوجها فهي طالق". فقال مالك : لا تطلق حتى يعين المرأة. وقال أبو حنيفة ، رحمه الله : كل امرأة يتزوجها بعد هذا الكلام تطلق منه ، فأما الجمهور فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية"(٩).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.

(٢) تفسير الطبري:٢٨٣/٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٣٢/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٣٩/٦.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٨):ص٢١٤٢/١٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧١٩):ص٢١٤٢/١٠.

(٧)المسند (١٨٩/٢) وسنن الترمذي برقم (١١٨١) وسنن أبي داود برقم (٢١٩١) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠٤٧).

وقال الترمذي : "هذا حديث حسن". وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.

(٨)سنن ابن ماجه برقم (٢٠٤٨) من طريق علي بن الحسين ، عن هشام بن سعد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور ، به. وقال البوصيري في الزوائد (١٣٢/٢) : "هذا إسناد حسن ، علي بن الحسين وهشام بن سعد مختلف فيهما". وبرقم (٢٠٤٩) من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن النزال بن سبرة ، عن علي ، به. وقال البوصيري في الزوائد (١٣٢/٢) : "هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف جويبر بن سعيد البجلي ، لكن لم ينفرد به جويبر ، فقد رواه البيهقي في الكبرى (٣٢٠/٧) من طريق معاذ العنبري ، عن حميد الطويل ، عن الحسن عن علي به ، ثم رواه من طريق سعيد عن جويبر به موقوفا من الطريقين معا".

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٤٠/٦.

قوله تعالى:{فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا} [الأحزاب : ٤٩]، أي:" فليس لكم عليهم حق في العدة تستوفون عددها عليهن"(١).

قال الطبري: " يعني: من إحصاء أقراء، ولا أشهر تحصونها عليهن"(٢).

قال ابن كثير:" هذا أمر مجمع عليه بين العلماء : أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها لا عدة عليها فتذهب فتتزوج في فورها مَنْ شاءت ، ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى عنها زوجها ، فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا ، وإن لم يكن دخل بها بالإجماع أيضا"(٣).

قال ابن عباس:" فهذا في الرجل يتزوج المرأة، ثم يطلقها من قبل أن يمسها، فإذا طلقها واحدة بانت منه، ولا عدة عليها تتزوج من شاءت"(٤).

قوله تعالى:{فَمَتِّعُوهُنَّ} [الأحزاب : ٤٩]، أي:" فالواجب عليكم إكرامهن بدفع المتعة بما تطيف نفوسكم به من مالٍ أو كسوةٍ، تطييباً لخاطرهن، وتخفيفاً لشدة وقع الطلاق عليهن"(٥).

قال الطبري: " يقول: أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال"(٦).

قال ابن كثير:" المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى ، أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها ، قال الله تعالى : { وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ } [البقرة : ٢٣٧] ، وقال { لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ } [البقرة : ٢٣٦]"(٧).

عن سهل بن سعد وأبي أسيد قالا: «تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل، فلما أدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين»(٨).

قوله تعالى:{وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} [الأحزاب : ٤٩]، أي:" وخلّوا سبيلهنَّ تخليةً بالمعروف، من غير إضرار ولا إيذاء، ولا هضمٍ لحقوقهن"(٩).

قال الطبري: " يقول: وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف، وهو التسريح الجميل"(١٠).

قال ابن عباس:" يقول: إن كان سمى لها صداقا، فليس لها إلا النصف، فإن لم يكن سمى لها صداقا، متعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل"(١١).

وقال سعيد بن المسيب:" نسخت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها} قال: نسخت هذه الآية التي في البقرة(١٢)"(١٣).

عن قتادة، قوله: "{يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ... } إلى قوله: {سراحا جميلا}، قال: قال سعيد بن المسيب: ثم نسخ هذا الحرف المتعة: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُم}(١٤)"(١٥).

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٨٣/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٤١/٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٠.
(٥) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.
(٦) تفسير الطبري:٢٨٣/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٤١/٦.
(٨) صحيح البخاري(٥٢٥٦):ص٤١/٧.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٨٧/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٨٣/٢٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٠.
(١٢)[البقرة : ٢٣٧].
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٣-٢٨٤.
(١٤)[البقرة : ٢٣٧].
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٠.

قال الزجاج:" النصف ينوب عن التمتيع، إلا أن يكون لم يسم لها مهرا، فلها نصف مهر مثلها، وأسقط الله العدة عن التي لم يدخل بها؛ لأن العدة في الأصل استبراء"[(١)].

قال الشافعي في الآية:" في هذا - وغيرها من الآيات - دلالة على أن لا يجوز نكاح إلا باسم النكاح أو التزويج، ولا يقع بكلام غيرهما، وإن كانت معه نية التزويج، وأنه مخالف للطلاق الذي يقع بما يشبه الطلاق من الكلام مع نية الطلاق؛ وذلك أن المرأة قبل أن تزوج محرمة الفرج، فلا تحل إلا بما سمى الله - عز وجل - أنها تحل به لا بغيره"[(٢)].

فوائد الآية:[٤٩]:

١- جواز الطلاق قبل البناء.

٢- ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة بل لها أن تتزوج ساعة ما تطلق.

٣- المطلقة قبل البناء إن سمى لها صداق فلها نصفه، وإن لم يسم لها صداق فلها المتعة واجبة يقدرها القاضي بحسب سعة المطلق وضيقه.

٤- حرمة أذية المطلقة بأي أذى، ووجوب تخلية سبيلها تذهب حيث شاءت.

٥- مشروعية المتعة لكل مطلقة.

القرآن

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)} [الأحزاب : ٥٠]

التفسير:

يا أيها النبي إنَّا أبَحْنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن، وأبَحْنا لك ما مَلَكَتْ يمينك من الإماء، مما أنعم الله به عليك، وأبحنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك، وأبحنا لك امرأة مؤمنة مَنَحَتْ نفسها لك من غير مهر، إن كنت تريد الزواج منها خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهِبَة. قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم وإمائهم بألا يتزوجوا إلا أربع نسوة، وما شاؤوا من الإماء، واشتراط الوليِّ والمهر والشهود عليهم، ولكنا رخصنا لك في ذلك، ووسَّعْنا عليك ما لم يُوسَّع على غيرك؛ لئلا يضيق صدرك في نكاح مَن نكحت مِن هؤلاء الأصناف. وهذا من زيادة اعتناء الله برسوله ﷺ وتكريمه له. وكان الله غفورًا لذنوب عباده المؤمنين، رحيمًا بالتوسعة عليهم.

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" يا أيها النبي إنَّا أبَحْنا لك أزواجك اللاتي أعطيتهن مهورهن"[(٣)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك} اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى"[(٤)].

قال مقاتل:" يعنى: النساء التسع اللاتي آتيت أجورهن أحللنا لك"[(٥)].

قال يحيى: {أجورهن}: " صداقهن"[(٦)].

عن مجاهد، قوله: "{أزواجك اللاتي آتيت أجورهن}، قال: صدقاتهن"[(٧)].

---

(١) معاني القرآن: ٢٣٢/٤.
(٢) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٠٢/٣.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٤) تفسير الطبري: ٢٨٤/٢٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٧٢٨/٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٠.

قال ابن زيد:" كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له"(١).

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ... } إلى قوله: {خالصة لك من دون المؤمنين} فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيرا أو قليلا"(٢).

قوله تعالى:{وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" وأبَحْنا لك ما مَلَكَتْ يمينك من الإماء، مما أنعم الله به عليك"(٣).

قال الطبري:" يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن، فملكتهن بالسباء، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء"(٤).

قال مقاتل:" يعني بالولاية: مارية القبطية أم إبراهيم وريحانة بنت عمرو اليهودي، وكانت سبيت من اليهود"(٥).

قال ابن كثير:" أي : وأباح لك التسري مما أخذت من المغانم، وقد ملك صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما. وملك ريحانة بنت شمعون النضرية ، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم ، عليه السلام ، وكانتا من السراري ، رضي الله عنهما"(٦).

قوله تعالى:{وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" وأبحنا لك الزواج من بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك"(٧).

قال الطبري:" فأحل الله له ﷺ من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه"(٨).

قال مقاتل:" فإن كانت لم تهاجر إلى المدينة فلا يحل تزويجها"(٩).

قال ابن كثير:" قوله : { وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ } : هذا عدل وَسط بين الإفراط والتفريط ؛ فإن النصارى لا يتزوجون المرأة إلا إذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدا ، واليهود يتزوج أحدهم بنت أخيه وبنت أخته ، فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بهدم إفراط النصارى ، فأباح بنت العم والعمة ، وبنت الخال والخالة ، وتحريم ما فَرّطت فيه اليهود من إباحة بنت الأخ والأخت ، وهذا بشع فظيع.

وإنما قال : { وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ } فَوَحَّدَ لفظ الذكر لشرفه ، وجمع الإناث لنقصهن كقوله : { عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ } [النحل : ٤٨] ، { يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } [البقرة : ٢٥٧] ، { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } [الأنعام : ١] ، وله نظائر كثيرة"(١٠).

عن الحسن، أن النبي عليه السلام لما خير نساءه، فاخترن الله ورسوله قصره عليهن، وقال: {لا يحل لك النساء من بعد} [الأحزاب: ٥٢] إلى آخر الآية"(١١).

عن أم هانئ، قالت: "خطبني النبي ﷺ فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه :{إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ... } إلى قوله: {اللاتي هاجرن معك}، قالت: فلم أحل له؛ لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء"(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٠-٢٨٥.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٤) تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٤٢/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٠.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠١/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٤٢/٦.
(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٢٩/٢.

في قراءة ابن مسعود: «وبنات خالاتك واللاتي هاجرن معك»، بواو[2].

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في حرف ابن مسعود: «واللاتي هاجرن معك»، يعني بذلك: كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة، ولا من بنات الخال والخالة"[3].

قوله تعالى:{وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" وأبحنا لك امرأة مؤمنة مَنَحَتْ نفسها لك من غير مهر"[4].

قال ابن كثير:" أي : ويحل لك - يأيها النبي - المرأة المؤمنة إذا وهبت نفسها لك أن تتزوجها بغير مهر إن شئت ذلك"[5].

قال مقاتل:" وهي أم شريك بنت جابر بن ضباب بن حجر من بنى عامر بن لوى وكانت تحت أبي الفكر الأزدي وولدت له غلامين شريكا ومسلما ويذكرون أنه نزل عليها دلو من السماء فشربت منه ثم توفي عنها زوجها أبو الفكر فوهبت نفسها للنبي- ﷺ- فلم يقبلها ولو فعله لكان له خاصة دون المؤمنين. فإن وهبت امرأة يهودية أو نصرانية أو أعرابية نفسها فإنه لا يحل للنبي- ﷺ- أن يتزوجها"[6].

عن مجاهد، قوله: "{وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي} بغير صداق، فلم يكن يفعل ذلك وأحل له خاصة من دون المؤمنين"[7].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود :«وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي» بغير «إن»[8].

قوله تعالى:{إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" إن كنت تريد الزواج منها"[9].

قال الطبري:" يقول: إن أراد أن ينكحها فحلال له أن ينحكها وإذا وهبت نفسها له بغير مهر"[10].

قال ابن كثير:"وهذه الآية توالى فيها شرطان ، كقوله تعالى إخبارًا عن نوح ، عليه السلام ، أنه قال لقومه : { وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } [هود : ٣٤] ، وكقول موسى : { يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } [يونس : ٨٤]، وقال هاهنا : { وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا }"[11].

عن سهل بن سعد الساعدي ؛ أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، إني قد وَهَبت نفسي لك. فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال : يا رسول الله ، زَوّجنيها إن لم يكن لك بها حاجة. فقال رسول الله ﷺ : "هل عندك من شيء تُصدقها إياه" ؟ فقال : ما عندي إلا إزاري هذا. فقال رسول الله ﷺ : "إن أعطيتها إزارك جلستَ لا إزار لك ، فالتمس شيئا". فقال : لا أجد شيئا. فقال : "التمس ولو خاتما من حديد" فالتمس فلم يجد شيئا ، فقال له النبي ﷺ : "هل معك من القرآن شيء ؟" قال : نعم ؛ سورة كذا ، وسورة كذا - لسور يسميها - فقال له رسول الله ﷺ : "زوجتكها بما معك من القرآن"[12].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٨٥/٢٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٥/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٤٢/٦.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠١/٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٨٦/٢٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٨٦/٢٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٤٢/٦-٤٤٣.
(١٢)المسند (٣٣٦/٥) وصحيح البخاري برقم (٥١٣٥) وصحيح مسلم برقم (١٤٢٥) ولكنه عند مسلم من

عن ثابت، قال : "كنت مع أنس جالسا وعنده ابنة له ، فقال أنس : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله ، هل لك فيّ حاجة ؟ فقالت ابنته : ما كان أقل حياءها. فقال : "هي خير منك ، رغبت في النبي ، فعرضت عليه نفسها"(١).

عن أنس بن مالك : "أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ابنة لي كذا وكذا. فذكرت من حسنها وجمالها ، فآثرتك بها. فقال : "قد قبلتها".فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع ولم تَشْتَك شيئًا قط ، فقال : "لا حاجة لي في ابنتك"(٢).

قوله تعالى:{خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" خالصة لك، وليس لغيرك أن يتزوج امرأة بالهِبَة"(٣).

قال الطبري:" يقول: لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له، وإنما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك"(٤).

قال مقاتل:" يعني: خاصة لك، يا محمد من دون المؤمنين لا تحل هبة المرأة نفسها بغير مهر لغيرك من المؤمنين"(٥).

قال ابن كثير:" أي : إنها إذا فوضت المرأة نفسها إلى رجل ، فإنه متى دخل بها وجب لها عليه بها مهر مثلها ، كما حكم به رسول الله ﷺ في بَرْوَع بنت واشق لما فوضت ، فحكم لها رسول الله ﷺ بصداق مثلها لما توفي عنها زوجها ، والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المفوضة لغير النبي ﷺ فأما هو ، عليه السلام ، فإنه لا يجب عليه للمفوضة شيء ولو دخل بها ؛ لأن له أن يتزوج بغير صداق ولا ولي ولا شهود ، كما في قصة زينب بنت جحش ، رضي الله عنها"(٦).

واختلف في التي وهبت نفسها له على أربعة أقوال :

أحدها : أنها أم شريك بنت جابر بن ضباب ، وكانت امرأة صالحة ، قاله عروة بن الزبير(٧)، ومقاتل(٨).

قال عروة:" كنا نتحدث أن أم شريك رضي الله، عنها كانت ممن وهبت نفسها للنبي ﷺ وكانت امرأة صالحة"(٩).

قال مقاتل:" وكانت أم شريك قبل أن تهب نفسها للنبي- ﷺ- امرأة أبي الفكر الأزدى ثم الدوسي من رهط أبي هريرة"(١٠).

عن الحكم، قال: "كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم، قال: فكتب إليه علي، قال شعبة: وهو ظني علي بن حسين، قال: وقد أخبرني به أبان بن تغلب، عن الحكم، أنه علي بن الحسين الذي كتب إليه، قال: هي امرأة من الأسد يقال لها: أم شريك، وهبت نفسها للنبي"(١١).

طريق يعقوب وعبد العزيز بن أبي حازم وسفيان بن عيينة والدراوردي وزائدة كلهم عن أبي حازم بنحوه.

(١)المسند (٢٦٨/٣) وصحيح البخاري برقم (٥١٢٠).

(٢)المسند (١٥٥/٣).

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٨٦/٢٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠١/٣-٥٠٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٤٥/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠١/٣-٥٠٢.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٣١):ص٣١٤٤/١٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠١/٣-٥٠٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٠.

الثاني : أنها خولة بنت حكيم ، وهذا قول عائشة رضي الله عنها[١]، عروة بن الزبير[٢].
الثالث : أنها ميمونة بنت الحارث ، قاله ابن عباس[٣].

عن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله بن عبيدة قالوا: تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة امرأة. ست من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسورة، وأم سلمة، وثلاث من بني عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال، ميمونة بن الحرث، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وزينب أم المساكين، وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بن الحارث وهي التي استعاذت منه، وزينب بنت جحش والسبيتين صفية بنت حي وجويرية بنت الحارث الخزاعية"[٤].

قال قتادة:" يقول: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولي ولا مهر، إلا للنبي، كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبي"[٥].

الرابع : أنا زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار . قاله الشعبي[٦].

عن الشعبي، أنها امرأة من الأنصار، وهبت نفسها للنبي، وهي ممن أرجأ"[٧].

وقال ابن عباس:" لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها"[٨].

قال ابن زيد:" كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له إلى أن وهب هؤلاء أنفسهن له، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين إلا امرأة لها زوج"[٩].

عن صالح بن مسلم، قال: "سألت الشعبي عن امرأة وهبت نفسها لرجل، قال: لا يكون لا تحل له، إنما كانت للنبي ﷺ"[١٠].

عن أبي بن كعب، "أن التي أحل الله للنبي من النساء هؤلاء اللاتي ذكر الله: {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ... } إلى قوله: {في أزواجهم} وإنما أحل الله للمؤمنين مثنى وثلاث ورباع"[١١].

عن ابن عباس، قوله: "{يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك ... } إلى آخر الآية، قال: حرم الله عليه ما سوى ذلك من النساء، وكان قبل ذلك ينكح في أي النساء شاء، لم يحرم ذلك عليه، فكان نساؤه يجدن من ذلك وجدا شديدا أن ينكح في أي الناس أحب؛ فلما أنزل الله: إني قد حرمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك أعجب ذلك نساءه"[١٢].

روي عن الحسن البصري أنه قرأ: "«أن وهبت» بفتح الألف، بمعنى: وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها؛ لهبتها له نفسها"[١٣].

قوله تعالى:{قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من نفقةٍ، ومهر، وشهود في العقد، وعدم تجاوز

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٢٤)، (١٧٧٢٨):ص١٠/٣١٤٣-٣١٤٤
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٩.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٢٦):١٠/٣١٤٣.
(٥) أخرجه الطبري:٢٠/ ٢٨٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٨٩.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٩.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٨.
(٩) أخرجه الطبري:٢٠/ ٢٨٦-٢٨٧.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٠/ ٢٨٧.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٨٨.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/٢٨٧.

أربع من النساء، وما أبحنا لهم من مِلك اليمين عدا الحرائر، وأما أنت فقد خصصناك بخصائص تيسيراً لك"[1].

قال الطبري: يقول:" قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة إلا بولي عصبة وشهود عدول، ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع، وقوله: {وما ملكت أيمانهم} يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم، لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع، وما ملكت أيمانهم، فإن جميعهن إذا كن مؤمنات أو كتابيات، لهم حلال بالسباء والتسري وغير ذلك من أسباب الملك"[2].

قال مقاتل:" يعني: ما أوجبنا على المؤمنين في أزواجهم ألا يتزوجوا إلا أربع نسوة بمهر وبينة وأحللنا لهم ما ملكت أيمانهم يعنى جماع الولاية"[3].

عن مجاهد: "{قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم}، قال: في الأربع"[4].

قال قتادة:" كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة إلا بولي وصداق عند شاهدي عدل، ولا يحل لهم من النساء إلا أربع وما ملكت أيمانهم"[5].

قوله تعالى:{لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" لئلا يكون عليك مشقة أو ضيق"[6].

قال مقاتل:" لكيلا يكون عليك يا محمد حرج في الهبة بغير مهر فيها تقديم"[7].

قال الطبري: يقول:" إنا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، إن أراد النبي أن يستنكحها؛ لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التي أبحت لك نكاحهن من المسميات في هذه الآية"[8].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٥٠]، أي:" وكان الله غفورًا لذنوب عباده المؤمنين، رحيمًا بالتوسعة عليهم"[9].

قال الطبري: يقول:" وكان الله غفورا لك ولأهل الإيمان بك، رحيما بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه"[10].

قال مقاتل:" {غفورا} في التزويج بغير مهر للنبي- ﷺ- {رحيما} في تحليل ذلك له"[11].

فوائد الآية:[٥٠]:

١- بيان إكرام الله تعالى لنبيه في التخفيف عليه رحمة به فأباح له أكثر من أربع، وقصر المؤمنين على أربع أباح له الواهبة نفسها أن يتزوجها بغير مهر ولا ولي ولم يبح ذلك للمؤمنين فلا بد من مهر وولي وشهود.

٢- تقرير أحكام النكاح للمؤمنين وأنه لم يطرأ عليها نسخ بتخفيف ولا بتشديد.

٣- بيان سعة رحمة الله ومغفرته لعباده المؤمنين.

القرآن

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٨/٢.
(٢) تفسير الطبري: ٢٨٩/٢٠-٢٩٠.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٢/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٩٠/٢٠.
(٦) صفوة التفاسير: ٤٨٨/٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٢/٣.
(٨) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤٢٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٩٠/٢٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٢/٣.

{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١)} [الأحزاب : ٥١]

التفسير:

تؤخر مَن تشاء مِن نسائك في القَسْم في المبيت، وتضم إليك مَن تشاء منهن، ومَن طَلَبْتَ ممن أخَّرت قَسْمها، فلا إثم عليك في هذا، ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرحن ولا يحزنَّ، ويرضين كلهن بما قسمت لهنَّ، والله يعلم ما في قلوب الرجال مِن مَيْلها إلى بعض النساء دون بعض. وكان الله عليمًا بما في القلوب، حليمًا لا يعجل بالعقوبة على من عصاه.

سبب النزول:

عن عروة بن الزبير، عن عائشة:" أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وقالت: أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق، فنزلت، أو فأنزل الله: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ}، فقلت: إني لأرى ربك يسارع لك في هواك"(١).

قوله تعالى:{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} [الأحزاب : ٥١]، أي:" تؤخر مَن تشاء مِن نسائك في القَسْم في المبيت، وتضم إليك مَن تشاء منهن"(٢).

قال الزجاج:" هذا مما خص الله به النبي عليه السلام فكان له أن يؤخر من أحب من نسائه ويؤوي إليه من أحب من نسائه وليس ذلك لغيره من أمته، وله أن يرد من أخر إلى فراشه عليه السلام"(٣).

واختلف أهل العلم في قوله تعالى:{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} [الأحزاب : ٥١]، على وجوه:

أحدها : تطلق من تشاء من نسائك وتمسك من تشاء منهن ، قاله ابن عباس(٤).

عن ابن عباس، قوله: "{ترجي من تشاء منهن}: أمهات المؤمنين، {وتؤوي إليك من تشاء}، يعني: نساء النبي ﷺ، ويعني بالإرجاء: يقول: من شئت خليت سبيله منهن. ويعني بالإيواء: يقول: من أحببت أمسكت منهن"(٥).

قال ابن زيد:" كان أزواجه قد تغايرن على النبي ﷺ فهجرهن شهرا، ثم نزل التخيير من الله له فيهن، فقرأ حتى بلغ: {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين، لا ينكحن أبدا، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهن ممن وهبت نفسها له، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين إذا علمن أنه من قضائي عليهن إيثار بعضهن على بعض {ذلك أدنى أن} يرضين، قال: {ومن ابتغيت ممن عزلت} من ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه، فخيرهن بين أن يرضين بهذا، أو يفارقهن، فاخترن الله ورسوله، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت، وكان على ذلك صلوات الله عليه، وقد شرط الله له هذا الشرط، ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله"(٦).

الثاني : تترك نكاح من تشاء وتنكح من تشاء، قاله الحسن(٧).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٩٣/٢٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٣) معاني القرآن: ٢٣٣/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٠.
(٥) اخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٢/٢٠.

قال الحسن:" كان نبي الله ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها"[١].

الثالث : تعزل - بغير طلاق-من شئت من أزواجك فلا تأتيها ، وتأتي من شئت من أزواجك فلا تعزلها ، قاله مجاهد[٢].

قال مجاهد:" لم يكن النبي ﷺ يطلق، كان يعتزل"[٣].

قال قتادة:" فجعله الله في حل من ذلك أن يدع من يشاء منهن، ويأتي من يشاء منهن بغير قسم، وكان نبي الله يقسم"[٤].

قال الضحاك:" فما شاء صنع في القسمة بين النساء، أحل الله له ذلك"[٥].

قال الماوردي:"ويدل على أن القَسم في هذا التأويل كان ساقطاً عنه"[٦].

الرابع : تؤخر من تشاء من أزواجك ، وتضم إليك من تشاء منهن ، قاله قتادة[٧].

الخامس: تقبل من تشاء من المؤمنات اللواتي يهبن أنفسهن، وتترك من تشاء، قاله الشعبي[٨]، وعكرمة[٩].

وروى منصور عن ابن رزين قال :" لما أشفقن أن يطلقهن، قلن: يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت، فكان ممن أرجأ منهن سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة، وكان ممن آوى إليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب"[١٠].

وفي رواية اخرى، عن أبي رزين:" وكان ممن آوى إليه عليه الصلاة والسلام: عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة؛ فكان قسمه من نفسه لهن سوى قسمه. وكان ممن أرجى: سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة؛ فكان يقسم لهن ما شاء، وكان أراد أن يفارقهن، فقلن له: اقسم لنا من نفسك ما شئت، ودعنا نكون على حالنا"[١١].\

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويؤوي إليه منهن من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن.

إذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هن في حبالك؛ فلا تقربها. وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء اللاتي أحللت لك نكاحهن؛ فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك؛ فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم"[١٢].

قال ابن الجوزي:" أكثر العلماء على أن هذه الآية نزلت مبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مصاحبة نسائه كيف شاء من غير إيجاب القسمة عليه والتسوية بينهن. غير أنه كان يسوي بينهن"[١٣].

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩١/٢٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٤٣):ص٣١٤٦/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٠.
(٦) النكت والعيون: ٤١٦/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤١٦/٤.
(٨) انظر: زاد المسير: ٤٧٦/٣.
(٩) انظر: زاد المسير: ٤٧٦/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٩١/٢٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٠.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٠.
(١٣) زاد المسير: ٤٧٦/٣.

قال الشعبي: "كن نساء وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ فدخل ببعضهن وأرجأ بعضهن فلم يقربن حتى توفي ولم ينكحن بعده منهن أم شريك"[١].

قال الزهري:" ما علمنا رسول الله ﷺ أرجأ منهن أحدا، ولقد آواهن كلهن حتى مات"[٢].

مات"[٢].

عن عائشة رضي الله، عنها: "أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية: {ترجي من تشاء منهن} فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قال: كنت أقول له: إن كان ذاك إلي فإني لا أريد أن أوثر عليك أحدا"[٣].

قال أبو زيد: "هم رسول الله ﷺ أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك أتينه فقلن: لا تخل سبيلنا وأنت في حل فيما بيننا وبينك، إفرض لنا من نفسك ومالك ما شئت فأنزل الله: ترجي من تشاء منهن نسوة يقول: تعزل من تشاء فأرجأ منهن وآوى نسوة وكان ممن أرجئ: ميمونة، وجويرية، وأم حبيبة وصفية، وسودة. وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ما شاء، وكان ممن آوى: عائشة وحفصة، وأم سلمة، وزينب. فكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء"[٤].

وعن ابن عباس، قال: "خشيت سودة أن يطلقها رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة ففعل، ونزلت هذه الآية: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا}، الآية"[٥].

قوله تعالى:{وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ} [الأحزاب : ٥١]، أي:" ومَن طَلَبْتَ ممن أخَّرت قَسْمها، فلا إثم عليك في هذا"[٦].

قال الزجاج:" أي: إن أردت ممن عزلت أن تؤوي إليك فلا جناح عليك"[٧].

قال ابن الجوزي:" أي: إذا أردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلت من القسمة فلا جناح عليك، أي: لا ميل عليك بلوم ولا عتب ذلك"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ} [الأحزاب : ٥١]، وجهان من التفسير:

أحدهما: معناه: ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح، فعزلته عن الجماع، فلا جناح عليك. قاله قتادة[٩]، وابن زيد[١٠].

قال قتادة:" إن شاء أتى من شاء منهن، ولا جناح عليه"[١١].

قال ابن زيد:" ومن ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه"[١٢].

الثاني: معناه: ومن استبدلت ممن أرجيت، فخليت سبيله من نسائك، أو ممن مات منهن من أحللت لك فلا جناح عليك. وهذا قول ابن عباس[١٣].

قال ابن عباس:" يعني بذلك: النساء اللاتي أحل الله له من بنات العم والعمة والخال والخالة {اللاتي هاجرن معك}، يقول: إن مات من نسائك اللاتي عندك أحد، أو خليت سبيله، فقد

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٣٨):ص٣١٤٥/١٠.
(٢) نقلا عن: زاد المسير: ٤٧٦/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٤٤):ص٣١٤٦/١٠.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٣٩):ص٣١٤٥/١٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٠٣٦):ص١٠٧٩/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٧) معاني القرآن: ٢٣٣/٤.
(٨) زاد المسير: ٤٧٦/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٠-٢٩٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٠.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٩٤/٢٠-٢٩٥.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٩٥/٢٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٠.

أحللت لك أن تستبدل من اللاتي أحللت لك مكان من مات من نسائك اللاتي هن عندك، أو خليت سبيله منهن، ولا يصلح لك أن تزداد على عدة نسائك اللاتي عندك شيئا"(١).

قال الطبري:" وأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من قال: معنى ذلك: ومن ابتغيت إصابته من نسائك {ممن عزلت} عن ذلك منهن {فلا جناح عليك} لدلالة قوله: {ذلك أدنى أن تقر أعينهن} على صحة ذلك، لأنه لا معنى لأن تقر أعينهن إذا هو ﷺ استبدل بالميتة أو المطلقة منهن، إلا أن يعني بذلك: ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن، وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد"(٢).

قوله تعالى:{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ} [الأحزاب : ٥١]، أي:" ذلك التخيير أقرب إلى أن يفرحن ولا يحزنَّ، ويرضين كلهن بما قسمت لهنَّ"(٣).

قال ابن الجوزي:" أي: ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن أقرب إلى رضاهن. والمعنى: إنهن إذا علمن أن هذا أمر من الله تعالى، كان أطيب لأنفسهن، {ويرضين بما آتيتهن كلهن}، أي: بما أعطيتهن من تقريب وتأخير"(٤).

قال الطبري:" يقول: هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهن، وتؤوي من تشاء منهن، ووضعي عنك الحرج في ابتغائك إصابة من ابتغيت إصابته من نسائك، وعزلك عن ذلك من عزلت منهن، أقرب لنسائك أن تقر أعينهن به ولا يحزن، ويرضين بما آتيتهن كلهن من تفضيل من فضلت من قسم، أو نفقة وإيثار من آثرت منهم بذلك على غيره من نسائك، إذا هن علمن أنه من رضاي منك بذلك، وإذني لك به، وإطلاق مني لا من قبلك"(٥).

قال ابن كثير:" أي : إذا علمن أن الله قد وضع عنك الحَرَج في القسم ، فإن شئت قسمت ، وإن شئت لم تقسم ، لا جناح عليك في أي ذلك فعلت ، ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختيارا منك لا أنه على سبيل الوجوب ، فرحن بذلك واستبشرن به وحملن جميلك في ذلك ، واعترفن بمنتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وإنصافك لهن وعدلك فيهن"(٦).

وفي قوله تعالى:{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ} [الأحزاب : ٥١]، وجوه من التفسير:

أحدها : إذا علمن أنه لا يطلقهن قرت أعينهن ولم يحزن. حكاه الماوردي(٧).

الثاني : إذا علمن أنه لا يتزوج عليهن قرت أعينهن ولم يحزن . قاله قتادة(٨).

قال يحيى:" يعني: نساءه اللائي عنده يومئذ، يعني: التسع، {ولا يحزن}، إذا عرفن إلا تنكح عليهن"(٩).

الثالث : إذا علمن أن هذا من حكم الله تعالى فيهن قَرَّت أعينهن ولم يحزن . قاله قتادة(١٠)، وروي عن ابن زيد نحوه(١١).

الرابع : أنهن علمن أن له ردهن إلى فراشه إذا اعتزلهن قرَّت أعينهن ولم يحزن ، قاله مجاهد(١٢).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٩٥/٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٤) زاد المسير: ٤٧٦/٣.
(٥) تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٦.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤١٦/٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٤١٦/٤.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٣٢/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٩٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٢٩٦.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤١٦/٤.

الخامس: إذا لم تجعل لواحدة منهن يوما وكن في ذلك سواء، كان أحرى أن تطيب أنفسهن ولا يحزن. قاله الفراء(١).

عن ابن شهاب، قوله: "{ترجي من تشاء}، قال: هذا أمر جعله الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في تأديبه نساءه لكي يكون ذلك أقر لأعينهن وأرضى في عيشتهن ولم نعلم رسول الله ﷺ أرجأ منهن شيئا ولا عزله بعد أن خيرهن فاخترنه"(٢).

وقرأ ابن محيصن، وأبو عمران الجوني: «أن تقر»، بضم التاء وكسر القاف «أعينهن» بنصب النون(٣).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ} [الأحزاب : ٥١]، أي:" والله يعلم ما في قلوب الرجال مِن مَيْلها إلى بعض النساء دون بعض"(٤).

قال الطبري:" يقول: والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة، يقول: فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن، ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة"(٥).

قال ابن كثير:" أي : من الميل إلى بعضهن دون بعض ، مما لا يمكن دفعه "(٦).

قال ابن الجوزي:" والله يعلم ما في قلوبكم من الميل إلى بعضهن. والمعنى: إنما خيرناك تسهيلا عليك"(٧).

قال الصابوني:" خطابٌ للنبي على جهة التعظيم أي يعلم ما في قلبك يا محمد وما في قلب كل إِنسان، من عدل أو ميل، ومن حب أو كراهية، وإِنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك فيما أردت"(٨).

عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ، ثم يقول : "اللهم هذا فعلي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"(٩).

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا} [الأحزاب : ٥١]، أي:" وكان الله عليمًا بما في القلوب، حليمًا لا يعجل بالعقوبة على من عصاه"(١٠).

قال الطبري:" يقول: وكان الله ذا علم بأعمال عباده، وغير ذلك من الأشياء كلها {حليما} يقول: ذا حلم على عباده، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم، وينيب من ذنوبه من أناب منهم"(١١).

القرآن

{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢)} [الأحزاب : ٥٢]

التفسير:

لا يحل لك تزوج النساء من بعد زوجاتك أمهات المؤمنين، ولا أن تطلقهن وتتزوج بدلهن غيرهن -إكراماً لهن، وشكراً على حسن صنيعهن من اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة- ولو

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٣٤٦/٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٤٠):ص٣١٤٦/١٠.
(٣) انظر: زاد المسير: ٤٧٦/٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٥) تفسير الطبري: ٢٩٦/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٤٦/٦.
(٧) زاد المسير: ٤٧٦/٣.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٨٨/٢.
(٩)المسند (١٤٤/٦) وسنن أبي داود برقم (٢١٣٤) وسنن الترمذي برقم (١١٤٠) وسنن النسائي (٦٣/٧) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٧١).
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(١١) تفسير الطبري: ٢٩٦/٢٠.

أعجبك حسن غيرهن من النساء، إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك. وكان الله على كل شيء رقيبًا، لا يغيب عنه علم شيء.

قوله تعالى:{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب : ٥٢]، أي:" لا يحل لك تزوج النساء من بعد زوجاتك أمهات المؤمنين"(١).

قال الطبري:يقول:" لا يحل لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك في الآية قبل"(٢).

قال السعدي:" وهذا شكر من الله، الذي لم يزل شكورًا، لزوجات رسوله، رضي الله عنهن، حيث اخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، أن رحمهن، وقصر رسوله عليهن فقال: {لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} زوجاتك الموجودات"(٣).

وفي قوله تعالى:{لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ} [الأحزاب : ٥٢]، وجوه:

أحدها : لا يحل لك نساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة . قال ابن عباس(٤)، وقتادة(٥).

قال ابن عباس:" نهي رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئا"(٦).

قال قتادة:" لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن؛ فقال: {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج}، وهن التسع التي اخترن الله ورسوله"(٧).

الثاني : لا يحل لك النساء من بعد الذي أحللنا لك بقولنا :{إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ}، إلى قوله:{إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ}، الآية، والمعنى: معناه: لا يحل لك من النساء إلا التي أحللناها لك. وكانت الإباحة بعد نسائه مقصورة على بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته المهاجرات معه ، قاله أبي بن كعب(٨).

قال زياد:" قال لأبي بن كعب: هل كان للنبي ﷺ لو مات أزواجه أن يتزوج؟ قال: ما كان يحرم عليه ذلك، فقرأت عليه هذه الآية :{يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك}، قال: فقال: أحل له ضربا من النساء، وحرم عليه ما سواهن، أحل له كل امرأة آتى أجرها، وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته، وكل امرأة وهبت نفسها له إن أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين"(٩).

قال أبو صالح: "أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة، ويتزوج بعد من نساء تهامة، ومن شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثلاث مئة"(١٠).

وروي عن عكرمة: "{لا يحل لك النساء من بعد}، هؤلاء التي سمى الله إلا {بنات عمك ... } الآية"(١١).

قال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله:{لا يحل لك النساء من بعد}، يعني: من بعد التسمية، يقول: لا يحل لك امرأة إلا ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال أو ابنة خالة أو امرأة وهبت نفسها لك، من كان منهن هاجر مع نبي الله ﷺ"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٣٠٣-٣٠٤.
(٣) تفسير السعدي: ٦٧٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٩٧.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٩٧.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٩٧-٢٩٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٧-٢٩٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٨-٢٩٩.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٩٩.

وفي حرف ابن مسعود: "{واللاتي هاجرن معك}، يعني بذلك: كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة، ولا من بنات الخال والخالة"[1].
الثالث : لا يحل لك النساء من غير المسلمات كاليهوديات والنصرانيات والمشركات ، ويحل ما سواهن من المسلمات ، قاله مجاهد[2].

قال الطبري:" وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: {إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن ... } إلى قوله: {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي} .

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: {لا يحل لك النساء} عقيب قوله: {إنا أحللنا لك أزواجك}، وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فعل الأخرى منهما. فإذ كان ذلك كذلك ولا دلالة ولا برهان على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن لقول من قال: معنى ذلك: لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة، معنى مفهوم، إذ كان قوله {من بعد} إنما معناه: من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله ﷺ ذكر إباحة المسلمات كلهن، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم، صح ما قلنا في ذلك، دون قول من خالف قولنا فيه"[3].

وقرئ:«لا تحل لك النساء»، بالتاء توجيها منه إلى أنه فعل للنساء، والنساء جمع للكثير منهن [4].

قوله تعالى:{وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} [الأحزاب : ٥٢]، أي:" ولا أن تطلقهن وتتزوج بدلهن غيرهن -إكراماً لهن، وشكراً على حسن صنيعهن من اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة- ولو أعجبك حسن غيرهن من النساء"[5].

قال الطبري:يقول :"ولا أن تطلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن"[6].

قال ابن كثير:" فنهاه عن الزيادة عليهن ، أو طلاق واحدة منهن واستبدال غيرها بها إلا ما ملكت يمينه"[7].

قال السعدي:" أي: ولا تطلق بعضهن، فتأخذ بدلها، {وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ} أي: حسن غيرهن، فلا يحللن لك، فحصل بهذا، أمنهن من الضرائر، ومن الطلاق، لأن الله قضى أنهن زوجاته في الدنيا والآخرة، لا يكون بينه وبينهن فرقة"[8].

قال المراغي:" أي: ولا يحل لك أن تستبدل بهن أزواجا غيرهن، بأن تطلق واحدة منهن وتنكح بدلها أخرى مهما كانت بارعة فى الحسب والجمال"[9].

وفي قوله تعالى:{وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ} [الأحزاب : ٥٢]، وجوه من التفسير:

---

(١) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٠.
(٣) تفسير الطبري: ٢٩٩/٢٠-٣٠٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٦) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٠-٣٠٤.
(٧) تفسير ابن كثيرر: ٤٤٩/٦.
(٨) تفسير السعدي: ٦٧٠. [بتصرف]
(٩) تفسير المراغي: ٢٦/٢٢.

أحدها : ولا أن تبدل بالمسلمات بالمسلمات غيرهن من النصارى واليهود والمشركين، قاله أبو رزين[١]، ومجاهد[٢].

قال أبو رزين:" لا يحل لك أن تتزوج من المشركات إلا من سبيت فملكته يمينك منهن"[٣].

الثاني : لا تطلق زوجاتك لتستبدل بهن من أعجبك حسنهن، قاله الضحاك[٤].

قال الضحاك:" لا يصلح لك أن تطلق شيئا من أزواجك ليس يعجبك، فلم يكن يصلح ذلك له"[٥].

قال الماوردي:"وقيل التي أعجبه حسنها أسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن أبي طالب عنها"[٦].

الثالث : ولا أن تبدل بأزواجك زوجات غيرك، فإن العرب كانوا في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم فيعطي أحدهم زوجته لرجل ويأخذ بها منه زوجته بدلاً منها ، قاله ابن زيد[٧].

قال ابن زيد:" كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم؛ يعطي هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته؛ فقال: {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك}، لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل، فأما الحرائر فلا قال: وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية"[٨].

قال أبو هريرة:" كان البَدلُ في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل : بادلني امرأتك وأبادلُك بامرأتي : أي : تنزل لي عن امرأتك ، وأنزل لك عن امرأتي. فأنزل الله : { وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ}، قال : فدخل عيينة بن حصن على النبي ﷺ ، وعنده عائشة ، فدخل بغيرِ إذن ، فقال له رسول الله ﷺ : "فأين الاستئذان ؟" فقال يا رسول الله ، ما استأذنت على رجل من مُضَر منذ أدركت. ثم قال : من هذه الحُمَيْراء إلى جنبك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "هذه عائشة أم المؤمنين". قال : أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق؟ قال : "يا عيينة إن الله قد حرم ذلك". فلما أن خرج قالت عائشة : مَنْ هذا ؟ قال : هذا أحمق مطاع ، وإنه على ما ترين لسيد قومه"[٩].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهن غيرهن أزواجا، إنما قلنا ذلك أولى بالصواب لما قد بيننا قبل من أن قول الذي قال معنى قوله: {لا يحل لك النساء من بعد} لا يحل لك اليهودية أو النصرانية والكافرة، قول لا وجه له. فإذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله: {ولا أن تبدل بهن} كافرة لا معنى له، إذ كان من المسلمات من قد حرم عليه بقوله {لا يحل لك النساء من بعد} الذي دللنا عليه قبل. وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضا فقول لا معنى له، لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل: ولا أن تبادل بهن من أزواج، أو ولا أن تبدل بهن بضم التاء، ولكن القراءة المجمع عليها: ولا أن تبدل بهن بفتح التاء، بمعنى: ولا أن تستبدل بهن، مع أن الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة نعلمه من الأمم: أن يبادل الرجل آخر بامرأته الحرة، فيقال: كان ذلك من فعلهم فنهى رسول الله ﷺ عن فعل مثله.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٠-٣٠١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٠/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٠/٢٠-٣٠١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٠.
(٦) النكت والعيون: ٤١٧/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٠١/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٠.
(٩)مسند البزار برقم (٢٢٥١) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (٩٢/٧) : "وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك".

فإن قال قائل: أفلم يكن لرسول الله ﷺ أن يتزوج امرأة على نسائه اللواتي كن عنده، فيكون موجها تأويل قوله: {ولا أن تبدل بهن من أزواج} إلى ما تأولت، أو قال: وأين ذكر أزواجه اللواتي كن عنده في هذا الموضع، فتكون الهاء من قوله: {ولا أن تبدل بهن} من ذكرهن وتوهم أن الهاء في ذلك عائدة على النساء، في قوله {لا يحل لك النساء من بعد} ؟ قيل: قد كان لرسول الله ﷺ أن يتزوج من شاء من النساء اللواتي كان الله أحلهن له على نسائه اللاتي كن عنده يوم نزلت هذه الآية، وإنما نهي ﷺ بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها، لإعجاب حسن المستبدلة له بها إياه إذ كان الله قد جعلهن أمهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة، والرضا بالله ورسوله، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فحرمن على غيره بذلك، ومنع من فراقهن بطلاق، فأما نكاح غيرهن فلم يمنع منه، بل أحل الله له ذلك على ما بين في كتابه. وقد روي عن عائشة أن النبي ﷺ لم يقبض حتى أحل الله له نساء أهل الأرض"[١].

قال ابن كثير في الآية:" ذكر غير واحد من العلماء - كابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وابن زيد ، وابن جرير ، وغيرهم - أن هذه الآية نزلت مجازاة لأزواج النبي ﷺ ورضًا عنهن ، على حسن صنيعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة ، لما خيرهن رسول الله ﷺ ، كما تقدم في الآية. فلما اخترن رسول الله ﷺ ، كان جزاؤهن أن الله قَصَره عليهن ، وحرم عليه أن يتزوج بغيرهن ، أو يستبدل بهن أزواجا غيرهن ، ولو أعجبه حسنهن إلا الإماء والسراري فلا حجر عليه فيهن. ثم إنه تعالى رفع عنه الحجر في ذلك ونسخ حكم هذه الآية ، وأباح له التزوج، ولكن لم يقع منه بعد ذلك تَزَوّج لتكون المنة للرسول ﷺ عليهن"[٢].

عن عطاء، عن عائشة قالت:" ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء، تعني: أهل الأرض"[٣].

عن عبيد بن عمير الليثي، عن عائشة قالت: "ما توفي رسول الله ﷺ حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء"[٤].

عن أم سلمة أنها قالت : "لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحلَّ الله له أن يتزوج من النساء ما شاء ، إلا ذات محرم ، وذلك قول الله ، عز وجل : { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ }"[٥].

قال ابن كثير:" فجعلت هذه ناسخة للتي بعدها في التلاوة ، كآيتي عدة الوفاة في البقرة ، الأولى ناسخة للتي بعدها ، والله أعلم"[٦].

ثم قال الطبري:" فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت من أن الله حرم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهن فاخترنه، فما وجه الخبر الذي روي عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها، وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه إياها، ووهبت يومها لعائشة؟ قيل: كان ذلك قبل نزول هذه الآية.

والدليل على صحة ما قلنا من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن، الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاقبها حين اعتزل رسول الله ﷺ نساءه، كان من قيله لها: قد كان رسول الله ﷺ طلقك، فكلمته فراجعك، فوالله لئن طلقك، أو لو كان طلقك لا كلمته فيك. وذلك لا شك قبل نزول آية التخيير، لأن آية التخيير إنما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله ﷺ على اعتزالهن.

---

(١) تفسير الطبري: ٣٠١/٢٠-٣٠٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٤٧/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٠٣/٢٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٣٧):ص٣١٤٥/١٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٤٧/٦.

وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية، أن الله إنما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن، وأنه يرجي من يشاء منهن، ويؤوي منهن من يشاء، ويؤثر من شاء منهن على من شاء، ولذلك قال له تعالى ذكره: {ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن} ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله ﷺ جرى على تركها يومها لعائشة في حال لا يوم لها منه.

وغير جائز أن يكون كان ذلك منها إلا في حال كان لها منه يوم هو لها حق كان واجبا على رسول الله ﷺ أداؤه إليها، ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا"(١).

قال ابن كثير:" واختار ابن جرير ، رحمه الله ، أن الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء ، وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعا. وهذا الذي قاله جيد ، ولعله مراد كثير ممن حكينا عنه من السلف ؛ فإن كثيرا منهم روي عنه هذا وهذا ، ولا منافاة ، والله أعلم.

ثم أورد ابن جرير على نفسه ما روي أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها ، وعزم على فراق سودة حتى وهبته يومها لعائشة ، ثم أجاب بأن هذا كان قبل نزول قوله : { لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ } ، وهذا الذي قاله من أن هذا كان قبل نزول الآية صحيح ، ولكن لا يحتاج إلى ذلك ؛ فإن الآية إنما دلت على أنه لا يتزوج بمن عدا اللواتي في عصمته ، وأنه لا يستبدل بهن غيرهن ، ولا يدل ذلك على أنه لا يطلق واحدة منهن من غير استبدال ، والله أعلم.

فأما قَضية سَوْدَة ففي الصحيح عن عائشة ، رضي الله عنها ، وهي سبب نزول قوله تعالى : { وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ } الآية [النساء : ١٢٨].

وأما قضية حفصة .. عن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها(٢). وهذا إسناد قوي.

وقال الحافظ أبو يعلى : ...عن ابن عمر قال : دخل عمر على حفصة وهي تبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ لعل رسول الله ﷺ طلقك ؟ إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك من أجلي ؛ والله لئن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبدا"(٣)"(٤).

قوله تعالى:{إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ} [الأحزاب : ٥٢]، أي:" إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فهن حلال لك"(٥).

قال الطبري: يقول: "لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فإن لك أن تملك من أى أجناس الناس شئت من الإماء "(٦).

قال السعدي:" أي: السراري، فذلك جائز لك، لأن المملوكات، في كراهة الزوجات، لسن بمنزلة الزوجات، في الإضرار للزوجات"(٧).

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا} [الأحزاب : ٥٢]، أي:" وكان الله على كل شيء رقيبًا، لا يغيب عنه علم شيء"(٨).

قال الحسن وقتادة:" أي: حفيظا "(١).

---

(١) تفسير الطبري: ٣٠٣/٢٠-٣٠٤.
(٢)أبي داود برقم (٢٢٨٣) وسنن النسائي (٢١٣/٦) وسنن ابن ماجه برقم (٢٠١٦).
(٣)مسند أبي يعلى (١٦٠/١).
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٤٨/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٦) تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٠.
(٧) تفسير السعدي: ٦٧٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٥.

قال الطبري:" يقول: وكان الله على كل شيء؛ ما أحل لك، وحرم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظا لا يعزب عنه علم شيء من ذلك، ولا يئوده حفظ ذلك كله"[٢].

قال السعدي:" أي: مراقبًا للأمور، وعالمًا بما إليه تؤول، وقائمًا بتدبيرها على أكمل نظام، وأحسن إحكام"[٣].

فوائد الآيتين:[٥١-٥٢]:

١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله بالتيسير والتسهيل عليه لكثرة مهامه.

٢- ما خير الله فيه رسوله لا يصح لأحد من المسلمين اللهم إلا أن يقول الرجل للمرأة كبيرة السن أو المريضة أي فلانة إني أريد أن أتزوج أحصّن نفسي وأنت كما تعلمين عاجزة فإن شئت طلقتك، وإن شئت تنازلت عن ليلتك فإن اختارت البقاء مع التنازل عن حقها في الفراش فلا بأس بذلك.

٣- في تدبير الله لرسوله وزوجاته من الفوائد والمصالح ما لا يقادر قدره.

٤- تقرير مبدأ (ما ترك أحد شيئا لله إلا عوضه الله خيراً منه) تجلّى هذا في اختيار نساء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله ورسوله والدار الآخرة.

٥- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم التفكير في الخروج عن طاعته بحال من الأحوال.

[تنبيه هام]

إذْنُ الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالزواج بأكثر من أربع كان لحكم عالية، وكيف والمشرع هو الله العليم الحكيم من تلك الحكم العالية ما يلي:

(١) اقتضاء التشريع الخاص بالنساء ومنه ما لا يطلع عليه إلا الزوجان تعدُّد الزوجات ليروين الأحكام الخاصة

بالنساء، ولصحة الرواية وقبولها في الأمة تعدد الطرق وكثرة الروايات.

(٢) تطلُّب الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى مناصرين لها أقوياء ولا أفضل من أصهار الرجل الداعي فإنهم بحكم العرف يقفون إلى جنب صهرهم محقاً أو مبطلاً كان.

(٣) أن المؤمنين لا أحب إليهم من مصاهرة نبي الله ليظفروا بالدخول عليه في بيته والخلوة به وما أعزها. فأي المؤمنين من لا يرغب أن تكون أمه أو أخته أو بنته أماً لكل المؤمنين إني والله لا أحب إليّ من أن أكون أنا وزوجتي وسائر أولادي خدماً في بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فلذا وسع الله على رسوله ليتسع على الأقل للأرامل وربات الشرف حتى لا يدنس شرفهن.

(٤) قد يحتاج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكافأة بعض من أحسن إليه ولم يجد ما يكافئه به ويراه راغباً في مصاهرته فيجيبه لذلك ومن هذا زواجه بكل من عائشة بنت الصديق وحفصة بنت الفاروق رضي الله عنهم أجمعين.

(٥) قد زوجه ربه بزينب وهو كاره لذلك يتهرب منه خشية قالة الناس وما كانوا يعدونه منكراً وهو التزوج بامرأة الدعي المتبنى بعد طلاقها أو موت زوجها هذه بعض الحكم التي اقتضت الإذن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التزوج أكثر من أربع مع عامل آخر مهم وهو قدرة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على العدل والكفاية الأمر الذي لن يكون لغيره أبدا[٤].

القرآن

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٠٤-٣٠٥.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٣٠٤.

(٣) تفسير السعدي: ٦٧٠.

(٤) انظر: أيسر التفاسير للجزائري: ٤/٢٨٤-٢٨٥.

مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)} [الأحزاب : ٥٤]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا غير مستأنسين لحديث بينكم؛ فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له، والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره. وإذا سألتم نساء رسول الله ﷺ حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر؛ ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال؛ فالرؤية سبب الفتنة، وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبدًا؛ لأنهن أمهاتكم، ولا يحلُّ للرجل أن يتزوج أمَّه، إنَّ أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله. وقد امتثلت هذه الأمة هذا الأمر، واجتنبت ما نهى الله عنه منه.

سبب النزول:

أ- سبب نزول قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ...} الآية، وفيه وجوه:

أحدها: قال أنس بن مالك:" لما تزوج رسول الله - ﷺ - زينب بنت جحش؛ دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام؛ فلم يقوموا، فلما رأى ذلك؛ قام، فلما قام؛ قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي - ﷺ - ليدخل؛ فإذا القوم جلوس ثم إنهم قاموا، فانطلقت؛ فجئت فأخبرت النبي - ﷺ -: أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} الآية"[(١)].

---

(١)أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٧٩١)، ومسلم في "صحيحه" (رقم ١٤٢٨، ٩٢) وغيرهما من طريق أبي مجلز عن أنس به.

وفي رواية للبخاري (رقم ٦٢٣٨)، ومسلم (رقم ١٤٢٨/ ٩٣) وغيرهما من طريق الزهري عن أنس؛ قال: كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله - ﷺ - المدينة، فخدمت رسول الله - ﷺ - عشراً حياته، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وقد كان أُبيّ بن كعب يسألني عنه، وكان أول ما نزل في مُبْتنى رسول الله - ﷺ - بزينب ابنة جحش: أصبح النبي - ﷺ - بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله - ﷺ - فأطالوا المكث، فقام رسول الله - ﷺ - فخرج وخرجت معه؛ كي يخرجوا فمشى رسول الله - ﷺ - ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن رسول الله - ﷺ - أنهم خرجوا؛ فرجع رسول الله - ﷺ - ورجعت معه، حتى دخل على زينب؛ فإذا هم جلوس لم يتفرقوا؛ فرجع النبي - ﷺ - ورجعت معه، حتى بلغ عتبة حجرة عائشة، فظن أن قد خرجوا، فرجع ورجعت معه؛ فإذا هم قد خرجوا؛ فأنزل آية الحجاب، فضرب بيني وبينه ستراً.

وفي رواية للبخاري (رقم ٤٧٩٢)، ومسلم (رقم ١٤٢٨/ ٩٢) من طريق أبي قلابة؛ قال: قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية: آية الحجاب: لما أُهديت زينب إلى رسول الله - ﷺ -؛ كانت معه في البيت، صنع طعاماً ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، فجعل النبي - ﷺ - يخرج ثم يرجع، وهم قعود يتحدثون؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} إلى قوله: {مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} فضرب الحجاب، وقام القوم.

وفي رواية للبخاري (رقم ٤٧٩٣) من طريق عبد العزيز بن صهيب عن أنس؛ قال: بُنِيَ على النبي - صلى الله عليه وسلم - بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلت: يا نبي الله! ما أجد أحداً أدعوه، فقال: "فارفعوا طعامكم"، وبقي ثلاثة وهي يتحدثون في البيت، فخرج النبي - ﷺ - فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: "السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله"، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي - ﷺ -، فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون، وكان النبي - ﷺ -شديد الحياء- فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أخبر: أن القوم خرجوا؛ فرجع، حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجة؛ أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت الآية.

وفي أخرى (رقم ٤٧٩٤) من طريق حميد عن أنس؛ قال: أوْلم رسول الله - ﷺ - حين بني بزينب بنت جحش،

وقال: "أنا أعلم الناس بهذه الآية؛ آية الحجاب: لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما، ودعا القوم، فجاءوا فدخلوا وزينب مع رسول الله ﷺ في البيت، وجعلوا يتحدثون، وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يدخل وهم قعود، قال: فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ} إلى: {فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، قال: فقام القوم وضرب الحجاب"(١).

وقال أنس: "وكنت مع النبي ﷺ وكان يمر على نسائه، قال: فأتى بامرأة عروس، ثم جاء وعندها قوم، فانطلق فقضى حاجته، واحتبس وعاد وقد خرجوا، قال: فدخل فأرخى بيني وبينه سترا، قال: فحدثت أبا طلحة فقال: لئن كان كما تقول، لينزلن في هذا شيء، قال: ونزلت آية الحجاب"(٢).

الثاني: عن أنس بن مالك؛ قال: "قال عمر: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؛ فنزلت: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥]، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله! لو أمرت نساءك أن يحتجبن؛ فإنه يكلمهن البر والفاجر؛ فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي - ﷺ - في المغيرة عليه فقلت لهن: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} [التحريم: ٥]؛ فنزلت هذه الآية"(٣).

عن ابن عباس رضي الله، عنهما قال: "دخل رجل على النبي ﷺ فأطال الجلوس فقام النبي ﷺ مرارا كي يتبعه ويقوم، فلم يفعل، فدخل عمر رضي الله، عنه فرأى الرجل وعرف الكراهية في وجه رسول الله ﷺ فنظر إلى الرجل المقعد فقال: لعلك آذيت النبي ﷺ ففطن الرجل فقام، فقال النبي ﷺ: لقد قمت مرارا كي يتبعني فلم يفعل، فقال عمر رضي الله، عنه: لو اتخذت

فأشبع الناس خبزاً ولحماً، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه؛ فيسلم عليهن ويدعو لهن، ويسلمن عليه ويدعون له، فلما رجع إلى بيته؛ رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما؛ رجع عن بيته، فلما رأى الرجلان نبي الله - ﷺ - رجع عن بيته؛ وثبا مسرعين، فما أدري: أنا أخبرته بخروجهما، أم أخبر؟ فرجع حتى دخل البيت، وأرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب.

وفي رواية لمسلم (رقم ١٤٢٨/ ٩٤، ٩٥) من طريق الجعد أبي عثمان عن أنس؛ قال: تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي أم سليم حَيْساً؛ فجعلته في تور، فقالت: يا أنس! اذهب بهذا إلى رسول الله - ﷺ -، فقل: بعثت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله - ﷺ -؛ فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله! فقال: "ضعه"، ثم قال: "اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيت" -وسمى رجالاً-، قال: فدعوت من سمى ومن لقيت. قال: قلت لأنس: عَدَدَ كَم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، وقال لي رسول الله - ﷺ -: "يا أنس! هات التود"، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله - ﷺ -: "ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه"، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، فقال لي: "يا أنس! ارفع"، قال: فرفعت، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت؟ قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله - ﷺ -، ورسول الله - ﷺ - جالس وزوجته مولّية وجهها إلى الحائط؛ فثقلوا على رسول الله - ﷺ -؛ فخرج رسول الله - ﷺ - فسلّم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوْا رسول الله - ﷺ - قد رجع؛ ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله - ﷺ - حتى أرخى الستر ودخل، وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليّ، وأُنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله - ﷺ - وقرأهن على الناس: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ} إلى آخر الآية.

قال الجعد: قال أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات، وحُجِبْنَ نساء النبي - ﷺ -.

وفي رواية للنسائي في "تفسيره" (رقم ٤٣٧)، والترمذي (رقم ٣٢١٩)، والطبري في "جامع البيان" (٢٢/ ٢٧، ٢٨) من طريق بيان بن بشر عن أنس؛ قال: بني رسول الله - ﷺ - بامرأة من نسائه، فأرسلني فدعوت قوماً إلى الطعام، فلما أكلوا وخرجوا؛ قام رسول الله - ﷺ - منطلقاً قبل بيت عائشة، فرأى رجلين جالسين؛ فانصرف راجعاً؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ}. قلنا: وسنده حسن.

وقال الترمذي: "هذا حدث حسن غريب"، وهو في البخاري (رقم ٥١٧٠) مختصر جداً

(١) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠-٣١٣.

(٣)أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ٤٠٢).

حجابا، فإن نساءك لسن كسائر النساء، وهو أطهر لقلوبهن. فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ.....}، فأرسل إلى عمر رضي الله عنه فأخبره بذلك"(١).

وعن عائشة -رضي الله عنها-؛ قالت: "كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: احجب نساءك، قالت: فلم يكن رسول الله - ﷺ - يفعل، وكان أزواج النبي - ﷺ - يخرجن ليلاً إذا تبرزن إلى المناصع -وهو صعيد أفيح-، فخرجت سودة بنت زمعة -زوج النبي - ﷺ -- ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فرآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال: ألا قد عرفناك يا سودة! -حرصاً على أن ينزل الحجاب-، قالت عائشة: فأنزل الله -عزّ وجلّ- آية الحجاب"(٢).

وروي عن أبي وائل عن عبد الله، قال: "أمر عمر نساء النبي ﷺ بالحجاب، فقالت زينب: يا بن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}"(٣).

الثالث: عن عائشة -رضي الله عنها-؛ قالت: "كنت آكل مع النبي - ﷺ - حيساً في قعب، فمرَّ عمر -رضي الله عنه- فدعاه فأكل، فأصابت أصبعه أصبعي، فقال: حَسِّ -أو أَوْهِ- لو أطاع فيكن؛ ما رأتكن عين؛ فنزل الحجاب"(٤).

قال ابن عباس:" نزل حجاب نساء رسول الله - ﷺ - في عمر؛ أكل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - طعاماً فأصابت يده بعض أيدي نساء النبي؛ فأمر بالحجاب"(٥).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٥٥):ص٣١٤٨/١٠.

(٢)أخرجه البخاري في "صحيحه" (رقم ١٤٦)، ومسلم "في صحيحه" (رقم ٢١٧٠، ١٨).

وفي رواية: خرجت سودة بعدما ضرب عليها الحجاب؛ لتقضي حاجتها، وكانت امرأة جسيمة تفرع النساء جسماً لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب؛ فقال: يا سودة! أما والله لا تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله - ﷺ - في بيتي، وإنه ليتعشّى وفي يده عرق، فدخلت؛ فقالت: يا رسول الله! إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: "إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن".

أخرجه البخاري (رقم ٤٧٩٥، ٥٢٣٧)، ومسلم (رقم ٢١٧٠/ ١٧).

(٣) أخرجه الطبري: ٣١٢/٢٠.

(٤)أخرجه النسائي في "تفسيره" (٢/ ١٨٨ - ١٨٩ رقم ٤٣٩)، وابن أبي حاتم (١٧٧٥٦):ص٣١٤٨/١٠، والطبراني في "المعجم الصغير" (١/ ٨٣، ٨٤)، و"الأوسط" (٣/ ٢١٢ رقم ٢٩٤٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" (رقم ١٠٥٣)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تخريج الكشاف" (٣/ ١٢٦) كلهم من طريق سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد عنها به.

قلنا: وسنده صحيح.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٩٣): "رواه الطبراني في "الأوسط"؛ ورجاله رجال الصحيح، غير موسى بن أبي كثير وهو ثقة"، وسكت عنه الحافظ في "الفتح" (٨/ ٥٣١).

وصححه السيوطي في "لباب النقول" (ص ١٧٨)، و"الدر المنثور" (٦/ ٦٤٠).

وصححه شيخنا أبو عبد الرحمن الألباني -رحمه الله- في "صحيح الأدب المفرد" (رقم ٨٠٤).

وخالف ابن عيينة محمد بن بشر؛ فرواه عن مسعر به مرسلاً.

أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٣٧ رقم ١٢٠٦٦): ثنا محمد بن بشر به.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" ٣١٤/٢٠، ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص:٣٦٠) - بسند مرسل ضعيف، وليس فيه ذكر لعمر، وروايته:" عن مجاهد، أن رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك رسول الله ﷺ؛ فنزلت آية الحجاب".

قال الدارقطني في "العلل" (٥/ ٨٢/ أ): "هذا حديث يرويه مسعر، واختلف عنه؛ فرواه ابن عيينة عنه عن موسى بن أبي كثير عن مجاهد، عن عائشة، وغيره يرويه عن مسعر عن موسى عن مجاهد مرسلاً، والصواب المرسل". اهـ.

وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" في الجمع بين روايات الحديث.

(٥)أخرجه ابن سعد (٨/ ١٧٥). وسنده ضعيف جداً؛ فيه الواقدي -محمد بن عمر-؛ متروك الحديث، لكن يشهد له حديث عائشة -رضي الله عنها- المتقدم.

ب- سبب نزول قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} الآية:

قال ابن عباس:" نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي ﷺ بعده، قال سفيان: ذكروا أنها عائشة رضي الله، عنها"[١].

قال ابن زيد:" بلغ النبي ﷺ أن رجلا يقول: إن توفي رسول الله ﷺ تزوجت فلانة من بعده، فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ فنزل القرآن: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ}"[٢].

قال السدي:" بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد، عن بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده. فنزلت هذه الآية"[٣].

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله"[٥].

قال ابن مسعود: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"[٢].

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"[٦].

قوله تعالى:{لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" لا تدخلوا بيوت النبي إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه"[٧].

قال الطبري:يقول:" لا تدخلوا بيوت نبي الله إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه غير منتظرين إدراكه وبلوغه، يقال: قد أنى هذا الشيء يأني إنى وأنيا وإناء، قال الحطيئة[٨]:

وآنيت العشاء إلى سهيل ... أو الشعرى فطال بي الأناء"[٩].

قال أبو عبيدة:" {إلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ}، أي: إدراكه وبلوغه، ويقال: أبى لك أن تفعل، يأنى انيا، والاسم: إنى وأبى: أبلغ أدرك، قال[١٠]:

تمخّصت المنون له بيوم ... أنى ولكلّ حاملة تمام"[١١].

عن مجاهد، قوله :"{إلى طعام غير ناظرين إناه}، قال: متحينين نضجه"[١٢].

قال ابن عباس:" يقول: غير ناظرين الطعام أن يصنع"[١٣].

قال قتادة:" غير متحينين طعامه"[١٤].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٦٣)، (١٧٧٦٦):ص٣١٥٠/١٠.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٦٤):ص٣١٥٠/١٠، والطبري: ٣١٦/٢٠، بزيادة كلمة«ربما» في صدر الخبر.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٦٥):ص٣١٥٠/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١، و(٥٠٢٧):ص٩٠٢/٣

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٩٠٢/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٨)البيت للحطيئة (اللسان: أني).

(٩) تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٠.

(١٠)البيت لعمرو بن حسان من أبيات ذكر فيها الملوك من المناذرة والأكاسرة على طريق الاعتار قاله التبريزي ١/ ٣ وفى اللسان أنه لخالد بن حق الشيباني (مخض) وفى جمهرة الأشعار (ص ٢٦) منسوب إلى النابغة وهو فى إصلاح المنطق ص ٤، ٣٧٦ من غير عزو وفى القرطبي ١٦/ ٢٢٦ والتاج (مخض).

(١١) مجاز القرن: ١٤٠/٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٠٦/٢٠.

قال ابن كثير:" حَظَر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله ﷺ بغير إذن ، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام ، حتى غار الله لهذه الأمة ، فأمرهم بذلك ، وذلك من إكرامه تعالى هذه الأمة ؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ : «إياكم والدخول على النساء»[1]، ثم استثنى من ذلك فقال:{إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ }، أي : لا ترقبوا الطعام حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول ، فإن هذا يكرهه الله ويذمه. وهذا دليل على تحريم التطفيل ، وهو الذي تسميه العرب الضيفن ، وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيليين. وذكر من أخبارهم أشياء يطول إيرادها"[2].

قال السعدي:" المعنى: أنكم لا تدخلوا بيوت النبي إلا بشرطين: الإذن لكم بالدخول، وأن يكون جلوسكم بمقدار الحاجة"[3].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" ولكنْ إذا دُعيتم وأُذن لكم في الدخول فادخلوا"[4].

قال الطبري:" يقول: ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله"[5].

عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا دعا أحدكم أخاه فَلْيجب ، عُرسًا كان أو غيره"[6].

عن ابي هريرة-رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ : "لو دُعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدي إليَّ كُرَاع لقبلت ، فإذا فَرَغتم من الذي دُعيتم إليه فخففوا عن أهل المنزل ، وانتشروا في الأرض"[7].

قوله تعالى:{فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" فإذا أكلتم فانصرفوا"[8].

قال الطبري:" يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فتفرقوا واخرجوا من منزله"[9]. منزله"[9].

قوله تعالى:{وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" غير مستأنسين لحديث بينكم"[10].

قال الطبري: معناه: " ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسا من بعضكم لبعض به"[11].

قال ابن كثير:" أي : كما وقع لأولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ، ونسُوا أنفسهم ، حتى شَقّ ذلك على رسول الله ﷺ "[12].

عن مجاهد: "{ولا مستأنسين لحديث}، بعد أن تأكلوا"[13].

عن سليمان بن أرقم، قوله: "{ولا مستأنسين لحديث}، قال: نزلت في الثقلاء"[14].

---

(١)رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٢٣٢) ومسلم في صحيحه برقم (٢١٧٢) من حديث عقبة بن عامر ، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٥٤/٦.

(٣) تفسير السعدي: ٦٧٠.

(٤) صفوة التفاسير: ٤٩١/٢.

(٥) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٠.

(٦) صحيح مسلم برقم (١٤٢٩).

(٧) صحيح البخاري برقم (٢٥٦٨).

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(٩) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٥.

(١١) تفسير الطبري: ٣٠٩/٢٠-٣١٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٥٤/٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣١٠/٢٠.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٦٠):ص٣١٤٩/١٠.

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي، فيستحيي من إخراجكم من البيوت مع أن ذلك حق له"(١).

قال الطبري:" يقول: إن دخولكم بيوت النبي من غير أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم له كان يؤذي النبي فيستحي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام، أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن مع كراهيته لذلك منكم"(٢).

قال البيضاوي:أي:" إن ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله بما لا يعنيه. فيستحيي منكم من إخراجكم بقوله"(٣).

قال السعدي:" ثم بين حكمة النهي وفائدته فقال: {إِنَّ ذَلِكُمْ} أي: انتظاركم الزائد على الحاجة، {كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ} أي: يتكلف منه ويشق عليه حبسكم إياه عن شئون بيته، واشتغاله فيه {فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ} أن يقول لكم: " اخرجوا " كما هو جاري العادة، أن الناس -وخصوصًا أهل الكرم منهم- يستحيون أن يخرجوا الناس من مساكنهم"(٤).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" والله لا يستحيي من بيان الحق وإظهاره"(٥).

قال الطبري: يقول: "{والله لا يستحيي من الحق} أن يتبين لكم، وإن استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم"(٦).

قال ابن كثير:" أي : ولهذا نهاكم عن ذلك وزجرَكم عنه"(٧).

قال البيضاوي:" يعني: أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فأمركم بالخروج"(٨).

قال السعدي:" فالأمر الشرعي، ولو كان يتوهم أن في تركه أدبا وحياء، فإن الحزم كل الحزم، اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه، ليس من الأدب في شيء. والله تعالى لا يستحي أن يأمركم، بما فيه الخير لكم، والرفق لرسوله كائنًا ما كان"(٩).

قوله تعالى:{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" وإذا سألتم نساء رسول الله ﷺ حاجة من أواني البيت ونحوها فاسألوهن من وراء ستر"(١٠).

قال الطبري: " يقول: وإذا سألتم أزواج رسول الله ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعا {فاسألوهن} من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن"(١١).

قال ابن كثير:" أي : وكما نهيتكم عن الدخول عليهن ، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية ، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن ، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب"(١٢).

عن مجاهد، قوله: "{وإذا سألتموهن متاعا}، قال: أزواج النبي ﷺ عليهن الحجاب"(١٣).

عن السدى، قوله:" {وإذا سألتموهن متاعا}، قال: حاجة"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٢) تفسير الطبري: ٣١٣/٢٠.
(٣) تفسير البيضاوي: ٢٣٧/٤.
(٤) تفسير السعدي: ٦٧٠.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٦) تفسير الطبري: ٣١٣/٢٠.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٥٤/٦.
(٨) تفسير البيضاوي: ٢٣٧/٤.
(٩) تفسير السعدي: ٦٧٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(١١) تفسير الطبري: ٣١٣/٢٠.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٥٥/٦.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٦١):ص٣١٥٠/١٠.

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال"(٢).

قال الطبري: يقول: "سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل"(٣).

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب"(٤).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، وما يصلح ذلك لكم"(٦).

قوله تعالى:{وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" ولا أن تتزوجوا أزواجه من بعد موته أبدًا"(٧).

قال الطبري:" يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهن أمهاتكم، ولا يحل للرجل أن يتزوج أمه"(٨).

قال ابن كثير"أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده ؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ، كما تقدم. واختلفوا فيمن دخل بها ثم طلقها في حياته هل يحل لغيره أن يتزوجها ؟ على قولين ، مأخذهما : هل دخلت هذه في عموم قوله : { مِنْ بَعْدِهِ } أم لا ؟ فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها ، فما نعلم في حلها لغيره - والحالة هذه - نزاعا ، والله أعلم"(٩).

عن عامر:" أن النبي ﷺ مات، وقد ملك قيلة بنت الأشعث، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك، فشق على أبي بكر مشقة شديدة، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرها رسول الله ﷺ ولم يحجبها، وقد برأها منه بالردة التي أرتدت مع قومها، فاطمأن أبو بكر وسكن"(١٠).

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} [الأحزاب : ٥٣]، أي:" إنَّ أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده إثم عظيم عند الله"(١١).

قال الطبري:" يقول: إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم"(١٢).

قال البيضاوي:" يعني: إيذاءه ونكاح نسائه. كان عند الله عظيما ذنبا عظيما، وفيه تعظيم من الله لرسوله وإيجاب لحرمته حيا وميتا"(١٣).

قال ابن كثير:" وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك ، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله: {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا}"(١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٦٢):ص١٠/٣١٥٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/٣١٣-٣١٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٤٥٥.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/٣١٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/٣١٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٤٥٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/٣١٦.
(١١) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/٣١٧.
(١٣) تفسير البيضاوي: ٤/٢٣٧.

القرآن

{إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤)} [الأحزاب : ٥٤]

التفسير:

إن تُظْهِروا شيئًا على ألسنتكم -أيها الناس- مما يؤذي رسول الله مما نهاكم الله عنه، أو تخفوه في نفوسكم، فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، وسيجازيكم على ذلك.

قوله تعالى:{إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ} [الأحزاب : ٥٤]، أي:" إن تُظْهِروا شيئًا على ألسنتكم -أيها الناس- مما يؤذي رسول الله مما نهاكم الله عنه، أو تخفوه في نفوسكم"(٢).

قال ابن كثير:" أي : مهما تكنه ضمائركم وتنطوي عليه سرائركم"(٣).

قال البيضاوي:" إن تبدوا شيئا كنكاحهن على ألسنتكم. أو تخفوه في صدوركم"(٤).

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب : ٥٤]، أي:" فإن الله تعالى يعلم ما في قلوبكم وما أظهرتموه، وسيجازيكم على ذلك"(٥).

قال ابن كثير: أي : "فإن الله يعلمه ؛ فإنه لا تخفى عليه خافية ، { يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ } [غافر : ١٩]"(٦).

قال البيضاوي:" فيعلم ذلك فيجازيكم به، وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد"(٧).

قال القرطبي:" البارئ سبحانه وتعالى عالم بما بدا وما خفي وما كان وما لم يكن، لا يخفى عليه ماض تقضى، ولا مستقبل يأتي. وهذا على العموم تمدح به، وهو أهل المدح والحمد. والمراد به ها هنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم التعريض به في الآية قبلها، ممن أشير إليه بقوله:{ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن}، ومن أشير إليه في قوله:{وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا}، فقيل لهم في هذه الآية: إن الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيكم عليها. فصارت هذه الآية منعطفة على ما قبلها مبينة لها. والله أعلم"(٨).

القرآن

{لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥)} [الأحزاب : ٥٥]

التفسير:

لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن والنساء المؤمنات والعبيد المملوكين لهن؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة. وخفن الله -أيتها النساء- أن تتعدَّيْن ما حَدَّ لكنَّ، فتبدين من زينتكن ما ليس لكُنَّ أن تبدينه، أو تتركن الحجاب أمام مَن يجب عليكن الاحتجاب منه. إن الله كان على كل شيء شهيدًا، يشهد أعمال العباد ظاهرها وباطنها، وسيجزيهم عليها.

سبب النزول:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٣٧/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦.
(٧) تفسير البيضاوي: ٢٣٧/٤.
(٨) .

حكي الماوردي عن الكلبي: "أنه لما نزل في آية الحجاب :{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مَن ورَآءِ حَجَابٍ}، قام الآباء والأبناء وقالوا يا رسول الله نحن لا نكلمهن أيضاً إلا من وراء حجاب ، فنزلت هذه الآية"(١).

قوله تعالى:{لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} [الأحزاب : ٥٥]، أي:" لا إثم على النساء في عدم الاحتجاب من آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن والنساء المؤمنات والعبيد المملوكين لهن؛ لشدة الحاجة إليهم في الخدمة"(٢).

قال مجاهد:" لا جناح عليهن في آبائهن ومن ذكر معهن أن يروهن، يعني: أزواج النبي ﷺ"(٣).

قال ابن كثير: "لما أمر تعالى لنساء بالحجاب من الأجانب ، بيَّن أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم ، كما استثناهم في سورة النور ، عند قوله : { وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ } إلى آخرها ، [النور : ٣١] ، وفيها زيادات على هذه...وقد سأل بعض السلف فقال : لِمَ لَمْ يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ؟ فأجاب عكرمة والشعبي(٤): بأنهما لم يذكرا ؛ لأنهما قد يصفان ذلك لبنيهما"(٥).

عن داود، عن الشعبي وعكرمة، في قوله: في قوله: "{لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن}، قلت: ما شأن العم والخال لم يذكرا؟ قال: لأنهما ينعتانها لأبنائهما، وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها"(٦).

وفي قوله تعالى:{لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ} [الأحزاب : ٥٥]، قولان:

أحدهما : لا جناح عليهن في ترك الحجاب. قاله قتادة(٧).

قال قتادة:" فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم"(٨).

الثاني : وضع عنهن الجناح في وضع جلابيبهن عندهم، قاله مجاهد(٩).

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسلمين أن لا يحتجبن منهم؛ وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب، وبعد قول الله: {وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب} فلا يكون قوله: {لا جناح عليهن في آبائهن} استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب إذا سألوهن ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدأ عن غير ذلك المعنى، وتأويل الكلام: لا إثم على نساء النبي ﷺ وأمهات المؤمنين في إذنهن لآبائهن وترك الحجاب منهن، ولا لأبنائهن ولا لإخوانهن ولا لأبناء إخوانهن. وعنى بإخوانهن وأبناء إخوانهن إخوتهن وأبناء إخوتهن "(١٠).

وفي قوله تعالى:{وَلَا نِسَائِهِنَّ} [الأحزاب : ٥٥]، قولان:

أحدهما : يعني النساء المسلمات دون المشركات ، قاله مجاهد(١١).

قال ابن كثير:" : يعني بذلك : عَدَم الاحتجاب من النساء المؤمنات"(١).

---

(١) النكت والعيون: ٤٢١/٤. وذكره القرطبي في التفسير: ٢٣١/١٤، دون نسبة.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٦٧):ص٣١٥٠/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٢٠-٣١٩.
(٥) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٠-٣١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣١٨/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣١٧/٢٠-٣١٨.
(١٠) تفسير الطبري: ٣١٨/٢٠.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤.

قال السعدي:" أي: لا جناح عليهن ألا يحتجبن عن نسائهن، أي: اللاتي من جنسهن في الدين، فيكون ذلك مخرجًا لنساء الكفار"[٢].
الثاني : أنه في جميع النساء. حكاه الماوردي[٣].
قال السعدي:" ويحتمل أن المراد جنس النساء، فإن المرأة لا تحتجب عن المرأة"[٤].
قال الطبري: معناه:" ولا جناح عليهن أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين"[٥].
عن ابن زيد، قوله: "{ولا نسائهن}، قال: نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهن جناح أن يرين تلك الزينة، قال: وإنما هذا كله في الزينة، قال: ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شيء من عورة المرأة. قال: ولو نظر الرجل إلى فخذ الرجل لم أر به بأسا، قال: {ولا ما ملكت أيمانهن} فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل، قال: وأما الكحل والخاتم والخضاب فلا بأس به، قال: والزوج له فضل والآباء من وراء الرجل لهم فضل، قال: والآخرون يتفاضلون، قال: وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة، قال: وكان أزواج النبي ﷺ لا يحتجبن من المماليك"[٦].
وفي قوله تعالى:{وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} [الأحزاب : ٥٥]، قولان:
أحدهما : الإماء دون العبيد ، قاله سعيد بن المسيب[٧].
الثاني : أنه عام في الإماء والعبيد. حكاه الطبري عن بعضهم[٨]، واختاره ابن كثير[٩].
واختلف من قال بهذا فيما أبيح للعبد على قولين [١٠]:
أحدهما : ما أبيح لذوي المحارم من الآباء والأبناء ما جاوز السرة وانحدر عن الركبة لأنها تحرم عليه كتحريمها عليهم .
الثاني : ما لا يواريه الدرع من ظاهر بدنها ، قاله إبراهيم . لأنه العبد وإن حرم في الحال فقد يستباح بالعتق في ثاني حال .
قوله تعالى:{وَاتَّقِينَ اللَّهَ} [الأحزاب : ٥٥]، أي:" وخفن الله -أيتها النساء- أن تتعدَّيْن ما حَدَّ لكنَّ، فتبدين من زينتكن ما ليس لكُنَّ أن تبدينه، أو تتركن الحجاب أمام مَن يجب عليكن الاحتجاب منه"[١١].
قال الطبري:" يقول: وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن، فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه، أو تتركن الحجاب الذي أمركن الله بلزومه، إلا فيما أباح لكن تركه، والزمن طاعته"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : واخشينه في الخلوة والعلانية ، فإنه شهيد على كل شيء ، لا تخفى عليه خافية ، فراقبن الرقيب"[١٣].
قال السعدي:" ولما رفع الجناح عن هؤلاء، شرط فيه وفي غيره، لزوم تقوى الله، وأن لا يكون في محذور شرعي فقال: {وَاتَّقِينَ اللَّهَ}، أي: استعملن تقواه في جميع الأحوال"[١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦.
(٢) تفسير السعدي: ٦٧١.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤.
(٤) تفسير السعدي: ٦٧١.
(٥) تفسير الطبري: ٣١٩/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٣١٩/٢٠.
(٧) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦، وانظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٢٠.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤-٤٢١.
(١١) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٣١٠٩/٢٠.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٥٦/٦.
(١٤) تفسير السعدي: ٦٧١.

قال القرطبي:" لما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الأصناف وانجزمت الإباحة، عطف بأمرهن بالتقوى عطف جملة. وهذا في غاية البلاغة والإيجاز، كأنه قال: اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدينه إلى غيره. وخص النساء بالذكر وعينهن في هذا الأمر، لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن. والله أعلم"[١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا} [الأحزاب : ٥٥]، أي:" إن الله كان على كل شيء شهيدًا، يشهد أعمال العباد ظاهرها وباطنها، وسيجزيهم عليها"[٢].

قال الطبري: يقول:" إن الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن، وتركَكن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له، وغير ذلك من أموركن، يقول: فاتقين الله في أنفسكن لا تلقين الله، وهو شاهد عليكم، بمعصيته، وخلاف أمره ونهيه، فتهلكن، فإنه شاهد على كل شيء"[٣].

قال السعدي:" يشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك، أتم الجزاء وأوفاه"[٤].

قال القرطبي:" فيه وعيد"[٥].

فوائد الآيات:[٥٣-٥٥]:

١- بيان ما ينبغي للمؤمنين أن يلتزموه من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت لحاجة الطعام ونحوه.

٢- بيان كمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خلقه في أنه ليستحي أن يقول لضيفه أخرج من البيت فقد انتهى الطعام.

٣- وصف الله تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق أن يقوله ويأمره به عباده.

٤- مشروعية مخاطبة الأجنبية من وراء حجاب ستر ونحوه.

٥- حرمة أذية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنها جريمة كبرى لا تعادل بأخرى.

٦- بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا كلم المرأة ونظر إليها.

٧- حرمة نكاح أزواج الرسول بعد موته وحرمة الخاطر يخطر بذلك.

٨- بيان المحارم الذين للمسلمة أن تكشف وجهها أمامهم وتخاطبهم بدون حجاب.

٩- الأمر بالتقوى ووعيد الله لمن لا يتقيه في محارمه.

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)} [الأحزاب : ٥٦]

التفسير:

إن الله تعالى يثني على النبي ﷺ عند الملائكة المقربين، وملائكته يثنون على النبي ويدعون له، يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، صلُّوا على رسول الله، وسلِّموا تسليمًا، تحية وتعظيمًا له.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه: يا موسى، سألوك «هل يصلي ربك؟ فقل: نعم، إنما أصلي أنا وملائكتي على أنبيائي ورسلي.

(١) تفسير القرطبي: ٢٣١/١٤.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٥.
(٣) تفسير الطبري: ٣١٠٩/٢٠.
(٤) تفسير السعدي: ٦٧١.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٣١/١٤.[بتصرف]

فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}"(١).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب : ٥٦]، أي:" إن الله تعالى يثني على النبي ﷺ عند الملائكة المقربين، وملائكته يثنون على النبي ويدعون له"(٢).

قال الطبري: يقول:" إن الله وملائكته يبركون على النبي محمد ﷺ"(٣).

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب : ٥٦]، على أربعة أقوال:

أحدها : أن صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء ، قاله أبو العالية(٤).

الثاني : أن صلاة الله تعالى عليه المغفرة له، وصلاة الملائكة الاستغفار له، قاله سعيد بن جبير(٥)، ومقاتل(٦).

الثالث : أن صلاة الله تعالى عليه رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء له، قاله الحسن(٧).

الرابع : أن صلاتهم عليه أن يباركوا عليه. قاله ابن عباس(٨)، وبه قال الطبري(٩).

قال ابن عباس:" يقول: يباركون على النبي"(١٠).

قال عطاء بن أبي رباح:" صلاته تبارك وتعالى: «سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي»"(١١).

قال أبو عبد الله الحَلِيمي:" فأمر الله تعالى عباده أن يصلوا عليه ويسلموا، وقدم قبل أمرهم بذلك أخبارهم: بأن ملائكته يصلون عليه، لينبئهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل، إذا كانت الملائكة مع انفكاكهم من شريعته تتقرب إلى الله بالصلاة والتسليم عليه ليعلموا أنهم بالصلاة والتسليم عليه أولى وأحق"(١٢).

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب : ٥٦]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، صلُّوا على رسول الله، وسلِّموا تسليمًا، تحية وتعظيمًا له"(١٣).

قال الطبري:" يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبي الله محمد ﷺ وحيوه تحية الإسلام"(١٤).

قال طلحة:" أتى رجل النبي ﷺ، فقال: "سمعت الله يقول: {إن الله وملائكته يصلون على النبي ...} الآية، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»"(١٥).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٧١):ص٣١٥١/١٠.
(٢) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٣) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٠.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٠٤):ص٣١٣٩/٩.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٠٥):ص٣١٣٩/٩.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٢١/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٠.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٧٠):ص٣١٥١/١٠.
(١٢) المنهاج في شعب الغيمان: ١٣١/٢.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(١٤) تفسير الطبري: ٣٢٠/٢٠.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٠.

قال كعب بن عجرة: "لما نزلت: {إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} قمت إليه، فقلت: السلام عليك قد عرفناه[1]، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: "قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد"[2].

وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: "لما نزلت: {إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}، قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام فكيف الصلاة عليك، قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: وعلينا معهم"[3].

قال ابن كثير:" المقصود من هذه الآية : أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى ، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا"[4].

قال القرطبي:" هذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام حياته وموته، وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجاته ونحو ذلك. والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره"[5].

قال أبو شامة:" أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القربات ومن الأعمال الصالحات كما قال الله تعالى: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}، وقال النبي ﷺ:«من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا»[6]، وهي مشروعه في جميع الأوقات ومتأكدة في آخر كل صلاة بل واجبة عند جمع من من أهل العلم في التشهد الأخير من كل صلاة وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة منها بعد الآذان وعند ذكره عليه الصلاة والسلام وفي يوم الجمعة وليلتها كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة والله المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه وأن يمن على الجميع بلزوم السنة والحذر من البدعة إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه"[7].

---

(١)قال ابن كثير:« ومعنى قولهم : "أما السلام عليك فقد عرفناه" : هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه ، كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، وفيه : "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"».[تفسير ابن كثير: ٤٥٩/٦]

(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٠/٢٠-٣٢١.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٧٢):ص٣١٥١/١٠-٣١٥٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٥٧/٦. ثم قال:" وقد أخبر أنه سبحانه وتعالى (٤) ، يصلي على عباده المؤمنين في قوله قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا } [الأحزاب : ٤١ - ٤٣]. وقال تعالى : { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (٥). الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } [البقرة : ١٥٥ - ١٥٧]. وفي الحديث : «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف». [أخرجه أبو داود (١٨١/١، رقم ٦٧٦) ، وابن ماجه (٣٢١/١، رقم ١٠٠٥) ، قال المنذرى (١٨٩/١) : بإسناد حسن. وابن حبان (٥٣٣/٥، رقم ٢١٦٠) ، والبيهقى (١٠٣/٣، رقم ٤٩٨٠)].

وفي الحديث الآخر : "اللهم ، صل على آل أبي أوفى". وقال رسول الله ﷺ لامرأة جابر - وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها - "صلى الله عليك ، وعلى زوجك". [رواه أحمد في مسنده (٣٩٨/٣) وابن حبان في صحيحه برقم (١٩٥١) "موارد" من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر رضي الله عنه]. اهـ.

(٥) تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٤.

(٦)صحيح مسلم. كتاب الصلاة. باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، ١ / ٣٠٦.

(٧) الباعث عن غنكار البدع والحوادث: ١١١-١١٢.

قال مقاتل:" فلما نزلت هذه الآية قال المسلمون: هذه لك، يا رسول الله، فما لنا؟ فنزلت {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب : ٤٣]"(١).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧)} [الأحزاب : ٥٧]

التفسير:

إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال، أبعدهم الله وطردهم مِن كل خير في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة عذابًا يذلهم ويهينهم.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال ابن عباس:" نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين اتخذ صفية بنت حيي بن أخطب"(٢).

الثاني: قال مقاتل:" نزلت في اليهود من أهل المدينة، وكان أذاهم لله- عز وجل- أن زعموا أن لله ولدا، وأنهم يخلقون كما يخلق الله- عز وجل- يعني التماثيل والتصاوير. وأما أذاهم للنبي- ﷺ- فإنهم زعموا أن محمدا ساحر مجنون شاعر كذاب، {لعنهم الله في الدنيا والآخرة}"(٣).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأحزاب : ٥٧]، أي:" إن الذين يؤذون الله بالشرك أو غيره من المعاصي، ويؤذون رسول الله بالأقوال أو الأفعال"(٤).

قال الطبري: يقول:" إن الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه، وركوبهم ما حرم عليهم، وقد قيل: إنه عنى بذلك أصحاب التصاوير؛ وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله"(٥).

قوله تعالى:{لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [الأحزاب : ٥٧]، أي:" أبعدهم الله وطردهم مِن كل خير في الدنيا والآخرة"(٦).

قال الطبري:يقول:" أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم في الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه"(٧).

قال مقاتل:" يعني باللعنة في الدنيا العذاب والقتل والجلاء، وأما في الآخرة فإن الله يعذبهم بالنار"(٨).

قوله تعالى:{وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} [الأحزاب : ٥٧]، أي:" وأعدَّ لهم في الآخرة عذابًا يذلهم ويهينهم"(٩).

القرآن

{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨)} [الأحزاب : ٥٨]

التفسير:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٠-٣٢٣.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٥) تفسير الطبري: ٣٢٢/٢٠.
(٦) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٧) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤٢٦.

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب عملوه، فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنبًا ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة.

في سبب نزول الآية، أقوال:

أحدها: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها، فإن سكتت اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن لم يكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة، إنما يخرجن في درع وخمار. فشكون ذلك إلى أزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية. الدليل على صحة هذا قوله تعالى: {قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ} [الأحزاب : ٥٩]، والجلباب: الرداء. وهذا قول الضحاك(١)، والسدي(٢)، والكلبي(٣)، والفراء(٤).

الثاني: أنها نزلت فى على ابن أبي طالب- رضي الله عنه- وذلك أن نفرا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه. وهذا قول مقاتل(٥).

الثالث: وقال عطاء عن ابن عباس: "رأى عمر رضي الله عنه جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها، فذهبت إلى أهلها تشكو عمر فخرجوا إليه فآذوه فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٦).

الرابع: أنها نزلت في الذين أفكوا على عائشة رضى الله عنها. حكاه الزمخشري(٧).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا} [الأحزاب : ٥٨]، أي:" والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل من غير ذنب عملوه"(٨).

قال السمعاني:" أي: يقعون فيهم، ويعيبونهم بغير جرم وجد من قبلهم"(٩).

قال ابن كثير:" أي : ينسبون إليهم ما هم بُرَآء منه لم يعملوه ولم يفعلوه"(١٠).

قال الزمخشري:" معنى :{بغير ما اكتسبوا}: بغير جناية واستحقاق للأذى"(١١).

عن مجاهد:"{والذين يؤذون}، قال: يقفون، {بغير ما اكتسبوا}، قال: بغير ما عملوا"(١٢).

قال الطبري:" فمعنى الكلام على ما قال مجاهد: والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات. ويعيبونهم طلبا لشينهم {بغير ما اكتسبوا} يقول: بغير ما عملوا"(١٣).

عن مجاهد، قال: "قرأ ابن عمر: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا}، قال: فكيف إذا أوذي بالمعروف، فذلك يضاعف له العذاب"(١٤).

وفي روياة عن ثور عن ابن عمر، قال:" كيف بالذي يأتي إليهم المعروف"(١٥).

قوله تعالى:{فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب : ٥٨]، أي:" فقد ارتكبوا أفحش الكذب والزور، وأتوا ذنبًا ظاهر القبح يستحقون به العذاب في الآخرة"(١).

---

(١) حكاه عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.
(٢) حكاه عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.
(٣) حكاه عنه الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٧. بدون إسناد.
(٤) معاني القرآن: ٣٤٩/٢.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٦/٣-٥٠٧.
(٦) ذكره الواحدي في اسباب النزول: ٣٧٦. بدون إسناد.
(٧) انظر: الكشاف: ٥٥٩/٣.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٩) تفسير السمعاني: ٣٠٦/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٦.
(١١) الكشاف: ٥٥٩/٣.
(١٢) تفسير مجاهد: ٥٥٢، وأخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٠.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٢٣/٢٠.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٠.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٠.

قال الطبري:" يقول: فقد احتملوا زورا وكذبا وفرية شنيعة، وبهتان: أفحش الكذب، {وإثما مبينا} يقول: وإثما يبين لسامعه أنه إثم وزور"[٢].

قال ابن كثير:" وهذا هو البهت البين أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه ، على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومَنْ أكثر مَنْ يدخل في هذا الوعيد الكفرةُ بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد بَرَّأهم الله منه ، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم ؛ فإن الله ، عز وجل ، قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم ، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ويتنقصونهم، ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبدا ، فهم في الحقيقة منكوسو القلوب يذمون الممدوحين ، ويمدحون المذمومين"[٣].

عن مجاهد:" {فقد احتملوا بهتانا}، قال: إثما"[٤].

عن أبي هريرة ، أنه قيل : يا رسول الله ، ما الغيبة ؟ قال : "ذكرُكَ أخاك بما يكره". قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه"[٥].

قال مجاهد:" يلقى الجرب على أهل النار فيحكون حتى تبدو العظام، فيقولون: ربنا بم أصابنا هذا؟ فيقال: بأذاكم المسلمين"[٦].

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: أي الربا أربى عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أربى الربا، عند الله استحلال عرض امرئ مسلم، ثم قرأ: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا}"[٧].

قال قتادة:" إياكم وأذى المؤمنين فإن الله يحوطهم ويغضب لهم وقد زعموا أن عمر بن الخطاب قرأها ذات يوم فأفزعه ذلك حتى ذهب إلى أبي بن كعب رضي الله، عنه فدخل عليه فقال: يا أبا المنذر، إني قرأت آية من كتاب الله تعالى فوقعت مني كل موقع: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات}، والله إني لاعاقبهم وأضربهم فقال له: إنك لست منهم، إنما أنت معلم"[٨].

قال الفضيل:" لا يحل لك أن تؤذي كلبا أو خنزيرا بغير حق، فكيف إيذاء المؤمنين والمؤمنات"[٩].

وحكي عن ابن عون، انه كان "لا يكرى الحوانيت إلا من أهل الذمة، لما فيه من الروعة عند كر الحول"[١٠].

القرآن

{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩)} [الأحزاب : ٥٩]

التفسير:

يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحفهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن؛ ذلك أقرب أن يميَّزن بالستر والصيانة، فلا

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٠/٦-٤٨١.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٧٦):ص٣١٥٢/١٠.
(٥)سنن أبي داود برقم (٤٨٧٤) وسنن الترمذي برقم (١٩٣٤).
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٧٧):ص٣١٥٣/١٠.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٧٨):ص٣١٥٣/١٠.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٧٩): ص٣١٥٣/١٠، وانظر: الطبري: ٣٢٤/٢٠.
(٩) نقلا عن تفسير النسفي: ٤٤/٣-٤٥.
(١٠) نقلا عن الكشاف: ٥٥٩/٣.

يُتعَرَّض لهن بمكروه أو أذى. وكان الله غفورًا رحيمًا حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام.

سبب النزول:

عن أبي صالح، قال: "قدم النبي ﷺ المدينة على غير منزل، فكان نساء النبي ﷺ وغيرهن إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن. وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل. فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ}، يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة"(١).

عن عائشة رضي الله، عنها قالت: خرجت سودة رضي الله، عنها بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر رضي الله، عنه قال: يا سودة، إنك والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين فانكفأت راجعة، ورسول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت وقالت: يا رسول الله، إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر رضي الله، عنه: كذا ... وكذا فأوحي إليه ثم رفع، عنه وإن العرق في يده، فقال: انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن"(٢).

قال أبو مالك: "كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين، فقيل ذلك للمنافقين، فقالوا: إنما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ}، فأمر بذلك حتى عرفوا من الإماء"(٣).

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} [الأحزاب : ٥٩]، أي:" يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يرخين على رؤوسهن ووجوههن من أرديتهن وملاحفهن؛ لستر وجوههن وصدورهن ورؤوسهن"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن. ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرا رسوله ، ﷺ تسليما ، أن يأمر النساء المؤمنات - خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن من جلابيبهن ، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء. و«الجلباب» هو : الرداء فوق الخمار، وهو بمنزلة الإزار اليوم. قاله الجوهري : الجلباب : الملحفة ، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلا لها(٦):

تَمْشي النُّسور إليه وَهْيَ لاهيةٌ... مَشْيَ العَذَارى عَلَيْهِنَّ الجَلابيبُ "(٧).

قال الزمخشري:" «الجلباب»: ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها، ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن، ويغطين بها وجوههن وأعطافهن. يقال: إذا زل الثوب عن وجه المرأة: أدني ثوبك على وجهك، وذلك أن النساء كن في أول الإسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات، تبرز المرأة في درع وخمار فصل بين الحرة والأمة، وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون إذا خرجن بالليل إلى مقاضى حوائجهن في النخيل والغيطان للإماء، وربما تعرضوا للحره بعلة الأمة،

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠-٣٢٦.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٨١):ص٣١٥٣/١٠-٣١٥٤.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٨٢):ص٣١٥٤/١٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٠.
(٦)الصحاح (١٠١/١).
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٨١/٦.

يقولون: حسبناها أمة، فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زى الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه، ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع "[١].

قالت أم سلمة -رضي الله عنها-: "لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها"[٢].

وفي رواية:" لما نزلت هذه الآية يدنين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها"[٣].

عن يونس بن يزيد، قال: "وسألناه -يعني الزهري-: هل على الوليدة خمار متزوجة أو غير متزوجة؟ قال: عليها الخمار إن كانت متزوجة، وتنهى عن الجلباب، لأنه يكره لهن أن يتشبهن بالحرائر إلا محصنات: وقد قال الله تعالى: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن}"[٤].

قال السدي:" كان أناس من فساق أهل المدينة بالليل حين يختلط الظلام، يأتون إلى طرق المدينة فيتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق، فيقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يتبعون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة فكفوا، عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا: هذه أمة فوثبوا عليها"[٥].

واختلف أهل التفسير في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به، على قولين:

أحدهما: أن يغطين وجوههن ورءوسهن فلا يبدين منهن إلا عينا واحدة. قاله ابن عباس[٦].

قال ابن عباس:" أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة"[٧].

عن ابن عون عن محمد عن عبيدة، قوله: "{ياأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن}، فلبسها عندنا ابن عون، قال: ولبسها عندنا محمد، قال محمد: ولبسها عندي عبيدة، قال ابن عون بردائه فتقنع به، فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب"[٨].

عن ابن سيرين قال: "سألت عبيدة عن قوله: {قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن}، قال: فقال بثوبه، فغطى رأسه ووجهه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه"[٩].

وروي ن عكرمة، في الآية، قال: "تدني الجلباب حتى لا يرى ثغرة نحرها"[١٠].

الثاني: أنهن أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١١]، ومجاهد[١٢]، وقتادة[١٣].

قال ابن عباس:" كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن. وإدناء الجلباب: أن تقنع وتشد على جبينها"[١].

---

(١) الكشاف: ٥٥٩/٣-٥٦٠.[باختصار]
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٨٤):ص٣١٥٤/١٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٨٥):ص٣١٥٤/١٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٨٦):ص٣١٥٤/١٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٨٨):ص٣١٥٤/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٤/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٠):ص٣١٥٥/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٢٠.

قال مجاهد:" يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة"[2].

قال قتادة:" أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب، {ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين}، وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيذاء، فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء"[3].

قوله تعالى:{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ} [الأحزاب : ٥٩]، أي:" ذلك أقرب أن يميَّزن بالستر والصيانة، فلا يُتعَرَّض لهن بمكروه أو أذى"[4].

قال الطبري: يقول:" إدناؤهن جلابيبهن إذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به، ويعلموا أنهن لسن بإماء فيتنكبوا عن أذاهن بقول مكروه، أو تعرض بريبة"[5].

قال الزمخشري:" أى: أولى وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن"[6].

قال ابن كثير:" أي : إذا فعلن ذلك عُرِفْنَ أنَّهن حرائر ، لسن بإماء ولا عواهر"[7].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٥٩]، أي:"وكان الله غفورًا رحيمًا حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم بما أوضح لكم من الحلال والحرام"[8].

قال الطبري: " {وكان الله غفورا} لما سلف منهن من تركهن إدناءهن الجلابيب عليهن {رحيما} بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بإدناء الجلابيب عليهن"[9].

قال ابن كثير:" أي : لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك "[10].

فوائد الآيات:[٥٦-٥٩]:

١- بيان شرف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووجوب الصلاة والسلام عليه في التشهد الأخير في الصلاة.

قال ابن كثير:" حكي عن بعضهم أنه إنما تجب الصلاة عليه ، عليه السلام ، في العمر مرة واحدة ، امتثالا لأمر الآية ، ثم هي مستحبة في كل حال ، وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدما حكى الإجماع على وجوب الصلاة عليه ﷺ في الجملة. قال : وقد حكى الطبراني أن محمل الآية على الندب ، وادعى فيه الإجماع. قال : ولعله فيما زاد على المرة ، والواجب منه مرة كالشهادة له بالنبوة ، وما زاد على ذلك فمندوب مُرَغَّب فيه من سنن الإسلام ، وشعار أهله.

قلت : وهذا قول غريب ، فإنه قد ورد الأمر بالصلاة عليه في أوقات كثيرة ، فمنها واجب ، ومنها مستحب على ما نبينه[11]:

- فمنه : بعد النداء للصلاة ؛ للحديث الذي رواه الإمام أحمد.. عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "إذا سمعتم مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي ؛ فإنه من صلى عَلَيَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة"[12].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٥) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٠.
(٦) الكشاف: ٥٦٠/٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٩) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٠.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٦.
(١١) اظر: تفسير ابن كثير: ٤٦٩/٦ ما بعدها [باختصار].
(١٢)المسند (١٦٨/٢) وصحيح مسلم برقم (٣٨٤) وسنن أبي داود برقم (٥٢٣) وسنن الترمذي برقم (٣٦١٤)

- ومن ذلك : عند دخول المسجد والخروج منه : للحديث الذي رواه الإمام أحمد ..عن فاطمة بنت الحسين ، عن جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال : "اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك". وإذا خرج صلى على محمد وسلم ، ثم قال : "اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك"(١).
- ومن ذلك: الصلاة عليه ﷺ في صلاة الجنازة : فإن السنة أن يقرأ في التكبيرة الأولى فاتحة الكتاب ، وفي الثانية أن يصلي على النبي ﷺ ، وفي الثالثة يدعو للميت ، وفي الرابعة يقول : اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده.

عن الزهري : أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حُنَيف أنه أخبره رجل من أصحاب النبي ﷺ : "أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي ﷺ ، ويخلص الدعاء للجنازة ، وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ، ثم يسلم سرا في نفسه"(٢).
- ومن ذلك: في صلاة العيد : عن علقمة : أن ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة يوما قبل العيد، فقال لهم : إن هذا العيد قد دنا ، فكيف التكبير فيه ؟ قال عبد الله : تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة ، وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو ، وتكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ، ثم تقرأ ، ثم تكبر وتركع ، ثم تقوم فتقرأ وتحمد ربك وتصلي على النبي ﷺ ثم تدعو وتكبر ، وتفعل مثل ذلك ، ثم تركع. فقال حذيفة وأبو موسى : صدق أبو عبد الرحمن"(٣).
- ومن ذلك : أنه يُستَحَبّ ختم الدعاء بالصلاة عليه ﷺ:

عن عمر بن الخطاب، قال : "الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد حتى تصلي على نبيك"(٤).

وكذا رواه رَزِين بن معاوية في كتابه مرفوعا ، عن النبي ﷺ قال : "الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد حتى يصلى علي ، فلا تجعلوني كَغُمَر الراكب ، صلوا علي أول الدعاء وأوسطه وآخره"(٥).

وروي عن جابر، قال : "قال لنا رسول الله ﷺ : "لا تجعلوني كقدح الراكب ، إذا علق تعاليقه أخذ قدحه فملأه من الماء ، فإن كان له حاجة في الوضوء توضأ ، وإن كان له حاجة في الشرب شرب وإلا أهراق ما فيه ، اجعلوني في أول الدعاء ، وفي ، وسط الدعاء ، وفي آخر الدعاء"(٦).
- ومن ذلك : دعاء القنوت : لما عن الحسن بن علي ، رضي الله عنهما ، قال : "علَّمَني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : "اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لا يَذِلّ من واليت تباركت ربنا وتعاليت"(٧).

وسنن النسائي (٢/٢٥).
(١)المسند (٢٨٢/٦).
(٢)سنن النسائي (٧٥/٤).
(٣) رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٨٨)، وانظر:السنن الكبرى للبيهقي (٦١٨٦):ص٤١٠/٣
(٤)سنن الترمذي برقم (٤٨٦).
(٥)ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (١٥٥/٤).
(٦)المنتخب لعبد بن حميد برقم (١١٣٠) ورواه البزار في مسنده برقم (٣١٥٦) "كشف الأستار" من طريق موسى بن عبيدة به.
قال ابن كثير:٤٧٢/٦:" فهذا حديث غريب ، وموسى بن عبيدة ضعيف الحديث".
(٧)المسند (١٩٩/١) وسنن أبي داود برقم (١٤٢٥) وسنن الترمذي برقم (٤٦٤) وسنن النسائي (٢٤٨/٣)

- ومن ذلك : أنه يستحب الإكثار من الصلاة عليه في يوم الجمعة وليلة الجمعة :

عن أوس بن أوس الثقفي ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي". قالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمتْ ؟ - يعني : وقد بليت - قال : "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"(١).

قال ابن كثير:"وهكذا يجب على الخطيب أن يصلي على النبي ﷺ يوم الجمعة على المنبر في الخطبتين ، ولا تصح الخطبتان إلا بذلك ؛ لأنها عبادة ، وذكر الله فيها شرط، فوجب ذكر الرسول ﷺ فيها كالأذان والصلاة. هذا مذهب الشافعي وأحمد ، رحمهما الله"(٢).

- ومن ذلك : أنه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره ، صلوات الله وسلامه عليه.

عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "ما من أحد يسلم علي إلا رَدّ الله علي روحي ، حتى أرد عليه السلام"(٣).

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "لا تجعلوا بيوتكم قُبُورًا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم"(٤).

وروي عن علي بن الحسين بن علي : أن رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي ﷺ ويصلي عليه ، ويصنع من ذلك ما اشتهر عليه علي بن الحسين ، فقال له علي بن الحسين : ما يحملك على هذا ؟ قال : أحب السلام على النبي ﷺ. فقال له علي بن الحسين : هل لك أن أحدثك حديثا عن أبي ؟ قال : نعم. فقال له علي بن الحسين : أخبرني أبي ، عن جدي أنه قال : قال رسول الله ﷺ : "لا تجعلوا قبري عيدا ، ولا تجعلوا بيوتكم قبورا ، وصلوا علي وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم"(٥).

عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "إن لله ملائكة سياحين في الأرض ، يبلغوني من أمتي السلام"(٦).

- ويستحب للمحرم إذا لبى وفرغ من تلبيته أن يصلي على النبي ﷺ : لما روي عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال : "كان يُؤمر الرجل إذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي ﷺ على كل حال"(٧).

عن وهب بن الأجدع قال : "سمعت عمر بن الخطاب يقول : إذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا ، وصلوا عند المقام ركعتين ، ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت ، فكبروا سبع تكبيرات ، تكبيرًا بين حمد لله وثناء عليه ، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة لنفسك ، وعلى المروة مثل ذلك"(٨).

- ومن ذلك: استحباب الصلاة على النبي ﷺ مع ذكر الله عند الذبح :

وسنن ابن ماجه برقم (١١٧٨) وصحيح ابن خزيمة (١٠٩٥) وصحيح ابن حبان (١٤٨/٢) والمستدرك (١٧١/٣).

(١)المسند (٨/٤) وسنن أبي داود برقم (١٠٤٧) وسنن النسائي (٩١/٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٦٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٧٤/٦.

(٣)سنن أبي داود برقم (٢٠٤١).

(٤)سنن أبي داود برقم (٢٠٤٢).

(٥)فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٢٠). قال ابن كثير:٤٧٥/٦، :" في إسناده رجل مبهم لم يُسَمَّ".

(٦)المسند (٤٤١/١) وسنن النسائي (٤٣/٣).

(٧) رواه الشافعي : الأم (١٣٤/٢).

(٨)رواه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٨١). قال ابن كثير ٤٧٦/٦:" إسناد جيد حسن قوي".

قال ابن كثير:"واستأنسوا بقوله تعالى : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَك } [الشرح : ٤] ، قال بعض المفسرين : يقول الله تعالى : "لا أذكر إلا ذكرت معي". وخالفهم في ذلك الجمهور ، وقالوا : هذا موطن يفرد فيه ذكر الرب تعالى ، كما عند الأكل ، والدخول ، والوقاع وغير ذلك ، مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي ﷺ"(١).

- ومن ذلك : أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن:

عن أبي رافع قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي ، وَلْيَقُل : ذَكَر الله مَن ذكرني بخير"(٢).

قال ابن كثير:"إسناده غريب ، وفي ثبوته نظر والله أعلم"(٣).

قال ابن كثير:" وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه ، وقد ورد في الحديث من طريق كادح بن رحمة ، عن نَهْشَل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : "من صلى عليّ في كتاب ، لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب"(٤).

وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه : "الجامع لآداب الراوي والسامع ، قال : رأيت بخط الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله : كثيرا ما يكتب اسم النبي ﷺ من غير ذكر الصلاة عليه كتابة ، قال : وبلغني أنه كان يصلي عليه لفظا"(٥).

قال ابن كثير:"وأما الصلاة على غير الأنبياء ، فإن كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث : "اللهم ، صل على محمد وآله وأزواجه وذريته" ، فهذا جائز بالإجماع ، وإنما وقع النزاع فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم : فقال قائلون : يجوز ذلك ، واحتجوا بقوله : { هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ } ، وبقوله { أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ } [البقرة : ١٥٧] ، وبقوله تعالى { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا (١) وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة : ١٠٣] ، وبحديث عبد الله بن أبي أَوْفَى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : "اللهم صل عليهم". وأتاه أبي بصدقته فقال : "اللهم صل على آل أبي أوفى". أخرجاه في الصحيحين. وبحديث جابر : أن امرأته قالت : يا رسول الله ، صل عَلَيَّ وعلى زوجي. فقال : "صلى الله عليكِ وعلى زوجك"(٦).

وقال الجمهور من العلماء : لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة ؛ لأن هذا قد صار شعارا للأنبياء إذا ذكروا ، فلا يلحق بهم غيرهم ، فلا يقال : "قال أبو بكر صلى الله عليه". أو : "قال علي صلى الله عليه". وإن كان المعنى صحيحا ، كما لا يقال : "قال محمد ، عز وجل" ، وإن كان عزيزا جليلا ؛ لأن هذا من شعار ذكر الله ، عز وجل. وحملوا ما ورد في ذلك من

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٧٦/٦.

(٢)أخرجه الحكيم (١٧٥/٤) ، وابن السنى (ص ٧١، رقم ١٦٥) ، والعقيلى فى الضعفاء (١٠٤/٤، ترجمة ١٦٦٣) وقال: ليس له أصل، والطبرانى فى الكبير (٣٢١/١، رقم ٩٥٨) ، وفى الأوسط (٩٢/٩، رقم ٩٢٢٢) ، وفى الصغير (٢٤٥/٢، رقم ١١٠٤) ، وابن عدى (١١٣/٦) ، وابن عساكر (٤١٥/٦) . وأخرجه أيضا: البزار (٣٢٨/٩، رقم ٣٨٨٤) ، والرويانى. (٤٧٣/١، رقم ٧١٨) ، والديلمى (٣٣٢/١، رقم ١٣٢١) . وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات (٢٦٦/٣، رقم ١٥٠٠) . والحديث عزاه الزيلعى وابن كثير إلى ابن خزيمة. انظر (تخريج الكشاف للزيلعى٥١٧/٣). وضعف سنده السخاوى (ص ٤١، رقم ٧٠) والعجلونى (١١٠/١)

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٧٧/٦.

(٤)أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب برقم (١٦٩٩) من طريق أحمد بن جعفر الهاشمي عن عن سليمان بن الربيع عن كادح بن رحمة به.

قال ابن كثير: ٤٧٧/٦:" وليس هذا الحديث بصحيح من وجوه كثيرة ، وقد رُوي من حديث أبي هريرة ، ولا يصح أيضا [المعجم الأوسط للطبراني برقم (٢٣٤)]، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي شيخُنا : أحسبه موضوعا. وقد رُوي نَحوُه عن أبي بكر ، وابن عباس. ولا يصح من ذلك شيء، والله أعلم".

(٥)الجامع لأخلاق الراوي (٢٧١/١) ثم قال عقبه : "وقد خالفه غيره من الأئمة المتقدمين في ذلك.

(٦)أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٨.

الكتاب والسنة على الدعاء لهم ؛ ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى ، ولا لجابر وامرأته. وهذا مسلك حسن.

وقال آخرون : لا يجوز ذلك ؛ لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صارت من شعار أهل الأهواء ، يصلون على من يعتقدون فيهم ، فلا يقتدى بهم في ذلك ، والله أعلم.

ثم اختلف المانعون من ذلك : هل هو من باب التحريم ، أو الكراهة التنزيهية ، أو خلاف الأولى ؟ على ثلاثة أقوال ، حكاه الشيخ أبو زكريا النووي في كتاب الأذكار. ثم قال : والصحيح الذي عليه الأكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه ؛ لأنه شعار أهل البدع ، وقد نهينا عن شعارهم ، والمكروه هو ما ورد فيه نهي مقصود. قال أصحابنا : والمعتمد في ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة في اللسان بالأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، كما أن قولنا : "عز وجل" ، مخصوص بالله سبحانه وتعالى ، فكما لا يقال : "محمد عز وجل" ، وإن كان عزيزا جليلا لا يقال : "أبو بكر - أو : علي - صلى الله عليه". هذا لفظه بحروفه. قال : وأما السلام فقال الشيخ أبو محمد الجُوَيني من أصحابنا : هو في معنى الصلاة ، فلا يستعمل في الغائب ، ولا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : "علي عليه السلام" ، وسواء في هذا الأحياء والأموات ، وأما الحاضر فيخاطب به ، فيقال : سلام عليكم ، أو سلام عليك ، أو السلام عليك أو عليكم. وهذا مجمع عليه. انتهى ما ذكره[(١)].

قلت-ابن كثير- : وقد غلب هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ، أن يفرد علي ، رضي الله عنه ، بأن يقال : "عليه السلام" ، من دون سائر الصحابة ، أو : "كرم الله وجهه" وهذا وإن كان معناه صحيحا ، لكن ينبغي أن يُسَاوى بين الصحابة في ذلك ؛ فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان بن عفان أولى بذلك منه ، رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن عباس : " لا تصلوا على أحد إلا على النبي ﷺ ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار"[(٢)].

وروي عن جعفر بن بَرْقان قال : "كتب عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله : أما بعد ، فإن أناسا من الناس قد التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وإن ناسا من القصاص قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدْلَ الصلاة على النبي ﷺ ، فإذا جاءك كتابي هذا فمُرْهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ، ويدعوا ما سوى ذلك"[(٣)].

عن نُبَيه بن وهب ؛ أن كعبا دخل على عائشة ، رضي الله عنها ، فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ ، سبعون ألفا بالليل ، وسبعون ألفا بالنهار ، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يزفونه"[(٤)]"[(٥)].

قال النووي:" إذا صلَّى على النبي ﷺ فليجمعْ بين الصلاة والتسليم، ولا يقتصرْ على أحدهما. فلا يقل: " صلّى الله عليه " فقط، ولا " عليه السلام " فقط"[(٦)].

قال ابن كثير: وهذا الذي قاله النووي " منتزع من هذه الآية الكريمة ، وهي قوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } ، فالأولى أن يقال : ﷺ تسليما"[(٧)].

٢- ومن فوائد الآيات: بيان ما يتعرض له من يؤذي الله ورسوله من غضب وعذاب.

---

(١) انظر: الأذكار ص (١٥٩ ، ١٦٠).
(٢) رواه اسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٧٥).
(٣) رواه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٧٦).
(٤)رواه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (١٠٢).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٦.
(٦) الاذكار: ١١٧.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٧٩/٦.

٣- ومنها: بيان مقدار ما يتحمله من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالقول فينسب إليهم ما لم يقولوا أو لم يفعلوا ويؤذيهم بالفعل بضرب جسم أو أخذ مال أو انتهاك عرض.
٤- ومنها: وجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها إلا ما كان من عين ترى بها الطريق، واليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة إلى إبداء العين إذ تسبل قماشاً على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحاً والحمد لله.

القرآن

{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١)} [الأحزاب : ٦٠-٦١]

التفسير:

لئن لم يكفَّ الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيمان والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة في مدينة الرسول ﷺ عن قبائحهم وشرورهم، لنسلِّطنَّك عليهم، ثم لا يسكنون معك فيها إلا زمنًا قليلا. مطرودين من رحمة الله، في أي مكان وُجِدوا فيه أُسِروا وقُتِّلوا تقتيلا ما داموا مقيمين على النفاق ونشر الأخبار الكاذبة بين المسلمين بغرض الفتنة والفساد.

قوله تعالى:{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} [الأحزاب : ٦٠]، أي:" لئن لم يكفَّ الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيمان والذين في قلوبهم شك وريبة، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة في مدينة الرسول ﷺ عن قبائحهم وشرورهم"[(١)].

قال الطبري: يقول:" لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون بالكفر ويظهرون الإيمان {والذين في قلوبهم} ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور، وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل"[(٢)].

قال الزمخشري:" المعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدكم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء"[(٣)].

قال مقاتل:" يقول: لئن لم ينتهوا عن الفجور والإرجاف والنفاق"[(٤)].

قال القرطبي:" أهل التفسير على أن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبي رزين قال: «{المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة}، قال: هم شي واحد»، يعني: أنهم قد جمعوا هذه الأشياء"[(٥)].

وفي قوله تعالى:{ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ} [الأحزاب : ٦٠]، قولان:

أحدهما : عن إيذاء نساء المسلمين. قاله الكلبي[(٦)].

الثاني : عن إظهار ما في قلوبهم من النفاق، قاله الحسن وقتادة، ومقاتل[(٧)]، واختاره البغوي[(٨)].

البغوي[(٨)].

قال ابن زيد:" هؤلاء صنف من المنافقين"[(٩)].

وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [الأحزاب : ٦٠]، قولان:

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٢) تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٠-٣٢٧.
(٣) الكشاف: ٥٦١/٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(٥) تفسير القرطبي: ٢٤٥/١٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٤.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(٨) تفسير البغوي:٣٧٧/٦.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٠.

أحدهما : أنهم الزناة، قاله عكرمة[١]، وقتادة[٢]، والسدي[٣]، وأبو صالح[٤]، وابن زيد[٥]، ومقاتل[٦].
وقال عطاء:" كانوا مؤمنين، وكان في أنفسهم أن يزنوا"[٧].
قال مقاتل:"{والذين في قلوبهم مرض}: الفجور وهم الزناة"[٨].
قال ابن زيد:" أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا. وقرأ: {فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض}، قال: والمنافقون أصناف عشرة في براءة، قال: فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء"[٩].
قال السدي:" كان النفاق على ثلاثة وجوه. نفاق مثل نفاق عبد الله بن نبتل، ومالك بن داعس، فكان هؤلاء وجوها من وجوه الأنصار، فكانوا يستحبون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم، {والذين في قلوبهم مرض}، قال: الزنا إن وجدوه عملوه، وإن لم يجدوه لم يبتغوه. ونفاق يكابرون النساء مكابرة، وهم هؤلاء الذين كانوا يكابرون النساء"[١٠].
الثاني : أصحاب الفواحش والقبائح ، قاله سلمة بن كهيل[١١]، وعطاء[١٢]، وعكرمة -في رواية أخرى-[١٣].
قال القرطبي:" معنى القولين متقارب"[١٤].
وفي قوله تعالى:{وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ} [الأحزاب : ٦٠]، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنهم الذين يكاثرون النساء ويتعرضون لهن ، قاله السدي[١٥].
الثاني : أنهم الذين يذكرون من الأخبار ما يضعف به قلوب المؤمنين وتقوى به قلوب المشركين قاله قتادة[١٦]، ويحيى بن سلام[١٧]، ومقاتل[١٨].
قال مقاتل:" يعني: المنافقين كانوا يخبرون المؤمنين بالمدينة بما يكرهون من عدوهم"[١٩].
قال قتادة:" الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية قوله: {لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ... } الآية، فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٦/٢٠-٣٢٧، وتفسير عبدالرزاق(٢٣٨٠)، (٢٣٨١):ص٥٢/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٠.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٧٩٦):ص٣١٥٦/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٠.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٧٩٥):ص٣١٥٦/١٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٠.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٦):ص٣١٥٦/١٠.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٥/١٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٩٤)::ص٣١٥٦/١٠.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٧٩٣)::ص٣١٥٦/١٠.
(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤٥/١٤.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٧/٢٠.
(١٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٣٩/٢.
(١٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٠.

قال ابن زيد:" هم أهل النفاق أيضا الذين يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين"(١).

قال يحيى:" يعني: المنافقين يرجفون بالنبي ﷺ وأصحابه يقولون: يهلك محمد وأصحابه"(٢).

قال ابن كثير:" يعني : الذين يقولون : "جاء الأعداء" و"جاءت الحروب" ، وهو كذب وافتراء"(٣).

قال السعدي:" أي: المخوفون المرهبون الأعداء، المحدثون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين، ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه، ليعم ذلك، كل ما توحي به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء"(٤).

الثالث : أن «الإرجاف»: التماس الفتنة ، قاله ابن عباس(٥).

قال الماوردي:"وسميت الأراجيف لاضطراب الأصواب بها وإفاضة الناس فيها"(٦).

قال الراغب:" الرجف: الاضطراب الشديد، يقال: رجفت الأرض ورجف البحر، وبحر رجاف. قال تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}[النازعات: ٦]، {يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبالُ}[المزمل: ١٤] ، {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف: ٧٨] ، والإرجاف: إيقاع الرجفة، إما بالفعل، وإما بالقول، قال تعالى: {وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ}، ويقال: الأراجيف: ملاقيح الفتن"(٧).

قال الزمخشري:" المرجفون: ناس كانوا يرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله ﷺ، فيقولون: هزموا وقتلوا، وجرى عليهم كيت وكيت، فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين. يقال: أرجف بكذا، إذا أخبر به على غير حقيقة، لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت، من الرجفة وهي الزلزلة"(٨).

قال الهراسي:" قوله تعالى: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}،[الآية: ٦٠]. فيه دليل على تحريم الإيذاء بالإرجاف"(٩).

قوله تعالى:{لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} [الأحزاب : ٦٠]، أي:" لنسلِّطنَّك عليهم"(١٠).

قال مقاتل: "يقول: لنحملنك على قتلهم"(١١).

قال الطبري:" يقول: لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم"(١٢).

قال الزمخشري:" لنأمرنك بأن تفعل بهم الأفاعيل التي تسوءهم وتنوؤهم، فسمى ذلك إغراء، وهو التحريش على سبيل المجاز"(١٣).

قال القرطبي:" أي: لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل"(١٤).

قال السعدي:" أي: نأمرك بعقوبتهم وقتالهم، ونسلطك عليهم، ثم إذا فعلنا ذلك، لا طاقة لهم بك، وليس لهم قوة ولا امتناع"(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٠-٣٢٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٣٩/٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/٦-٤٨٣.
(٤) تفسير السعدي: ٦٧١.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٤، وتفسير القرطبي: ٢٤٦/١٤.
(٦) النكت والعيون: ٤٢٤/٤.
(٧) المفردات في غريب القرآن: ٣٤٤.
(٨) الكشاف: ٥٦١/٣.
(٩) أحكام القرآن: ٣٥٠/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٢٨/٢٠.
(١٣) الكشاف: ٥٦١/٣.
(١٤) تفسير القرطبي: ٢٤٦/١٤.

قال ابن عباس:" يقول: لنسلطنك عليهم"(٢).
قال قتادة:" أي: لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم"(٣).
قال السدي:" يقول: لنعلمنك بهم"(٤).
قال المفسرون: "وقد أغري بهم، فقيل له{جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة : ٧٣]. وقال يوم جمعة:«اخرج يا فلان من المسجد فانك منافق. قم يا فلان فانك منافق»(٥)"(٦).
قوله تعالى:{ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب : ٦٠]، أي:" ثم لا يسكنون معك فيها إلا زمنًا قليلا"(٧).
قال الطبري:" يقول: ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلا من المدة والأجل، حتى تنفيهم عنها فنخرجهم منها"(٨).
قال السمعاني:" أي: في المدينة، إلا وقتا قليلا"(٩).
قال الزمخشري:" ثم بأن تضطرهم إلى طلب الجلاء عن المدينة، وإلى أن لا يساكنوك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم، وإنما عطف بـ«ثم»، لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به، فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه"(١٠).
قال السعدي:" أي: لا يجاورونك في المدينة إلا قليلا بأن تقتلهم أو تنفيهم، وهذا فيه دليل، لنفي أهل الشر، الذين يتضرر بإقامتهم بين أظهر المسلمين، فإن ذلك أحسم للشر، وأبعد منه"(١١).
عن قتادة: "{ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا}، أي: بالمدينة"(١٢).
قال ابن عباس:"لا يجاورونك فيها إلا يسيرا، حتى يهلكوا"(١٣).
قوله تعالى:{مَلْعُونِينَ} [الأحزاب : ٦١]، أي:" مطرودين من رحمة الله"(١٤).
قال الطبري: يقول: " مطرودين منفيين"(١٥).
قال مقاتل:" ونجعلهم {ملعونين أينما ثقفوا}، فأوجب لهم اللعنة على كل حال"(١٦).

---

(١) تفسير السعدي: ٦٧١.
(٢) أخرجه الطبريك ٣٢٨/٢٠.
(٣) أخرجه الطبريك ٣٢٨/٢٠.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٦):ص٣١٥٦/١٠.
(٥) أخرجه الطبري:٤٤١/١٤، وابن ابي حاتم(١٠٣٠٣):ص١٨٧٠/٦ "عن ابن عباس في قول الله: {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق} ، إلى قوله: {عذاب عظيم}، قال: قام رسول الله ﷺ خطيبا يوم الجمعة، فقال: اخرج يا فلان، فإنك منافق. اخرج، يا فلان، فإنك منافق. فأخرج من المسجد ناسا منهم، فضحهم. فلقيهم عمر وهم يخرجون من المسجد، فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجمعة، وظن أن الناس قد انصرفوا، واختبأوا هم من عمر، ظنوا أنه قد علم بأمرهم. فجاء عمر فدخل المسجد، فإذا الناس لم يصلوا، فقال له رجل من المسلمين: أبشر، يا عمر، فقد فضح الله المنافقين اليوم! فهذا العذاب الأول، حين أخرجهم من المسجد. والعذاب الثاني، عذاب القبر".
الخبر إسناده واه، لأجل حسين بن عمرو العنقزي عن أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس به.
(٦) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٤/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٨) تفسير الطبري: ٣٢٨/٢٠.
(٩) تفسير السمعاني: ٣٠٨/٤.
(١٠) الكشاف: ٥٦١/٣.
(١١) تفسير السعدي: ٦٧١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٠.
(١٣) رواه عنه الفراء في معاني القرآن: ٣٥٠/٢.
(١٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(١٥) تفسير الطبري: ٣٢٨/٢٠.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.

عن قتادة: "{ملعونين}، على كل حال"[١].
قال السدي:" ثم قال: {ملعونين} ثم فصله في الآية {أينما ثقفوا} يعملون هذا العمل مكابرة النساء"[٢].
قال البغوي:" أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به"[٣].
قال ابن كثير:" {مَلْعُونِينَ} حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطرودين مبعدين"[٤].
قال الزجاج:" {ملعونين}: منصوب على الحال، المعنى: لا يجاورونك إلا وهم ملعونون، ولا يجوز أن يكون {ملعونين} منصوبا بما بعد {أينما}، لا يجوز أن تقول: ملعونا أينما ثقف أخذ زيد يضرب، لأن ما بعدما حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها "[٥].
قال الفراء:" قوله: {ملعونين}: منصوبة على الشتم، وعلى الفعل أي لا يجاورونك فيها إلا ملعونين، والشتم على الاستئناف، كما قال: {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد : ٤]، لمن نصبه"[٦].
قال الزمخشري:"{ملعونين}: نصب على الشتم أو الحال، أى: لا يجاورونك إلا ملعونين، دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا، كما مر في قوله {إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاه} [الأحزاب : ٥٣]، ولا يصح أن ينتصب عن :{أخذوا}، لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. وقيل: في {قليلا} وهو منصوب على الحال أيضا. ومعناه. لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين"[٧].
قوله تعالى:{أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا} [الأحزاب : ٦١]، أي:" أينما وجدوا وأُدركوا أُخذوا على وجه الغلبة والقهر ثم قُتِّلوا لكفرهم بالله تقتيلا"[٨].
قال الطبري: يقول: " مطرودين منفيين"[٩].
قال مقاتل:" يقول: حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيل"[١٠].
قال ابن كثير:" {أَيْنَمَا ثُقِفُوا} أي : وجدوا ، {أُخِذُوا} لذلتهم وقلتهم، {وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا}"[١١].
قال السعدي:أي:" أين وجدوا، لا يحصل لهم أمن، ولا يقر لهم قرار، يخشون أن يقتلوا، أو يحبسوا، أو يعاقبوا"[١٢].
عن قتادة: " إذا هم أظهروا النفاق"[١٣].
قال النحاس:قوله: {أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا}،" فهذا فيه معنى الأمر بقتلهم وأخذهم أي هذا حكمهم وهذا أمرهم أن يؤخذوا ويقتلوا إذ كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف. وفي

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٠.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٦):ص٣١٥٦/١٠.
(٣) تفسير البغوي: ٣٧٧/٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
(٥) معاني القرآن: ٢٣٦/٤.
(٦) معاني القرآن: ٣٤٩/٢-٣٥٠.
(٧) الكشاف: ٥٦١/٣.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٩٤/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٣٢٨/٢٠.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
(١٢) تفسير السعدي: ٦٧١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٠.

الحديث عن النبي ﷺ: «خمس يقتلن في الحرم»[١]، فهذا فيه معنى الأمر كالآية سواء. وهذا من من أحسن ما قيل"[٢].

قال السدي:" هذا حكم في القرآن ليس يعمل به. لو أن رجلا أو أكثر من ذلك اقتصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها، ففجروا بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم"[٣].

القرآن

{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)} [الأحزاب : ٦٢]

التفسير:

سنة الله وطريقته في منافقي الأمم السابقة أن يؤسَروا ويُقَتَّلوا أينما كانوا، ولن تجد -أيها النبي- لطريقة الله تحويلا ولا تغييرًا.

قوله تعالى:{سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ} [الأحزاب : ٦٢]، أي:" سنة الله وطريقته في منافقي الأمم السابقة أن يؤسَروا ويُقَتَّلوا أينما كانوا"[٤].

قال مقاتل:" هكذا كانت سنة الله في أهل بدر: القتل، وهكذا سنة الله في هؤلاء الزناة وفي المرجفين: القتل، إن لم ينتهوا"[٥].

قال الطبري: يقول:" {سنة الله في الذين خلوا من قبل} هؤلاء المنافقين الذين في مدينة رسول الله ﷺ معه من ضرباء هؤلاء المنافقين، إذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلا ويلعنهم لعنا كثيرا"[٦].

قال الزجاج:" المعنى: سن الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يقتلوا حيثما ثقفوا"[٧].

قال الزمخشري:" أى: سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا"[٨].

قال البيضاوي:" أي: سن الله ذلك في الأمم الماضية، وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا"[٩].

قال القرطبي:" أي: سن الله عز وجل فيمن أرجف بالأنبياء وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويقتل"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه ، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم"[١١].

قال السعدي:" أن من تمادى في العصيان، وتجرأ على الأذى، ولم ينته منه، فإنه يعاقب عقوبة بليغة"[١٢].

قال قتادة:" يقول: هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق"[١٣].

---

(١) الحديث: «خمس يقتلن في الحل والحرم: الغراب والحدأة والحية والعقرب والكلب العقور».
رواه النسائي في كتاب المناسك باب ٨٣. أحمد في مسنده (٦/ ٢٠٣).
(٢) إعراب القرآن: ٢٢٤/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٦):ص٣١٥٦/١٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٠.
(٧) معاني القرآن: ٢٣٧/٤.
(٨) الكشاف: ٥٦١/٣.
(٩) تفسير البيضاوي: ٢٣٩/٤.
(١٠) تفسير القرطبي: ٢٤٧/١٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
(١٢) تفسير السعدي: ٦٧١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٠.

قال السدي:" كذلك كان يفعل بمن مضى من الأمم"[١].

قال يحيى:" أي: من أظهر الشرك قتل، وهذا إذا أمر النبيون بالجهاد"[٢].

قوله تعالى:{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب : ٦٢]، أي:" ولن تجد -أيها النبي- لطريقة الله تحويلا ولا تغييرًا"[٣].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا، فأيقن أنه غير مغير في هؤلاء المنافقين سنته"[٤].

قال مقاتل:" يعني: تحويلا، لأن قوله- عز وجل- حق فى أمر القتل"[٥].

قال البيضاوي:" {ولن تجد لسنة الله تبديلا}، لأنه لا يبدلها ولا يقدر أحد أن يبدلها"[٦].

قال ابن كثير:" أي : وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير"[٧].

قال السعدي:" أي: تغييرًا، بل سنته تعالى وعادته، جارية مع الأسباب المقتضية لأسبابها"[٨].

قال السدي:" فمن كابر امرأة على نفسها فغلبها فقتل، فليس على قاتله دية، لأنه مكابر"[٩].

قال القرطبي:" قال المهدوي: وفي الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه حتى مات. والمعروف من أهل الفضل إتمام وعدهم وتأخير وعيدهم"[١٠].

فوائد الآيات:[٦٠-٦٢]:

١- التنديد بالمنافقين وتهديدهم بإمضاء سنة الله تعالى فيهم إذا لم يتوبوا.

٢- مشروعية إبعاد أهل الفساد من المدن الإسلامية أو يتوبوا بترك الفساد والإفساد، وخاصة المدينة النبوية الشريفة.

٣- بيان ما كان من الأشياء من قبل السنن لا يتبدل بتبدل الأحوال والظروف بل يبقى كما هو لا يبدله الله تعالى ولا يغيره.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الثامن والعشرون من التفسير، ويليه الجزء التاسع والعشرون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٦٣) من سورة «الأحزاب».

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٦):ص٣١٥٦/١٠.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٣٩/٢.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٦.
(٤) تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٨/٣.
(٦) تفسير البيضاوي: ٢٣٩/٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
(٨) تفسير السعدي: ٦٧١.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٧٩٦):ص٣١٥٦/١٠.
(١٠) تفسير القرطبي: ٢٤٧/١٤-٢٤٨.